

عرجى زيدان

تأنيذ آداب اللغة العربفة

الجزء الأول



المكتبة العامة مكتبة الاسكندرية

رقم القيد : ٢٧٩١

رقم التسجيل : ٢٧٩١

تاريخ آداب اللغة العربية

تأليف

عبد الحليم زكي

مكتبة الهلال

الجزء الأول

يشتمل على تاريخ آداب اللغة العربية في
عصر الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي

طبعة جديدة راجعها وعلق عليها

المكتبة الشرقية

أستاذ الأدب العربي بكلية الآداب
بجامعة القاهرة

دار الهلال

تقديم

بقلم الدكتور شوقي ضيف

ليس بين المشتغلين بالادب العربى وتاريخه من ينكر الجهود الخصبة التى نهض بها الاستاذ جرجى زيدان فى العشرة الثانية من هذا القرن ، فقد درس آدابنا فى عصورها المختلفة درساً منظماً ، لم يكتف فيه بقراءة آثارها ونصوصها العربية ، بل مد بصره الى ما كتب عن هذه النصوص والآثار فى بيئات المستشرقين ، يسنده فى ذلك حذق باللغات الفرنسية والالمانية والانجليزية ، فلم يترك للقوم مصنفاً مهماً فى عصره الا طلبه ، ولا مجلة علمية الا وقف عليها وأفاد منها أكبر الفائدة واستغلها خير ما يكون الاستغلال . . .

وكان من أهم ما استغله وانتفع به كتاب تاريخ الاداب العربية لبروكلمن ، وسمى فى غير صحيفة من كتابه المؤلفات الغربية التى رجع اليها وعول عليها ، كما سمي بعض المجلات العلمية وخاصة مجلات الجمعيات الاسيوية ، وتمثل ذلك كله وحوله الى هذه المادة الغريزة القيمة التى يتضمنها كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » بأجزائه الاربعة الجامعة ، وهى اجزاء أحكم ترتيب أبوابها وتنسيق فصولها . . .

ولا تكاد تلم بهذه الاجزاء حتى ترى المؤلف يأخذ نفسه بأساليب البحث الحديث . . . فهو يدرس العلل والأسباب السياسية والاجتماعية التى أثرت فى آدابنا على مر الاحقاب والعصور ، وهو يفرد فصولاً طوالاً لحياتنا العقلية بجميع فروعها العلمية ، ليتبين اصداؤها فى الحياة الادبية ، فالادب الخالص ليس شعبة منقطعة عن شعب الحياة والفكر فى الامة ، بل هو فاعل فيها ومنفعل بها ، لا يتم تاريخه ولا تصوره بدونها . ويتسع بصر المؤلف فى الدراسة ، فيعرض من حين الى حين للاداب الغربية ، وخاصة الاداب اليونانية ، مؤمناً بأن دنيا الاداب جميعاً واحدة واحكامها العامة واحدة ، لانها تستقى من موارد واحدة ، هى الحياة الانسانية بكل ما اختلف عليها من صروف

على هذه الشاكلة مضى جرجى زيدان يدرس آدابنا العربية على نهج سديد ، واكبر الظن ان ذلك هو السبب في احتفاظ كتابه - منذ صدوره الى اليوم - بقيمته العلمية . ولكن هل وقف تاريخ آداب لغتنا عند هذه الصورة التي رسمها المؤلف ، فلم يتغير ولم يتطور ؟ الحق انه تغير وتطور ، كما يتغير ويتطور كل تاريخ بفضل ما يستكشفه المنقبون والباحثون ، وان ما استكشف فيه منذ العقد الثاني من هذا القرن ، وهو تاريخ تأليف هذا الكتاب ، اكثر من أن ندل عليه ، فقد ظل المستشرقون يقومون بجهودهم واستكشافاتهم فيه ، وانضمت اليهم اجيال من شبابنا الذين تخرجوا في الجامعات المصرية وغير المصرية مسلحين بأدوات العلم الحديث ، فنقبوا فيه واستكشفوا كثيرا من مجاهله ، وأكبوا على نشر دواوينه ومصنفاته التي لم تكن قد عرفت ، وبالتالي لم تكن قد خضعت للبحث والدراسة واستنباط الحقائق الادبية



وأنت اليوم أينما وليت وجهك في مكتبتنا العربية وجدت ابحاثا وآثارا لا عهد لنا بها من قبل ، وهي تارة تختص بشاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب أو عصر من العصور أو اقليم من الاقاليم العربية ، وتارة تتسع فتضم غير شاعر وكاتب وعصر واقليم ثم هي تارة تؤرخ وتصف ، وتارة تنقد وتضع المذهب أو المذاهب الفنية في الشعر والنثر ، غير ما بعثناه ونشرناه من نصوص وآثار ادبية كثيرة لا تكاد تحصى

وليس معنى ذلك أن « تاريخ اداب اللغة العربية » لجرجى زيدان استنفد اغراضه ، وانما معناه انه اصبح في حاجة الى ان يعيد باحث النظر فيه وفي فصوله ، ويلحق به ما جد على هذا التاريخ من تطور وتغير ، بحيث تتم الفائدة منه ويكمل النفع به . وهذا هو الذي دفعني مخلصا الى كتابة بعض تعليقات وحواش عليه تستكمل معانيه الادبية والتاريخية والاسلامية وتؤديها على حقوقها ووجوهها ، مع تصحيح بعض أفكاره والفاظه وضبط أشعاره

والفضل في هذا الصنيع يرجع الى السيدين اميل وشكري زيدان ، فقد ألحا علي في القيام بهذا العمل خدمة للمتوفرين على دراسة الادب ووفاء منهما لذكرى والدهما وبراً به وبآثاره . واستجبت لهما خدمة للعلم وتحقيقا لما كان يصبو اليه الباحثون من اخراج هذا الكتاب في طبعة جديدة منقحة ..

والله الهادي الى سواء السبيل

شوقي ضيف

مقدمة المؤلف

تاريخ التأليف في هذا الموضوع

لم يكن تاريخ آداب اللغة معروفا عند الأفرنج قبل نهضتهم الأخيرة في التمدن الحديث . وما لبثوا حين تنبهوا له أن ألفوا فيه ، واصبحوا وما من لغة من لغاتهم الا وفيها كتاب أو غير كتاب في تاريخ آدابها . ولما استشرقوا أخذوا في درس اللغة العربية ، وكتبوا في تاريخ آدابها غير كتاب سيأتي ذكره .

أما العرب فالمشهور أنهم لم يؤلفوا في تاريخ آداب لسانهم ، والحقيقة أنهم سبق الأمم الى التأليف في هذا الموضوع مثل سبقهم في غيره من الموضوعات . فان في تراجم الرجال كثيرا من هذا التاريخ لانهم يشفعون الترجمة بما خلفه المترجم من الكتب ، ويبينون موضوعاتها ، وقد يصفونها . وأول كتاب خصصوه للبحث في المؤلفين والمؤلفات « كتاب الفهرست » لابن النديم (سنة ٣٧٧ هـ) وهو يشتمل على آداب اللغة العربية من أول عهدها الى ذلك العصر مرتبة حسب الموضوعات . ولم يقتصر ذلك الكتاب على آداب العرب الأصلية ، ولكنه تضمن ما أحدثوه من العلوم الإسلامية واللسانية أو ما نقلوه عن اللغات الأخرى بالتفصيل مع تراجم المؤلفين والمترجمين والشعراء والأدباء . ولولاه لضاع أسماء كثير من الكتب النفيسة ، ولاعوزنا تراجم كثيرين من الأدباء والشعراء والعلماء . فهو ذخيرة أدب وعلم ، وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٢ ، ثم طبع في مصر

ولم يظهر بعده كتاب يستحق الذكر قبل كتاب « مفتاح السعادة ومصباح السيادة » ويعرف بموضوعات العلوم لطاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ هـ رتبه حسب الموضوعات أيضا ، وذكر فيه ١٥٠ فنا ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

يليه كتاب « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لملا كاتب جلبي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ، وهو معجم مرتب على الأبجدية حسب أسماء الكتب . وبلغ ما حواه منها نحو ١٥٠٠٠ كتاب مع أسماء أصحابها ووفياتهم وتواريخ أهم العلوم . وقد طبع عدة طبعات ، أهمها طبعة ليبسك ولندن (سنة ١٨٣٥-١٨٥٨) في سبعة مجلدات ، معها ملحق فيه ذيل أحمد منيف زاده .

وفهارس مكاتب دمشق وحلب ورودرس والمغرب وقهرس السبيوطي وابن خليفة الاندلسي وبعض مكاتب الاستانة . وله طبقات اخرى في الاستانة ومصر . . .

وأخيرا كتاب « أبجد العلوم » لصديق القنوجي من أهل هذا العصر، وهو كتاب ضخيم عول فيه صاحبه على من تقدمه ورتبه على الموضوعات . وقد طبع على الحجر في الهند سنة ١٢٩٦ هـ في ثلاثة مجلدات كبيرة

على أن هذه الكتب وأمثالها تعد من المآخذ الاساسية لدرس آداب اللغة . ولكنها لا يصح أن تسمى تاريخا لها بالمعنى المراد بالتاريخ اليوم . ولم يتصد احد للتأليف في تاريخها على النمط الحديث قبل الا القرنين المستشرقين، فهم أول من كتب فيه من أواسط القرن الماضي ، لكنهم لم يوفوه حقه الا في أول هذا القرن . وسنأتي على أسماء مؤلفاتهم فيما يلي

أما في العربية ، فلعلنا أول من فعل ذلك . ونحن أول من سمي هذا العلم بهذا الاسم « تاريخ آداب اللغة العربية » فنشرنا منه فصولا صدر أولها سنة ١٨٩٤ في عدد الهلال التاسع من السنة الثانية ، وآخرها في أواخر السنة الثالثة . وقد انتهينا فيه الى تاريخ أديبها في عصر الانحطاط ، ثم شغلنا عن اتمامه ووعدنا القراء بالعود الى هذا الموضوع ، على أن نفرد له كتابا خاصا مع التوسع والتدقيق . . . فقضينا بضع عشرة سنة ونحن لا تقع لنا شاردة الا قيدناها وملاحظة الا حفظناها وتدبرناها ، والقراء يطالبوننا به . . . فأعلنا أخيرا عزمنا على القيام بوعدنا وها نحن فاعلون

الغرض من هذا الكتاب

نعني بتاريخ آداب اللغة العربية تاريخ ما تحويه من العلوم والآداب ، وما تقلبت عليه في العصور المختلفة ، أو هو تاريخ ثمار عقول ابنائها ونتائج قرائحهم . وهاك أهم اغراضنا منه :

- ١ - بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقي الاجتماعي والعقلي . . .
- ٢ - تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم ، وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والعصور
- ٣ - تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره من تكونه ونشوئه الى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والادوار
- ٤ - تراجم رجال العلم والآداب مع الإشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها لمن يريد التوسع في تلك التراجم
- ٥ - وصف الكتب التي ظهرت في العربية باعتبار موضوعاتها ، وكيف تسلسلت بعضها من بعض ، وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء اليها ووجه الاستفادة منها
- ٦ - لا نهتم من هذه الكتب الا بما لا يزال باقيا منها ، ويمكن الحصول عليه . . . فإذا كان مطبوعا ذكرنا محل طبعه وسنته ، وإذا كان لم يطبع اشرنا

الى المكاتب الكبرى التى يوجد فيها - نعى المكاتب الدولية فى أوربا أو غيرها، كالمكتبة الملكية فى برلين ، ومكتبة المتحف البريطانى فى لندن ، والمكتبة الاهلية فى باريس ، والمكاتب الدولية فى فينا وغطا وأكسفورد ومنشن وليدن وغيرها ، ودار الكتب المصرية فى القاهرة ، ومكاتب أيا صوفيا وكوبرلى وبايزيد أو غيرها فى الاستانة .. حتى اذا أراد أحد الوقوف على شىء من الاصول الخطية ، طلبها فى فهارس تلك المكاتب

وبالجملة فان غرضنا الرئيسى ان يكون لهذا الكتاب فائدة عملية فضلا عن الفائدة النظرية ، بحيث يسهل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجودة ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمتها بالنسبة الى سواء من نوعه .. فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الامة العربية وعقولها وتراجم علمائها وادبائها وشعرائها ومن عاصرهم من كبار الرجال ، ووصف المؤلفات العربية على اختلاف موضوعاتها . ومتى تم الكتاب الحقناه بفهرس ابجدى للاعلام والموضوعات ، فيصير معجما للعلم والعلماء والادب والادباء والشعر والشعراء، ولما جادت به قرائحهم من التصانيف او المنظومات ووصف كل منها ومحل طبعه أو وجوده ..

تقسيم الموضوع وابوابه

ترددنا كثيرا فى الخطة التى نتخذها فى تقسيم هذا الكتاب ، بين أن نقسمه حسب العلوم أو حسب العصور .. ومعنى قسمته حسب العلوم ان نستوفى الكلام فى كل علم على حدة من نشأته الى الآن ، على أن نبدأ بأقدمها فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء وما تقلب على الشعر من أول عهده الى الآن . ونفعل مثل ذلك بالخطابة وغيرها من آداب الجاهلية ، وهكذا فى العلوم الاسلامية كالفقه والتفسير والنحو واللغة ، والتاريخ والجغرافية وغيرها . اما قسمته حسب العصور فيراد بها الكلام من أحوال العلوم معا فى كل عصر على حدة ، وهذا الذى اخترناه .. فقسمنا هذا الكتاب الى تاريخ آداب اللغة العربية قبل الاسلام وتاريخها بعده ، وقسمناها فى الاسلام الى عصور حسب الانقلابات السياسية لبيان ما يكون من تأثير تلك الانقلابات فيها .. فبدأنا بعصر صدر الاسلام ، فالعصر الأموى ، فالعباسى ، فالملغولى، فالعثمانى ، فالعصر الحديث ، وقسمنا كلا منها الى ادوار حسب الاقتضاء . وسيتضمن هذا الكتاب أربعة أجزاء ، هذا أولها

موضوع هذا الجزء

يشتمل هذا الجزء على تاريخ آداب اللغة فى العصر الجاهلى ، وفى عصر صدر الاسلام ، والعصر الأموى .. أى من أول عهدها الى سنة ١٣٢ هـ ، فبدأنا بمقدمات تمهيدية فى : ما هو المراد بآداب اللغة ، ومن هم أسبق الأمم الى العلم ، وما هى مصادر آداب اللغة على الاجمال . وأتينا بآداب اللغة اليونانية على سبيل المثال .. ثم عمدنا الى آداب العرب قبل الاسلام، فقسمناها الى الجاهلية الاولى القديمة ، والجاهلية الثانية فى القرنين

الآخرين قبل الهجرة . وصدرنا الكلام بفصول في الفرق بين لغة الجاهليتين ، ودرجة ارتقاء عقول العرب ، والمرأة في الجاهلية . وتقدمنا الى الآداب الجاهلية فقسمنها الى :

١ - الآداب العربية ، ويدخل فيها اللغة والشعر والخطابة والامثال والنسب ومجالس الآداب والاخبار ونحوها

٢ - العلوم الطبيعية ، وتحتها الطب والبيطرة والخيول ومهاب الرياح

٣ - العلوم الرياضية ، أردنا بها الفلك والميثولوجيا والتوقيت

٤ - ما وراء الطبيعة ، ويدخل فيها الكهانة والعيبافة والقيافة وتعبير الرؤيا والزجر وغير ذلك ..

واخذنا في الكلام عن كل علم على حدة ، فبدأنا باللغة .. فذكرنا تاريخها قبل الاسلام ، وما دخلها من الالفاظ الاعجمية ، وكيف كانت لما جاء الاسلام ، وفروعها ومميزاتها عن سائر اللغات .. ثم الامثال وأنواعها وما ألف فيها . وانتقلنا الى الشعر ، وهو أهم تلك الآداب .. فأفضنا في درسه ، وبحثنا في أصل عند العرب شعر تمثيلي ، وكيف بدأ العرب ينظمون ، وما هو أصل وذلك الشعر عندهم وأسباب نهضة الشعر في الجاهلية ، وأهمها استقلال عرب الحجاز من اليمن وحروبهم فيما بينهم . وبيننا عدد الشعراء بالنظر الى القبائل ، وبالنظر الى الاقاليم ، وتأثير الاقليم في قرائحهم ، ثم عقدنا فصلا في خصائص الشعر الجاهلي وأحوال شعرائه . وتسهيلا لدرسهم وتفهمهم ، قسمناهم حسب أغراضهم الى : أصحاب المعلقة ، والشعراء العشاق ، الامراء ، والشعراء الفرسان ، والشعراء الحكماء ، والشعراء العشاق ، والصعاليك ، واليهود ، والنساء الشواعر ، والشعراء الهجائيين ، ووصاف الخيل ، والموالي ، وسائر الشعراء . وذكرنا مميزات كل طبقة ، وأشهر شعرائها ، وتراجم وأمثلة من أقوالهم وما صارت اليه دواوينهم ، والمآخذ التي يرجع اليها في معرفة أخبارهم .. ثم تقدمنا للكلام على سائر علوم الجاهلية ..

وفي عصر صدر الاسلام ، بدأنا بذكر التغيير الذي أحدثه الاسلام في نفوس العرب ، وما كان من تأثير ذلك في آدابهم ولا سيما الشعر والخطابة .. ثم كتبنا فصلا في الشعر والرسول ، وآخر في الشعر والخلفاء الراشدين وما حدث من العلوم في هذا العصر مع تاريخ الخط

وقدمنا الكلام في العصر الاموي بمميزات ذلك العصر ، وما اقتضته سياسة بني أمية من التفريق بين القبائل واصطناع الاحزاب وتأثير ذلك في آدابهم .. فبدأنا بالعلوم الشرعية كالقراءة والتفسير والحديث والفقه مع تمهيد في البصرة والكوفة . ثم العلوم اللسانية : النحو والحركات والاعجام ثم التاريخ والجغرافيا . ورجعنا الى ما صارت اليه آداب الجاهلية في ذلك العصر وهي اللغة والشعر والخطابة ، وتكلمنا عن أسباب رواج الشعر ومميزاته . وقسمنا هذا العصر الى ثلاثة أدوار . وقسمنا شعراءه الى شعراء السياسة وشعراء الغزل والشعراء الخلاء والسكران والشعراء الادباء . وقدمنا الكلام في فحول ذلك العصر . وقسمنا شعراء السياسة

الى أحزاب أهمها : أنصار بنى أمية وأنصار آل المهلب وأنصار العلويين والخوارج وغيرهم . وأتينا بتراجم الشعراء من كل طبقة وأمثلة من أقوالهم حسب أغراضهم وأدوارهم ، مع ذكر دواوينهم وماخذ أخبارهم . وختمنا الجزء بفصول في قرائح الشعراء وشيائينهم والقراءة فيهم . وأخيرا تحدثنا في الخطابة والخطباء ، والانشاء ، وبه تم العصر الاموى وهو آخر الجزء الاول . .

الكتب التى عولنا عليها

يطول بنا ذكر الكتب التى أطلعنا عليها قبل تأليف هذا الكتاب . وهى على الاجمال كتب التاريخ والأدب واللغة والشعر . وقد ذكرنا جانبها كبيرا منها بين ماخذ تاريخ التمدن الاسلامى وتاريخ العرب قبل الاسلام . وأتينا بثبت آخر فى خاتمة باب الشعر الجاهلى من هذا الكتاب ، فنكتفى هنا يذكر الكتب التى هى من قبيل تاريخ آداب اللغة فى العربية وفى الافرنجية، مما لم يرد ذكره فى ذلك الثبت واليك أهمها (※) :

١ - الكتب العربية

الفهرست	لابن النديم	طبع فى ليبسك سنة ١٨٧٢
مفتاح السعادة	لطاشكبرى زاده	خط فى دار الكتب المصرية
كشف الظنون ٣ أجزاء	لكاتب جلبي	طبع فى ليبسك سنة ١٨٥٨
أبجد العلوم ٣ أجزاء	لصديق القنوجى	طبع فى الهند سنة ١٢٩٦ هـ
مقدمة ابن خلدون	ابن خلدون	طبع فى بولاق سنة ١٢٨٤ هـ
طبقات الادباء	للانبارى	طبع مصر سنة ١٢٩٤ هـ
طبقات الاطباء جزآن	لابن ابى أصيبعة	طبع مصر سنة ١٨٨٢
وفيات الاعيان ٣ أجزاء	لابن خلكان	طبع مصر سنة ١٣١٠ هـ
فوات الوفيات جزآن	لابن شاعر	طبع مصر سنة ١٢٨٢ هـ
المزهر - جزآن	للسيوطى	طبع بولاق سنة ١٢٨٢ هـ
اكتفاء القنوع	لادوارد فنديك	طبع مصر سنة ١٨٩٧

٢ - الكتب الفرنسية

Loliée, Hist. des littératures comparées des origines au XXe siècle	Paris	1900
Deltour, Hist. de la littérature grecque	"	1896
Bouchot, Précis de la littérature ancienne	"	1874
Prrens, Hist, de la littérature italienne	"	1867

(※) نشرت مخطوطات عربية كثيرة بعد تأليف هذا الكتاب سنة ١٩١١ ، وهى تعد من الامهات والاصول فى تفسير حياة العرب وأدبائهم وعلمائهم وفلاسفتهم على مر العصور . وسنشير الى طائفة منها فى تعليقاتنا ، وكذلك نشرت ابحاث كثيرة للمستشرقين ، وسنذكر أطرافا منها فى التعليقات والحواشى . ومما يلاحظ أيضا أن كثيرا من كتب المستشرقين التى ذكرها فيما بعد ترجمه بعض المعاصرين ، ومنها ما أعيد نلبعه . ومنها ما أضيف اليه تعليقات واضافات جديدة

Baret, Hist. de la littérature espagnole	Paris	1863
Jusserand, Hist. abr. de la littérature anglaise	„	1896
Duval, La littérature syriacque	„	1907
Seignobos, Hist. de la civilisation, 3 Vol.	„	1905
Sédillot, Hist. gen. des arabes, leur civil, etc.	„	1877
Huart, Littérature arabe	„	1902
Dozy, Recherches sur l'histoire et lit. de l'Espagne 2 Vol.	„	1881
Brunetière, Hist. de la littérature française	„	1900
Le Bon, La civilisation des arabes	„	1884

٢ - الكتب الإنجليزية

Browne, A literary hist. of Persia, 2 Vol.	London	1900
Margoliouth, Mohammed and the rise of Islam	„	1905
De Boer, The hist. of philos. in Islam	„	1903
Scott, Hist. of Moorish Empire in Europe, 3 Vol.	New York	1904
Nicholson, A literary hist. of the Arabs	London	1907
Frazer, A literary hist. of India	„	1892

٤ - الكتب الألمانية

Hammer-Puégstall, Litteraturgeschichte der Araber bis zum Ende des 12. Jahrhundert der Hidschret, 7 Vol.	Vienna	1856
Wuestenfeld, Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke,	Gothingen	1882
Goldziher, Muhammedanische Studien.	Halle	1890
Diercks, Die Araber im Mittelalter und ihr Einfluss auf die Cultur Europa's.	Leipzig	1882
Schak, Poesie und Kunst der Araber in Spanien	Stuttgart	1877
Brockelmann, Geschichte der Arabischen Lit. 2 Vol.	Weimar	1902

مقدمات تمهيدية

١ - ما هو المراد بآداب اللغة ؟

آداب اللغة علومها .. والمراد بتاريخ آداب اللغة (*) تاريخ علومها أو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم ، فهو تاريخ الامة من الوجهة الادبية والعلمية . ولكل امة تاريخ عام يشمل النظر في كل احوالها ، ويتفرع الى تاريخ سياسى وآخر اقتصادى وآخر أدبى أو علمى . فالتاريخ السياسى يبحث فيما مر على الامة من الفتوح والحروب ، وما توالى عليها من الدول وأنواع الحكومات ونحو ذلك . والتاريخ الاجتماعى يبين الادوار التى تقلبت فيها تلك الامة من حيث عاداتها وأخلاقها . والتاريخ الاقتصادى يتناول النظر فى تاريخ مالية تلك الامة وثروتها وأحوالها الزراعية والصناعية وغيرها . وقس على ذلك سائر ضروب التاريخ . ومنها التاريخ الادبى أو العلمى ، وهو يبحث فى تاريخ الامة من حيث الادب والعلم . فيدخل فيه النظر فيما ظهر فيها من الشعراء والأدباء والعلماء والحكماء ، وما دونوه من ثمار قرائحهم أو نتاج عقولهم فى الكتب ، وكيف نشأ كل علم وارتقى ونفرع عملا بسنة النشوء والارتقاء

والتاريخ العام ان لم يشمل تاريخ آداب اللغة ، كان تاريخ حرب وفتح وسفك وتغلب واستبداد ، اذ لا يستطيع الوصول الى فهم حقيقة الامة أو كنه تمدنها أو سياستها الا بالاطلاع على تاريخ العلم والادب فيها .. فهو شارح للتاريخ يعلل الاسباب والحوادث بعلمها الحقيقية . فإذا قرأنا تاريخ أمة وعرفنا ما توالى عليها من الاحوال السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية ، واستخرجنا أسباب تمدنها ورقوها أو تهقرها وسقوطها .. مهما علمنا من ذلك كله ، فإن الاسباب لا تزال غامضة حتى نعلم تاريخ علوم

(*) يستخدم المؤلف كلمة « تاريخ آداب اللغة » بمعناها الواسع المعروف عند الغربيين اذ يقصدون بها كل الانتاج العقلى والشعورى للامة فى مختلف الميادين العلمية والفلسفية والادبية عبر التاريخ ومع دوراته المختلفة . وتاريخ آداب اللغة بهذا المعنى ، يصور الجانب الحضارى للامة فى وجوه نشاطها العقلى والفلسفى والادبى . وهو لذلك يقف جنباً الى جنب مع تاريخها السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، ولا يقتصر على الشعر والنثر الفنى وحدهما . وكان قدماؤنا يفهمون الادب هذا الفهم الواسع ، فيقولون : الادب هو الاخلاص من كل علم وفن بطرفه ..

الامة وهو تاريخ عقولها وقرائحها ، فتتجلى لنا العوامل الاصلية في أسباب رقيها أو سقوطها . فان ما تخلفه من الآثار الادبية ينم عما كانت عليه من الارتقاء العقلي أو الميل القلبي وسائر أحوالها من الاعتدال أو العفة أو التهتك ، ومن الهمة أو الخمول ، الى غير ذلك من الآداب والاطوار - وانما الامم الاخلاق ما بقيت - على أن تاريخ آداب اللغة لا يكون وافيا أن لم يوضح بالتاريخ السياسي

وأهل التمدن الحديث يجعلون البحث في آداب اللغة من أهم الوسائل لتفهم تاريخها السياسي ، ويقسمون ذلك التاريخ الى أطوار على مقتضى ما تقلب عليها من الاحوال الادبية ، ويقيسون ما تبينوه من الاطوار الماضية علم ما سيكون . . فيتنبأون بمستقبل الامة متى عرفوا الطور الذي بلغت اليه في أيامهم ، وبالقياص على الماضي ، يقولون ان هذه الامة هي الان في دور الحماسة الشعرية مثلا ، ولا تلبث أن تنتقل الى العصر الادبي ، ثم العلمى فالفلسفى . . الخ . .

تاريخ آداب اللغة (**) هو تاريخ عقول أبنائها ، وما كان من تأثير ذلك في عرسهم وفي اخلاقهم . ويدخل فيه تعيين ما بلغت اليه الامة من الرقى العلمى وامتازت به عن سواها . . وبيان تاريخ كل علم وما تقلب عليه من الاحوال ووصف ما خلفوه من الآثار المكتوبة من حيث فوائدها ، وكيفية تفرعها او تخلفها بعضها عن بعض

٢ - أسبق الأمم الى العلم

من هو أول من قال شعرا أو أول من رصد الكواكب ، أو اخترع الكتابة ، أو وضع الاعداد ؟ من قسم السنة الى أشهر ، والاشهر الى اسابيع ، وهذه الى الايام فالساعات ؟ نعرف مثلا ان أول من رصد الكواكب السكندانيون ، ولكن من هو الرجل الذى بدأ بالرصد ؟ ان ذلك ذهب في ثنايا القرون المتساعدة ، كما ذهبت أسماء مكتشف الملح ومخترع النار وصانع الابرة والمغزل ونحوهما من الادوات القديمة . والسبب في ذهاب تلك الاخبار ان الانسان عاش ادهارا قبل اختراع الكتابة ولم يكن يدون أعماله وآثاره ، مع أن بعضها عظيم الاهمية بالنظر الى التاريخ

وللعلم بهذا الاعتبار تاريخان : احدهما قبل اختراع الكتابة ، والاخر بعدها . ولا دخل لآداب اللغة فيما هو قبل الكتابة ، لان معول أصحاب هذا العلم على ما بين أيديهم من مدونات العلوم والآداب . . فأى أمة دونت العلم أولا ؟ . .

(*) نشط البحث في آداب اللغة عند الغربيين نشاطا واسعا منذ اوائل القرن التاسع عشر ، اذ ظهرت الحركة الرومانسية ، ولم يعد الغربيون يكتفون بالنماذج اليونانية والرومانية ، بل أخذوا يعنون عناية واسعة بنماذجهم الحديثة ، ومن ثم عنى النقاد في كل امة غربية بكتابة تاريخهم الادبى الحديث . وقد نشطت دراسات علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، فأعانت هذه الدراسات على أن يحكم النقاد بحثهم في الآداب وتاريخها وتطورها من زمن الاغريق الى العصر الحديث

لا خلاف في أن الشرق أسبق الى تدوين العلم من الغرب .. فقد نظم المشاركة الشعر ، وعالجوا الامراض ، ووضعوا الشرائع ، ورصدوا الكواكب ، وعينوا أماكنها وسموها بأسمائها ، والغرب في غفلة وظلام دامس .. فأي أمم الشرق أسبق الى العلم ؟

يعسر الجواب على ذلك جوابا قاطعا ، لان أكثر آثار الشرق لا تزال مدفونة تحت الرمال أو الاتربة في مصر والشام وما بين النهرين واليمن والحجاز وآسيا الصغرى وفارس والهند . وفيها آثار الفراعنة والفينيقيين والاشوريين والبابليين والمعينيين والحميريين والحثيين وغيرهم . ولم ينته العلماء الى أهمية هذه الآثار الا في القرن الماضي ، فتألفت الجمعيات وجمعت الاموال للتنقيب واستخراج الاحافير وحل المكتابات .. فحطوا الخط الهيروغليفي بمصر ، والمسماري فيما بين النهرين ، والمسند في اليمن ، والنبطي في الحجاز ، والفينيقي في فينيقية . وقرأوا ما اكتشفوه من الاحافير ، فاطلعوا على كثير من أحوال تلك الامم . لكن أعمال التنقيب لا تزال في أولها ، ولا يزال معظم الآثار مدفونا وخصوصا فيما بين النهرين وآسيا الصغرى واليمن وسائر بلاد العرب .. أما مصر فان حظها من التنقيب أكثر من حظ سواها

وادي النيل

وقد تبين من قراءة الآثار حتى الان ، أن وادي النيل ووادي الفرات أسبق بلاد المشرق الى الاشتغال بالعلم والادب ، وقد قضيا ادهارا وهما مزدهران منيران بالعلم ، وسائر العالم في ظلام .. نبغ العلماء والاطباء والشعراء بمصر في عهد الاسرة الثالثة من الدولة المصرية الاولى قبل بناء اهرام الجيزة أي منذ نحو ستة آلاف سنة . ويفتخر أحد كتاب الدولة في عهد الاسرة السادسة بمصر انه كان متوليا ادارة الكتب ، فطلب الى ذويه أن ينقشوا ذلك على قبره ، منذ نيف وخمسة آلاف سنة

ويدل ذلك طبعا على وجود الكتب من ذلك الحين ، وان لم يصل اليها شيء منها ، ولكننا سمعنا ببعضها . وربما كان أهم ما وصلنا خبره منها « كتاب الموتى » وهو كتاب الطقوس ، وفيه شعر وادب وتاريخ وعقود وعهود واغان ، وبعضها قديم جدا ، ربما كان قبل عهد الملك مينا أول فراعنة مصر .. وهو يشبه كتب الدين عند سائر الامم القديمة ، كالفيديا عند البراهمة ، والزاندافستا عند الفرس ، والكنغ عند الصينيين ، والتامود عند اليهود ، لكنه اقدم منها كلها

وكان الفراعنة يطلبون العلم ويتفاخرون به ، ويقال ان ثوسرتسن أحد ملوك هذه الاسرة كان عالما بالطب ، فوضع فيه كتابا تداوله الناس الى القرن الاول للميلاد . ولا ريب أن الرياضيات في عهد الاسرة الرابعة بناء اهرام كانت من أرقى العلوم . وقد نبغ الشعراء بمصر من أقدم أزمانها ، وكان منهم طائفة كبيرة يجتمعون في مجلس تحتمس الشائث ورسميس الثاني ، كما اجتمع بNDAR وزملائه من شعراء اليونان بعد الف سنة في

مجالس ملوك اليونان . وكما اجتمع شعراء العرب بعد ألف وخمسمائة سنة أخرى في مجالس الرشيد وسيف الدولة والصاحب بن عباد وغيرهم . وكان شعراء الفراعنة ينظمون القصائد في كل نصر أو فتوح ، يمتدحون ملوكهم ويسمونهم أبناء الشمس وأصحاب التاجين

وادي الفرات والسومريون والاكاديون

ويقال نحو ذلك عن أهل بابل وأشور في وادي الفرات ودجلة ، فان العلم عندهم قديم ، وقد تعاصر البابليون والمصريون وتبادلوا المعارف . ولكن ظهر من الاكتشافات الاثرية في بابل ، انه كان هناك قبل تمدن البابليين أمتان سبقتا البابليين الى اسباب المدنية أو العلم : هما الاكاديون (*) والسنومريون ، جاءوا وادي الفرات من عهد بعيد وعندهم العلم والكتابة وهي الاحرف المسمارية ، فاقتبسها البابليون منهم وطبعوا بها أخبارهم على آثارهم . وكان السومريون عند قدومهم الفرات أهل شريعة ودين وصناعة يبنون المدن والقلاع وينسجون الأنسجة . نزل السومريون والاكاديون وادي الفرات نحو القرن الخامس والرابعين قبل الميلاد أي منذ نحو ٦٥٠٠ سنة ومعهم العلم والصناعة ، ومازالوا نبراسا يستضاء بهم الى اوائل القرن العشرين ق م ، أي نحو ٢٥ قرنا . وهم يختلفون عن سائر سكان ذلك الوادي لغة وشكلا ، كما يظهر من صورهم المنقوشة على الآثار . وقد اقتبس أهل الشام والعراق عنهم كثيرا من اسباب العلم واستدل بعض العلماء على آثار ذلك في مزامير داود

أقدم مكتبة في العالم

وعاصر هذه الامة في وادي الفرات غير دولة من أصل سامي . وعشر المنقبون في العراق على رقيم (حجر أو لوح) عليه كتابة مسمارية فيها قائمة بأسماء ملوك ، حكم بعضهم منذ أكثر من أربعين قرنا ، ويدل ذلك على قدم التمدن في ذلك البلد المبارك . وفي جملة أولئك الملوك ملك اسمه « شرجينا » كان محبا للعلم والعلماء راغبا في العمارة ، أنشأ مكتبة في

(*) الاكاديون موجة سامية كبيرة انساحت من بلاد العرب - وهي الموطن الاصلي للساميين - الى حوض دجلة والفرات ، حيث كان ينزل السومريون ، وهم جماعات غير سامية سبقت الى التوطن في هذا الحوض أثناء الألف الخامس ق م . واسسوا فيه دولة وأقاموا به حضارة تأثر بها الاكاديون تأثرا واسعا . وما زالوا خاضعين للسومريين حتى استطاع سرجون الاول ، وهو أول عظماء الساميين في التاريخ ، ان يؤسس في العراق الدولة الاكادية حول سنة ٢٥٠٠ ق م . وبقي الملك في هذه الدولة الى ان اغتصبته دولة بابل حول سنة ١٩٥٠ ق م . وهي دولة سامية كدولة الاكاديين ، واشهر ملوكها حمورابي الذي ولي الملك حول سنة ١٨٠٠ ق م . وهو صاحب الشريعة البابلية التي سيحدثنا عنها المؤلف فيما بعد . وظلت هذه الدولة قائمة حتى قضى عليها الاشوريون في أواخر القرن السادس عشر ق م . وهم ايضا سطحيون . وانظر في الصلة بين هذه الدول السامية والعرب كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » لجواد علي ، جزء ١ ، ٢ ، ٣ وتاريخ العرب لفيليب حتى ج ١ ص ٤٣ والرافدان لسيتون لويد في مواضع متفرقة و

D.D. Luckenbill -- Ancient Records of Assyria & Babylonia.

« وركاء » من أعمال العراق سماها مدينة الكتب . وعهد الى رجال من خاصته في جمع الكتب قديمها وحديثها ، وان يفسروا بعضها بالترجمة أو التعليق . واستعان بالعلماء من سائر الاقطار لينقلوا علوم الآخرين الى لسانهم وتدوين علومهم . واشتغل آخرون بالشرح والتعليق . . كما فعل بطليموس فيلاذلفوس بالاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد ، وكسرى انوشروان في جنديسابور في القرن الخامس للميلاد ، وكما فعل الرشيد والمأمون في بغداد في القرنين الثاني والثالث للهجرة . وقد دون شرحينا هذه العلوم بالحرف المسماري نقشا على الطين وهي الرقم المسمارية المعروفة . .

فكانت مكتبة « وركاء » هذه مملوءة بالكتب اللغوية والفلكية والشرعية والادبية وغيرها . . ثم نسخت بعد انشائها بخمسة عشر قرنا بأمر أمير آشوري ، وحفظت في دار خاصة بها كما تحفظ المكاتب اليوم . وعثر المنقبون على بقايا هذه المكتبة بين النهرين ونقلوها الى المتحف البريطاني في لندن . .

على ان هذه البقايا نتف أكثرها محطم لا ينتفع به . اما أقدم اثر علمي بقي سالما كاملا الى هذا العهد ، فهو شريعة حمورابي . . . فانها دونت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وقد رجحنا في كتابنا « العرب قبل الاسلام » ان دولة حمورابي عربية ، وانها اقدم دول العرب . . فاذا صح استدلالنا هناك ، كان اقدم الآثار العلمية الباقية كاملة عربى الفكر

ويلي المصريين والبابليين في التمدن القديم الفينيقيون في سوريا والحثيون فيها وفي آسيا الصغرى والفارسيون والهنود والصينيون وغيرهم . .

اليونان

ظلت الآداب زاهرة في الشرق ، وهو وحده مبعث العلم والمعرفة والمدنية ، حتى كان تقهقره على مقتضى سنة العمران . . فانتقلت الرياسة منه الى الغرب ، وأسبق الأمم الغربية الى ذلك اليونان لانهم اقرب الى الشرق من سواهم . وعنهم اخذ الرومان وانشأوا التمدن الروماني . ولكل من هاتين الامتين كتب خاصة في تاريخ آدابها ، والمرجع في ذلك الى تاريخ آداب اللغة اليونانية فانها اساس آداب سائر لغات اوربا حتى الحديثة منها الى اليوم . ولما نشأت الدول الحديثة وتمدنت وظهر فيها العلماء والادباء واستقلت كل أمة بلغتها وآدابها ، صار لكل منها تاريخ خاص لآداب لسانها ، وقد ألف في آداب كل لغة منها عدة كتب وهي اشهى مايقرا من تواريخ تلك الأمم

على ان الآداب اليونانية كانت ايضا اساسا لآداب أكثر الأمم التي ظهرت بعد اليونان في الشرق ومن جملتهم العرب . فالتمدن الاسلامي مدين لآداب اليونان في أكثر العلوم الطبيعية ، وكذلك الفرس في نهضتهم أيام الإكاسرة

ثم ان الاداب العربية كانت أساسا لاداب كل أمة ظهرت في اثناء التمدن الاسلامى او بعده .. حتى في أوربا ، فالافرنج في نهضتهم الاخيرة استعانوا على انشاء تمدنهم بما خلفه العرب من كتب العلم والفلسفة

فالعلم نشأ في الشرق وأثمر أولا في وادى النيل ووادى الفرات ، وانتشر منهمـا في سائر المشرق .. ثم انتقل الى الغرب ، فتناوله اليونان واستثمروه وعالجوه حتى صار خاصا بهم . ومنهم أخذه الرومان في الغرب والفرس والسريان والعرب في الشرق . وانتقل من الرومان الى أمم أوربا في الاجيال الوسطى وحفظ في الكنائس والاديار

أما في الشرق فانتقل علم اليونان أخيرا الى المسلمين ، فدرسوه وأضافوا اليه ما اقتبسوه من علوم الفرس والهند وتوسعوا في ذلك كله من عند أنفسهم . وقد ملأوا العالم مؤلفات وعلماء وأرصادا ومدارس ومكاتب في نحو ألف سنة . فلما نهضت أمم أوربا لانشاء التمدن الحديث، اقتبسوا كثيرا من آداب العرب ونقلوا مئات من كتبهم الى السنتهم فكانت أساسا لتمدنهم الحديث

٣ - مصادر آداب اللغة بوجه عام

الأمم تتشابه بطبائعها ومداركها من أكثر الوجوه وان اختلفت في مواطنها ، ولذلك جاءت آدابها متشابهة (١) ، في موضوعاتها ومصادرها ومناحيها وتأثيرها ، مع تباين في كل أمة تمتاز به عن سواها .. فأدب اللغة عند كل الامم قديما وحديثا مؤلفة من الشعر والنثر . والشعر يقسم الى موضوعات كثيرة من الحماسة والفضل والفخر والثناء والمدح ، والنثر يقسم الى التاريخ والادب والفقه والفلسفة والعلم على أنواعه . ولم تخل أمة من الشعراء والخطباء والعلماء والفلاسفة على تفاسوت في الاجادة واختلاف في الاسلوب . ولو دونت الامم القديمة آدابها لوجدت التشابه أكثر وضوحا ، ولكنهم لم يفعلوا .. فلم يتيسر للمحدثين العثور عند أكثرها على ما يصح جمعه ودرسه . وأقدم الامم التي دونت تاريخ آدابها وعلومها على نحو مانحن فاعلون في هذا الكتاب اليونان ، فقد ألفوا في آداب اللغة اللاتينية ، ثم آداب كل لغة من اللغات الاوربية الحية . وجروا على مثل ذلك في تدوين آداب اللغات السامية ، فألفوا في آداب لغة الهند والفرس والسريان والعرب

(١) مرجع هذه الفكرة ان الادب في كل أمة انما هو تعبير النفس ، وحقائق النفس الانسانية في كل الناس مشتركة، ولذلك كانت آداب الامم تتشابه ، وكان مايتخذ من قواعد في درس نوع معين من انواع الاداب صالحا لان يطبق على النوع الآخر ، اذ القسوى الداخلية للنفس الانسانية كلها من جنس واحد، ولولا ذلك ما امكن مصريا ان يفهم الادب الفرنسى ولا مستشرقنا ان يفهم الادب العربى، وهكذا الاداب الاخرى

وإذا طالعت تواريخ آداب هذه اللغات اتضح لك وجه الشبه بينها ، نكتك تجد لكل أمة خصائص في مشاعرها ومداركها تمتاز بها عن سواها . . فاليونان يظهر من تاريخ آداب لسانهم أنهم يمتازون عن سواهم بسعة التصور وقوة العارضة والجنوح الى الفلسفة . ويمتاز الرومان في السياسة والنظام والتشريع . ويمتاز العرب بدقة الاحساس في نفوسهم وسرعة الخاطر وسعة الخيال . ويمتاز الهنود باستغراقهم في الخيالات والاهام . وقس على ذلك

وقد ترتب على هذا التفاوت في المواهب امتياز كل أمة بآداب أجادت فيها وتناقلتها سائر الأمم عنها ، كامتياز اليونان بالفلسفة والشعر القصصي والتمثيل ، وعنهم أخذها سائر الأمم . وامتاز الرومان بوضع الشرائع والنظم السياسية والاجتماعية التي هي أساس شرائع أوربا ونظامها الاجتماعي الى اليوم ، وامتاز الهنود بوضع القصص الخرافية على ألسنة الحيوانات مثل كليله ودمنة وعنهم أخذها سائر الناس . واما العرب فقد ملأوا الدنيا شعرا وادبا وفقها وتاريخا وهم قدوة الناس في المعاجم العلمية والتاريخية وفلسفة التاريخ

وهكذا الأمم الاوربية الحديثة . . فان لكل منها مزية في شيء من آداب اللغة . فالفرنسيون أهل فصاحة وطلاقة في الكلام والانشاء . . اشتهروا بذلك من أقدم ازمانهم . قال يوليوس قيصر لما نزل بلادهم قبيل الميلاد . « ان الغالين أهل ذوق في الحرب والكلام » وأيد ذلك كثرة من ظهر فيهم من الكتاب والمنشئين والخطباء في الادب بالقياس الى سائر أمم أوربا . والامان يمتازون بأبحاثهم الفلسفية العويصة وتتبع الموضوعات الى أقصى جزئياتها ونقدها وتوسعهم في قواعد اللغة . أما الانجليز فيمتازون بجنوحهم الى الحقيقة المحسوسة في آرائهم فلا يبنون أبحاثهم الا على الواقع ، وترى ذلك ظاهرا في أعمالهم وأخلاقهم . والاطاليون معروفون بتبريزهم في الفنون الجميلة ، فهم شديدو التأثير بأعمال الطبيعة وظواهرها

على أن تفوق بعض الأمم في بعض الآداب ، لا يمنع تشابه تلك الأمم في سائر الآداب . . ويحسن بنا قبل التقدم الى الكلام عن آداب اللغة العربية ، أن نذكر نموذجا من آداب اللغات الاخرى . وقد تقدم ان الأمم الشرقية القديمة لم تجمع آدابها ، وليس لدينا منها ما يصح اتخاذه مثالا لنا . والأمم المتقدمة الآن في أوربا ، وأمريكا ترجع آداب لغاتها الى اللغة اللاتينية أي لغة الرومان . وهؤلاء اقتبسوا أكثر آدابهم عن اليونان . . فآداب اللغة اليونانية خير مثال لآداب لغات العالم المتقدم ، لأنها أساسها كلها من حيث الادب والشعر والفلسفة وسائر العلوم القديمة . وما من أدب أو علم أو فلسفة في اللغة الفرنسية أو الانجليزية أو الإيطالية أو غيرها الا وله أصل أو أساس في اللغة اليونانية - وأكثر مؤلفات تلك الأمم ومنظومات شعرائهم في الاجيال الوسطى صور أو ظلال لما كان عند اليونان - وبالمثل

أمهن اللاتينية فان الانبياء في اللغة اللاتينية لفرجيل ، أنما هي نسخة من
الياذة هوميروس ، وكذلك فردوس ملتن وجحيم دانتي وتلمسك فنيليون
وغيرهم ..

فأفضل نموذج لآداب العالم المتمدن آداب اللغة اليونانية وهي أهمها
جميعا ، ولها تاريخ طويل يرجع الى قرون عدة قبل الميلاد وهاك أقسامها:

٤ - آداب اللغة اليونانية (*)

تقسم آداب هذه اللغة الى سبعة أدوار أو أطوار :

١ - العصر الخرافي : ويراد به أقدم أزمان الامة اليونانية ، ولم يبق
منها الا القصص الخرافية عن الآلهة ونحوهم ، مما يسمى في اصطلاح
الافرنج ميثولوجيا Mythology وهو يبدأ قبل زمن التاريخ وينتهي الى
القرن التاسع قبل الميلاد ، واسماء رجاله وشعرائه خرافية

٢ - عصر الابطال والحروب : وهو يشمل القرنين التاسع والثامن
(سنة ٩٠٠ - ٧٠٠ ق م) وفيه ظهر أقدم الشعر الوصفى أو القصصى ..
نعنى منظومات هوميروس في الياذة والاوديسة ، وفيه جرت حروب طيبة
وحصار طروادة الذي وصفه هوميروس في الياذته . ولم يبق من آداب
هذا العصر غير الشعر القصصى ، ولم يعرف من شعرائه غير هوميروس
وهسيود . أما هوميروس فهو أبو الشعراء ورب الشعر القصصى ، وقد
عاش اسمه بالياذته التي نقلت الى سائر لغات العالم وبأوديسته . أما
هسيود فانه جاء بعد هوميروس وخلف شعرا في نشيدين احدهما الف
بيت ، ذكر فيه أنساب الآلهة والآخر ثمانمائة بيت وصف فيه الطبيعة
ويسمى « الاعمال والايام » ونسبوا اليه نشيدا ثالثا مؤلفا من أربعمئة
بيت وصف به درع هركيل

٣ - العصر الثالث : (سنة ٧٠٠ - ٥٠٠ ق م) وفيه تحضر اليونان
وعهروا المدن ووضعوا الشرائع وأنشأوا المستعمرات حول البحر المتوسط
والبحر الاسود واتسعت تجارتهم ، وقامت الفتن بينهم في التنازع على
السلطان فقام مثل هذا التنازع في آداب لسانهم ونشأ الشعر التمثيلي
واستقر في أثينا . وانتشر الشعر على الاجمال ونبغ الشعراء في بلاد
اليونان بأوروبا وآسيا وفي الجزائر وصقلية وفي اسبارطة وطيبة . وظهر
فيها الشعر الغنائي أو الموسيقى وهو المعبر عن الشعور كالمديح والفخر
والحماسة والغزل مثل الشعر العربى . ونبغ في كل قوم أو بلد شاعر أو
غير شاعر ينصر قومه أو يعبر عن شعائره . وتكاثر الشعراء واخذوا
يتمادحون ويتهاجون ويتفاخرون كما كان العرب في الجاهلية يفعلون ،
ولذلك سموا هذا العصر عصر الشعر الغنائي Lyric

(*) اصلحنا هنا قليلا في النص راجعين في ذلك الى كتب الادب اليونانى والى ما يصطلح
عليه المترجمون اليوم في كتابة بعض الاعلام اليونانية

فمن شعراء هذا العصر الهجائيين ارشيلوك الفاروسى من أهل القرن السابع ق.م. ولم يبق من شعره الا نتف مبثرة . وسيمونيد الامارغوبى كان معاصرا لارشيلوك ، ولم يبق من شعره الا ١٨ بيتا فى وصف المرأة . وهيبونكسى الافسى من أهل أواسط القرن السادس ق.م. كان ظهوره فى آخر التنارع بين الاشراف والعامه ولم يعرف عنه الا القليل

ومن شعراء هذا العصر الحماسيين غالينوس الافسى وتيرتیه . ومن اصحاب السياسة صولون استخدم الشعر فى السياسة وهو مشهور . ومن أهل الهجاء والحكمة ثيوغنيس الميفارى نبغ فى سنة ٦٥٠ ق.م. ، وشعره ادبى حكمى ولا يزال باقيا من منظومه الى الآن ١٢٠٠ بيت

واقدم شعراء الشعر الغنائى عندهم ترباندر ويقال انه هو الذى اخترع العود ذا السبعة الاوتار واسمه Lyre واليه ينسب هذا النوع من الشعر لانهم كانوا يغنونه . وخلفه اريون والسيى وسافو . ونبغ ايضا شواعر من تلامذته منهم ارينى . ومن قبيل الشعر الغنائى الشعر الدينى الذى كانوا يغنونه فى الصلوات

واشهر شعراء اليونان فى الشعر الغنائى بندار فهو مثل هوميروس فى الشعر القصصى ، ولد سنة ٥٢٢ ق.م وله آثار كثيرة لاتزال باقية الى الآن ومنها قصائد مدح بها الظافرين كما كان يفعل المتنبى فى مدح سيف الدولة ، والاخطل فى مدح عبد الملك

وفى هذا العصر ظهر فيثاغورس الفيلسوف الرياضى المشهور وزينوفون وبرميندس وامبيدقليس وطاليس وانا كسميندر واناكساغورس وغيرهم
٤ - العصر الذهبى او الاثينى : (سنة ٥٠٠ - ٣٢٣ ق.م) نسبة الى اثينا لان اكثر ادباء هذا العصر نبغوا هناك ، وفيه نضج الشعر التمثيلى والفلسفة والخطابة وظهر التاريخ . واقدم شعراء التمثيل تسببس وفرينيكوس وبراتيناس واشهرهم اسكيلوس وسسفوكلس ويوريديس التمثيل المحزن (تراجيدى) وارستوفانس . واشهر مؤرخيه هيكتاس وهيرودوتس ابو التاريخ وتوسيديد . ومن الخطباء بريكليس والسيبياد وكوراكس وتيسياس وبراتاغوراس وانتيفون واندوسيد وليكورغوس وهينريد وديناك وديموستين . ومن الفلاسفة سقراط وزينوفون وافلاطون وارسطو وثيوفراست

٥ - العصر الاسكندرى : (٣٢٣ - ١٤٦ ق.م) وفيه انتقل العلم من اثينا الى الاسكندرية على عهد البطالسة ، فزهت هذه المدينة بالعلماء والفلاسفة . وكانت هى وحدها مسرح العلم ومبعث العلماء . ومن مشاهير هذا العصر فى الرياضيات اوقليدس وارخميدس . وفى التاريخ مانيثون . ومن الجغرافيين ديسيارك واراتوستن . ومن الشعراء المعلقين كليماك وابولونيوس الرودى ويوفوريون . ومن شعراء التمثيل ليكوفرون وتيمون ومنيب وثيوكرى وشهرته ترجع الى شعره الرعوى . ومن الفلاسفة ليسىوس وابيكوروس

٦ - العصر اليوناني الروماني : (١٤٦ ق.م - ٥٥٠ ب.م) وكانت بلاد اليونان قد سقطت وذهبت دولتها ودخلت في حوزة الرومان فذهب علمها وخملت قرائح اهلها - والذل يذهب بالقرائح - فضعفت آداب اللغة فيها . ولكن النصرانية أحدثت تغيرا في تلك الآداب فأدخلت فيها بعض الاساليب الشرقية . ومن مشاهير أدباء هذا العصر في التاريخ والادب بوليبس ولوسيدونيوس ونيقولاس وسترابو وديونيس وديودورس ويوسيفوس وبلوتارخس وأريان وأبيان وباوسانيس وهديان . وفي الشعر أرخياس وابلودورس . ومن الفلاسفة فيلون وأناسيديمس وكريسوستوم وغيرهم . .

٧ - العصر البيزنطي : (من سنة ٥٥٠ - ١٤٥٣ ب.م) زهت فيه بيزانس (القسطنطينية) وكانت مركز الآداب اليونانية . ومازالت مرجع العالم اليوناني حتى فتحها العثمانيون سنة ١٤٥٣ م ، فانقضت دولة الروم وتشتت علماءها في أوروبا . وكانوا في جملة من أعانها على نهضتها في انشاء التمدن الحديث . ومن علماء هذا العصر هيمريوس وتمستس وليبانيوس وجوليان وهليودورس وأشيل تآيتوس وتريفيودور وجماعة كبيرة من رجال الكنيسة

هذه خلاصة تاريخ آداب اللغة اليونانية ، فقس عليها تواريخ آداب سائر اللغات الاوربية . . فانها كثيرة الشبه بها من حيث تناسق عصورها بالنظر الى نشوء العلوم فيها ، فان أقدم آدابها دائما الشعر الديني يليه الشعر القصصي والتمثيلي فالغنائي ، ثم ينشأ الادب والخطابة والتاريخ وتضبط اللغة وقواعدها ثم الفلسفة والعلم الطبيعي ، ثم تستغرق الامة في المبالغات والتفاصيل الخارجة عن المعقول ويقل فيها الاستنباط وتبلى جودة الشعر وتضعف القرائح بالذل والتقهقر

٥ - آداب اللغة العربية وأقسامها

واذا نظرنا الى آداب اللغة العربية واخواتها الساميات ، رأيناها تنطبق على ما تقدم بوجه اجمالي . أما عند التفصيل ، فاننا نجد بين آداب هذه اللغات وتلك فرقا كالفرق بين طبائع الامتين . . فالشعر عند الساميين أقدم آدابهم لكن أكثره غنائي ، وأيس فيه من الشعر القصصي الا نتف قليلة . أما التمثيل فيظهر لأول وهلة أنه بعيد عن آداب العرب ، وسترى أنه موجود فيها . . ولا غرو اذا امتازت اللغات الاوربية بالشعر القصصي والتمثيلي ، فان اللغة العربية واخواتها تمتاز بنوع من الآداب كبير الأهمية ليس منه في لغات الافرنج الا نتف نغني « الامثال » فانها جزء مهم من آداب اللغات السامية ولا سيما العربية والعبرانية ، وتندر في سواهما . .

وآداب اللغة العربية التي هي موضوع هذا الكتاب أغني سائر الآداب السامية ، بل هي على الاجمال أغني آداب سائر لغات العالم . . لأن الذين وضعوا آدابها في اثناء التمدن الاسلامي اخلاط من أمم شتى جمعهم الاسلام

أو الدولة الإسلامية ، وفيهم العربى والفارسى والتركى والهندي والسورى والعراقى والمصرى والرومى والارمنى والبربرى والزنجى والصقلبى وغيرهم . . وكلهم تعربوا ونظموا الشعر العربى وألفوا الكتب العربية فى الادب والنحو والتاريخ والطب والعلم والفلسفة . فاحتوت آداب اللغة العربية بسبب ذلك على أحسن القرائح وشتات الاخلاق والآداب والطبائع ، وأدخلوا فيها كثيرا من أساليب أسنتهم الأصلية بدون قصد أو تعمل

ويزيد بتاريخ آداب اللغة العربية بسط ما تقلبت عليه اللغة وادابها من أقدم أزمانها الى الآن . . فهى بهذا الاعتبار تقسم الى أطوار لكل منها شأن يمتاز عن سواه ، وقد لاحظنا فى تقسيم هذا التاريخ ما توالى على الأمة من الانقلابات السياسية أو الادبية وما كان من تأثير ذلك على المواهب والقرائح . .

أقسام تاريخ آداب اللغة العربية

ويمكن تقسيم تاريخ آداب اللغة العربية حسب علومها وادابها أو حسب العصر التى توالى عليها . ونريد بتقسيمها حسب العلوم ان نستوفى الكلام فى كل علم على حدة من نشأته الى الآن ، على ان نبدأ بأقدمها ونتدرج الى أحدثها فنبدأ بآداب الجاهلية ، فنذكر تاريخ الشعر مثلا وتراجم الشعراء من نشأته وما تقلب عليه من الادوار فى الجاهلية والاسلام الى اليوم . ونفعل مثل ذلك فى الخطابة وغيرها من آداب الجاهلية ، وبالفقه والتفسير والادب والنحو واللغة وغيرها من الآداب الإسلامية . هكذا نفعل بالعلوم الدخيلة منذ دخولها وما تقلب عليها الى الآن . .

أما تقسيمها حسب العصور ، فيراد به الكلام عن العلوم كلها معا فى كل عصر على حدة ، وهذا الذى اخترناه فى هذا الكتاب لأنه يصور حالة العصور المختلفة وما يكون من تأثير السياسة وانقلاباتها فى العلم والادب . ولذلك فقد قسمنا تاريخ آداب اللغة العربية الى قسمين كبيرين يفصل بينهما أهم انقلاب أصاب العرب من أول عهد تاريخهم الى الآن . . نعى ظهور الاسلام . فهى بهذا الاعتبار تقسم الى آداب اللغة قبل الاسلام وادابها بعده . وقسمنا آدابها قبل الاسلام الى عصرين : عصر الجاهلية الاولى وعصر الجاهلية الثانية . وقسمنا تاريخها بعد الاسلام الى عصر أو أطوار تناسب انقلاباتها السياسية أو الاجتماعية وهى :

- | | |
|---------------------|--------------------|
| ١ - عصر صدر الاسلام | ٤ - العصر المفلولى |
| ٢ - العصر الاموى | ٥ - العصر العثمانى |
| ٣ - العصر العباسى | ٦ - العصر الحديث |

وقسمنا العصر العباسى الى أطوار بحسب التقلبات السياسية كما ستراه فى مكانه . .

آداب اللغة قبل الإسلام

١ - العصر القديم أو الجاهلية الاولى (*)

من قبل التاريخ الى القرن الخامس للميلاد

لم يتصد أحد للبحث فى آداب اللغة العربية قبل زمن التاريخ لقلة المواد المساعدة على ذلك ، ولاعتقادهم أن العرب حتى فى الجاهلية الثانية قبل الاسلام كانوا غارقين فى الفوضى والجهالة لاعمل لهم الا الغزو والنهب والحرب فى بادية الحجاز والشام وفى نجد وغيرها من بلاد العرب . على أننا اذا نظرنا

(*) اصاب المؤلف فى تقسيم مصر الجاهلية الى فترتين : فترة الجاهلية الاولى وفترة الجاهلية الثانية ، وهى الجاهلية التى جاء ناعنها الشعر وهى لا تمتد الى أكثر من قرنين قبل الاسلام اما ما قبل ذلك ، فهو الجاهلية الاولى . غير أنه حين تحدث عن هذه الجاهلية القديمة ابعد فى التاريخ الى عصر حمورابى البابلى وجعل لغة البابليين عربية . وفى هذا مخالفة لما اصطلح عليه علماء الساميات من تقسيم اللغات السامية تقسيماً لغويًا الى خمس أسر : أسرة اللغات الاكادية والبابلية والاشورية ، وأسرة اللغات الآرامية ، وأسرة اللغات الكنعانية مثل الفينيقية والعبرية ، وأسرة اللغات الحبشية ، ثم أسرة اللغات العربية ، وهى تنقسم قسمين عامين الى شمالية وجنوبية يمنية واذن فحين نتحدث عن الجاهلية الاولى لآداب اللغات العربية ، ينبغى الا نتحدث عن جاهلية اللغات السامية الاخرى ، فلكل لغة سامية جاهليتها الخاصة. وقد كشف الباحثون اللثام عن كثير من شئون الجاهلية للغات العربية ، ونقصد الجاهلية القديمة ، بفضل النقوش الكثيرة التى وجدوها فى اليمن على المعابد والعمد والنصب والاسوار والابراج والحصون ، ووجدوا ايضا نقوشا مختلفة فى شمالى الحجاز بمنازل ثمود واللحيانيين وعلى حدود الشام ..

وقسم العلماء هذه النقوش الى ثلاث مجموعات : مجموعة لهجات عربية جنوبية للممالك التى قامت فى الجنوب منذ أواخر الالف الثانى ق . م واهمها قتيان فى الجنوب الغربى ومعين شماليها فى الجوف وبجانبها سبأ ، وامتدت حضرموت وظفار الى الشرق . وكان لهذه الممالك علاقات تجارية مع حوض بحر الروم ، واستطاعت أن تنهض بحضارة راقية على أساس التجارة والزراعة ، كما استطاعت معين (١٢٠٠ - ٧٠٠ ق م) وسبأ (٧٥٠ - ١١٥ ق م) أن تؤسسا لهما مستعمرات فى الشمال بطريقهما الى حوض بحر الروم ليحميا قوافلهما التجارية. وكان لسا نظام محكم فى تدبير شئون الزراعة بما أقامت من سدود أشهرها سد مأرب . وخلفت الدولة الحميرية ، دولة الاقيال والأدواء التابعة ، سبأ . وقد أخذ الضعف يدب الى هذه الدولة بسبب سيطرة الرومان على الملاحه فى البحر الاحمر ، وغزاهم الاحباش غير مرة ، فضعفت امكانياتها ، وتخربت سدودها وعلى رأسها سد مأرب المشهور ، فتفرق اهلها وتناقصت هجراتهم الى الشمال منذ القرن الثالث الميلادى ومالبثت أن استولت عليها وعلما بلادها سنة ٥٢٤ م ..

وهذه المجموعة الجنوبية بلغاتها ولهجاتها المختلفة من قتيانية ومعينة وسبئية وحميرية

الى لغتهم كما كانت فى عصر الجاهلية ، نستدل على أن هذه الامة كانت من أعرق الامم فى المدنية لانها من أرقى لغات العالم فى أساليبها ومعانيها وتراكيبها . . واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع ادابهم . فالتكلمون باللغة الفصحى كما جاءتنا فى القرآن والشعر الجاهلى والامثال ، لا يمكن أن يكون أصحابها دخلوا المدنية أو العلم من قرن الى قرنين فقط . . اذ لا يتأتى للغة من لغات المتوحشين أن تبلغ مبلغ لغات المتمدنين الا بتسوالى الادهار ، فكيف باللغة العربية الدالة على سمو مدارك أصحابها وسعة تصورهم ودقة نظرهم كما سنبينه فى أماكنه

على أن الاكتشافات الاثرية أيدت هذا الرأى بما أظهرته من بقايا تمدن اليمن قبل الاسلام ببضعة عشر قرنا . ولم يظهر من تلك الاطلال الا الطفيف لأن ما عثروا عليه من الاحافير لا يذكر فى جانب ما بقى مدفونا فى الرمال . فضلا عما ظهر من فضل العرب واعراقهم فى المدنية والعلم ، مما قرأوه من اثار بابل وآشور . ناذ صبح أن دولة حمورابى التى تولت بابل وسائر العراق فى القرن العشرين قبل الميلاد عربية كما بينا ذلك فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » (١) كان العرب من أسبق الامم الى المدنية ، فانهم أقدم من وصلتنا شرائعهم وقوانينهم . هذه شريعة حمورابى التى عثروا عليها فى بلاد السوس منقوشة بالحرف المسمارى على مسلة من الحجر الاسود الصلب — سنها حمورابى فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، أى قبل شريعة موسى بثلاثة أو أربعة قرون . . وهى مؤلفة من ٢٨١ مادة تبحث فى طبقات الامة وحقوق المرأة وواجباتها والزواج والتبني والارث وغيره . .

تختلف اختلافا واضحا عن المجموعة الشمالية فى أصول قواعدها وألفاظها ، مما جعل بعض اللغويين العباسيين يقول : ما لسان حمير (يقصد هذا اللسان الجنوبي جميعه) بلساننا . اما المجموعة الثانية فهى مجموعة من لهجات للعربية الشمالية ، ولكنها كتبت بنفس القلم الذى كان يكتب به الجنوبيون وهو المسمى بالسند ، ولذلك ميزها الباحثون من مجموعة أخرى شمالية كتبت بالخط النبطى الذى تطور الى خطنا أو قلمنا العربى المعروف . وقد وجدت نقوش المجموعة الثانية فى منازل ثمود شمالى الحجاز ، حيث كانوا يقيمون قبل القرن الثامن ق . م ، وكذلك فى منازل اللحيانيين الذين خلفوهم ، وأيضا فى انصاف بحوران جنوبى دمشق ، ومن ثم سميت هذه النقوش باسم الثمودية واللحيانية والصفوية اما المجموعة الثالثة فقد كتبت بنقوش آرامية نبطية ، وهى أحدث من النقوش السابقة ، اذ يرجع اقدمها الى القرن الثالث الميلادى . ومعروف ان النبط استطاعوا ان يقضوا على اللحيانيين فى القرن الرابع ق . م ويؤسسوا فى شمال الحجاز مملكة كانت حاضرتها البتراء ، وظلوا بها حتى قضى عليهم الرومان فى اوائل القرن الثانى الميلادى ، وقصتهم مع ملكتها الزباء مشهورة . كما قضوا على دولتهم الثانية فى تدمر فى أواخر القرن الثالث الميلادى وواضح مما قدمنا ان عرب الجنوب حين ضعفوا اتجهوا الى الشمال فى الحجاز ، وهذا نفسه ما حدث لعرب الشمال امام الرومان ، فكان الحجاز كانت تضم الارستقراطية العربية المنكوبة شمالا وجنوبا ، واستطاعت مكة أن تنزع هذه الارستقراطية ، فتحولت اليها مفاتيح القوافل التجارية . والظنون أن اليمنيين قبل هجرتهم الى الشمال فى عصر الدولة الحميرية كانت لهم جاليات فى محطات قوافلهم على طول الطريق التجارى الى الشام والعراق . وانظر فى تاريخ عرب الجنوب والشمال كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على وتاريخ العرب لفيليب حتى وما ذكرناه من مصادر مختلفة ، وانظر ايضا كلمات قتيبان ومعين وسبأ وحضرموت والنبط وثمود ولحيان فى دائرة المعارف الإسلامية . وأولرى

O'leary, Arabia before Mohammed

والحمورابيون أو عمالقة العراق أقدم من أنشأ المدارس لتعليم الصغار على نحو ما هو جار الآن . وقد كشفوا في آثار زيبارا أنقاض مدرسة لتعليم الاطفال . وهذه أول مرة سمعنا بمدرسة مثل هذه في التمدن القديم أى منذ أربعة آلاف سنة ، وكان فيها (رقم) أو أحجار منقوشة عليها دروس للاطفال والاحداث في الحساب والهجاء وجداول الضرب والمعجمات ونحوها . واكتشفوا كثيرا من الكتب والرسائل المنقوشة على الاحجار أو الرقم وأكثرها لحمورابي وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والارصاد الفلكية والنصوص التاريخية والادعية الدينية . ومن أكبر أدلة الرقى في ذلك العهد أن المرأة كانت متمتعة بحريتها واستقلالها مثل أرقى نساء هذا التمدن وكن يمارسن المهن القلمية ، وانتظم جماعة منهن في خدمة الدواوين والمصالح الاميرية ..

فاذا صح أن هذه الدولة عربية ، كان العرب أسبق أمم الارض الى سن الشرائع وتنشيط العلم ، وأنهم بلغوا في نظام الاجتماع ما لم يبلغ اليه معاصروهم ، وأدركوا من الرقى الاجتماعي ما لا يزال بعض الامم المتقدمة في هذا العصر بعيدين عنه ..

ونحن في غنى عن التنبيه الى أن قوائنا ان الدولة الحمورابية عربية ليس مثل قولنا « دولة الاسلام عربية » . واذا صحت عربية تلك ، فلا يستلزم أن تكون لغتها مثل لغة القرآن ولا أن عاداتها ودياناتها مثل ما لعرب قريش .. فان بين الدولتين نحو ٢٥ قرنا ، والامم تتغير عاداتها ولغاتها بتغير الاقاليم وتوالى العصور

ولا يقتصر فضل الحمورابين او عمالقة العراق على ما شادوه فيما بين النهرين وما خلفوه هناك من آثار مدنياتهم وعلمهم ، فقد نشروا اديبهم وديانتهم وشريعتهم في جزيرة العرب وخصوصا في البقاع العامرة منها ومن جملتها اليمن ومدین والحجاز ..

ويوجد تشابه بين شريعة موسى وشريعة حمورابي كما بينا ذلك في الهلال العدد الخامس سنة ١٣ اذ أتينا بنصوص متقابلة متشابهة في الشريعتين ، وحمورابي قبل موسى بثمانمائة سنة

سفر أيوب

ومما يعد من قبيل آداب العرب في ذلك العصر سفر أيوب ، والمرجح عند أهل التحقيق أن صاحب هذا السفر في التوراة عربي الاصل . نظم ذلك الكتاب شعرا عربيا في نحو القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الحمورابين من بن النهرين ، ثم ترجم الى العبرانية وعد من الاسفار المقدسة ، وضاع أصله العربي كما ضاع أصل كليله ودمنة الفارسي . فاذا ثبتت عربية سفر أيوب كان العرب أسبق الامم الى قرض الشعر ، لانه نظم قبل الياذة هوميروس تألف سنة وقبل مهاباراتة الهند بعدة قرون

٢ - الجاهلية الثانية

أو العصر الجاهلي قبيل الاسلام

من القرن الخامس للميلاد الى ظهور الاسلام

ان الحكم على ما تقدم من احوال الجاهلية الاولى مبنى على الحدس والتخمين لاستفراقه في تقدم وضياع أخبار تلك الجزيرة بمرور الايام . ولعلمهم اذ نشطوا للحفر والتنقيب كشفوا الستار عن هذه الظنون

الفرق بين لغة الجاهلية الاولى والثانية (*)

وعلى كل حال ان عرب ذلك العهد القديم يختلفون عن عرب عصر الجاهلية الثانية قبيل الاسلام لغة ودينا وأدبا وخلقا . . فالحمورابيون كان أكثرهم أهل حضارة وتمدن يتوطنون المنازل والمدن . وأما عرب الجاهلية الثانية ، فأكثرهم أهل بادية ونجع . . وكانت لغة الحمورابيين أقرب الى الاشورية منها الى العربية ، فلغة أيوب اذا كانت عربية نهي غير عربية مضر التي وصلت اليها من عرب قريش وسائر الحجاز . وقد يكون الفرق بينهما كثيرا جدا ، أكثر من الفرق بين لغة القرآن ولغة عامة مصر أو الشام الآن . . لان أهل هذين الاقليمين قيدوا أنفسهم بالمحافظة على لغة القرآن وأساليبه ، فكلمة ساقتهم طبيعة النشوة نحو التغيير أعادهم التقليد الى الاصل . ولولا ذلك لكان الفرق بين لغة عامتنا واللغة الفصحى أبعد من ذلك كثيرا

قس مقدار الفرق بين لغة مضر ولغة عمالقة العراق بالفرق الذي وجدته بين لغة عرب الشام في أوائل القرن الرابع للميلاد مما قرأوه على قبر امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة وبين لغة مضر عند ظهور الاسلام (**) وذلك أنهم عثروا في أطلال النمارة في حوران على حجر عليه كتابة عربية بالخط النبطي

(*) اتخذ المؤلف هنا من لغة الحمورابيين أو البابليين مثالا للغة الجاهلية الاولى عند العرب ، وشرنا قبلا الى ما في ذلك من خطأ ، فلغة الحمورابيين شعبة سامية حقا ، ولكنها من أسرة أخرى غير الاسرة العربية التي تنفرع فرعين كبيرين ، فرع جنوبي يمني وفرع شمالي مضرى ، والفرعان يختلفان اختلافات جوهرية في لغتهما . ووجدت في الشمال نقوش كتبت بخط المسند الجنسوبي ، وهي النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية ، وهي أقدم نقوش لجاهلية العرب الشماليين الاولى وتمتاز بخصائص لغوية ونحوية تدل على ان تطورا واسعا حدث في اللغة العربية الشمالية قبل ان تجرى على لسان امرئ القيس ونظرائه من شعراء الجاهلية الثانية . . وأقرب من هذه النقوش الى العربية المضربة النقوش النبطية التي وجدت منذ القرن الثالث الميلادي ، وهي نقش أم الجمال ، نبذة من أعمال حوران بالشام ، وتاريخه سنة ٢٧٠ م ونقش النمارة الذي ذكره المؤلف ثم نقش زبد ، وتقع في الجنوب الشرقي لحلب ، وتاريخه ٥١١ م ونقش حران اللجا ، بجنوبي دمشق ، وتاريخه سنة ٥٦٨ م

(**) جعل المؤلف الفرق بين لغة الشعر الجاهلي او لغة مضر وبين لغة البابليين كالفرق بين هذه اللغة المضربة ولغة نقش النمارة ، والفرق بين البابلية وبين العربية كالفرق بين العربية والعبرية او الحبشية مثلا ، اما نقش النمارة فهو من العربية الشمالية وليس من أسرة سامية أخرى ، بل ليس من العربية الجنوبية . وكل ما يمكن ان يقال انه يرجع الى عصر سابق على التطور النهائي للعربية الشمالية ، حين كانت خصائص هذه اللغة تتطور وتشكل وتسير نحو الكمال المنتظر

نقشت في أوائل القرن الرابع للميلاد أي قبل الاسلام بثلاثة صورتها .

٥
٢
٣
٤
٥

كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرئ القيس بن عمرو سنة ٣٢٨ م

واليك نصها كما تقرأ ، كل سطر على حدة :

- ١ - تى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر
 - ٢ - وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي و
 - ٣ - يزجو (?) فى حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزرو
 - ٤ - الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه
 - ٥ - عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده
- هذا لسان عربى تشوبه صبغة آرامية يحتاج تفهمها الى ايضا تفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى وهو :
- ١ - هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى
 - ٢ - وأخضع قبيلتى أسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليو
 - ٣ - الظفر الى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معدا واستعنه
 - ٤ - على القبائل وأنا بهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك
 - ٥ - الى اليوم ٠٠ توفى سنة ٢٢٣ فى يوم ١٧ أيلول (سبتة بنوه للسعادة

وكان أهل الشام وحوران وما يليهما يؤرخون فى ذلك العهد البصري نسبة الى بصرى عاصمة حوران ، وهو يبدأ بدخولها فى سنة ١٠٥ للميلاد . فاذا أضيفت الى ٢٢٣ كان المجموع ٣٢٨ كذا السنة التى توفى فيها هذا الملك

انظر الى الفرق بين الاصل وتفسيره ، والمدة بين هذين العهد قرون ، فكيف تكون وبينهما بضعة وعشرون قرنا ؟ والتغير طبعه ثقة عملا بناموس النشوء . . اعتبر ذلك فى الفرق بين اللغة اللاتينية

الاصلية وما تخلف عنها من الايطالية والاسبانية وبين اللغة الانجليزية القديمة والحديثة وغير ذلك

فآداب العرب في جاهليتهم الثانية يراد بها آدابهم قبيل الاسلام وهم أهل بادية لا يقرأون ولا يكتبون . . وانما جمعت هذه الآداب بعد الاسلام بالاخذ عن الافواه كما سيأتى

٣ - درجة ارتقاء عقول العرب

وقد يتبادر الى الازهان أن أولئك البدو كانوا أهل جهالة وهمجية لبعدهم عن المدن وانقطاعهم للغزو والحرب . . ولكن يظهر مما وصل الينا من أخبارهم أنهم كانوا كبار العقول أهل ذكاء ونباهة واختبار وحنكة . وأكثر معارفهم من ثمار قرائتهم ، وهى تدل على صفاء أذهانهم وصدق نظرهم فى الطبيعة وأحوال الانسان مما لا يقل عن نظر أعظم الفلاسفة . فان قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته :

رأيت المنايا خبّطَ عَشْوَاءَ من تصب تمته ومن تخطىء يعمّر فيهرم
رأيت سفاهَ الشيخ لا حلم بعده وأن الفتى بعد السفاهة يحلّم
وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عمى
ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرّسْ بأنياب ويوطأ بمنسّم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفرّره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يصنع المعروف فى غير أهله يعدّد حمده ذماً عليه ويندم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه ولا يثغفها يوماً من الدهر يسأم
ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
لا يقل شيئاً عن احكام اكابر الفلاسفة . . وأنتك تجد كثيرا من أمثال ذلك فى اشعارهم ، كأن الشعر وصلهم ناضجاً بعد ان عولج قرونا متطاولة ذهبت اخبارها . . فهم لذلك يشكون من أن أسلافهم لم يتركوا لهم معنى لم يتركوه كقول عنتره :

« هل غادر الشعراء من متردم »

وقول زهير :

ما أرانا نقولُ إلا مُعَارَا أو مُعَادَا من قولنا مَكْرُورَا

ارتقاؤهم فى السياسة والعمران

على أنك اذا نظرت فى لغتهم تبين لك أن أصحابها من ارقى الامم سياسيا واجتماعيا وأن عرفناهم بدوا رحالة . . واللفة دليل اخلاق

الامة ومراة آدابها وسائر أحوالها . ومن المقرر الثابت ان اللغة لا تتولد فيها كلمة الا للتعبير عن معنى حدث في أذهان أصحابها ... فاذا وجدنا في لغة من اللغات اسما لنوع من اللباس ، نحكم حكما قاطعا بأن اصحابها عرفوه او لبسوه ، او نوعا من الاطعمة عرفنا انهم اكلوه . وبمكس ذلك خلوها من أسماء بعض الادوات ، فانه بدلنا على جهلهم اياها ..

وقس على ذلك الالفاظ المعنوية التي تدل على المعاني المجردة كالعواطف والفضائل ، فان وجودها في اللغة يدل على أن أصحابها عرفوا تلك العواطف والفضائل وعانوها .. ولذلك كانت لغات الامم المتوحشة خالية من هذه الالفاظ وامثالها ..

واللغة العربية من افنى لغات الأرض بالالفاظ العمرانية والسياسية .. ان فيها عشرات من الالفاظ لضروب الجماعات من الناس على اختلاف أغراض اجتماعهم : كالشعب ، والجماعة ، واللجنة ، والزرافة ، والسرب ، والكوكبة ، والقوم ، والنفر ، والشرذمة ، والعصابة . ومثلها لاماكن الاجتماع : كالمحفل ، والنادي ، والندوة ، والمأتم ، والمجلس ، والموسم ، والمدرس ، والمصطبة (١) وعشرة منها للتعبير عن فرق الجند : كالجريدة ، والسرية ، والكتيبة ، وغيرها . وفيها للقلم والورق عشرات من الاسماء والالقب كالمقاط ، واليراع ، والانبوبة ، والاسل ، والجلفة للقلم ، والقرطاس ، والطرس ، والمهرق ، والرق ، والطلس ، والمجلة ، والصحيفة .. ولكل منها معنى خاص

ومن أنواع الكتب : القمطر : كتاب الاعمال ، المدرس : الصك ، الزبور ، الرقيم ، والسفر : الكتاب الكبير ، والضبار : الكتب بلا واحد ، الرهنامج : كتاب الطريق وهو الكتاب الذي يسلك به الترابنة البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها ، الوصيرة : الصك للسجلات ، وقس على ذلك

وقد عالجوا ألفاظ لغتهم معالجة الاستثمار فأكثروا فيها من المترادفات التي يدل عشرات أو مئات منها على معنى واحد أو معان متشابهة . وتوسعوا في مدلول اللفظ الواحد حتى تعددت معانيه .. فعندهم للفظ العين بضعة وعشرون معنى ، ومثلها أو أكثر منها للفظ العجوز . وعشرات من المعاني لالفاظ الخال والخمر والدين والركن والغرب والحر وغيرها . وأقل من ذلك لكثير من الالفاظ مما لا مثيل له في أرقى لغات البشر . وهو يدل على تصرف أصحاب هذه اللغة بالمعاني والمباني لخصب عقولهم وسعة مداركهم ..

ارتفاعهم في التجارة والاقتصاد

ومما يدل على توسعهم في المسائل الاقتصادية كثرة الالفاظ الدالة على المال .. فان منها بضعة وعشرين اسما لكل منها معنى من المعاني الاقتصادية التي ترجع الى الاستثمار وغيره ، منها : التلاد : المال الموروث ، الركاز :

(١) لطائف اللغة ٦٤ و ١٠٨

المال المدفون ، الضمار : المال لا يرجى ، أطراف : المال المستحدث ، التالد : المال القديم . ونحو ذلك من أسماء النقود وأنواعها من الذهب والفضة . وعندهم للذهب وحده أكثر من عشرين اسما كل منها لنوع منه . وفي اللغة العربية مئات من الالفاظ للدلالة على أنواع الارض والتربة والطين باختلاف الخصب والجذب ونحو ذلك . ومن الأدلة على توسعهم في التجارة والاسفار كثرة أسماء السفن عندهم ، وهي عشرات لكل منها معنى خاص لشكل خاص من السفن . ويلحق بذلك أسماء الرياح وهي تزيد على المائة ، ولكل منها معنى يدل على نوع الريح وجهتها كقولهم « اذا وقعت الريح بين الريحين فهي النكباء ، فاذا هبت من جهات مختلفة فهي المتناوحة ، فاذا ابتدأت بشدة فهي النافجة ، فاذا حركت الاغصان وقلعت الاشجار فهي الزعزاع » وقس على ذلك سائر اسمائها ، وهي تدل على توسعهم في معرفة انظواهر الجوية . ومن هذا القبيل أسماء الطرق وأنواع البقاع وغيرها مما يطول بنا شرحه . ومن قبيل المواد التجارية الموازين ، فانها كثيرة . واعتبر ذلك في كثرة أسماء أدوات الصناعة وأواني الاطعمة والرياش والاثاث واللباس مما لا يكاد يحصر . وتجد منه امثلة كثيرة في المخصص وفقه اللغة ولطائف اللغة وغيرها . . .

تعلقهم وآراؤهم

ولك في أمثالهم والكنيات في عباراتهم وما نشأ عندهم من الفنون العقلية التي تحتاج الى تفكير كالأحاجي والأغاز وفتيا العرب أدلة أخرى على ارتقاء أذهانهم وسمو مداركهم . واعتبر ذلك أيضا في مذاهبهم في الوجود فانها تدل على تفكيرهم ، وقد كان فيهم من ذلك العهد البعيد من يقول بمذهب اللادرية . فكان جندب بن عمرو يقول « ان الخلق خالقا لا اعلم ما هو » وهو قول جماعة من فلاسفة اليونان واليه يذهب كثير من المفكرين في هذا العصر ولا يبعد ان العرب اقتبسوا ذلك وأمثاله من مخالطة بعض العلماء الوافدين عليهم أو في أثناء وفودهم على الشام أو العراق وفيهما العلماء والفلاسفة . ومن هذا القبيل قول الاعشى وكان نصرانيا :

استأثر الله بالوفاء وبال
عدل وولّى الملامة الرجال

وهو مذهب فلسفي يراد به رفع التبعة عن الانسان . والمظنون أن الاعشى أخذ ذلك من بعض العباديين بالحيرة . .

وترى أقوالهم الماثورة لا تخلو من كناية وخيال شعري وصدق نظر في الامور ، كالأقوال المنسوبة الى أكرم بن صيفى وغيره من حكمائهم . ويؤيد ذلك أن المسلمين لما تمدنوا وأنشأوا العلوم جعلوا أساس علومهم اللسانية والادبية والاجتماعية آداب العرب الجاهلية ، وما زالوا في كثير منها مقصرين عن ادراك الشأ الذي بلغ اليه أولئك البدو عشراء الجمال وسكنة الصخور والرمال . فالشعراء والخطباء والكتاب وأهل الادب في الاسلام

عمدتهم في اتقان صناعتهم الرجوع الى ما كان منها قبل الاسلام . والاداب الجاهلية أساس الآداب الاسلامية في ابان التمدن الاسلامي ، كما كانت الآداب اليونانية والرومانية أساس الآداب العصرية في التمدن الحديث ..

وكان للعرب في جاهليتهم ألقاب يلقبون بها النابغين منهم ، كما كان لساثر الامم المتقدمة قديما وحديثا .. فاذا نبغ أحدهم في الشعر سموه « الشاعر » ونسبوه الى قبيلته ، فقالوا « شاعر تميم » أو عامر أو نحو ذلك ، فيكون هذا اللقب مميزا له عن سواه وكذلك الخطيب . واذا أمتاز أحدهم بالحكمة والفصل في الخصومة سموه « الحكم » مثل عامر بن الظرب ونحوه . وكان لهم لقب لا يعطى الا لمن أحرز كل الاداب والفضائل ، وهو لفظ « الكامل » فكانوا يلقبون به الرجل اذا كان شاعرا شجاعا كاتباً سابحاً رامياً وهو يشسبه لقب « علامة » اليوم ولقب « فيلسوف » عند اليونان القدماء وقد لقبوا به أرسطو ، ولعل العرب أقتبسوه منهم

فبناء على ذلك لا ينبغي لنا أن نستخف بآداب العرب قبل الاسلام ونحسبها قاصرة على الشعر والخطابة واللغة بل هي أكثر من ذلك . ولكن أكثرها ضاع لأنها لم تدون ، فذهبت بذهاب الحفاظ بالحروب واشتغال الناس بالاسلام .. فنستدل بما بقى على ما كان ..

٤ - المرأة في الجاهلية

ومن أكبر الأدلة على رقي العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم .. فقد كان للمرأة عندهم رأى وإرادة ، وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم .. فنبغ غير واحدة منهن في السياسة والحرب والادب والشعر والتجارة والصناعة ، ولا سيما في أوائل الاسلام على أثر ما حصل من النهضة في النفوس وانعقول . فاشتهرت جماعة منهن بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال وأكثرها في المدينة مقر الخلافة الاسلامية في ذلك العهد

الشهيرات في الشجاعة

فاللواتى اشتهرن في الجاهلية بالشجاعة وشدة البطش أو قوة النفس ، منهن سلمى بنت عمرو إحدى نساء بنى عدى النجار .. فانها كانت امرأة شريفة لا تتزوج الرجال الا وأمرها بيدها ، اذا رأت من الرجل شيئا تركته على ان الفالسب في نساء الجاهلية ، أن يخيرن قبيل الزواج فلا يزوج الرجل ابنته الا بعد ان يشاورها .. واشتهرت التيمييات من نساء قريش بحظوتهن عند رجالهن وكبريائهن وقسوتهن عليهم . ناهيك بمن اشتهرن منهن بالبسالة في أثناء الغزوات . ففي معركة أحد وقع لواء قريش في ساحة القتال ، فلم يزل صريعا حتى أخذته امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لهم فلأذوا بها . وفعلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان في تلك المعركة ما لم يفعله الرجال وهي تنشد في تحريض قومها على الثبات . ولما انتهت الواقعة ، خرجت مع النسوة تمتاز جثث الموتى فوجدت

بينها جثة حمزة عم النبي فمثلت بها . . ثم علت صخرة وانشدت أشعارا
تفخر بالفوز على المسلمين . .

ونساء الجاهلية كن يصحبن الرجال الى ساحة القتال ، فيداوين
الجرحى ويحملن قرب الماء . وممن اشتهرن بالشجاعة أم عمارة بنت كعب
الانصارية ، وأم حكيم بنت الحارث ، والخنساء الشاعرة أخت صخر
وغيرهن . .

الشهيرات في الرأي والحزم

ونبغ في الرأي والحزم غير واحدة اشهرهن خديجة بنت خويلد ، وكانت
عاقلة حازمة لبيبة ذات شرف ومال ، تنتقى من اشتهر من الرجال بالامانة
والحزم فتستأجرهم بمالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم . ولما سمعت
بشهرة الرسول - قبل الدعوة - بالامانة وكرم الاخلاق بعثت اليه أن يخرج
في مالها تاجرا الى الشام وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من الرجال .
فلما نجح في تجارته ، عرضت عليه أن يتزوج بها فأجابها . وهي أول من
أسلم ، وقد نشطته للقيام بالدعوة فكان لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد
عليه أو تكذيب له فيحزنه ويخبرها به الا ثبتته وخففت عنه وهونت عليه
. . وما زالت على ذلك حتى ماتت (١) وهل اكبر نفسا من الخنساء عندما
حرضت اولادها على الثبات في واقعة القادسية ، فلما بلغها أنهم قتلوا في
سبيل الجهاد قالت : « الحمد لله الذي شرفنى بقتلهم »

الشهيرات في الشعر والادب

وكان للمرأة في الجاهلية شأن في الشعر والادب وسائر العلوم ، فنبغ
منهن عدة شواعر اشهرهن الخنساء وخرنق ، ولهما اشعار مطبوعة ومنشورة
على حدة . . وهناك عشرات من النساء الشواعر ، ذهبت أشعارهن
الا قليلا جاءنا عرضا في بعض الاخبار . . منهن كبشة أخت عمرو بن معدى
كرب ، وجليلة بنت مرة امرأة كليب الفارس المشهور ، ولها فيه مراث لم
ينظم أحسن منها ، وميسة بنت جابر امرأة حارثة بن بدر وقد رثت زوجها ،
وأيممة امرأة ابن الدمينه فقد قالت شعرا في عتابه لم يقل في العتاب أحسن
منه . . وسيأتى خبر ذلك في ترجمته ، وغيرهن مما يطول شرحه . وكان أبو
نواس يروى لستين شاعرة من العرب

وكان عندهم خطيبات ، اشتهر منهن هند بنت الخس وهي الزرقاء
وجمعة بنت حابس . وكان فيهن طبيبات أشهرهن زينب طبيبة بنى أود
كانت تعرف الطب وتعالج العين والجراح ، غير من كن يرافقن المحاربين
ويضمدن الجراح في ساحة الحرب

وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظنه للمذاكرة به في المجالس ،

(١) تاريخ التمدن الاسلامى ص ٥٦ ج ٥

فان عائشة أم المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد . ومنهن من كان الشعراء يتقاضون اليها لتحكم في أيهما أشعر ، كما فعلت جندب زوجة امرئ القيس اذ حكمها زوجها بينه وبين علقمة الفحل ، فحكمت حكما يدل على ذكاء ومعرفة كما سيجىء في ترجمة علقمة

وهناك جماعة نبغن في صدر الاسلام وفيهن مناقب الجاهلية . . كن يعتدن المجالس للمذاكرة في الشعر وانتقاده ، كما كانت تفعل سكينه بنت الحسين فانها كانت تجمع الشعراء اليها وتحادثهم وتنتقدهم ، وأخبارها مشهورة . وكذلك عائشة بنت طلحة ، وكانت أدبية عالمة ولها مجالس أدب وشعر . وكان في مكة امرأة جزلة اسمها خرقاء عندها سمطان من الاعراب تحدثهم وتنشدهم بلا رب ولا سوء ظن . ومثلها عمرة امرأة أبي دهبيل الشاعر ، فقد كانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر قبل أن يتزوجها ، ومن هناك عرفها وتزوجها

فاجتماع الرجال والنساء للمحادثة والمذاكرة على هذه الصورة بلا ريبة ولا سوء ظن ، لم يبلغ اليه الناس الا في الامم الراقية وفي أرقى جماعاتهم وبالجمل فالامة التي تكون هذه حال نسائها وينبغ فيها مثل من تقدم ذكرهن في الشجاعة والادب والشعر والرأى أمة راقية

هـ - أقسام آداب العرب قبل الاسلام

تقسم آداب العرب قبل الاسلام الى علوم عربية أصلية اقتضتها اللغة العربية وأساليبها وقرائح أهلها ونسميها العلوم العربية . . وعلوم رياضية وأخرى طبيعية ونحوها ، وأكثرها دخيل على هذه الصورة :

العلوم العربية	العلوم الطبيعية	العلوم الرياضية	ما وراء الطبيعة
اللغة	الطب	الفلك	الكهانة
الشعر	البيطرة والخيول	الميثولوجيا	العيافة
الخطابة	مهاب الرياح	التوقيت	القيافة
النسب			تعبير الرؤيا
الامثال			الزجر
الاخبار			الخط في الرمل
مجالس الادب			
الاسواق			

فالعلوم العربية الاصلية أهمها كلها . . وهي التي كانت مطمح طلاب الادب بعد الاسلام ولا تزال ، فان بلاغة الجاهلية وشعر الجاهلية وأمثال الجاهلية لا يزال الادباء يتحدثونها وينسجون على منوالها الى اليوم . أما العلوم الطبيعية فتند حوروها بما أخذوه عن اليونان والفرس ، وكذلك الرياضيات . أما علوم ما وراء الطبيعة فبعضها انقرض كالكهانة والقيافة والزجر ، وبعضها تبدل وتقدم كتعبير الرؤيا وخط الرمل . فنقدم الكلام في الاله منها

اللغة العربية

هي احدى اللغات السامية . . ويريدون باللغات السامية اللغات التي كان يتفاهم بها أبناء سام - وهم في اصطلاحهم أهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشام - أشهرها العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والاشورية والبابلية والحبشية . ولم يبق حيا منها الا العربية والحبشية والعبرانية والسريانية . والعربية أرقاها جميعا

واللغات السامية أخوات لا يعرف لهن أم ، وظن بعضهم ان اللغة البابلية أو الاشورية القديمة أمهن ، كما أن اللغة اللاتينية أم اللغات الاسبانية والاطالية والبرتغالية ولكن المحققين لا يؤيدون ذلك . والمول عليه ان هذه اللغات السامية أخوات انقرضت أمهن قبل زمن التاريخ

١ - تاريخ اللغة العربية

البحث في تاريخ اللغة على العموم يتناول أولا : النظر في نشأتها منذ تكونها مع مامر عليها من الاحوال قبل زمن التاريخ ، كتكون الافعال والاسماء والحروف وتولد سيخ الاشتقاق واساليب التعبير ونحو ذلك . والبحث في هذا كله من شان الفلسفة اللغوية ، وقد فصلناه في كتابنا « الفلسفة اللغوية » . ثانيا : النظر فيما طرا على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط اصحابها بالامم الاخرى ، فاكسبت من لغاتهم الفاظا وتعابير جديدة كما يقتبس اهلها من عادات تلك الامم واخلاقهم وآدابهم ما يوافق ذلك من تنوع معاني الالفاظ بتنوع الاحوال ، مع حدوث سيخ جديدة والفاظ جديدة . ثالثا : النظر في تاريخ ما حوته اللغة من العلوم والآداب باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » وهذا التقسيم تقريبي اذ لا تجد حدا فاصلا بين هذه الاقسام

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من مظاهر الامة كالآداب أو اللغة أو الشرائع أو غيرها باعتبار ما مر بها من الاحوال في اثناء نموها وارتقائها وتفرعها ، رأيتها تسير في نموها سيرا خفيا لا يشعر به الا بعد انقضاء الزمن الطويل . ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة ، فتغير الشؤون تغيرا ظاهرا وهو ما يعبرون عنه بالنهضة . وسبب تلك النهضات في الغالب احتكاك الافكار بالاختلاط بين الامم على اثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط أو خوف . .

أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبي أو متشرع أو فيلسوف كبير أو نبوغ قائد طماع يحمل الناس على الفتح والغزو أو أمثال ذلك من الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . فتتحاك الأفكار وتتمازج الطبائع ، فتتنوع العادات والأخلاق والأديان والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير فتدخرها قررنا بعد زوال تلك العادات أو الآداب أو الشرائع ، وإذا تبدل شيء منها حفظت آثار تبديله

فاللغة العربية تعرضت لهذه الطوارئ مثل سائر اللغات الحية ، وتقلبت على أحوال شتى ، فتنوعت ألفاظها بالنحت والابدال والقلب ، ودخلها كثير من الألفاظ الأعجمية في عصر مختلفة قبل أن تدون وتضبط في أزمنة لم يدركها التاريخ . وإنما نستدل على ذلك من درس ألفاظها ومقابلتها بأخواتها وغيرها

واللغة العربية التي نحن بصددنا هي لغة الحجاز التي وصلت إلينا . وكانت قبل الإسلام لغات عدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختلاف في اللفظ والترتيب كلفات تميم وربيعه ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور . . وأقرب هذه اللغات شبهة باللغة السامية الأصلية أبدها عن الاختلاط . وبالعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالأمم الأخرى كأهل الحجاز مما يلي الشام وخصوصاً أهل مكة من قريش ، فقد كانوا أهل تجارة وسفر شمالاً إلى الشام والعراق ومصر وجنوباً إلى بلاد اليمن وشرقاً إلى خليج فارس وما وراءه وغرباً إلى بلاد الحبشة

فضلاً عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة وفيهم الفرس والانباط واليمانية والاحباش والمصريون ، غير الذين كانوا ينزحون إليها من جالية اليهود والنصارى . فدعا ذلك كله إلى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الاشتقاقات والتراكيب مما لا مثيل له في اللغات الأخرى

وزاد ذلك الاقتباس خصوصاً بالنهضة التي حدثت في القرنين الأول والثاني قبل الإسلام بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن ، وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد وخصوصاً أهل نجران . . فطلب اليهم اعتناق اليهودية ، فلما أبوا قتلهم حرقاً وذبحاً . فاستنجد بعضهم بالحبشة ، فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حيناً ، وأذلوا ملوكها أعواماً . ثم أنف احد أمرائها « ذو يزن » فاستنجد الفرس على عهد كسرى أنو شروان ، فأنجده طمعاً في الفتح ، فأخرج الاحباش من اليمن بعد أن ملكوها نحو سبعين سنة وكانوا في أثناء ذلك يترددون على الحجاز ، وحاولوا فتحه في أواسط القرن الخامس فجاءوا مكة بأقبايلهم ورجالهم ولم يفلحوا ، واهتم أهل الحجاز بقدوم الحبشة إلى مكة حتى أرخوا به ، وهو عام الفيل . ولما فتح الفرس اليمن أقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمباينة والمزاوجة وتوطنوا ، وكانوا يقدمون إلى الحجاز ، وأهل الحجاز يترددون إليهم

٢ - ما دخلها من الالفاظ الاعجمية (*)

غير ما طرأ عليها من التغيير والتبديل قبل زمن التاريخ فتكاثرت الفاظها ومشتقاتها ودخلها كثير من الالفاظ الاجنبية . وغير ما اقتبسته من التراكيب الغريبة ، ولكن أكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز أصله . على اننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من أمثال تلك الالفاظ . فإذا رأينا لفظا في العربية ولم نر له شبيها في العبرانية أو السريانية أو الحبشية ، ترجح عندنا أنه دخيل فيها . وأكثر ما يكون ذلك أسماء العقاقير أو الادوات أو المصنوعات أو المعادن أو نحوها مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس أو الروم أو الهند أو غيرها ، ولم يكن للعرب معرفة به من قبل . أو في أسماء بعض المصطلحات الدينية أو الادبية ، وأكثر هذا منقول عن العبرانية أو الحبشية لأن اليهود والاحباش من اهل الكتاب

الالفاظ الفارسية واليونانية

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس أكثر مما اقتبسوا من سواها ، ولذلك رأينا أئمة اللغة اذا أشكل عليهم أصل بعض الالفاظ الاعجمية عدوها فارسية . ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهري من الالفاظ الفارسية : « الكوز الجرة الابريق الطشت الخوان الطبق القصعة السكرجة السمر السنجاب القاقم الفنك الدلق الخز الديباج التاختج السندس الياقوت الفيروزج البلور الكعك الدرملك الجردق السميند السكباج الزيرباج الاسفيداج الطباهج الفالوزج اللوزينج الجوزينج التفرينج الجلاب السكنجبين الجلنجبين الدارصيني الفلفل الكرويا الزنجبيل الخولنجان القرقة النرجس البنفسج النسرين انخري السوسن المرزنجوش الياسمين الجلنار المسك العنبر الكافور الصندل القرنفل » وعندنا أن بعض هذه الالفاظ غير فارسي كما ستري ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية الفردوس والقسطاس والبطاقة والقرسطون والقبان والاسطرلاب والقسطل والقنطار والبطريق والترياق والقنطرة وغيرها كثير

الالفاظ الحبشية والعبرانية

وأما ما نقلوه عن الحبشية فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ، ولأن الحبشية والعربية اختان تتشابه الالفاظ فيهما . والمشهور عند علماء العربية من الالفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة : كفلين والمشكاة والهرج . لكننا لانشك في انهم اقتبسوا كثيرا غيرها وخصوصا فيما يتعلق بالمصطلحات الدينية من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع في الجامع أو

(*) راجع في هذا الموضوع كتاب التطور النحوي للغة العربية لبرجستراسر (طبع مطبعة السماح ١٩٢٩ م) ص ١٤٢ - ١٥٤ وهو سلسلة محاضرات ألقاها بجامعة القاهرة ، بحث فيها دخول الالفاظ الاجنبية الى العربية في الجاهلية بحثا علميا دقيقا

الكنيسة يقف فيه الخطيب او الواعظ « وقد اشتقه صاحب القاموس من « نبر » أى ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف . وعندنا انه منقول عن « منبر » من الحبشية أى كرسي أو مجلس أو عرش

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر فى القلب واطهار الايمان » وقد اشتقوه من « نفق » راج أو رغب فيه ، وليس بين المعنيين تناسب فاضطروا لتعليله الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا « ومنه اشتقاق المنافق فى الدين » وهو تكلف نحن فى غنى عنه اذا عرفنا ان « نفاق » فى الحبشية معناها الهرطقة أو البدعة أو الضلال فى الدين . وهى من التعبيرات النصرانية التى شاعت فى الحبشة بدخول النصرانية فيها وكذلك لفظ « الحوارى » اشتقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض وقال فى معنى الحوارى « انه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم أو لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض » . والظاهر عندنا أن هذه اللفظة معرب حوارى فى الحبشية ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها فى العربية تماما

وكذلك « برهان » اشتقها صاحب القاموس من « برهن » واشتقها غيره من « بره » بمعنى أقطع وأن النون زائدة فيها وهى فى الحبشية « برهان » أى النور أو الايضاح مشتقة من « بره » أى اتضح أو انار

وقس على ذلك كثيرا من أمثاله كالمصحف . فانه حبشى من « صحف » أى كتب والمصحف الكتاب . ناهيك بأسماء الحيوانات أو النباتات أو نحوها فان « عنبسة » من أسماء الاسد عند العرب وهى الاسد بالحبشية

وقد أخذوا عن العبرانية كثيرا من الالفاظ الدينية كالحنك والكاهن والعاشوراء وغيرها ، وأكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى فى اللغتين لانهما شقيقتان ، ويضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة

الالفاظ السنسكريتية

ولا ريب فى أن العرب اقتبسوا كثيرا من الالفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود فى أثناء الاسفار للتجارة أو الحج ، لان جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب . فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر أو الشام أو المغرب كانت تمر ببلاد العرب ، وكان للعرب فى حملها أو ترويجه شأن . وقد عثرنا فى السنسكريتية على الفاظ تشبه الفاظا عربية تغلب أن تكون سنسكريتية الاصل لخلو اخوات العربية من أمثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فانهما فى السنسكريتية بهذا اللفظ تماما ويدلان على الاشراف أو الاضائة . ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دونت قبل العربية بزمان مديد . ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتى الاصل أيضا وكذلك « ضياء » ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من أمثال ذلك . .

على أننا نرجح أن العرب أخذوا عن الهنود كثيرا من المصطلحات التجارية وأسماء السفن وادواتها وأسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والاطياب مما

يحمل من بلاد الهند . والعرب يعدونها عربية أو يلحقونها بالالفاظ الفارسية نساها ، كالمسك مثلا ، فقد رأيت صاحب المزهري يعده فارسيا ، وهكذا يقول صاحب القاموس ، وهو في الحقيقة سنسكريتي ، ولفظه فيها « مشكاة » . وذكروا « انكافور » بين الالفاظ الفارسية وهو هندي على لغة أهل ملقا ولفظه سندهم « كابور » . وقد ذكروا أيضا أن القرنفل فارسي ، والغالب عندنا أنه سنسكريتي لأن أصله من الهند ، وقس عليه

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » فصل ضاف في هذا الموضوع بينا فيه القاعدة في تعيين أصول الالفاظ الاعجمية ، واوردنا كثيرا من الالفاظ المنقولة للعربية من اللغات الفارسية والهندية واليونانية واللاتينية والحبشية ، وأئمة اللغة يعدونها عربية ، وفصل آخر فيما لحق اللغة العربية من التغير في الفاظها بمقابلتها بأخواتها (١)

٣ - كيف كانت اللغة العربية لما جاء الاسلام ؟

ليس ما قدمناه وشرنا اليه من تاريخ تكون اللغة العربية وترقيتها الا فذلكه مثلنا بها ذلك التاريخ . ولا استطاع تفصيله وتعيين التقلبات التي مرت بها هذه اللغة قبل الاسلام ، اذ ليس لدينا أمثلة مدونة يرجع اليها أو يقاس عليها ، غير ما قدمناه مما وجدوه منقوشا على قبر امرئ القيس (٢) وهو لا يشفى غليلا . ولو أن أشعار أيوب كانت مدونة كما دونت الياذة هوميروس مثلا ، لاستخرجنا من المقابلة بين لغتها ولغة الجاهلية الثانية تاريخ تقلب الالفاظ والتعابير . . كما فعل اليونان في بيان الفروق بين لغة الالياذة ولغات ما دون بعدها . وكما فعلنا في تدوين تاريخ اللغة العربية بعد الاسلام ، وما تقلبت عليه من تبدل الالفاظ وتفرعها وتنوعها ودخول الالفاظ والتراكيب الاعجمية ، وما اخذته من كل لغة حسب الاطوار التي مرت بها (٢) وكما يفعل فلاسفة اللغة في رد اللغات الحية الاوربية الى أصولها اللاتينية والجرمانية واليونانية ومهما يكن من تاريخ اللغة العربية القديم ، فقد عرفناها عند ظهور الاسلام ناضجة وقد تفرعت الى لغات باختلاف الاصقاع والقبائل ، فدون المسلمون احدى تلك اللغات مع أمثلة من سائر اللغات على ما سنبينه

٤ - البلاد التي كان أهلها يتكلمون العربية قبل الاسلام

إذا نظرت الى الخريطة اليوم ، رأيت الناطقين بالعربية منتشرين في غربى البحر المتوسط وجنوبيه الى الشام والعراق وما بين النهرين وفي جزيرة العرب وفي مصر وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وعلى شواطئ البحر الاحمر وفي السودان وغيرها من اواسط افريقيا وعلى شواطئ افريقيا الشرقية وغيرها . . غير الذين يتعلمون العربية للمعاملات الدينية ، وهم

(١) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ١٠ - ٢١ طبعة ثانية
(*) سبق أن ذكرنا في ص ٣٢ نقوشا أخرى عثر عليها المنقبون غير نقش امرئ القيس المذكور
(٢) راجع تاريخ اللغة العربية من صفحة ٢٢ - ٦٣ طبعة ثانية

المسلمون في أكثر أنحاء المعمورة في فارس وخراسان وأفغانستان وتركستان والهند والصين وجزائر الهند الشرقية وسائر البلاد التي دخلها الاسلام في القارات الخمس

اما قبل الاسلام ، فقد كانت اللغة العربية محصورة في جزيرة العرب وما يليها من مشارف الشام والعراق الى تدمر وفي بادية الجزيرة « بين النهرين » وفي جزيرة سينا وقليل بعدها في صحراء مصر الشرقية (١)

ويعسر تقدير احصاء العرب في ذلك العهد ، كما يعسر تقديره اليوم ، لاعتماد أولئك الاقوام على الرحلة والتنقل في البوادي . . ولكننا نحسبهم لا يزيدون على بضعة ملايين ، اكثرهم من اهل البادية متفرقون قبائل وعشائر وافخاذا وبطونا في الحجاز ونجد واليمن وتهامة وحضرموت وعمان والاحساء والبحرين وفي بادية الشام والعراق . يندر فيهم المتحضرون سكان المدن ، اذ لم يكن يومئذ من المدن العامرة في جزيرة العرب غير مكة والمدينة والطائف بالحجاز ، وصنعاء في اليمن وبعض المزارات في أواسط الجزيرة وبعض الثغور على الشواطئ

فالمعول في احصاء العرب على اهل البادية ، وكانوا ينقسمون حسب قبائلهم ، وكانت تلك القبائل مع كونها رحالة تنحصر رحلتها غالبا في بقعة من بقاع الجزيرة ما لم يطرأ عليها طارئ يبعثها على الانتقال الى بقعة أخرى ، كما اصاب قبائل عدنان في القرون الاولى قبيل الميلاد وبعده . . اذ كانت تقيم في تهامة ثم تفرقت فيها وفي الحجاز ونجد . وكانت القبائل القحطانية في اليمن ، ثم انتشرت في سائر جزيرة العرب . ولكل انتقال سبب طبيعي أو سياسي أو غير ذلك مما يطول شرحه ، وقد فصلناه في كتابنا « العرب قبل الاسلام »

فلما جاء الاسلام كانت قبائل العرب البادية أكثرها في نجد وتهامة والحجاز والاحساء ومشارف الشام والعراق ومعظمها من العدنانية ، كما تجد ذلك مبينا في الخريطة . .

وبالقياس على ما نشاهده اليوم من تعدد لغات - أو لهجات - المتكلمين بالعربية في الشام والعراق ومصر والمغرب وما بينها من الاختلاف لفظيا وتركيبيا ، مع أن الاصل واحد فيها جميعا « لغة مضر » نعتقد أن لغات تلك القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض ويزداد الفرق بينها بزيادة البعد وباختلاف ما يجاورها من غير العرب . فلغات أواسط جزيرة العرب وإن بعدت الشقة بينها كانت أكثر تقاربا مما بينها وبين لغات اهل الشواطئ لاختلاط هؤلاء بالاعاجم على شواطئ خليج العجم والبحر الاحمر من جالية الفرس والهند والاحباش وغيرهم ، أو عند مشارف الشام لاختلاطهم بأهل المدن من السريان أو الروم أو الانباط في الشام والعراق . ولما نهض المسلمون في صدر الاسلام لجمع اللغة . لاحظوا هذه الاعتبارات التماسا لاختيار احسن اللغات وابعدها عن العجمة . .

(١) راجع خريطة جزيرة العرب ص ١٠٤ من تاريخ العرب قبل الاسلام

٥ - فروع اللغة العربية

واذا أمعنت النظر في الخريطة ، رأيت أكثر سكان واسط جزيرة العرب من قبائل مضر ٠٠ واعظمها يومئذ تميم في شرقي نجد ، وغطفان « عبس رذبيان » وسليم وغيرهما في نجد ، وارقاها قريش في مكة ، وكان من القبائل القحطانية هناك طيء في نجد ومذحج في أطراف الحجاز ٠ وأكثر السكان في الشمال الشرقي من ربيعة ، ومنهم بكر وتغلب في بادية العراق والجزيرة

فلغات هذه القبائل كانت تختلف بعضها عن بعض باختلاف اصولها ومساكنها ، وكان الاختلاف على معظمه بين لغات اليمن ولغات الحجاز ونجد أي بين جنوب الجزيرة وشمالها ٠ واحسن مثال للغات الجنوب ما خلفه الحميريون من الآثار بالحرف المسند ، واحسن مثال للغة الحجاز لغة القرآن وشعر الجاهلية، والفرق بين اللغتين كبير . والعرب يسمون لغة قدماء اليمنيين « المسند » . ولمن أقام حول اليمن من العرب لغات لعلها فروع من لغة اليمن ٠ وكان لكل اقليم منها لسان يختلف عن السنة سائر الاقاليم وله اسم خاص يعرف به ، وهي :

المسند : لغة في اليمن
الزبور : لغة حضرموت وبعض اليمن
الرشق : لغة عدن والجند
الحويل : لغة مهرة والشحر
الزقزقة : لغة الاشعريين

هذا هو تقسيم العرب للغات اليمن (※) ، ويرى العلماء اليوم ان بعضها غير عربي ولكن أكثرها ذهب ولا سبيل الى تحقيق ذلك
أما لغات أهل الحجاز ونجد وسائر الشمال وهم العدنانيون ، فترجع الى أصل واحد يسمونه « المبين » وهو الباقي الى الآن ومنه لغة القرآن وقد تغلب على سائر اللسنة وانتشر مع المسلمين في الارض

اللسان المبين

فاللسان المبين كان يتكلمه عرب الشمال وهم قبائل كثيرة كما رأيت ، وبينها فروق في معاني الالفاظ ونطقها وفي أساليب التركيب . ولكن الاسلام ذهب بها جميعا الى لغة قريش « لغة القرآن » وما اختاره علماء اللغة من الفاظ القبائل الاخرى ، ولم يبق من لغات هذه القبائل الى الآن الا أمثلة ذكرها علماء اللغة عرضا من باب العيوب وأكثرها في قبائل ربيعة ٠٠ مثال ذلك انهم كانوا يزيدون بعد ضمير المخاطب المفرد شيئا ، فيقولون عليكش وبكش بدلا من عليك وبك . وجاء في بعض الكتب أنهم يبدلون الكاف شيئا ،

(※) يقسم علماء الساميات مجموعة اللغات العربية الجنوبية الى قتبانية ومعينية وسبئية وحميرية وحضرية وما يتصل بها من مهريّة وشحرية

فيقولون عlish بدل عليك .. وهى فى الحالين غير الشين التى يدخلها عامة المصريين على الاستفهام

ومن بقايا لغات القبائل ان بنى تميم كانوا يلفظون الهمزة اذا وقعت فى اول الكلمة عيناً ، فيقولون فى « أسلم » « عسلم » ويسمونها العننة ، وكان الهذليون وهم قبيلة من مضر يجعلون الحاء عيناً ويسمونها الفحفحة .. ومنها العجسجة فى قضاة وهى ان يجعلوا الياء المشددة جيما فيقولون فى تميمي تميمج . والاستنطاء فى لغة سعد بن بكر وهى ان يقولوا انطى بدل اعطى . وعند بعض القبائل حروف لا توجد عند سواها كالحرف بين القاف والكاف فى لغة تميم لعله كالكاف الفارسية . وذكر صاحب المزهرة أمثلة كثيرة من هذه العيوب (١)

ومن اللغات الشاذة التى تفيدنا فى الرجوع الى أصل اللغة العربية، استعمال الدال للموصول بدل « الذى » فان بعض العرب (قبيلة طى) يقولون « فلان ذو سمعت به » أى الذى سمعت به ، وهو تركيب آرامى أو بابلى من بقايا القرابة بين العرب والحمورابيين . ومن هذا القبيل كسر أول فعل المضارع كما يفعل سريان هذه الايام ، فانه كان عاماً فى قبائل العرب الا فى قریش واسد (٢) ولغات القبائل المشار اليها ظلت بعد الاسلام مدة ، ثم أخذت تنقرض بالتدريج وحلت لغة قریش محلها .. ليس فى جزيرة العرب فقط بل فى كل بلد دخله الاسلام ..

على أن ما يعده أئمة اللغة عيوباً فى لغات هذه القبائل ، إنما يصح تسميته بذلك بالنظر الى اللغة التى اختاروها لا بالنظر الى اللغة نفسها . فان استعمال « ذو » للموصول لم يسموه عيباً الا لانه يخالف المألوف فى لغة قریش ، ولو الفود لفضلوه على « الذى » . وعلى كل حال فان علماء اللغة لما قاموا لجمع اللغة تخيروا من لغات تلك القبائل احسن ما فيها بالنظر الى اذواقهم ومألوفهم . واكثر ما أخذوه من قياس وتميم واسد ، وسنعود الى ذلك عند الكلام عن جمع اللغة وتدوينها ..

(١) المزهرة ١٠٩ ج ١
(٢) المزهرة ١٢٤ و ٢٥٢ ج ١

مميزات اللغة العربية

للغة العربية كما وصلت اليها خصائص تميزها من سواها ، وتدل على مبلغ عقول اصحابها من الرقي وان كانوا بادية راحلين ، وهذه هي مميزاتها :

١ - الاعراب

نعني بالاعراب تغير أواخر الكلمات بتغير العوامل الداخلة عليها بالرفع والنصب والجر والسكون . واللغات الحية في العالم المتمدن الآن تعد بالعشرات ، ليس بينها من اللغات المعربة الا ثلاث : وهي العربية والعبرية ، واللغة الألمانية . والظاهر أن الاعراب من خصائص التمدن القديم ، لان لغات ذلك التمدن كان معظمها معربا ، كذلك كانت اللغات البابلية (الآشورية) والعربية واليونانية واللاتينية والسنسكريتية . واللغات التي تخلفت عن تلك الامهات جاءت خالية من حركات الاعراب . فاللغات التي تخلفت عن اللاتينية في أوربا وعن السنسكريتية في الهند وايتوان غير معربة . وكذلك اللغات التي تخلفت عن اللغة البابلية وهي السريانية والكلدانية لم يبق فيها اعراب . ومثلها اللغات التي تخلفت عن اللغة العربية ، نعني لغات العامة في الاصقاع العربية اليوم فانها غير معربة كأن الاعراب اذا ترك لمجاري الطبيعة لا يعيش في الرخاء طويلا ، وانما يعيش في البادية أو نحوها من أحوال الخشونة أو القوة . . . اذا أراد أصحابه تقييد لغتهم بالقواعد ، كما فعل العرب والامان . على أن اللغة العربية سارت سيرها الطبيعي على السنة العامة ، فذهب الاعراب منها

ومما يحسن قوله أن اللغات السامية القديمة على كثرتها ، اختص منها بالاعراب لغة بابل (الآشورية) واللغة العربية . ولعل في ذلك ما يدل على وحدة أصل العرب والحمورابيين ، وأن الامتين كانتا أمة واحدة تتكلم لسانا واحدا معربا . . فتحضر الحمورابيون وظل العرب بادية ومنهم العمالقة . فلما تمدن الحمورابيون وركنوا الى الرخاء ، ذهب الاعراب من لسانهم وبقي في كتاباتهم المنقوشة ، كما أصاب العرب بعد قيام دولتهم وتقييد لغتهم ، فنشأ من بقايا البابليين أمة لغتها غير معربة هم السريان والكلدان . كما نشأ من العرب أقوام لا يعربون كلامهم ، وهم عامة الشام ومصر وغيرهما من بلاد العرب ، وكان أجدادهم في البادية يعربونه . .

٢ - دقة التعبير

وتمتاز اللغة العربية بدقة التعبير بألفاظها وتراكيبها . . أما الألفاظ ففيها لكل معنى لفظ خاص ، وحتى أشباه المعاني أو فروعها وجزئياتها . وقد ذكرنا أمثلة من ذلك فيما تقدم . ومن أمثلة دقة التعبير فيها وجود الألفاظ لتأدية فروع المعاني أو جزئياتها ، فعندهم لكل ساعة من ساعات النهار اسم خاص به . فالساعة الأولى الذرور ، ثم اليزوغ ، ثم الضحى ، ثم الغزاة ، ثم الهاجرة ، ثم الزوال ، ثم العصر ، ثم الاصيل ، ثم الصبوب ، ثم الحدور ، ثم الغروب . ويقال فيها أيضا البكور ، ثم الشروق ، فالأشراق ، فالرأد ، فالضحى ، فالمتوع ، فالهاجرة ، فالاصيل ، فالعصر ، فالطفل ، فالحدور ، فالغروب

وعندهم اسم لكل ليلة من ليالي القمر . . وتجد للمعنى الواحد عدة الألفاظ ، يعبر كل منها عن تنوع من تنوعات ذلك المعنى . . فللشعر مثلاً أسماء عدة حسب منبته ، كالقروة لشعر معظم الرأس ، والناصية لشعر مقدم الرأس ، والنؤابة لشعر مؤخرة الرأس ، والفرع لشعر رأس المرأة ، والغديرة لشعر ذؤابتها ، والدبب لشعر وجهها إلى غير ذلك . . وهو كثير . . وقس عليه أسماء المعايب ، والغطش ، والجهر . . ولكل منها معنى خاص مما لا مثيل له في أرقى لغات البشر قديماً وحديثاً

واعتبر ذلك تفرع معاني الأفعال ، كتفرع فعل النظر إلى : رمق ، ولمح ، وحج ، وشفن ، وتوضح ، ورن ، واستكف ، واستشف . ومثلها فروع أفعال الجلوس والقيام والمشي والنوم وضروب الأصوات للحيوان والإنسان وغير ذلك . وفي المخصص وفقه اللغة ألوف من هذه الأمثلة . ولا خلاف في أن ذلك من أدلة الارتقاء . . ناهيك بالمترادفات في الأوصاف ، وهي أكثر من أن تحصى . ولعل العربية أغنى اللغات في الألفاظ المعبرة عن المعاني المجردة وانفعالات العواطف . . ففيها لأنواع الحب نحو عشرة ألفاظ ، ومثلها للبغض والحسد والطمع وغيرها

ومن وسائل دقة التعبير في العربية مزيادات الأفعال ، فان صيغ المشاركة تعبر باللفظ الواحد عن معان لا يعبر عنها في اللغات الأخرى إلا بعدة ألفاظ ، كقولنا تتأملوا وتقاضوا ، وهذه الصيغة خاصة بالعربية

٣ - الإعجاز والإيجاز

لكل قوم إعجاز في لغتهم فيدلون بلفظه قليل على معنى كثير ، ولكن العرب أقدر على ذلك من سواهم ، لأن لغتهم تساعدهم عليه وقد تعودوه وألفوه ، ومنه في القرآن والحديث والأمثال وكتب الفقه والشرع والأدب أمثلة كثيرة ، ومن هذا القبيل استعمال المجاز والكناية وسائر أساليب البديع ، فإنها في العربية أرقى مما في سواها لأنها لغة شعرية كثيرة الكنايات والإشارات يسهل فيها التعمية والألغاز . ولذلك رأيت في أخبار أهل البادية أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على الذكاء وامتلاك ناصية اللغة ، كقول جاسوس

مهم وقع فى أيدي الاعداء فحبسوه وألزموه أن يكتب كتابا الى ملكه يحمله فيه على مداهمتهم ويوهمه بقلّة عددهم وأسلحتهم غشا وتغريرا • فكتب الى الملك كتابا قال فيه :

« أما بعد فقد أحطت علما بالقوم وأصبحت مستريحا من السعى فى تعرف أحوالهم ، وانى قد استضعفتهم بالنسبة اليكم • وقد كنت أعهد فى أخلاق الملك المهلة بالامور والنظر فى العاقبة، فقد تحققت أنكم الفئة الغالبة باذن الله • ولقد رأيت من أحوال القوم ما يطيب به قلب الملك • ونصحت فدع ريبك • ودع مهلك والسلام »

وسلم الكتاب الى العدو فأرسلوه الى الملك بعد ما اطلعوا عليه • ففطن الملك لما أراد الكاتب ، وقال لحاشيته ان الجاسوس وقع فى الاسر فأصبح مستريحا من السعى ، وأنه رآهم أضعافنا واننا قليل بالنسبة لهم اذ مسح بآية « كم من فئة قليلة » • ولفتنى الى الأناة اذ جعلها عادة لى • وأراد قلب حروف الجملة الاخيرة ، فتكون : « كلهم عدو كبير عد فتحصن » (✱)

٤ - المترادفات والاضداد

فى كل لغة مترادفات أى عدة ألفاظ للمعنى الواحد ، ولكن العرب فاقوا فى ذلك سائر أمم الارض • • فى لغتهم للسنة ٢٤ اسما وللنور ٢١ اسما وللظلام ٥٢ اسما وللشمس ٢٩ اسما وللسحاب ٥٠ وللطر ٦٤ وللبر ٨٨ اسما وللماء ١٧٠ اسما وللبن ١٣ اسما وللغسل نحو ذلك وللخمر مئة اسم وللأسد ٣٥٠ اسما وللحية مئة اسم ومثل ذلك للجمل ، أما الناقة فأسمائها ٢٥٥ اسما • وقس على ذلك أسماء الثور والفرس والحمار وغيرها من الحيوانات التى كانت مألوفة عند العرب ، وأسماء الاسلحة كالسيف والرمح وغيرها • • ناهيك بمترادفات الصفات ، فعندهم للطويل ٩١ لفظا ، وللقصير ١٦٠ لفظا ، ونحو ذلك للشجاع والكريم والبخيل مما يضيق المقام عن استيفائه • •

وأسباب كثرة المترادفات فى العربية متنوعة ، منها أن كثيرا من أسماء الحيوان أصلها نعوت ثم صارت أسماء ، وبعضها مأخوذ عن لغة أخرى • فمن أسماء الأسد مثلا : الحطام ، والخطار ، والاصيد ، والشديد ، والراهب ، والمرهوب ، والمهوب ، والاغلب ، والاصهب ، والمجرب ، والباسل ، والمياس ، ونحوها ، وهى نعوت لطبائع الاسد وظواهره • ومن اسمائه عنيسة ، وهو اسمه بالحشية • وقد يكون السبب فى زيادة المترادفات استعارة أسماء حيوانات أخرى للدلالة على هذا الحيوان يكون بها عن بعض طبائعه

ومن خصائص اللغة العربية أسماء الاضداد ، فان فيها مئات من الالفاظ

(✱) هذه القصة بينة الانتحال ، وهى مع ذلك ليست قصة جاهلية فما فيها من اشارة الى بعض آى الذكر الحكيم يجعلها - ان صحت - اسلامية وليست جاهلية

يدل كل منها على معنيين متضادين مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس
و « نضح » للعطش والرى و « ذاب » للسيولة والجمود و « أفد » للأسراع
والإبطاء « واقوى » للافتقار والاستغناء

٥ - المعانى الكثيرة للفظ الواحد

ومن خصائصها أيضا دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة ، فمن الفاظها
نيف ومثتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان ، ونيف ومئة ألفظ يدل الواحد
منها على أربعة ومثلها التى تدل على خمسة معان . وقس على ذلك ما يدل
على ستة معان فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة وعشرين معنى كالحميم .
ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فانها تدل على ٢٧ معنى واللفظ
« العين » ٣٥ معنى واللفظ « العجوز » ٦٠ معنى

٦ - السجع وغيره من أسباب سعة اللغة

ان كثرة المترادفات في اللغة العربية وتعداد المعانى للفظ الواحد جعلتها
وسعة التعبير وسهلت على أصحابها التسجيع . وكان التسجيع شائعا في
الجاهلية بلغة الكهان (*) على أساليب يستقبحها أهل اللغة لغرابة الفاظها
وركاكة تركيبها

ومن نتائج سعتها اقتدار اصحابها على كتابة المعنى الواحد بعدة تراكيب
بين عاطل ومهمل ومنقط او مشترك . وقد علمنا أن بعضهم كتب تفسير
القرآن بالفاظ ليس فيها حرف منقط . وهناك تراكيب يشترط فيها اذا
قرأ الاثغ لا تظهر لثغته لخلوها من الراء . وقد خطب وأصل بن عطاء خطبة
طويلة لم يرد فيها حرف الراء ، وكان اذا قال شعرا لم يورد فيه حرف
الراء على الاطلاق (١) وذلك لا يتيسر في اللغات الافرنجية . وقد جرب
بعضهم كتابة أسطر بالالمانية بدون راء ، فلم يستطع ذلك الا بشق
النفس

٧ - حكاية الاصوات

ومن خصائص اللغة العربية ان لافاظها وقعا على الاذن ، له تأثير موسيقى
يختلف شدة ولطافة باختلاف التراكيب فيؤثر في النفس تأثيرا خاصا سواء
كان نثرا او نظما . من امثلة الوقع الشديد ، وصف الاسد لابي زبيد
الظائي بن يدي عثمان بن عفان ، فقد قال وهو يصف خروج الاسد عليهم في

(*) لم يكن السجع في الجاهلية خاصا بالكهان في نبوءاتهم ، بل كان شائعا في الخطابة
بين الخطباء . انظر الفصل الاول من كتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربى » وكلمة سجع
في دائرة المعارف الاسلامية

واد (*) : « فضرِبَ بيديه فأرهج وكشر ، فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة ، وفم اشدق كالغار الاخوق . ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركبه برجليه حتى صار ظله مثليه . ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ، ثم تجهم فازبأر فلا وذو (١) بيته فى السماء ما اتقيناه الا بأخ لنا من فزارة . نان ضخم الجزارة فوقصه ثم نقضه نقضة فقضقض متنيه فجعل يلغ فى دمه . فثمرت أصحابي فبعد لآى ما استقدموا فهجهجنا به فكر مقشعرا كأن به شمما فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا فنقضه نقضة تزايلت منها مفاصله . ثم همهم فقرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ ، فوالله أخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ويمينه . فأرعشت الايدى واصططكت الأرجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وشخصت العيون وتحققت الظنون وانخزلت المتون . . »

فصاح به عثمان : « اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين »
وحكايات الاصوات موجودة فى سائر اللغات

٨ - الامثال

الامثال من آداب العرب المهمة لانها تجرى على السنتهم مجرى الشعر . وهى عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل والعقل الراجح . قال ابو عبيد : « الامثال من حكمة العرب فى الجاهلية والاسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها فى النطق بكناية بغير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه » (٢) والعرب تضمن اشعارها واقوالها الامثال والحكم فتزينها كقول أبى ذؤيب من قصيدة :

فلا تك كالثور الذى دُفنت له حديدة حَتَفٍ ثم أمسى يثيرها (٣)
وبعضهم نظم القصائد كلها من الامثال كأرجوزة أبى العتاهية التى سماها ذات الامثال (٤)

ولا تخلو أمة من الامثال المتوارثة فى الاعقاب . . لكن العرب يمتازون بأمثالهم المبنية على الحوادث ، لان الامثال عندهم نوعان :

(*) الغريب فى كلمة ابى زبيد :
أرهج : اثار الغبار . كثر عن أسنانه : أيدى . أشدق : من الشدق وهو سعة الفم .
الاخوق : الواسع . حفز : دفع . أقعى : جلس مفترشا رجله ناصبا يديه . مثل : قام منتصبا . اكفهر : عبس . ازبأر : تنفخ . الجزارة : الاطراف . وقص عنقه : كسرهما .
نقضه : من نقض البناء أى هدمه . قضقض : مزق . ذمر : لام . لآى : ابطاء واحتباس .
هجهج بالأسد : صاح . اختلج : جذب . الأعجر : السمين . ذا حوايا : ذا امعاء .
مستديرة يريد انه ضخم الجثة . همهم : ردد الزئير . قرقر : هدر . بربر : صاح .
جرجر : ردد الصوت فى حنجرتة . اطت : أنت تعبا او حنينا . شخص بصره : فتسبح عينيه لا بطرف .

(١) « ذو » يعنى « الذى » فى لغة طيء .
(٢) الزهر ٢٣٤ ج ١
(٣) الاغانى ٦٣ ج ٦
(٤) الاغانى ١٤٣ ج ٢

١ - أمثال حكيمية كقولهم : الجار قبل الدار ، والحرب خدعة ، والخطأ زاد العجول ، والعتاب قبل العقاب ، ونحوها مما تتناقله الناس في الاعقاب وترويها الامم بعضها عن بعض . واقدام مجموع لها امثال سليمان ، واكثر الامم اخذت عنها . . . وهي عند العرب مقتبسة من التوراة وأمثال الهند والفرس والروم ، فضلا عما يروونه عن اسلافهم وحكمائهم كآكثم بن صيفي وغيره ، وينسبون امثالا كثيرة الى لقمان . وهو من قدماء الحكماء ، يشبه شاعرا حكيميا بنحو هذا الاسم عند اليونان **Aleman** من اهل القرن السابع قبل الميلاد وهو من اقدم من نظم الشعر الغنائي عندهم

٢ - الامثال المبنية على الحوادث وهي خاصة بهم ، لان الحوادث جرت لهم ، كقولهم : وافق شن طبقه ، وقطعت جهيزة قول كل خطيب ، والصيف ضيقت الكلب ، وسبق السيف العذل . وهم يؤثرون تلك الامثال عن قائلها ، وقد يروون عشرات من الامثال قالها الواحد في حادثة واحدة كما روى في حادثة الزباء وقصير وجذيمة الابرش (١) فذكروا أثناء هذه الحادثة عشرات من الاقوال ذهبت مثلا منها قول قصير « رأى فاتر وعدو حاضر » وقوله : « رأيك في الكن لا في الضح » و « ما ضل من تجرى به العصا » وقول الزباء « لأمر ما جدع قصير أنفه » و « يدي لا بيد عمرو » ونحو ذلك . وهذه الامثال واشباهها كثيرة في اقوال الجاهلية

٩ - كتب الامثال (*)

وقد عني العرب بجمع الامثال ، لانها من جملة ما احتاجوا اليه في تحقيق الفاظ اللغة . ذكر ابن النديم ان عبيد بن شربة من اهل اليمن الف كتابا في الامثال في خمسين ورقة بأواخر القرن الاول للهجرة ، وهو أول من فعل ذلك . وقد ضاع هذا الكتاب . واشتغل كثيرون من ادباء البصرة والكوفة في ابان التمدن الاسلامي بجمع امثال العرب منهم صحار العبدى كان معاصرا لابن شربة (٢) ويونس النحوى المتوفى سنة ١٨٢ هـ وأبو عبيدة سنة ٢١١ هـ وثعلب سنة ٢٩١ هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام سنة ٢٢٣ هـ والمفضل الضبي وأبو هلال العسكري ومحمد بن زياد الاعرابي ومحمد بن حبيب البغدادي وحمزة الاصفهاني وغيرهم

وقد شرح هذه الكتب كثيرون وازدادوا اليها من الامثال الحادثة في الاسلام . وأهم هذه الكتب الباقية الى الان كتاب المستقصى للزمخشري (توفي سنة ٥٣٨ هـ) ومجمع الامثال للميداني (توفي سنة ٥١٨ هـ) . وفي مجمع الامثال نخبة ما احتوته كتب المتقدمين ، جمعه مؤلفه من نحو خمسين كتابا في الامثال ورتبه على حروف المعجم بعد أن اضاف اليه امثال المولدين . وهو أجمع كتاب في الامثال العربية وفيه شروح لطيفة ، وقد طبع مرارا بمصر والشام

(١) ابن الاثير ١٤٩ ج ١ (٢) الفهرسته ٩٠
(*) انظر في الامثال الجاهلية « فجر الاسلام » لاحمد أمين ، والفصل الاول من كتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربي » و « الامثال في النثر العربي القديم » لعبد المجيد عابدين ، وكلمة « مثل » في دائرة المعارف الاسلامية

وغيرهما . أما المستقصى للزمخشري ، فمنه نسخ خطية في مكتبة ليدن وفيينا والمتحف البريطاني وكوبرلي بالآستانة ودار الكتب المصرية ..

أما كتب الأمثال الأصلية التي أخذ عنها الميداني ، والزمخشري فالباقي منها قليل أهمها كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام طبع في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وأمثال العرب للضبي طبع في الآستانة سنة ١٣٠٠ هـ وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري طبعت في الهند سنة ١٣٠٧ وأمثال لقمان طبعت مرارا في أوروبا ومصر منها طبعة في باريس سنة ١٨٤٧ مع ترجمة فرنسية . ونجد كثيرا من أمثال العرب في كتب الآمالى وكتب اللغة وكتب الادب ونحوها ..

الشعر في العصر الجاهلي

١ - ما هو الشعر ؟

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة ، وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر . ومرجعها الى تصوير جمال الطبيعة ، فالحفر يصورها بارزة ، والرسم يصورها مسطحة بالاشكال والخطوط والالوان ، والشعر يصورها بالخيال ويعبر عن اعجابنا بها وارتياحنا اليها بالالفاظ . . فهو لغة النفس او هو صور ظاهرة احقائق غير ظاهرة . والموسيقى كالشعر . . هو يعبر عن جمال الطبيعة بالالفاظ والمعاني ، وهي تعبر عنه بالانغام والالحان ، وكلاهما في الاصل شيء واحد . .

هذا هو تعريف الشعر في حقيقته ، ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحصرّون حدوده بالالفاظ ، وهو تعريف للنظم لا للشعر . . . وبينهما فرق كبير ، اذ قد يكون الرجل شاعرا ولا يحسن النظم ، وقد يكون ناظما وليس في نظمه شعر . . وان كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعا في النفس ، فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر ، ويجوز سبكه في النثر

وقد تقدم ابن خلدون خطوة اخرى في تعريف الشعر ، فقال : « الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على أساليب العرب المخصوصة به » فهو يجعل التقفية والوزن من شروط الشعر ، ويشترط ايضا استقلال كل بيت منها بغرضه . وهو تقييد لا باعث له اذ قد ترى في الكلام المنثور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر ، وذلك كثير في كلامهم ، والحكم فيه للدوق . ومن أصعب الامور أن نعرف الشعر ونجعل له حدودا جامعة مانعة ، كما نعرف الصرف أو النحو أو الفلك أو غيرها من العلوم والآداب . ولكنك اذا قرأت قولاً فيه خيال شعري ، تعرفت الشاعرية فيه وشعرت بلذة ذلك التعرف وطربت له ، وقد يكون ذلك النثر قولاً وانما أطربك ما فيه من أساليب الكتابة أو الاستعارة . . . فاذا سبكته في قالب شعري زاد رونقا وطلاوة ، فاذا غنيتة على توقيع الالحان زدت طربا به . فالوزن يزيد الشعر طلاوة من قبيل التوقيع الموسيقى في الالفاظ والحركات لا من قبيل المعنى

فاذا قرأنا لبعضهم نثرا يصف به ذهوله في الحب ، فيقول : « اذا جئت دار الحبيب ليلا لحاجة لي التمسها ، فلا ادخل الدار حتى أنسى ما جئت له » فهذا معنى شعري ترتاح اليه النفس ، لكن ارتياحها يكون أكثر اذا نظم ذلك المعنى شعرا كقول المجنون :

فيا ليلَ كم من حاجة لي مهمةٍ إذا جئتم بالليل لم أدّر ما هيا

ويكون وقعها في النفس أشد اذا غنى على لحن مطرب

وعلى ذلك فيدخل في الشعر كثير من اقوال العرب التي نعتها من قبيل الامثال أو الحكم الماثورة المبنية على الكناية كقولهم : المرء بأصغريه لا ببرديه ، وعاد الامر الى نصابه ، وصاحت عصفير بطنه ، ونحو ذلك

فالشعر بالمعنى لا بالوزن والقافية . . وقد رأينا بعض متقدمي العرب يرون هذا الرأي في تعريف الشعر ، فقد قال بعضهم : « الشعر كلام وأجوده أشعره » (١) ولم يقيده بالوزن ولا القافية . وقال آخر : « الشعر شئ عتجيش به صدورنا ، فتقدفه على السنتنا » (٢)

٢ - أنواع الشعر

العرب يقسمون الشعر الى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل والتشبيب وغيرها من الأغراض ، وهذه كلها في نظر الشاعر غير العربي نوع من أنواع الشعر يسمونه الشعر الفنائي أو الموسيقى ، لأن مرجعه الى التأثير على النفس تأثير الموسيقى

ويقسم الشعر عند الافرنج الى ثلاثة أنواع :

(١) الشعر القصصي Epique (٢) الشعر الفنائي Lyrique

(٣) الشعر التمثيلي Dramatique

الشعر القصصي

فالشعر القصصي أقدمها ، وهو عبارة عن سرد الوقائع أو الحوادث في الشعر (موزونا أو غير موزون) على سبيل القصة ، وأكثرها دينية ، وإبطالها الآلهة ومعظم حوادثها عنهم وبهم . واذا تدبرت الشعر عند سائر الأمم وجدته أقدم آدابها ، وأقدمه الدينى المتعلق بالآلهة وأعمالهم كما في الياذة هوميروس عند اليونان ومهابهارته الهند . ومن هذا القبيل بعض الاشعار العبرانية كسفر داود ونشيد الاناشيد فانها شعر ديني لكنها ليست من النوع القصصي بل من الموسيقى . . لان الشعر القصصي نادر في أشعار الساميين على الاجمال الا السريان ، فان القديس أفرام نظم شيئا منه ولعله اقتبسه من اليونان (٣)

(٢) البيان والتبيين ١٧٢ ج ٢

(١) الاغانى ١٢٤ ج ١٨ ، ٦٠ ج ٢١

(٣) Lit. Syr. 20

أما العرب فيخالفون العبرانيين من حيث الشعر الدينى ، لانه لم يكن عندهم فى الجاهلية كما كان عند العبرانيين . ولا يعقل انهم خالفوا اخوانهم فيه ، ولابد من انهم نظموا الاشعار . . خاطبوا بها هبل واللات والعزى وغيرها ، واستعطفوها وصلوا لها وتخشعوا أمامها ، ولكن منظوماتهم فى هذا الموضوع ضاعت فى ثنايا الاجيال لعدم تدوينها ولاشتغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التى قامت بينهم قبيل الاسلام . فلما جاء الاسلام انصرف الرواة عن حفظها لانها وثنية والاسلام يحو ما كان قبله . فاكثفوا بتدوين اشعار الحماسة والفخر ، ولكن بقى من الاشعار الدينية أمثلة قليلة جاء ذكرها عرضا فى تراجم بعض الشعراء كأمية بن أبى الصلت وغيره

الشعر الغنائى

قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصى ، وفيه أخبار آلهتهم وحروبها وعلاقاتها بالبشر . ثم قالوا الشعر الغنائى وقد نضج عندهم نحو القرن السابع قبل الميلاد على أثر الحوادث السياسية والحروب التى قامت بين الاحزاب اليونانية وتغلب فيها الشعب على الاشراف كما تقدم . فهاج الظفر قرائحهم وأعقب ذلك التنازع بين الاسبارطيين والمسينيين وبين يونان آسيا الصغرى وجيرانهم فذاقوا لذة التغلب ، فجاش فى صدور الشعراء احساس لم يتعودوه من قبل ، كما أصاب العرب الحجازيين على أثر خروجهم من سسلطة الحميرين ، ثم بما قام بينهم من النزاع والحروب فى القرون الاولى قبل الاسلام . . فانها انطقتهم وحركت نفوسهم كما سيجىء

فأصبح اليونان فى القرن السابع قبل الميلاد أهل دولة وتمدن ورخاء ، فصاروا فى حاجة الى شعراء يحضونهم على الثبات فى الحرب او يمدحون بسائتهم ويطرون أعمالهم ويصفون حضارتهم . . فظهر الشعر الغنائى أو الموسيقى وفيه المدح والهجاء والحماسة والفخر والرثاء ، ووضعوا الاوزان الجديدة له . وطبيعى ان الظفر يبعث على المدح ، والموت يولد الرثاء ، والحب يستدعى النسيب والغزل . فصار ملوك اليونان وكبرائهم يقربون الشعراء الغنائيين لسماع المدح كما فعل العرب فى ابان دولتهم ، فكثر الشعراء الغنائيون عندهم وأستاذهم بNDAR . وشاع الشعر الغنائى فيهم ، فاشتغلوا به عن الشعر القصصى . . كأنهم اشتغلوا باثارة العواطف والحث على الفضائل عن تقرير الحقائق وسرد الحوادث

الشعر التمثيلى

ثم رأوا الكلام وحده لا يكفى لتحريك العواطف وتمثيل الفضائل ، فعمدوا الى تمثيلها للعيان بحوادث اخترعوها يؤدى سردها او تمثيلها الى مغزى ما يريدون . فبدلا من أن يمدح شاعرهم الشجاعة مثلا ويحجبها الى الابطال ببلاغة البيان الشعرى ، عمدوا الى نظم قصة تظهر فضل هذه المنقبة

يمثلونها على مشهد من الناس لتكون أوقع في النفس وأثبت في الذهن ،
وسموا هذا النوع من الشعر « الشعر التمثيلي Drame »

ويراد بالشعر التمثيلي في أصل وضعه تمثيل الوقائع التي ترمى إلى الموعظة أو الحكمة سواء مثلت على المسرح أو لم تمثل (١) ، وفي الشعر القصصي شيء منه لأن الياذة هوميروس لا تخلو من مشاهد تمثيلية . ولكن الشعراء بدأوا في نظمهم أولا بالشعر الخيالي التصويري المحض ، اذ هاج شاعريتهم التخشع للآلهة ، وكانوا يغنون لهم ويرقصون في غنائهم على توقيع الالحن ، فتصوروا الوزن من حركات الرقص ، وذلك أصل النظم عندهم . وكان أول منظوماتهم أقاصيص الآلهة وأعمالهم ، ثم تدرجوا إلى وصف الواقع . . فبدأوا بالعواطف يعبرون عنها بالشعر الغنائي . ثم عمدوا إلى تمثيل الفضائل والردائل على المسارح للاستفادة منها وهو الشعر التمثيلي

٣ - هل عند العرب شعر تمثيلي ؟

قد رأيت أن الشعر التمثيلي هو الوجهة العملية من الشعر التي يراد بها تمثيل الفضائل أو الرذائل للعين . والعرب مثل سائر الساميين أكثر ميلا إلى الخيال والتصور ، فلم يلتفتوا إلى التمثيل أو على الأقل لم نعثر بين ما وصلنا من آدابهم قبل الإسلام على شيء من الشعر التمثيلي على سبيل المحاوراة أو التمثيل ، كما هو الحال عند اليونان أو من أخذ عنهم . . فهل كان عندهم وفقد ؟

إذا أمعنا النظر فيما خلفه العرب من أخبارهم وآدابهم وجدناه لا يخلو من التمثيل بأعم معانيه وأن لم يكن شعرا مجردا بل هو مزيج من الشعر والنثر . وقد وصل إلينا في قالب القصص والحقائق التاريخية ، لكن أكثرها في نظرها موضوع أو كان له أصل فوسعوه وطولوه ونمقوه ليكون عبرة أو قدوة في الموقف المطلوب . وأكثر تلك القصص ترمى إلى تمثيل الفضائل البدوية التي يقدسها العرب ، كالوفاء والضيافة والشجاعة والجوار والعفة والفروسية ونحوها تمثيلا يحببها إلى الناس ويرغبهم فيها ، وجعلوا أبطالها رجالا من مشاهيرهم في تلك المناقب

ف قصة حاتم الطائي التي ذبح فيها فرسه لضيفه وابناؤه جياع أقرب إلى أن تكون موضوعا أو مبالغا فيها للتحريض على السخاء . وقصة السموأل التي قتل فيها ابنه ولم يسلم الأمانة المودعة عنده موضوعا أو موسع فيها لتمثيل الوفاء . وأخبار العذريين في العفة أكثرها موضوع لترغيب الناس في العفة . وقد أجمع الرواة تقريبا على أن أخبار مجنون ليلي موضوعا أو يراد بها تمثيل العفة مع الثبات على الحب . . وهي تشبه من هذا القبيل رواية روميو وجولييت لشكسبير . وقس على ذلك أكثر ما يروونه من هذا النوع ، مثل حكاية حنظلة والنعمان بن المنذر . وهم يروونها عن عبيد بن الأبرص أيضا ، كأن المراد المغزى وهو الترغيب في

الوفاء . ونسبة هذه الحوادث الى أشخاص معروفين في التاريخ لا يطعن في أن المراد بها التمثيل . وهذه قصة عنتره فان صاحبها شاعر شجاع معروف فوسعوا قصته وأضافوا اليها ما يرغب في الشجاعة والفروسية

اما السريان يون فالتمثيل غير أصلى في آدابهم ، وانما اتخذوه في جملة آدابهم الدينية من اليونان . وكانت منظوماتهم في أول أمرها بغير قافية ، ثم قفوها بعد الاسلام . فلعلهم اقتبسوا ذلك من العرب والخلاصة ان الشعر العربى أكثره من الشعر الغنائى ، وهو أرقى في العربية منه في سائر اللغات ، وليس في الدنيا أمة تضاهى العرب في كثرة الشعر والشعراء

أقدم منظومات العالم

المشهور أن الياذة هوميروس أقدم ديوان شعري ، لانه نظم نحو القرن التاسع قبل الميلاد وهو ١٤٠٠٠ بيت . ولكن هناك كتابين نظما نحو ذلك الزمن أو قبله : أحدهما الفيدا كتاب البراهمة وهو من قبيل الشعر الموسيقى ، ويقال انه نظم نحو القرن الثانى عشر ق . م وزبور داود نظم نحو القرن العاشر : ولعله عاصر صاحب الياذة . وللمصريين القدماء منظومات ترتقى الى عهد رمسيس الثانى نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ولكن سفر أيوب أقدم من ذلك ببضعة قرون ، فاذا صح أنه عربى الاصل كان أقدم الآثار الشعرية الباقية الى الآن عربى الاصل

٤ - كيف بدأ العرب ينظمون الشعر ؟

الشعر والغناء

يظهر ان الشعر والغناء من أصل واحد عند جميع الامم ، والشعر وضع أولا للتغنى به وانشاده للآلهة أو الملوك ، ولذلك فاليونان والرومان يقولون « غنى شعرا » لا « نظم شعرا » أو « وضع شعرا » والعرب يقولون « أنشد شعرا » أو أنشد الشعر الفلانى أى غناه ، وقضى اليونان اجيالا لا يقولون الشعر الا انشادا . ولعل العرب كانوا كذلك في اقدم أحوالهم (*) ، فنسبغ منهم جماعة يغنون شعرهم كما فعل الأعشى قبيل الاسلام ، فقد كان ينظم الشعر ويفنيه ، ولذلك سموه صناجة العرب . ومازال ذلك شأنهم بعد الاسلام ، فان الشاعر اذا جاء الخليفة أو الأمير بقصيدة أنشدها في حضرته وهو قائم ، فاذا لم يكن صوته رخيمًا أو مسموعًا اقتنى غلاما رخيم الصوت ينشد أشعاره . وللانشاد لحن مطرب ، وكان الرشيد يطرب للانشاد أكثر مما يطرب للغناء . واشتهر بعد الاسلام جماعة من الشعراء

(*) أنظر في صلة الشعر الجاهلى بالغناء الفصل الثانى من كتابنا الفن ومذاهبه في الشعر العربى ، والفصل الاول من كتاب فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية H.G. Farmer History of Arabic Music وقد نقله الى العربية حسين نصار

المغنين كالدرامي ، وسلامة واسحق الموصلي وغيرهم

والغالب أنهم بدأوا أولاً بالسجع بلا وزن نحو ما وصل إلينا من سجع الكهان ، وربما كان الكهان يفتونه توقيعا على القافية . ومن أمثلة سجعهم قولهم في الانواء (*) : « اذا طلع السرطان استوى الزمان وحضرت الاوطان وتهادت الجيران . اذا طلع النجم يعنى الثريا فالحر في حدم والشعب في حطم . اذا طلع الدبران توقدت الحزان وكرهت النيران ويبست الغدران ورمت بأنفسها حيث شاءت الصبيان . اذا طلعت الهقعة تقوض الناس للقلعة ورجعوا عن النجعة واردفتها الهنعة . اذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء وكنست الظباء وعرقت العلباء وطاب الخباء . اذا طلعت الذراع حسرت الشمس القناع واشتعلت في الأفق الشعاع وترقرق السراب بكل قاع . . » وهى طويلة

هذا هو السجع بقافية بلا وزن . وكان العرب يتساجعون أى يتذاكرون بالسجع . ولعلمهم وضعوا السجع اولا لتقييد علومهم أو ما يريدون حفظه كما فى المثل المتقدم ذكره

أما النظم أى القياس بالمقاطع وهو الوزن ، فأبسطه الرجز وهو أقدم أوزان الشعر . . كل بيت منه ينفرد بقافية خاصة ، وهو كالسجع لكنه موزون . والرجز قديم عندهم ، يزعم العرب أن أول من قاله مضر بن نزار ، اذ سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول « وايداه وايداه » وكان من أحسن خلق الله صوتا فأصغت الأبل اليه وجدت فى السير ، فجعلت العرب مثالا لقوله « هايدا هايدا » يحدون بها الأبل . وقال آخرون أن الاصل فى وضع الشعر الفناء . قالوا « وكان الكلام كله منشورا ، فاحتاجت العرب الى الفناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها وذكر أيامها الصالحة وأوطانها النازحة وفرسانها الامجاد وسمحاتها الاجواد لتنهز نفوسها الى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم ، فتوهموا أعاريض جعلوها موازين للكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لانهم شعروا به أى فطنوا له »

٥ - أصل وزن الشعر

والغالب فى اعتقادنا ان الوزن مأخوذ فى الاصل من توقيع سير الجمال فى الصحراء ، وتقطيعه يوافق وقع خطاها . ويؤيد ذلك أن الرجز أول ما استعمله العرب لسوق الجمال وهو الحداء فى اصطلاحهم ، وكأنه وضع لهذا الغرض لان العربى يقضى أكثر اوقاته فى معاشرة جملة أو ناقتة . . . وعندهم ضربان من الرجز : المشطور ، والمنهوك ، والمشطور هذا وزنه :

(*) تفسير الكلمات الغريبة فى النص : حضرت : سكنت ، حدم : اشتعال ، الدبران منزل للقمر ، الحزان : جمع حزن ضد السهل ، الهنعة : كوكبان يبيان الهقعة فى المجرة المعزاء : الأرض الصلبة ، كنست الظباء : دخلت كناسها ومستترها من الشجر ، العلباء العصابة الممتدة فى العنق ، وعرقت العلباء : خرجت بها قروح

دع المطايا تنسم الجنوباً إن لها لبناً عجيباً
حينها وما اشتكت لثوباً يشهد أن قد فارقت حبيباً
ما حملت إلا فتى كئيباً يسرّ مما أعلنت نصيباً
لو ترك الشوق لنا قلوباً إذا لآثرنا بهنّ النيباً (١)
إن الغريب يسعد الغريباً

وهو يشبه بتوقيعه على مقاطعه مشى الجمال الهوينا . ولو ركبت ناقة ومشت بك الهوينا ، لرأيت مشيتها يشبه وزن هذا الشعر تماماً . فكان العرب يحدونها به إذا أرادوا سيرها ويثدوا . وربما كان شاعرهم عاشقاً فيتذكر حبيبته وهو يسوق ناقته ، فيحدوها بأبيات على وزن الرجز . . . كذلك فعل جميل بثينة وكان في سفر إلى الحج مع مروان بن الحكم . . فطلب إليه مروان أن يسوق الجمال أي يحدوها فقال :

يا بن حيّ أو عدينا أو صلي وهونني الأمر فزوري واعجلي
بشئن أيّاً ما أردت فافعلي إني لآتي ما أبأت مقتلي (٢)
فلم يقبل مروان أن يتغزل بالحدو وإنما يطلب الخلفاء والأمراء إذا ركبوا الأبل أن يحدوها الحادي برجز في مدحهم . خرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب ومعه حاد يحدوه بقوله :

يا أيها البكر (٣) الذي أراك على سَهْل الأرض في ممشاك
ويحك هل تعلم من علاكا إن ابن مروان علا ذراكا
خليفة الله الذي امتطاك لم يعل بكراً مثل ما علاكا
أما إذا أراد الحادي أن تسرع الجمال في السير ، حدا لها بالرجز المنهوك وهذا وزنه :

أعطيته ما سألا حكّمته لو عدلا
قلبي به في شغل لاملّ ذاك الشغلا
قيّده الحب كما قيّد راع جملا (٤)

واعتبر ذلك في بحر الخبب من الشعر ، فانه يوافق في توقيعه خبب الفرس أي ركضه وهذا وزنه (*) :

أبكيت على طلكل طربا فشجاك وأحزنك الطلل

(١) النيب : النوق

(٢) أبا : استحل

(٣) البكر : الفتى من الأبل

(٤) العقد الفريد ١٦١ ج ٣

(*) لم يستخدم بحر الخبب في الجاهلية ، فهو بحر مستحدث ، استحدثه العباسيون ويسمى أيضاً المتدارك

أوزان الشعر

ثم وضعوا الأوزان والبحور حسب الاقتضاء كل منها لحال من الأحوال . . بعضها يوافق الشعر الحماسي والبعض الآخر يوافق الرثاء أو الفزل . . قالبحر الطويل يوافق نظم الشعر الحماسي ويوافق الوافر الفخر ، والرمل الحزن والفرح ويلأثم السريع العواطف (*) وقس على ذلك (١)

فالرجز أقدم أبحر الشعر ، وكان الشاعر يقول منه البيتين والثلاثة ونحو ذلك إذا حارب أو فاجر . ثم صاروا يطيلون النظم فيه . ويقال أن أول من أطاله الأغلب العجلي على عهد النبي ثم رؤبة بن العجاج ، وتفننوا في بحر الرجز فتعددت أوزانه ، واخترعوا أبحرا غيرها وصاروا ينظمون الأراجيز الطوال ويريدون بها مازادت أبياتها على عشرة (***)

أما غير الرجز من أبحر الشعر ، فكانوا أولا ينظمون منه المقاطيع القصيرة عند الحاجة . . حتى إذا تحركت نفوس العرب بالحروب بعد استقلالها من اليمن كما سيجيء ، وظهر فيها الأبطال والفرسان ، احتاجوا إلى الشعر فأطالوا فيه ، فظهرت القصائد . وأول من أطالها المهلهل أخو كليب (***) وأول قصيدة قالها في قتل أخيه المذكور . . فهو لم يفعل ذلك إلا بعد أن حركه طلب الثأر . وهو أول شاعر بلغت قصائده ثلاثين بيتا من الشعر واقتدى به سواه ، ثم كان للنظم تاريخ بعد الإسلام

الألحان

ولما وضعوا الأوزان صار للفناء عندهم ألحان معينة (****) فجعلوا لكل غناء أو لحن وزنا مخصوصا فصار عندهم للرثاء وزن وللحماسة آخر . فالنصب غناء الركبان والفتيان ويقال له الجنابي ، اشتقه رجل من كلب يقال له جناب وهو يخرج من أصل الطويل في العروض . والسناد هو الغناء ذو الترجيع الكثير النغمات . والهزج هو الغناء الخفيف الذي

(١) الألياذة العربية ٩٠ (*) هذا الرأي لا يتمشى وحقيقة الموضوعات التي دارت فيها أبحر الشعر العربي قديما وحديثا ، فإن العرب لم يصطلحوا على تخصيص الأبحر بموضوعات معينة ، لكل بحر موضوعه الخاص ، بل جعلوا الموضوعات كلها شركة بين الأوزان يختار الشاعر منها ما يشاء لشعره في أي موضوع ينظم فيه (***) انظر في الرجز وتطوره وأشكاله كلمة رجز في دائرة المعارف الإسلامية والورد Ahlwardt في مقدمته لديوانى المعجاج والزفيان (****) هذه الأولية غير يقينية ، وكل ما يمكن أن يقال هو أن قصائد المهلهل وغيره من قدماء الجاهليين ، تدل كما قال جويدى في كتابه L'Arabie Anté-Islamique ص ١٤ على أنها ثمرة صناعة طويلة ، لم تزل تتكامل حتى أخذت هذا الشكل الذي نجده في العصر الجاهلي . وانظر كتابنا الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، الفصل الأول (*****) لم يصبح للغناء العربي ألحان ذات مصطلحات معينة إلا في الإسلام ، حين اختلط العرب بالأجانب وتأثروا بغنائهم وموسيقاهم . وحقا عرفوا في الجاهلية صورا مختلفة من الغناء ، ولكنها كانت أولية ، ولم تصبح فنا كاملا إلا في العصر الأموي . راجع فأرمر في تاريخ الموسيقى العربية ، وكتابنا الشعر الغنائي في الأمصار الإسلامية ، الجزء الأول في المدينة الفصل الثاني

يرقصون عليه فيطرب ويستخف الحليم (١) وظلوا بعد الاسلام يختصون كل نحن بوزن (٢)

٦ - شاعرية العرب

ما قدمنا كان بداية النظم عند العرب على ما نظن .. وكان ذلك طبعاً في زمن بعيد لا يدرك أوله التاريخ ، ومهما يكن من سبب النظم فان العرب أقوى الامم شاعرية وأقدرهم على النظم في الشعر الغنائي بلا خوف .. يدل ذلك على ذلك عدد شعرائهم وضروب شعرهم في قرن واحد وبعض القرن قبيل الهجرة ، ولذلك أسباب طبيعية أهمها :

اولاً - ان العربى بفطرته ذو نفس حساسة وشعور راق واريحية وانفة، سريع الطرب ، سريع الغضب ، فيه بديهة وارتجال ، ومن كان هذا شأنه لا يلبث حين يجيش صدره بمعنى أن يلفظه لسانه .. ولذلك كان أكثر شعرهم غنائياً او موسيقياً ، يعبرون به عن احساسهم ويصورون به شعورهم وهو يصدر عن أحد أربعة فواعل : الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والقلب ..

ثانياً - ان لغتهم شعرية لما فيها من أساليب الكناية والاستعارة ودقة التعبير ، وكثرة المترادفات مما يسهل وجود القافية .. فالعربى من انطق الأمم ولغته أوسع اللغات ولفظها أدل من سائر الالفاظ وفيها الامثال والحكم .. ولغة شأن كبير في تسهيل النظم حتى على أبناء البلد الواحد والنسب الواحد . فالعرب مع اشتراكهم في الطبائع والحس ودقة الشعور والشاعرية ، يلاحظ ان الذين كانوا منهم يتكلمون غير لسان مضر (المبين) لم ينظموا الشعر - فان هذا اللسان ويقال له لسان معد كان شائعاً في معظم الجزيرة العربية الا اليمن ومهرة وعمان . وقد انتشرت الشاعرية بين المتكلمين بهذا اللسان في الحجاز ونجد وان لم يكونوا عرباً ، حتى اليهود والعبيد من الزنج والنوبة . واعتبر ذلك بعد الاسلام بانتشار اللغة العربية في الاقطار ، فقد نبغ فيها شعراء أصلهم من الروم والفرس والترك والبربر وغيرهم ، وذلك من تأثير اللسان ..

ثالثاً - صفاء جوههم وتفرغهم للتأمل في الطبيعة ، فان أهل الجو الصافي تكون أذهانهم صافية ، وخصوصاً اذا كانوا أهل خيال وتصور مثل العرب .. فيزيدهم الصفاء شاعرية ، ولا سيما اذا كانوا متفرغين للنظر في الوجود ومراقبة أحوال الطبيعة كما كان العرب في بداوتهم ، غير ما بعثهم على قول الشعر من المنافسات والحروب في أيامهم وغيرها كما سنفصله فيما يلي .

نهضة الشعر في الجاهلية

١ - أسباب النهضة

قضى العرب أجيالا لا يعرف مقدارها الا الله وهم يقولون الشعر عند الحاجة مما لم يصل اليها خبره ، وانما وصل اليها بعض ما نظموا في النهضة الاخيرة قبيل الاسلام . والنهضة في الشعر او الادب او العلم تحدث على أثر انقلاب سياسى من فتح أو حرب أو نصر ، أو تغيير اجتماعى على أثر نكبة أو نازلة أو كل ما يثير العواطف . وهى قاعدة تشمل طبائع البشر فى كل زمان ومكان . فالهنود القدماء لم ينظموا أناشيدهم السنسكريتية الا بعد ما لاقوه من الحروب والتنازع فى أثناء نزولهم الهند قبل الميلاد بأجيال . واليونان ما زالوا على الشعر القصصى وشعراؤهم قليلون ، حتى قامت الفتن بينهم وتحاربوا ، ثم حاربوا الفرس وغيرهم فنبغ فيهم الشعراء الغنائيون . وظل الرومان بعد تأسيس دولتهم نحو ٢٤٠ سنة فى جمود أدبى لم يظهر فيهم شاعر ، حتى كانت الحروب مع القرطاجنيين فتفتقت قرائحهم وظهر فيهم الشعر . وقضت أمم أوروبا اجيالا فى القرون الوسطى وقرائحهم خامدة ، فلما خرجوا للحرب الصليبية وقاسوا ما قاسوه فيها ظهرت مواهبهم فى الشعر ونبغ فيهم شكسبير ودانتى وغيرهما . وترى أشعار الامة فى نهضتها صورة من صور أحوالها على أثر ذلك الانقلاب . فان كانت هى الظافرة فيه ، كثر شعرها الحماسى والفخرى ، واذا كانت المغلوبة كان شعرها أكثره فى الرثاء كما فعل اليهود بعد أسرهم فى بابل بمراثى أرمياء وغيره . والشعر يوجب الحب والحرب والموت

٢ - استقلال عرب الحجاز عن اليمن

والعرب شأنهم فى نهضتهم الشعرية قبل الاسلام مثل شئون سائر الامم . ونريد بالعرب هنا بدو الحجاز ونجد وما جاورهما ، فكانوا قبل هذه النهضة ينظمون على قلة ولا نظنهم كانوا يجيدون النظم ، وهم تحت سيطرة الحميريين ملوك اليمن يخدمونهم فى نقل تجارتهم . وكانت دولة اليمن تستأجرهم فى حروبها كما يفعل أهل المدن اليوم بأهل البادية . وكانوا يؤدون لها الاتاوة « الخراج » وقد رسخ فى اعتقادهم عظمة تلك الدولة لما فيها من أسباب الحضارة ، فأصبحوا بتوالى الاجيال يعدون الاذعان لها فرضا . فلما رأوا ما أصابها فى حروبها مع الحبشة فى أواسط القرن الرابع

للميلاد ، اذ فتحها الاحباش بمساعدة قيصر الروم سنة ٣٤٥ م (١) تبين لهم عجزها عن حفظ سيادتها وذهبت هيبتها من قلوبهم ٠٠ فأخذوا يفكرون في الخروج من سيطرتها والامساك عن دفع الاتاوة وأحسوا بالحاجة الى الاتحاد (**)

وأول من كسر هذا القيد من قبائل العرب قبيلة ربيعة ، على يد فارسها كليب الشجاع المشهور ، وكان معاصرا لزهير بن جناب الذي ولاء صاحب اليمن على بكر وتغلب اكبر قبائل ربيعة ٠ وكان زهير يتقاضى الاتاوة أو الخراج منهم في مقابل النجعة والكلاء والمرعى ، وكان يخرج في حاشيته لجمع الاتاوة فأصابهم في أثناء أمارته ضيق وأمحلت أرضهم فتأخروا عن الدفع ، فجاءهم زهير والح في مطالبتهم فشكوا عجزهم وابانوا عذرهم فلم يصغ لشكواهم ، ومنعهم النجعة والمرعى او يؤدوا ما عليهم ، فصبروا حتى كادت مواشيهم تهلك ٠ وكانت هيبة الدولة قد ذهبت من نفوسهم ، فلما اصابهم ذلك الظلم شقوا عصا الطاعة وتقموا على زهير ورجاله فدمسوا رجلا منهم اسمه زيابة من بنى تيم الله وكان فاتكا ، وأوعزوا اليه أن يقتل زهيرا غدرا ولم يقدموا على مناوآته جهارا لثلا يستنجد بجنده ٠٠ فأتاه زيابة وهو غائم وطعنه ورجع الى قومه واخبرهم انه قتله ، والحقيقة ان السيف مر بجانب البطن ولم يصب من زهير مقتلا ٠ وعلم هذا انه سالم ، فلم يتحرك لثلا يجهز عليه ٠ فلما انصرف زيابة أوعز زهير لمن معه ان يظهروا موته ويستأذنوا بكرًا وتغلب في دفنه ، فلما أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وفروا به مجدين الى قومهم ٠٠ وجمع زهير الجموع ، وفي ذلك يقول ابن زيابة :

طعنة ما طعنت في غكس اللي ل زهيرا وقد توالى الخصوم
حين تحمى له المواسم بكـر أين بكر وأين منها الحلوم
خائنى السيف إذ طعنت زهيرا وهو سيف مضلل مشؤوم
وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرًا وتغلب وقاتلهم قتالا
شديدا انهزمت فيه بكر ، وقاتلت تغلب بعدها ، ثم انهزمت وأسر كليب
ومهلل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتل في بنى تغلب ، وأسر جماعة
من وجوههم وفرسانهم ٠٠

فعظم ذلك على قبائل ربيعة وتجمهروا وولوا عليهم ربيعة والد كليب ومهلل وخرجوا على زهير وانقذوا الاسيرين منه ودارت آلايام وعاد زهير الى سطوته فوضع الاتاوة والخراج على بنى معد جميعا

(١) العرب قبل الاسلام ١٢٧ وهذا هو الفتح الاول ثم كان الفتح الثانى سنة ٥٢٤ م
(**) اتخذ المؤلف من غزو الاحباش الاول لليمن والدولة الحميرية سنة ٣٤٥ م مبدءا لانتهاى
سيادة اليمنيين على بدو الحجاز ونجد ٠٠ ويظهر أن هذا الرأى مبالغ فيه ، فقد ظلت
للدولة الحميرية سيادة أو شبه سيادة على نجد والحجاز الى أن كان غزو الاحباش الثانى
وقضاؤهم عليها في سنة ٥٢٤ م فاننا نجد مملكة كندة اليمنية في نجد تفقد سلطانها مع
هذا التاريخ ، ويقتل أمراؤها وعلى رأسهم حجر أبو امرئ القيس الشاعر المشهور ٠
انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ، الجزء الثالث ، الفصل الرابع ، وتاريخ العرب
لقليوب حتى الجزء الاول ص ١١٤ ، اما ما ذكره المؤلف عن زهير بن جناب وثورة ربيعة على اليمن
فهو من باب القصص وليس له قيمة تاريخية

وفي أواخر القرن الخامس توفي ربيعة أمير تغلب ، فخلفه ابنه كليب وفي نفسه على اليمن ضفائن لما قاساه في أسرهم . . فجمع معدا تحت لوائه أي ربيعة وقضاة ومضر وإياد ونزار وحاربوا اليمن في معركة عرفت بيوم خزاز ، فهزموهم واستقلوا عن سبطرتهم . ولم يدفعوا اليهم أتاوة أو خراجا من ذلك الحين . ونظرت معد الى كليب نظرها الى منقذ عظيم ، فولوه الملك عليهم وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته . وكان ذلك آخر عهدهم بسلطان اليمن

٣ - حروبهم فيما بينهم

واستقلال عرب الحجاز ونجد من سيطرة اليمن انقلاب سياسي ، هاج شاعريتهم وأيقظ ما فطروا عليه من عزة النفس وإباء الضيم . . فأخذوا يختلفون فيما بينهم لان سيطرة اليمن كانت قد جمعتهم قيودها . فلما أطلق سراحهم تنازعوا ، فجرت بينهم حروب تعرف بأيام العرب قد فصلناها في كتابنا « العرب قبل الاسلام » وأكثرها حدة واطولها مدة الوقائع بين بكر وتغلب ، وكلاهما من ربيعة وهي حرب البسوس بين مهلهل وجساس ، دام النزاع فيها أربعين سنة مات في أثنائها الشيوخ وشاخ الشبان وشب ولدان ، وفي أثنائها نبغ مهلهل أخو كليب وشهد تلك الحروب . وكان شاعرا مطبوعا فتوسط في المصالحة بين القبيلتين وله شأن في تاريخ الشعر . . ناهيك بالحروب التي جرت بين قبائل مضر ، أشهرها أيام داحس والغبراء وغيرها .

٤ - نهضة قريش (*)

وقد انهض قريشا على الخصوص وأثار شاعريتهم وشجذ قرائحهم حروبهم مع الاحباش في عام الفيل في أواسط القرن الاول قبل الهجرة . . فان الاحباش لما فتحو اليمن حملوا على مكة للاستيلاء على الكعبة . . وكانت سدانتها يومئذ الى عبد المطلب جد الرسول ، فجاء الاحباش بأفيالهم ورجالهم وعدتهم ، واهل مكة لم يتعودوا شيئا من ذلك لما للكعبة من المنزلة الرفيعة في أنفسهم القبائل وغيرهم . فلما رأوا الاحباش قادمين شعروا بما يهددهم من الخطر واحسوا بافتقارهم الى الاتحاد لدفع الاجانب ، فدفعوا الاحباش وقد نبهت اذهانهم واخذت مواهبهم في الظهور . ومما يدل على شدة تأثير ذلك الهجوم في نفوسهم انهم جعلوا يؤرخون به وهو عام الفيل وبعد عام الفيل حدثت حرب الفجار بين قريش وكنانة وقيس ، وكان لها

(*) رجع المؤلف نهضة قريش الى الاحتكاكات الحربية واغفل الناحية الاقتصادية وما صار اليها من مفاتيح القوافل التجارية التي كانت تجوب الحجاز ونجدا الى العراق وحوض بحر الروم محملة بمنتجات اليمن وافريقيا والهند ثم تعود بمنتجات الشمال الى الجنوب ، فان هذه التجارة وسعت من مدارك القوم وامكانياتهم العقلية والحضارية حتى ظن بعض الباحثين ان مكة كانت جمهورية لا تقل شأنًا عن جمهورية البندقية ، راجع لامنس Lamens في كتابه مكة La Mecque ص ١٧٥ واولري O'leary في كتابه جزيرة العرب قبل الاسلام Arabia Before Muhammed ص ١٨٢

تأثير كبير فى نفوس القرشيين فساعدتهم على تلك النهضة
فهذه الحروب والفتن أظهرت مواهب الرجال ، فتولدت طبقة من الحكماء
وأخرى من الاسخياء ، وأخرى من الفرسان والشجعان ، وأيقظت الشعاعرية
الحماسية والفخرية . . فنبت منهم الشعراء على اختلاف القبائل والبطون لمدح
الظافرين أو وصف بسالتهم أو التفاخر بالقبائل . ورافق ذلك تحاك القبائل
وتقاربها أو تباعدها ، وتنبت عاطفة الحب فظهر العشاق من الشعراء .
ولذلك كانت منظومات هذه النهضة اكثرها فى الفخر والحماسة على أثرواقعة
من تلك الوقائع ، أو فى وصف شوق أو حكمة أو موعظة أو مدح ظافر أو
كريم كما ستراه فى مكانه

٥ - أقدم الشعراء

كل ما وصل الينا من منظومات شعراء الجاهلية نظم بعد استقلال
الحجازيين من سيطرة اليمن ، وما وصل الينا من الشعر قبل ذلك قليل وهو
نقى الحجازيين . وأقدم من وصلنا خبرهم من الشعراء أبو دؤاد كان على خيل
النعمان ، ولقيط شاعر جاهلي قديم ، وعلس بن جدن من حمير (*) وخديمة
ابن نهد وزهير بن جناب الكلبي من قضاة وقد ظهرت قضاة قبل سائر
قبائل عدنان ، ويقال ايضا ان حزين بن لوزان والربيع بن زياد وذا الاصبغ
العدوانى من أقدم الشعراء (١) ويقولون ان أول من قال الشعر فى نزار -
وهى تشمل مضر وقضاة - عمرو بن قميئة من ربيعة (٢)

وللعلماء فى اقدم الشعر العربى أقوال لا فائدة من إيرادها ، لان اكثرها
مبنى على الوهم ولا سيما فيما يروونه للاباء الاولين من الشعر . . حتى روى
بعضهم اشعارا نسبها الى آدم ! وأرفق منه حالا من روى للتبابعة . . ويطعن
فى صحتها أن لغة التبابعة حميرية تختلف عن لغتنا كثيرا . وقد يرد على
ذلك بأن الحميرى قد يعرف العربية وينظم فيها ، لكن الغالب أنهم لم يفعلوا

٦ - تنقل الشعر فى الاقاليم

من التواعد الثابتة فى علم الطبيعة ان للاقليم تأثيرا فى اخلاق الناس
وابدانهم ، فيختلفون صحة ونشاطا وبديهة وذكاء باختلاف الاقليم . ويقال
على الاجمال ان أهل البادية أصفى ذهنا من سكان المدن ، وأهل البلاد الباردة
أسرع حركة ونشاطا من أهل البلاد الحارة . وفى البلد الواحد يفضل أهل
الجبال على أهل السهول نشاطا وصفاء ذهن

(*) ذكر المؤلف فيما بعد أن لغة حمير تخالف لغة قريش وعرب الشمال وهذا هو الصحيح
كما مر بنا فى التعليقات ، واذن فهذا الشاعر الحميرى لا يمكن أن يكون قد نظم شعرا فى اللغة
المصرية لأنها ليست لغته . والمؤلف يتابع فى هذه الفكرة ابن قتيبة فى كتابه « الشعر
والشعراء » ، اذ عقد فى مقدمته فصلا عن أوائل الشعراء غير أن الفكرة التى اعتمد عليها
هذا الفصل عند ابن قتيبة ، وعند ابن سلام من قبله فى كتابه طبقات الشعراء غير صحيحة
من الوجهة العلمية لان أوائل الشعراء الذين نظموا الشعر الجاهلى القديم طواهم الزمان
(١) المزهر ٢٣٧ ج ٢ والاغانى ج ١٦ (٢) الاغانى ١٦٣ ج ١٦

شعراء نجد

وعلى هذا القياس فان سكان نجد اقوى بنية واصفى ذهنا من سائر سكان جزيرة العرب ، لانها بلاد جبلية هواؤها نشيط ونسيمها عليل ، وقد تغزل بها العرب فقال قيس بن الملوح :

تَمَتَّعَ من شَمِيمٍ عرارٍ نَجْدٍ فما بعد العشية من عرار
وقال آخر :

سقى الله نَجْدًا والسلامُ على نَجْدٍ . يا حبذا نَجْدٌ على القرب والبعد
وفيها الارض التي حماها كليب وائل ، وافضى ذلك الى قتله ونشوب حرب البسوس . وفيها جبل عكاد (١) الذي لم تثبت العربية الفصيحة بعد تهادى الاجال الا بين اهله . وعندهم ان أفصح العرب اهل السروات ، وهي ثلاثة جبال مطلة على تهامة . . وأهل نجد اقوى شاعرية من غيرهم من بلاد العرب . .

وبناء على اختلاف الامزجة باختلاف الاقاليم ، امتاز اهل كل اقليم من بلاد العرب بباب من أبواب الشعر . . فاشتهر اهل الحجاز بالركة واكثر شعرهم الفزل (٢)، كما اشتهر اهل نجد بالبلاغة (٣) وقد ذهبوا في الشعر كل مذهب . . واذا احصيت شعراء الجاهلية الذين بلغنا خبرهم بالنظر الى المواطن ، رأيت نحو خمسيهم من نجد والخمس الثالث من الحجاز والرابع من اليمن والباقي من العراق وفئة قليلة من البحرين واليمامة وتهامة

٧ - تنقل الشعر في القبائل (*)

ربيعة : اما من حيث القبائل فقد علمت مما تقدم ان ربيعة اول من نهض للاستقلال وهم اول من نبغ في الشعر . . وأهم قبائلهم وبطونهم بكر وتغلب وعبد القيس والنمر بن قاسط ويشكر وعجل وضبيعة وشيبان وذهيل وسدوس . وكانوا يقيمون قديما في اليمن ثم في نجد ، ثم فرحت بكر وتغلب وغيرهما نحو العراق . . فأقاموا في باديتها وفيما بين النهرين ، ونبغ منهم وهم في نجد المهلهل بن ربيعة

ومن شعراء ربيعة المرقش الاكبر وابن اخيه المرقش الاصغر . والاكبر شاعر قديم يقال انه من ربيعة قبل خروجها من اليمن (٤) والمرقش الاصغر

(٣) الاغانى ٧٢ ج ١

(٢) الاغانى ٤٢ ج ٧

(١) جبل قرب زبيد

(*) يتابع المؤلف هنا أيضا نقاد العصر العباسي ومؤرخيه من مثل ابن سلام وابن قتيبة في زعمهم ان الشعر تنقل في القبائل ، فكان أولا في ربيعة ، ثم تحول الى قيس ، ثم انتهى الى تميم . ونصوص الشعر الجاهلي تشهد بأن القبائل الشمالية جميعها كانت تنظم الشعر في اول العصر الجاهلي (فترة الجاهلية الثانية) وكان يدور على كل لسان في ربيعة وقيس وتميم وغيرهم من قبائل العرب الشمالية ، فليس لقبيلة سبق واضح على قبيلة أخرى

(٤) الاغانى ١٦٠ ج ٥

عم طرفة بن العبد ، ومنهم سعد بن مالك وطرفة وعمرو بن قميئة المتقدم انه اقدم من قال الشعر من نزار ، والحارث بن حلزة والمتلمس خال طرفة والاعشى والمسيب بن علس وغيرهم من فحول شعراء الجاهلية . ولما انتقلت ربيعة الى العراق زادت مناظر ذلك الوادي سعة في الخيال

قيس : وتحول الشعر بعد ربيعة الى قيس عيلان وكلاهما من مضر . وقيس قبيلة كبيرة من بطونها عبس وذبيان وغطفان وعدوان وهوازن وسليم وثقيف وعامر بن صعصعة ونمير وجعدة وقشير وعقيل . وتقيم هذه الأنبطون أو القبائل في نجد وأعلى الحجاز وقد نبغ منهم جماعة من فحول الشعراء ، فمنهم النابغتان وزهير بن أبي سلمى وكعب ابنه وليد والحطيئة والشماخ وخداش بن زهير وغيرهم . وعندهم أن أشعر قيس الملقبون من بني عامر والمنسوبون الى أمهاتهم من غطفان (١)

تميم : ثم ظهر الشعر في تميم وهي قبيلة كبيرة من مضر أشهر بطونها وقبائلها مازن ومالك وسعد ودارم ويربوع وكعب ومجاشع وزرارة . وكانت تميم قديما تقيم في تهامة ، ثم نزلت في أواسط القرن الثاني قبل الهجرة نحو العراق واستقرت في باديته وما يليها جنوبا . ومن شعرائها المشاهير أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية لم يتقدمه أحد حتى نشأ النابغة وزهير فأخلاه وكلاهما من قيس

وظهر الشعر بعد ذلك في بطون مدركة من مضر ، وهي هذيل وقريش وأسد وكنانة والدئل وغيرهم

كل هؤلاء من أهل البادية . أما المدن فانها قليلة في جزيرة العرب ، وأهمها مكة والمدينة والطائف وقلما نبغ منها شعراء فحول ، وأشعر أهل المدن في الجاهلية على الاجمال حسان بن ثابت (٢)

٨ - عدد الشعراء بالنظر الى القبائل

واذا اعتبرت عدد شعراء الجاهلية بالنظر الى القبائل ، كانت قيس أكثرها شعراء ، تليها اليمن فربيعة فمضر فقريش فقضاة فاياد . وعدد الشعراء في الجاهلية لا يمكن حصره لاسباب سيأتى بيانها . ولكن الذين وصلتنا أخبارهم وأمثلة من أشعارهم يبلغون نحو ١٢٥ شاعرا ، يقسمون على هذه الصورة بالنظر الى القبائل

اسم القبيلة	عدد الشعراء	اسم القبيلة	عدد الشعراء
قيس	٣٠	قريش	١٠
اليمن (القحطانية)	٢٣	قضاة	٤
ربيعة	٢١	أياد	٢
مضر	١٦	موال غير عرب	١
تميم	١٢		

والزيادة الايضاح نذكر أشهر اليطون التي تدخل تحت كل من هذه القبائل لتسهيل المراجعة على الباحث :
يدخل في قيس .

غطفان - ذبيان - عيس - هوزان - سعد - سليم - ثقيف - عامر -
كلاب - جعدة - نمير - عقيل - قشير
في ربيعة :

النمر بن قاسط - عبد القيس - بكن بن وائل - تغلب - يشكر - جشم
- حنيفة - عجل - شيبان - سدوس - ذهل - ضبيعة
في القحطانية :

طى - الاشعر - جذام - الازد - كندة - لخم - مذحج - خزاعة -
همدان - غسان - الاوس والخزرج
في تميم :

مازن - سعد - دارم - يربوع - مجاشع - بهدلة - مالك
في قضاعة :

جهينة - ضجعم - تنوخ - كلب
في مدركة :

هذيل - اسد - كنانة - قريش - الدئل
في قريش :

هاشم - أمية - مخزوم - تيم - عدى - سهم - أسد - نوفل - زهرة
-- جمع

٩ - كثرة الشعر وتعدد الشعراء

رأيت فيما تقدم استعداد العرب الفطرى واقتدارهم على النظم ،
لأن لغتهم شعرية بألفاظها وأساليبها ومعانيها . فلا عجب اذا تعدد شعراؤها
وكثرت أشعارهم ، وان عسر علينا تقدير ذلك بالضبط لضياح أكثر
ما خلفوه وذهاب أكثر الشعراء لعدم تدوين ذلك في الجاهلية ، واشتغال
العرب عنه بالفتوح في صدر الاسلام . على أننا نكتفى بالاستدلال على كثرة
ذلك بما وصل إلينا من أخبارهم ويؤخذ منها أن عرب الجاهلية نظموا
في نهضتهم الأخيرة قبيل الاسلام ما لم يجتمع عند سواهم في الأمم في عدة
قرون ، وخصوصا في العصر الجاهلى . فاليأذة هوميروس وأوديسته هما
معظم شعر جاهلية اليونان ، ولا يزيد عدد أبياتهما على ٣٠ ألف بيت ، وكذلك
مهابراته الهنود ٢٠ ألف بيت ، وراماياتهم ٤٨ ألف بيت . وأما العرب فيؤخذ
مما بلغنا من أخبارهم عما نظموا في نهضتهم الأخيرة قبل الاسلام أنه بربرو
على أضعاف ذلك ، وهم بعدون منظوماتهم بالقصائد لا بالابيات ، وقد
ذكروا أن أبا تمام صاحب كتاب الحماسة كان يحفظ من أشعار العرب

(الجاهلية) ١٤ ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع (١) وكان حماد الراوية يحفظ ٢٧ ألف قصيدة (٢) على كل حرف من حروف الهجاء ألف قصيدة . وكان الاصمعي يحفظ ١٦ ألف أرجوزة (٣) وكان أبو ضمضم يروى أشعارا لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو (٤) . ومع ما يظن في ذلك من المبالغة ، فإنه يدل على كثرة ما نظمته العرب من المنظومات . وخصوصا اذا اعتبرنا أن ما وصل الى رواة الشعر في الاسلام إنما هو بعض أشعار الجاهلية ، لأن كثيرين من رواة الشعر الجاهلي قتلوا في الفتوح الاسلامية . . فضاع ما كان في محفوظهم من الاشعار ، قال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » (٥)

وزد على ذلك ان العرب نظموا الشعر الكثير وأبدعوا فيه ، وهم يكادون يكونون فوضى لا دولة لهم ولا جامعة ولا دين ولا شيء مما حمل اليونان او الهنود أو غيرهم على النظم ، وانما اندفعوا اليه بفطرتهم . ولولا ذلك لتأخروا في النظم حتى قامت دولتهم ونضجت قرائنهم ، كما حدث للرومانيين فان الشعر لم ينظم بلسانهم الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة قرون . ولم يبلغ الشعر اللاتيني عصره الذهبي الا في أيام أوغسطس وطيباريوس نحو القرن الثامن من تأسيس رومية (القرن الاول للميلاد) ثم أخذ في التقهقر ، ويقال نحو ذلك في دول أوربا الحالية ، فان الشعر لم ينضج عندهم الا بعد نشوء دولهم وتقدمهم في العلم والادب

واذا تدبرت أولئك الجاهليين ، رأيت الشعر داخلا في كل عمل من أعمالهم موافقا لكل حركة من حركاتهم ، حتى يخيل لك أنهم كانوا لا ينطقون الا بالشعر وكان كل واحد منهم شاعرا أو يقول الشعر ولو قليلا ، حتى الملوك والامراء والفرسان والرجال والنساء والوجهاء والحكماء والصعاليك والعبيد واللصوص والمجانين من النصراري واليهود والوثنيين . وقد تسلسلت القريحة الشعرية في كثير من بيوتهم بالتوارث عدة أجيال . . فالنعمان بن بشير الانصاري من العريقين في الشعر خلفا عن سلف ، جده شاعر وأبوه وعمه شاعران وهو شاعر وأولاده شعراء (٦) ، وكذلك كعب بن مالك من شعراء الصحابة كان أبوه شاعرا وعمه قيس شاعرا وأبناء كعب وأحفاده كلهم شعراء (٧) وهكذا الكميت بن معروف وعبد يغوث بن سلامة ، وعندهم من بيوتات الشعر في الجاهلية عدد كبير ، منهم بيت أبي سلمى فقد كان أبو سلمى شاعرا وابنه زهير المشهور شاعر وله خؤولة في الشعر ، خاله بشامة ابن الغدير شاعر ، وكان ابنه كعب بن زهير وبجير شاعرين وجماعة من أبنائهما شعراء . وحسان بن ثابت تسلسل الشعر في أبنائه بضعة أجيال . وقس على ذلك شعراء العرب بعد الاسلام فمن بيوتاتهم بيت جرير ، فكان هو وأبوه وجده شعراء ، وكذلك بنوه وأحفاده . ومنهم بيت رؤبة بن العجاج وبيت أبي حفصة وبيت أبي عيينة (٨) وغيرهم

(١) ابن خلكان ١٢١ ج ١ (٢) النجوم الزاهرة ٤٢٠ ج ١
(٣) ابن خلكان ١٢١ ج ١ وطبقات الادباء ١٥١ (٤) الشعر والشعراء ٤
(٥) المزهري ٢٣٧ ج ٢ (٦) الاغانى ١٢٥ ج ١٤
(٧) الاغانى ٢٧ ج ١٥ (٨) العمدة ٢٣٥ ج ٢

على أن ما بلغنا من أسماء الشعراء هو القليل ، إذ لم ينقل الرواة من أخبار شعراء العشائر إلا الأشهر فضلاً عما ضاع خبره . أما الشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرتهم وقبائلهم فأكثر من أن يحيط بهم الحصر أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو قضى عمره في التنقيب عنهم واستفرغ مجهوده في البحث والسؤال ، وحسبك أنه لم يستطع أحد من رواة الشعر أن يستوفى جمع أشعار قبيلة واحدة (١)

تم أن الشعراء الذين وصلت إلينا أخبارهم على قلتهم ، لم يصلنا من أشعارهم إلا بعضها ، وضاع سائرهما في أثناء الفتوح الإسلامية لاشتغال الناس بالإسلام والحرب عن رواية الشعر وذهاب أكثر الرواة والحفاظ في الجهاد ، فلما عادوا بعد الفتوح إلى الاشتغال بالأدب واخذوا في جمع الشعر لم يجدوا منه إلا القليل ، ويؤيد ذلك أنك تسمع بالشاعر الفحل من شعرائهم وما له من الشهرة ، ثم لا تجد له من المنظوم ما يلائم تلك الشهرة . . فطرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص مع ما لهما من الشهرة الواسعة في الشعر ، لا نجد فيما رواه الرواة من أشعارهما ما يوازي تلك المنزلة (٢)

١٠ - طبقات الشعراء في الجاهلية

ومع ما قدمناه من ضياع أكثر أخبار الشعراء الجاهليين ومعظم أشعارهم ، فإن الذين عرفناهم يزيدون على مائة شاعر ، نبغوا في القرنين الأولين قبل الهجرة أو في الخامس والسادس للميلاد وأكثرهم من أهل القرن السادس . . وبعضهم عاش أعواماً بعد الإسلام وهم المخضرمون . وقد تقدم احصاؤهم الإجمالي بالنظر إلى مواطنهم وقبائلهم ، وبقي أن ننظر فيهم باعتبار طبقاتهم وباعتبار مناحيهم وأغراضهم وأخلاقهم ودرجاتهم

أما تقسيمهم إلى طبقات فمن أصعب الأمور ، وقد حاول ذلك غير واحد من أدباء المسلمين في أبان التمدن الإسلامي وتفاوتوا في تعيين الطبقات . . فاعتبرها بعضهم بالنظر إلى الإجابة فقالوا : الشعراء أربع طبقات . .

(١) شاعر خنذيد وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره

(٢) شاعر مفلق وهو الذي لا رواية له لكنه مجيد كالخنذيد

(٣) شاعر « فقط » وهو فوق الرديء بدرجة

(٤) شعور وهو لا شيء

وقسمهم آخرون إلى شاعر مفلق ، وشاعر مطبق ، وشويعر ، وشعور . وقال بعضهم :

الشعراء فاعلمنَّ أربعة " فشاعر " يَجْرِي ولا يَجْرَى معه

وشاعر " يخوض وَسَط المعمة " وشاعر لا تشتهى أن تسمعه

وشاعر " لا تستحي أن تصفحه

ورويت هذه الابيات هكذا أيضا :

الشعراء فاعلمنَّ أربعهٗ فشاعرٌ لا يرتجى لمنفعه
وشاعر ينشد وسط المعمة وشاعر آخر لا يجرى معه
وشاعر يقال خمرٌ في دعه (١)

وقسمهم آخرون الى طبقات بما اشتهر من قصائدهم المتقاة ،
وانتخبوا سبع طبقات عدد كل منها سبعة شعراء « تقريبا »
وفيهم نفر من شعراء صدر الاسلام ٠٠ أولهم أصحاب المعلقات ،
يليه أصحاب المجهرات ، فالمنتقيات ، فالذهبات ، فالمراثي ، فالمشوبات ،
فالمحمت ، وهذه أسماء الشعراء مرتبة حسب ذلك مع الإشارة الى قبيلة
الشاعر وبلده ، وبعضهم من شعراء العصر الاموي :

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
عروة بن الورد	عبس	نجد
مهلهل بن ربيعة	تغلب	العراق
دريد بن الصمة	جشم	نجد
المتنخل الهذلي	هذيل	الحجاز

٤ - أصحاب المذهبات

حسان بن ثابت	الانصار	يثرب
عبد الله بن رواحة	»	»
مالك بن العجلان	»	»
قيس بن الخطيم	»	»
أحيحة بن الجلاح	»	»
أبو قيس بن الاسلت	»	»
عمرو بن امرئ القيس		

٥ - أصحاب المراثي

أبو ذؤيب الهذلي	هذيل	الحجاز
محمد بن كعب الفنوي	غنى	نجد
أعشى باهلة	باهلة	نجد
علقمة الحميري	حمير	اليمن
أبو زبيد الطائي	طى	نجد
متم بن نويرة	يربوع	»
مالك بن الريب	تميم	العراق

اسم الشاعر	قبيلته	بلده
------------	--------	------

١ - أصحاب المعلقات

امرؤ القيس	كندة	نجد
زهير بن أبى سلمى	مزينة	»
الناطقة الذبياني	ذبيان	الحجاز
الاعشى	بكر	اليمامة
لبيد بن ربيعة	عامر	نجد
عمرو بن كلثوم	نغلب	العراق
طرفة بن العبد	بكر	البحرين
عنتره العبسي	عبس	نجد

٢ - أصحاب المجهرات

عبيد بن الابرص	أسد	نجد
عدى بن زيد	عباد	الحيرة
بشر بن أبى حازم	أسد	نجد
أمية بن أبى الصلت	نقيف	الطائف
خداش بن زهير	عامر	نجد
النمر بن تولب	عكل	»

٣ - أصحاب المنتقيات

المسيب بن علس	بكر	العراق
المرقس الاصغر	ضبيعة	نجد
التملس	بكر	البحرين

اسم الشاعر	قبيلته	بلده	اسم الشاعر	قبيلته	بلده
٦ - أصحاب المشويات			٧ - أصحاب الملحمات		
نابغة حمدة	جعدة	نجد	الفرزدق	تميم	العراق
كعب بن زهير	مزينة	»	جرير	»	»
القطامي	نفل	العراق	الاخلط	نفل	»
الحطيئة	عبس	نجد	عبيد الراعي	هوازن	الحجاز
الشماع بن ضرار	ذبيان	الحجاز	ذو الرمة	عبد مناة	اليامنة
عمرو بن أحمر	باهلة	نجد	الكميت	أسد	نجد
تميم بن مقبل	عامر	»	الطرماح بن حكيم	طى	»

جملة هذه القصائد ٤٩ قصيدة هي نخبة قصائد العرب في الجاهلية والاسلام ، وقد جمعها على هذا الترتيب أبو زيد القرشي في كتاب جمهرة اشعار العرب ، وقد طبع بمصر مشروحا . ولحمد بن سلام كتاب في طبقات الشعراء قد ضاع (١٠) . ويظهر مما نقل عنه في الاغانى والمزهر وغيرهما أنه أوفى كتاب في هذا الموضوع . وقد رأينا فيما نقل عنه ذكر طبقة خامسة وسادسة ولا نعلم عمدته في ذلك التقسيم (١١) .

١١ - تقسيمهم من حيث طبقاتهم

أما تقسيم الشعراء الى طبقات باعتبار الاجادة على الاجمال فأمر غير ميسور ، لان نقدة الشعر لم يتفقوا في هذا الموضوع . على أننا وقفنا على تقسيم لشعراء الجاهلية استخرجناه من كتاب طبقات الشعراء لاسكندر ابكار يوس المطبوع في بيروت ، ولم يذكر على من كان معوله فيه . واليك ذلك في جدول ، وذكرنا بجانب كل شاعر اسم قبيلته وبلده وسنة وفاته على التقريب

(١٠) نشر هذا الكتاب ، وقد طبع أولا في لندن ، ثم طبع في مصر بدار المعارف طبعة علمية حققها محمود محمد شاكر

(١١) سلك ابن سلام فحول الشعراء في العصرين الجاهلي والاسلامي في عشر طبقات . وقد لاحظ في وضع الشعراء بهذه الطبقات كثرة شعر كل منهم ومدى معالجته للفنون المختلفة مع الجودة الفنية . انظر في ذلك كتابنا «النقد» في سلسلة فنون الادب العربي التي تصدرها دار المعارف ص ٤٤

أ - شعراء الطبقة الاولى (١)

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
امرؤ القيس الكندي	كندي	من أهل نجد	٥٢٩ م
أمية بن أبي الصلت	الثقفي	» الطائف	٦٢٢ م
بشر بن أبي حازم	الأسدي	» نجد	٥٣٠ م
الحارث بن حلزة	اليشكري	» العراق	٥٦٠ م
زهير بن أبي سلمى	الزوني	» نجد	٦٠٩ م
النايفه اللبياني	اللبياني	» الحجاز	٦٠٤ م
طرفة بن العبد	البكري	» البحرين	٥٥٢ م
عبيد بن ابرص	الأسدي	» نجد	٥٥٠ م
المهلhel عدى بن ربيعة	التغليبي	» العراق	٥٠٠ م
هدى بن زيد	العبادي	» الحيرة	٥٩٧ م
عمرو بن كلثوم	التغليبي	» الجزيرة	٥٧٠ م
عنثرة بن شداد	العبيسي	» نجد	٦١٥ م
ليبد بن ربيعة	العامري	» »	٤١ هـ
أعشى قيس	السلمي	» اليمامة	٦٢٩ م

ب - شعراء الطبقة الثانية

أحيحة بن الجلاح	الأوسي	من أهل يثرب	٥٦١ م
أوس بن حجر	التميمي	» العراق	٦١٠ م
الاسود بن يعفر	الدادسي	» العراق	٦٠٠ م
البراق بن روحان	التميمي	» العراق	٥٢٥ م
تماضر بنت عمرو الخنساء السلمة	العامري	» نجد	٦٤٦ م
تميم بن مقبل	العامري	» تهامة	٥٣٠ م
تأبط شرا	القهمي	» اليمن	٥١٠ م
الشنفرى	الأزدى	» نجد	أدرك الاسلام
الحطيئة	العبيسي	» البحرين	٥٥٠ م
المثلث	الضبيعي	» نجد	٥٦٩ م
حاتم	الطائي	» العراق	٥٢٠ م
الحارث بن عباد	البكري		

(١) وضع المؤلف أمام كل شاعر سنة الوفاة ، وهي تقريبية ، وخاصة بالقياس الى شعراء العصر الجاهلي . وقد جمع في هذا الترتيب شعراء جاهليين واسلاميين ، وسيلذكر فيما بعد انه عمد الى نظم شعراء صدر الاسلام في شعراء العصر الجاهلي ، وكأنه لاحظ ملاحظه ابن سلام في كتابه « طبقات الشعراء » من أنهم نشأوا في الجاهلية ، وخرج عليهم الاسلام وقد تكونت شاعريتهم ، فهم جاهليون شعرا وان كانوا مسلمين عقيدة

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
حسان بن ثابت	الأنصاري	من يثرب	٥٤ هـ
أبو ذؤاد	الآبادي	» العراق	٥٢٠ م
خداش بن زهير	العامري	» نجد	٥٧٠ م
خفاف بن ندبة	السلمي	» نجد	٥٩٥ م
خويلد بن خالد	الهنذلي	» الحجاز	٢٦ هـ
دريد بن الصمة	الجثمي	» نجد	٨ هـ
الربيع بن زياد	العبسي	» نجد	٥٩٠ م
المرقس الاصغر	الضبيعي	» نجد	٥٠٠ م
المخيل ربعة بن مالك	السعدي	» نجد	أدرك الاسلام
ربعة بن مفرم	الضبي	» نجد	٢٨ هـ
السموئل بن غريض	الأوسي	» الحجاز	٥٦٠ م
سلامة بن جندل	التميمي	» تميم	٥٢٠ م
أبو قيس بن الاسلت	الأوسي	» أهل يثرب
عامر بن حليس	الهنذلي	» الحجاز	٥٠٠ م
عبد الله بن رواحة	الأنصاري	» يثرب	٨ هـ
النايفة الجعدي	الجعدي	» نجد	أدرك الاسلام
عروة الصعاليك	العبسي	» نجد	٥٩٦ م
علقمة بن عبدة	التميمي	» تميم	٥٦١ م
سمرو بن أحمر	الناهلي	» نجد	٤١ هـ
عمرو بن الاهتم	التميمي	» نجد	٥٧ هـ
عمرو بن قميثة	البكري	» العراق	٥٣٨ م
قيس بن الخطيم	الأوسي	» يثرب	٦١٢ م
كعب بن زهير	المزني	» نجد	٢٤ هـ
مستم بن نويرة	اليربوعي	» تميم	أدرك الاسلام
المنخل بن عويمر	الهنذلي	» الحجاز	٦٠٠ م
المنقب العبدي	العبدي	» العراق	٥٢٠ م
المسيب بن علس	البكري	» العراق	٥٨٠ م
الشمخ بن ضار	السعدي	» نجد	١٨ هـ
معن بن أوس	المزني	» تهامة	٢٩ هـ
المنخل بن الحارث	اليشكري	» العراق
النمر بن تولب	العكلي	» نجد	٢٥ هـ

ج - شعراء الطبقة الثالثة

أمية الاسكر	البكري	من نجد	أدرك الاسلام
أياس بن قبيصة	الطائي	» العراق	٦١٠ م

اسم الشاعر	نسبه	بلده	سنة الوفاة
حاجز بن عوف	الأزدى	من الحجاز	٥٩٠ م
الحارث بن ظالم	المزى	» نجد	» ٦٠٠
سليك بن السلكة	السعدى	» تميم	» ٦٠٥
زهير بن جناب	الكلبى	» كلب	» ٥٦٠
زيد الخيل	النبهاني	» نجد	...
المزق العبدى	العبدى	» أهل العراق	٤٨٠ م
الفند الزمانى	الزمانى	» اليمامة	
عامر بن الطفيل	العامرى	» نجد	١١ هـ
العباس بن مرداس	النلمى	» »	١٦ هـ
عبد الله بن العجلان	النهدى	» اليمن	٥٦٦ م
عمرو بن معدى كرب	الزبيلى	» »	٢١ هـ
قيس بن زهير	العيسى	» نجد	...
لقيط بن زرارة	الدارمى	» تميم	٥٨٢ م
مالك بن نويرة	اليربوعى	» »	أدرك الاسلام
المستوغر بن ربيعة	السعدى	» »	٥٧٠ م
يزيد بن ورقاء	اليربوعى	» »	١٧ هـ

خصائص الشعر الجاهلي

١ - تمثيل الطبيعة

فطر عرب الجاهلية على البساطة والبعد عن التصنع أو التعمل في كل شيء ، شأن أهل البادية ، لبعدهم عن شوائب المدنية . . فهم على الفطرة الطبيعية ، وعنوانها الصدق بكل معانيه ، ويدخل فيه استقلال الفكر والشجاعة الأدبية والصراحة في القول والعمل . فلا يتكلفون في لباسهم ولا طعامهم ولا شرابهم ولا يتصنعون في كلامهم ، وإنما يقولون ما يخطر لهم ويصورونه كما يتمثل لمخيلتهم بلا تنميق أو تأنيق . يدل ذلك على ذلك ما ظهر من حريرتهم في أقوالهم في صدر الاسلام يوم كان أحدهم يخاطب الخليفة كما يخاطب سائر الناس ، وإذا رأى فيه عوجا انتقده في وجهه والخليفة لا يرى غرابة في انتقاده

أضف الى ذلك تعودهم الاستقلال في شؤونهم الشخصية ، ونفورهم من التقيد بشيء حتى المكان ، فانهم لا يتوطنون صقعا بل يجعلون منازلهم على ظهور ابلهم لا يحملون ضيما ولا يصبرون على ظلم . فتمكنوا الحرية من طباعهم حتى ظهرت في أقوالهم وأفكارهم وفي أشعارهم . فاذا طرأ لهم خيال شعري صوروه كما يتخيل لهم ، خلافا لما تقتضيه الحضارة من التكلف وغيره من ثمار الذل والانكسار مما تراه في أقوال الشعراء ، بعد أن استبحر عمران الدولة وكثر المتملقون والمتكسبون بالنجعة والزلفى . أما الجاهليون فالقاعدة في النظم عندهم بيت شاعرهم وحكيمهم زهير بن أبي سلمى وهو :

وإن أشعر بيتٍ أنت قائله بيتٌ يقال إذا أنشدته صدقا (١)

وصف الحب

والبدوى إذا تيممه الحب وأراد التعبير عن شوقه وهيامه يصف ما يشعر به تماما ، فاذا سمعه متيم شعر مثل شعوره . . فهو لا يبالي بضعفه من الوجد حتى يزعم أنه صار خيالا أو طيفا كقول المتنبي : « لولا مخاطبتي إياك لم ترني » أو قول ابن الفارض : « ما له مما براه الشوق في » . ولا يبالي في بكائه وزفيره حتى يزعم أنه غرق في بحر دمه أو احترق بنار زفيره ، ولكنه يقول قول مجنون بنى عامر - وهو معدود من شعراء صدر الاسلام.

لكنه بدوى فى طباعه . وان لم يصح أن المجنون اسم على مسمى كما سيأتى - فالشعر يعبر عنده عن تصور أهل البادية . ومما ينسب اليه قوله :

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وأيام لا أعدى (١) على الدهر عاديا
فما أشرف الأيتفاع إلا صباية ولا أنشد الأشعار إلا تداويا
وعهدى بليلى وهى ذات موصد (٢) ترد علينا بالعشى المواشيا
فشب بنو ليلى وشب بنو ابنها وأعلاق ليلى فى فؤادى كما هيا
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذه تواشوا بنا حتى أمل مكانيا
خليلى لا والله لا أملك الذى قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا
قضاه لغيرى وابتلانى بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلايا
وخبّرتمانى ان تيماء منزل ليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذى شهور الصيف عنا قد انقضت فما للنوى ترمى بليلى المراميا
فيا رب سؤ الحب بينى وبينها يكون كفاة لا على ولا ليا
فما سُميت عندي لها من سميّة من الناس إلا بل دمعى ردائيا
ولا هبت الريح الجنوب لأرضها من الليل الا بت للريح حائيا
فأشهد عند الله انى أحبها فهذا لها عندي فما عندها ليا
أعد الليالى ليلة بعد ليلة وقد عشت دهرأ لا أعد اللياليا
وأخرج من بين البيوت املنى أحدثت عنك النفس بالليل خاليا
ومثل ذلك قول ابن الدمينه :

فديتك أعدائى كثير وشققتى بعيد وأشياعى إليك قليل
وكنت إذا ما جئت جئت بعلة فأفريت علاقتى فكيف أقول
فما كل يوم لى بأرضك حاجة ولا كل يوم لى إليك وصول
فلا يسمع محب هذه الايات وامثالها الا رأى الشاعر يعبر عن شعور صحيح

فى الرثاء

ويقال نحو ذلك فى سائر أغراضهم من الشعر ، فاذا رثى الجاهلى ميتا لا يوهم القارىء أن السماء أطبقت على الارض ، وأن الشمس كسفت ،

والدنيا لبست الحداد ، ونحو ذلك .. ولكنه يقول قول جليلة زوجة كليب
برتيه ، وقد قتله أخوها جساس :

يا قتيلا قَوَّضَ الدهر به سَقَفَ بيتي جميعاً من علٍ
ورمانى فقداه من كَثَبِ رمية المِصْمِي به المستأصلِ
هدم البيت الذي استحدثته وسعى في هدم بيتي الأولِ
مَسَّنِي فقد كليب بلغني من ورائي ولظى مسنقبلي
ليس من يكي ليومين كمن إنما يكي ليومٍ ينجلني
يشتهى المدرك بالثأر وفي دَرَكي ثأري ثكل المثكلِ
ليتـه كان دماً فاحتلبوا بدلا منه دمي من أكتحلي

في الهجو

واذا أراد أن يهجو ، فهجوه معقول بعيد عن البذاء والفحش . وعندهم
أشد الهجاء أعفه وأصدقاه ، وما خرج من ذلك فهو قذف وافحاش . ومن
أشد الهجاء عندهم قول زهير بن أبي سلمى في آل حصن على سبيل
التشكك والتجاهل :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء
فإن تكن النساء مخبات فحق لكل مُحَصَّنَةٌ هِداء (١)

وذكروا أن النابغة سأل قومه بني ذبيان بعد واقعة حسي عما قالوه
في عامر بن الطفيل فأنشدوه . فقال أفحشتم على الرجل وهو شريف
لا يقال له مثل ذلك ولكني سأقول ، ثم قال :

فإن يك عامر قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب
فكن كأبيك أو كأبي براء تصادفك الحكومة والصواب
فلا يذهب بلبك طائشات من الخيلاء ليس لهن باب
فإنك سوف تحلثم أو تنأهني إذا ما شبت أو شاب الغراب
فإن تكن الفوارس يوم حسي أصابوا من لقائك ما أصابوا
فما إن كان من سبب بعيد ولكن أدركوك وهم غضاب

فلما بلغ عامرا ما قال النابغة شق عليه ، وقال : « ماهجاني أحد حتى
هيجاني النابغة .. جعلني القوم رئيسا وجعلني النابغة سفيها جاهلا
وتهكم بي »

(١) العمدة ١٣٩ ج ٢ والهداء : زفاف العروس

ومن لطيف تجافيههم عن الهجو ، ما قاله صخر بن عمرو أخو الخنساء ،
وقد أراد رثاء أخيه معاوية فقالوا له أهج قتلته ، فتعفف وقال :
وقالوا ألا تهجو فوارسَ هاشم ومالي وإهداء الخنئ من شماليا
فعبّر عن الهجو باهداء الخنئ وهو تعبير جميل
وإذا تحمس الجاهلي أو تفاخر فلا يجعل قومه آلهة وسواهم آبالسة ،
وانما يقول قول قريظ بن أنيف من شعراء بلعنبر :

لو كنت من مازنٍ لم تستبجِ إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان
إذا لقم بنصري معشرٍ خشنٍ عند الحفيظة إن ذو لثة لانا
قومٍ إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشرقي شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيتته سواهم من جميع الناس إسانا
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شدشوا الإغارة فرسانا وركبانا

في الوصف

وكانوا إذا وصفوا حادثة مثلوها بلا مغالاة في المجاز والكناية كما يفعل
المتأخرون ، وهذا وصف أبي ذؤيب لحرر الوحش وصائدها ، كيف ترد
الحرر وكيف يحتال الصياد في صيدها ، قال (❖) :

فورَدْن والعيشوقُ مقعدَ رابيءِ الـ ضرباء خلف النجم لا يتلّع
فشرعنَ في حجرات عذب بارد حصب البطاح تغيب فيه الأكرع
فشربنَ ثم سمعنَ حسنا دونه شرف الحجاب ورئب قرعٍ يقرع

(❖) تفسير الغريب في هذه الأبيات والتساعر يتحدث فيها عن الوقت الذي وردت فيه الحرر
لتشرب .. العيوق : نجم ، والنجم : الشريا ويكون العيوق بازائه ، والضرباء : المقامرون على
الفداح ، والرابيء : المراقب لقماتهم ، لا يتلّع : لا يتقدم ولا يتأخر ، شرعن : شربن ، حجرات :
نواحي ، البطاح : الجوانب وبطن الأودية ، والحصب : المليء بالحصباء ، شرف الحجاب :
مرتفع الحرة ، والحس : الصوت . يقول ان الحرر سمعت ما يربها من صوت قوس أو وتر
الصائد ، امترست : دنت ، والهادبة : المتقدمة ، والجرحع : الغليظ . يقول ان الحرر
نكرت صوت الصائد فلزمت اتان حمارا خوفا ورهبة . النحوص والعائط : الاتان ليس لها
ولد ، ومنصمغ : منضم من الدم ، الاقرب : خواصر الحمار ، عيث الصائد : مد يده الى
كنائنه ليأخذ سهما ، صاعديا : سهما مرهقا ، مطحرا : بعيد الذهاب ، الكشح : ما بين الخاصرة
الى الضلع ، ابدعن حتوفهن : أذاق كلا منها حثها ، الذماء : بقية الروح ، متجعجع : ساقط
يتخرج في دمه

فكره فنفرن فامترست له هوجاء هادية وهاد جر شع
 فرمى فأنفذ من نحوص عائط سهبا فخر وريشه متصمغ
 فبدا له إقرب هاد رائغا عنه فعيث في الكنانة يرجع
 فرمى فالحق صاعديا مطحرا بالكشغ فاشتملت عليه الأضلع
 فأبدنهن حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجعجع
 وإذا وصف أحدهم حيوانا أو مكانا أو امرأة تحدى تصوير الطبيعة كما
 هي ولو اضطر الى ذكر بعض الاعضاء التي يعد ذكرها من قبيل البذاء .
 يفعل ذلك لا تهتكها وإنما يصف الطبيعة كما هي على عادته في سائر الأمور .
 وأحسن الامثلة في وصف المرأة على النحو الذي تقدم قصيدة النابغة في
 المتجردة التي مطلعها :

أمن آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زادٍ وغير مزود
 وقصيدته اليتيمة في دعد ، ومطلعها :

هل بالطلول لسائل ردت أم هل لها بتكلم عهد (١)
 وهما مثل قصيدة سليمان الحكيم في وصف ملكة سبأ المعروفة بنشيد
 الانشاد ، وهو مذهب جماعة من شعراء عصرنا وكتابه في أوربا يمثلون
 الطبيعة كما هي ، ويعرفون بأصحاب الحقيقة Realistes ومنهم زولا
 وتولستوى

على أن الجاهليين لا تخلو أشعارهم من التشبيه والمجاز أو الكناية ،
 ولكنهم يفعلون ذلك بلباقة كقول عنتره يصف ذباب الروض :

وخلا الذباب بها فلبس يارح غرداً كفعل الشارب المترثم
 هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم (*)

٢ - البلاغة في التركيب

ان لغة الجاهلية على الاجمال لا تزال مثال البلاغة حتى الان لبعدها عن
 مفاسد العجمة ، وهي معروفة بخلوها من الحشو وليس فيها من زخارف
 المدينة كالبديع والجناس ولا المجاز أو الكناية الا بقدر الملح من الطعام . اما
 ما نجده في بعض اشعار الجاهلية من التعقيد ، فسببه غرابة بعض الالفاظ
 على أفهامنا وبعد بعض التراكيب عن مألوفنا . ولا بد لمن يطالع تلك الاشعار

(١) نشرت هذه القصيدة في السنة ١٤ من الهلال ص ١٧٤ مع سبب نظمها
 (٢) هزجا : مصوتنا ، الأجذم : مقطوع اليدين ، الزناد : حجران يضرب أحدهما بالآخر
 فتخرج منه النار

من تفهم الالفاظ والتعود على أساليبها ، فاذا فعل ذلك هان عليه فهمها . .
فمن يقرأ قول امرئ القيس في قصيدته التى يصف بها الفراق وناقته
وفرسه فيصل الى قوله :

وإنك لم تقطع لبانة طالبٍ بمثل غدوٍّ أو رواحٍ مؤوَّبٍ
بأدماءٍ حُرٍّ جُوجٍ كأن قُتودها على أبلقِ الكشْحين ليس بمُغربٍ

يجد غرابة في تركيب الالفاظ ولا يفهم المراد ، لكنه متى علم أن الأدماء
النساقة اشرب سوادها بياضا ، والخرجوج الطويلة ، والقتود خشب
الرحل ، وأبلق الكشْحين حمار الوحش ، والمغرب الأبيض الوجه والاشفار
وذلك عيب في اصطلاحهم ، أدرك مراد الشاعر من البيت الثانى وقس عليه
سائر التفسير

ان البلاغة فطرية في عرب البادية شعرا ونثرا . . وكان العرب في صدر
الاسلام يتمثلون بأقوال الاعراب المعاصرين لهم لما فيها من البلاغة والايجاز
السهل الممتنع ، وقد نقل ابن عبد ربه طائفة حسنة منها في عدة صفحات.
يباب كلام الاعراب في الجزء الثانى من كتابه « العقد الفريد » فليراجع هناك
وفى سائر كتب الادب . فاذا طالعها رأيت نفوسا كبيرة وعقولا راجحة لما
فيها من الحكمة والموعظة وصدق النظر

على أنك تجد في كلام الاعرابى جفاء واغرابا وخشونة في اللفظ لتعوده.
مخاطبة الابل (١) وليست الخشونة في شعراء الجاهلية على الاجمال . .
وانما هى تكثر في أهل الجبال والبادية الوعرة الذين لم يخالطوا أهل
الحضارة مطلقا ، فيكون ذلك من تأثير البيئة . . فان شعر عدى بن زيد وهو
جاهلى أسلس من شعر الفرزدق وجريير وهما اسلاميان ، للملازمة عدى
الحضارة واستيطانه الريف وبعده عن جلالة البادية وجفاء الاعراب (٢)

على ان الشعر تختلف رفته وخشونته باختلاف الفرض منه ، فشعر
العاشق أرق من شعر الفارس ، وشعر الحضارة الطف من شعر البداوة.

٣ - مناهيهم وأساليبهم

لا يتقيد الجاهلى في نظمه بمقدمة أو تمهيد كما يفعل غيره من شعراء
المدنية بعد الاسلام من استهلل القصائد بالنسيب والفزل ونحوهما ، لكنه
يصدر القصائد الطويلة غالبا بذكر المنازل والاطلال ويبكى على الطلول . .
وذلك طبيعى عندهم لانهم أهل رحلة لا يقيمون في المكان حينما حتى ينزحوا
عنه اما فرارا من عدو أو التماسا للمرعى أو الماء أو نحو ذلك ، كقول امرئ
القيس : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »
وقوله : « ألا هم صباحا ايها الطلل البالى »

أما المولدون أو المحدثون فإنهم يصدرن قصائد المدح وغيرها بذكر الحبيب والشوق والوجد والوصل ، وليس هناك حبيب ولا وجد كما سنبين ذلك ..

والجاهلي اذا عمد الى النظم في الفخر بدأ به أو ذكر المنازل وتخلص له . ويندر فيهم من يفعل غير ذلك كقصيدة عنتره الفخرية التي يبدأ فيها بذكر الصبا واللهو والغزل والاعين النجل في بيتين ، ثم يتخلص الى الفخر كقوله :

من لى برَدِّ الصَّبَا واللهو والغزل هيهات ما فات من أيامك الأول
طوى الجديدان ما قد كنت أنشره وأنكرتنى ذواتُ الأعين الشَّجَلِ
وما ثنى الدهرُ عزمي عن مهاجمة وخوض معمةٍ في السهل والجبل
ولكن هذه القصيدة يغلب انها موضوعة بعد الاسلام

وقد يستهل الجاهلي شعره بمخاطبة خليله في بيت أو شطر ، ثم يستطرد الى الموضوع الذي يريده .. أو يبدأ بطلب الاخبار بدون ان يذكر الخليل ، كقول امرئ القيس قبيل وفاته في سفح جبل عسيب :

ألا أبلغ بنى حجر ابن عمرو وأبلغ ذلك الحرَّ الحديد
بأنى قد هلكت بأرض قوم سحيقاً من دياركم بعيداً (١)
وقوله بمكان آخر :

ألم يخبرك أن الدهر غول ختور العهد يلتهم الرجالا (٢)
وقد يتكلم بالمشنى كأنه يخاطب اثنين كقول عبد يغوث :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلمنا أن الملامة نفعها قليل وما لومي أخى من شماليا
ومن مذاهبهم طرد الخيال وهو مذهب كثيرين منهم ، ولكن طرفة بن العبد أول من طرقه فقال :

فقل لخيال الحنظليَّة ينقلب اليها فإنني واصل "حبَل من وصل" (٣)
وفي مقدمة ابن خلدون أمثلة كثيرة من ابتداءات الجاهلية في النظم ، من أراد التوسع في الامثلة فليراجعها هناك (صفحة ٥٠١)

ولكن الغالب في نظمهم ان يبدأوا بالفرض المراد رأسا ، فان كان فخرا فبالفخر ، حماسا فبالحماسة ، أو غزلا فبالغزل ، أو رثاء فبالرثاء .

(٢) شعراء النصرانية ١ ات والختور : الخائن.

(١) شعراء النصرانية ٣٤

(٣) العمدة ١٠١ ج ٢

ومن مراثى المهلهل لأخيه كليب قصيدة مطلعها :

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها ان أنت خلّيتها فيمن يخلّيها (١)
ومرثية أخرى مطلعها :

إن تحت الأحجار حزماً وعزماً وقتيلاً من الأراقم كهلاً (٢)
قتلته ذهلٌ فليست براضٍ أو نُبيدَ الحين قيساً وذهلاً
وقس عليه غيره من الأغراض . . على أن بعضهم يستهل بالحكم ليتخلص
للمدح أو الرثاء ، وبعضهم يتغزل أو يشبب وهم قليلون ، ولهم أسماء
أناث يتغزلون بها يسمونها عرائس الشعر كقطام وهند ودعد وغيرهن

٤ - أبواب الشعر عندهم

ان أبواب الشعر اليوم تعد بالعشرات ، ولم يكن منها في الجاهلية إلا
الفخر والحماسة والتشبيب والمديح والهجاء . . وتفرع من المديح الرثاء
وهو مدح الميت . والاصل في المديح والهجاء الدفاع عن القبيلة والطعن في
أعدائها . . ذلك كان غرض الجاهليين من المديح والهجاء ، فأكثر مدحهم في
قبائلهم ورؤسائها وفرسانها ليس على سبيل الاستجداء إلا قليلاً ، وكانت
قصائدهم في ذلك قصيرة . وقلموا رثوا غير اخوتهم واخواتهم أو ابنائهم أو
بعض أهلهم مدفوعين بالشعور الطبيعي ، ولذلك كان لرثائهم وقع في النفس
كقول تلك الاعرابية في رثاء ابنها :

من شاء بعدك فليمت	فعليك كنت أحاذرُ
كنت السواد لناظري	فعمى عليك الناظر
ليت المنازل والديا	ر حفاثرٌ ومقابر
إنى وغيرى لا محا	لة حيث صرت لصائر

اما المدح فأمدح الجاهليين زهير والأعشى ، فمن امثلة مدح زهير بالكرم
قوله :

أخى ثقة لا تهلك الخمر ما له ولكنه قد يهلك المال نائله
تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله
فمَن مثْلُ حصنٍ (٣) للحروب ومثله لإنكار ضيمٍ أو لخصمٍ يجادله
وقد يبالغون ولكنهم لا يخرجون عن المعقول كقول زهير في هرم بن سنان:

(١) شعراء النصرانية ١٦٦ (٢) الاراقم : حى من تغلب
(٣) حصن : من سادة بنى فزارة

لو كان يقعد فوق النجم من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا قوم سنان أبوهم حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا إنس إذا أمنوا حين إذ فزعوا مرزءون بهاليل إذا جهدوا محسدون على ما كان من نعم لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا وقس على ذلك سائر الأغراض ..

على أن في منظوماتهم كثيرا من الشعر الوصفى ، وأكثره في وصف حيواناتهم ومنزلهم وأدواتهم ، وفي وصف أخلاقهم ومناقبهم ومثالبهم ومفاخرهم ووقائعهم . وفيهم طبقة من الوصافين اشتهروا بوصف الخيل خاصة ، وآخرون بوصف الناقة أو حمار الوحش أو القطا أو غيرها ، وسنعود الى تفصيل ذلك في مكانه

٥ - التمثل بحيواناتهم وعاداتهم

قد صور عرب الجاهلية عاداتهم وحيواناتهم وأدواتهم في أشعارهم ، كما صورها المصريون والاشوريون واليونان والرومان على قصورهم ومعابدهم . وكما استخرج علماء الآثار عادات تلك الأمم وأخلاقها من آثارها المنقوشة أو المحفورة ، فالباحث في شعر الجاهلية يستخرج منه عادات العرب وأدابهم وأخلاقهم وطبائعهم وسائر أحوالهم . ولذلك قال ابن خلدون : « ان الشعر ديوان علوم العرب وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصل يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم » ونزيد على ذلك « انه مستودع عاداتهم وأخلاقهم وأدواتهم وصنائعهم » وقد درس هذا الموضوع جرجي يني الطرابلسي صاحب المباحث ، ونشر فيه مقالة ضافية في « المقتطف » سنة ١٣ و ١٥ بعنوان : « العرب قبل التاريخ » ودرسه أيضا محمد المويلحي وله مقالة في « رموز العرب وتخييلاتهم » نشرت في « المقتطف » سنة ١٩ استخرج فيها عاداتهم ومعتقداتهم من أشعارهم ..

والعرب يتغزلون بحيواناتهم ويتمثلون بها ، وخصوصا الناقة والفرس والقطا والحمام ، ويغلب فيهم ان يذكروا الحمام في الفزل ، والناقة في السفر ، والخيل في الحرب

٦ - المفاخرة والمعاظمة والمقارعة

كان العرب في جاهليتهم اهل ابااء واستقلال وفخر ، فقامت المفاخرة بين قبائلهم وأحيائهم ، وأصبحوا يتنافسون في كل شيء حتى في المصائب وهي المعازمة . أشهرها معازمة الخنساء وهند بنت عتبة ، فكانت الخنساء تأتي الموسم وتبكي أباهما وأخويها وقد سومت هودجها براية وتقول : « أنا أعظم العرب مصيبة » فأصيببت هند بنت عتبة المذكورة في واقعة بدر ، فقتل أبوها وعمها وأخوها فلما باغها ما قالت له الخنساء قالت : « أنا أعظم

العرب مصيبة » وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ وقالت : « اقرنوا جملي بنجل الخنساء » ففعلوا ، فلما تقاربنا تعارفنا وتعاضمتا نظما ونثرا (١)

فاذا كان هذا شأن التنافس بين عامة الناس ، فأحرى به أن يكون بين الشعراء . ومن أنواعه المقارعة على الاحساب كالتي جرت بين عامر ولبيد والاعشى من جهة ، وعلقمة والحطيئة وفتيان من بنى الاحوص من جهة أخرى . . وأخذوا يتناشدون في المقارعة في حديث طويل (٢)

ومن هذا القبيل المنازعة بين قبيلتين أيهما أشعر ، كما جرى بين عمر بن أبي ربيعة والفضل بن العباس اللهي في المسجد الحرام . . فأخذ كل منهما يورد أشعارا لابناء قبيلته ، ويبرهن على أنها أحسن مما قاله الشعراء من القبيلة الأخرى (٣)

ولما جاء الاسلام ذهب عصبية القبائل وصارت المفاخرة بين المهاجرين والانصار (٤) ، وعندهم أيضا المراجعة (٥) وهى المقارعة بالرجز ومنها المناشدة بالاشعار

٧ - الأنفة والعفة

كان العربى فى الجاهلية صاحب أنفة وشرف يأبى الضيم ويفار على العرض ، اذا قال فعل واذا وعد وفى واذا اضطر الى رهن فى أمر عظيم رهن قوسه . . ولا قيمة للقوس بنفسها ، ولكنها عندهم شرف الرجل فهو قائم بما رهنها له مهما كلفه (٦)

ولم يكن أشد منهم غيرة على العرض ، وفى أخبارهم ما لا يحصى من الدفاع عن المرأة وعرضها ، وكثيرا ما نشبت الحرب فى هذا السبيل . وقد كان سبب الحرب التى قتل فيها زهير بن جذيمة العبسى ، ان ابنه شأسا اغتسل بجانب أبيات لبنى غنى بماء لبنى عامر فناداه رجل غنى أن يستتر فلم يحفل به فرماه بسهم فقتله ، وجر ذلك الى حرب قتل فيها زهير المذكور وغيره

وكانوا يفتخرون بالعفة خلافا لما صارت اليه طبائعهم حين امتزجوا بالموالى من الامم الأجنبية . وتمثيلا للفرق بين الحالين ، قابل ما قاله عنتر بما قاله أبو نواس الفارسى . . قال عنتر :

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى حتى يوارى جارتى مأواها
وقال أبو نواس :

(٢) الاغانى ٥٥ ج ١٥
(٤) الاغانى ١١٣ ج ١٥
(٦) العقد الفريد ٥٢ ج ٣

(١) الاغانى ٣٥ ج ٤
(٣) الاغانى ٨ ج ١٥
(٥) الاغانى ١٠٠ ج ٧

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل
والباعثى والناس قد رقدوا حتى أتيت حليلة البعل

ولذلك قل التهتك في تغزلهم . وبعض القبائل تعد الغزل رذيلة ، (١)
وتجد ذلك ظاهرا في أشعارهم . . فالجاهل متعفف بالفاظه وأخلاقه بعيد
عن الفحش في القول أو السباب إلا ما يرى به تمثيل الطبيعة كما تقدم

٨ - لا يستجدون

الجاهلي لا ينظم التماسا للعطاء وإنما ينظم لداع يحركه ، أما دفاعا عن
مرض ، أو تحمسا لحرب ، أو تشكيا من الفراق ، أو بكاء على فقيد ، أو
بحو ذلك . وقد يمدح ولكن مدحه يكون على الغالب شكرا على صنيع
لاستدرارا لجائزة ، كما صار إليه الشعراء في الاسلام بالتقرب والتزلف .
وكان موضوع مدائح الجاهليين شيوخهم وامراءهم ، كهرم بن سنان ، وعامر
ابن الظرب ، والاقرع بن حابس ، وربيع بن مخاشن وغيرهم

فقد مدح زهير هرم بن سنان ومدح غيره لا للاستجداء . على أن بعضهم
انتجع بشعره ، وأول من فعل ذلك الاعشى . . ونظم بعض الجاهليين في
مدح المناذرة أو الفساسنة أو بعض أمرائهم . وأشهر المداحين في الجاهلية
الاعشى والربيع بن زياد والنايفة الذبياني والمنخل الشكري وابو
زبيد الطائي ومعن بن أوس وزهير بن أبي سلمى والحطيئة . وسنأتي على
أخبارهم في أماكنها

٩ - منزلة الشاعر في الجاهلية

كان للقبيلة عدة شعراء ، تقدم واحدا منهم تسميه شاعر القبيلة . وهي
تهتم بأعداد الشاعر ، كما تهتم بأعداد القائد والخطيب . . فيقال ان قائد
القبيلة الفلانية فلان وقارسها فلان وشاعرها فلان (٢) لان الشعراء حماة
الأعراض وحفظة الآثار ونقلة الأخبار . وربما فضلوا نبوغ الشاعر فيهم على
نبوغ الفارس ، ولذلك كانوا اذا نبغ فيهم شاعر من قبيلة . . أتت القبائل
الأخرى فهنأتها به وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما
يصنعن في الأعراس ، وتتباشر الرجال والولدان لاعتقادهم أنه حماية
لأعراضهم ودفاع عن أحسابهم وتخليد لآثرهم وإشادة لذكورهم (٣) . وفي
الواقع أن ما بقي لنا من أخبار عرب الجاهلية وآدابهم وعلومهم وأخلاقهم ،
إنما هو منقول عن أشعارهم

وكانوا يتخذون الشعراء واسطة في الاسترضاء أو الاستعطاف أو يجعلونهم
وسيلة لاثارة الحروب ، فيكون الشاعر لسان حال القبيلة يعبر عن غرضها

(٢) الاغانى ١٤٦ ج ٤

(١) الاغانى ١١١ ج ٧

(٣) المهر ٢٣٦ ج ٣

وينطق بلسانها شأن الصحف الرسمية اليوم . . فان الصحيفة الرسمية اذا قالت قولا ، علم الناس ان الحكومة تريده . وهذا هو سبب ما كان يظهر من تأثير الشعر في السياسة . ولذلك فالقبيلة مطالبة برعاية شاعرها والقيام بما يحتاج اليه واكرامه وتقديمه

ولم يكونوا يقدمون الشاعر لانه يدافع عنهم فقط ، ولكنهم كانوا يجلون الشعر نفسه لما كان له من الوقع في نفوسهم . . يدل ذلك على ذلك تعليق المعلقات بأستار الكعبة اجلالا لها (١) وسنعود الى ذلك

١٠ - تأثير الشعر في نفوس العرب

قد علمت مما تقدم ان طبيعة العرب شعرية ، لانهم ذوو نفوس حساسة وشعور دقيق تقعدهم الكلمة وتقيمهم ، شأن صاحب الفروسية والنجدة المعبر عنهما عند الافرنج بالشفاليرى . وكان العرب على الاجمال أهل حافظة اذا أعجبهم البيت حفظوه وتناقلوه . . فيشيع على السنتهم كبارا وصغارا ويتحدثون به في انديتهم ومجتمعاتهم . فاذا كان هجوا سقط المقول فيه ، واذا كان مدحا اشتهر اسمه . ولكن الهجو كان غالبا عليهم ، وقد وفق بعض الشعراء الى شيوع أشعارهم لخفتها . وكان الاعشى من أسير الناس شعرا ، وكذلك زهير والنابغة وامروء القيس

فالقبيلة اذا هجاها شاعر فحل ، حط الهجو منها خصوصا اذا كان الهجو مطابقا للواقع ، والا رد شاعرها عنها فتعود الى مقامها . وليس في العرب قبيلة الا هجيت ، فمن القبائل التى لم يؤثر الهجو فيها قبائل تميم وبكر وائل وأسد وأمثالها . ومن القبائل التى اثر فيها الهجاء مع مقامها في الشجاعة احياء من قيس منهم غنى وبأهله ومحارب واحياء من أد بن طابخة منهم تيم وعكل وغيرهما . وهناك قبائل كان حظها من الأشعراء المديح ، كبنى مخزوم من قریش

وكانت القبيلة اذا مدحت فاخرت سائر القبائل لا سيما اذا كان مادحها من غير ابنائها . ونحكى ان شعراء تميم كانوا يذكرون قيسا بالمدح والاعجاب ، فافتخرت قيس على تميم . وما زالت تميم منكسة رؤوسها حتى قام لبید العامرى وهو من قيس ، فذكر تميما في شعره وأطراها وفعل ذلك شاعر آخر من قيس ، فتكلمت عند ذاك تميم وافتخرت (٢)

ومن أمثلة تأثير هجو الشعراء في القبائل شعر حط من قدر الحيطات وهم بطن من تميم ، فقال الشاعر فيهم :

رأيت الحُمُرَ من شَرِّ المطَايا كما الحِطَّات شرُّ بنى تميم
وهل أهلك ظليم البراجم الا قول الشاعر :

ازن أبانا ففحة لدارم كما الظلّيم ففحة (١) البراجم
وقد أهلك بنى العجلان قول الشاعر :

إذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل
قبيلته لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الوراء عن كل منهل (٢)
ويشبه ذلك بيت جرير في بنى ثمر من عامر بن صعصعة في الدولة
الأموية ، فانه جعل كل نمري إذا سئل عن نسبه قال انه عامري ، وهذا هو
البيت :

فغض الطرف إنك من ثمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
وبعكس ذلك ما أصاب بنى أنف الناقة من الرفعة ، فقد كان الرجل
منهم إذا سئل عن نسبه قال من بنى قريع وهو نسب آخر لهم ، حتى قال
الحطيئة فيهم :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
فأصبحوا يفاخرون بقبيلتهم ..

على ان الشعراء لم يكونوا يتعمدون هجاء غير القبائل الظاهرة النابهة ،
فسلمت القبائل الخاملة من هجومهم . وشأنهم في ذلك مثل شأن الصحف
السياسية في البلاد الاجنبية . فان الاحزاب يهملها انحياز احدى الصحف
المهمة الى جانبها ، كما كان يهمل القبيلة او الجماعة في الجاهلية ان ينصرها
شاعر مشهور فتبذل له ما يريد في سبيل نصرتها . ولذلك فان الاعشى لما
وقد على الرسول ومدحه ، فبلغ ابا سفيان ذلك ، جمع رجال قريش وقال
لهم : « والله لئن اتى محمدا واتبعه ليزرمن عليكم نيران العرب بشعره
فأجمعوا له مائة من الابل » ففعلوا فأخذها وانطلق الى بلده (٣)

وكان لشعر الاعشى تأثير كبير في النفوس ، ويحكى من هذا القبيل ان
رجلا من كلاب اسمه المحلق كان له ثلاث بنات لم يزوجهن ، وكان معسرا .
وجاء الاعشى يقصد مكة فسمعت امرأة المحلق به ، فحثت زوجها ان يدعوه
للمضيافة قبل سواه ويدبح له لانه اذا قال شعرا شاع . فدعاه المحلق ونحر
له ناقة ، وبالغت المرأة في اكرامه واکرام رفاقه وكان في عصاة قيسيه . .
فلما جرى الشراب في عروقه سأل المحلق عن عياله فشكا له حال بناته ،
ولما وافى سوق عكاظ أنشد قصيدة مطلعها :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بى من سقم وما بى معشوق

(٢) البيان والتبيين ١٦٩ ج ٢

(١) الفحة : السواة

(٣) الاغانى ٨٦ ج ٨

ثم تخلص الى مدح المخلق واطرائه في السخاء وكرم الاخلاق والناس يسمعون ، فلما فرغ من الانشاد انسل الناس الى المخلق يهنئونه وهرع الاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه يخطبون بناته ، فلم تمس منهم واحدة الا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف (١) ، وكذلك فعل سكبن الدارمي في أنفاق الخمر السود (٢) ، ومن شدة تأثرهم بالشعر ان الشاعر ربما لقب بلفظ ورد في بيت من اشعاره كما لقب المرقش والنابغة والمخرق وافنون وغيرهم (٣) حتى في الغناء ، فان السامع ربما تأثر من معنى الشعر أكثر من نغمه

١١ - أشعر شعراء الجاهلية

ما برح العرب منذ صدر الاسلام مختلفين فيمن هو أشعر شعرائهم، ولهم في ذلك أقوال كثيرة . . على ان تقسيم الشعراء الى طبقات قد يعد حكما اجماليا في ذلك . ويستدل منه أن أصحاب المعلقات هم أشعر الشعراء في حكمهم ، وأشعر هؤلاء ثلاثة : امرؤ القيس ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة . وقد أجمعوا تقريبا على تفضيلهم ، وانما اختلفوا فيمن هو أشعرهم اختلفا كثيرا . . قال أبو عبيدة : « أشعر الناس أهل الوبر خاصة وهم امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، فان قال قائل ان امرؤ القيس ليس من أهل نجد فلعمرى ان هذه الديار التي ذكرها في شعره ديار بني اسد بن خزيمة . وفي الطبقة الثانية الاعشى وليد وطرفة . . وقيل ان الفرزدق قال : « امرؤ القيس أشعر الناس » ، وقال جرير : « النابغة أشعر الناس » ، وقال الاخطل : « الاعشى أشعر الناس » ، وقال ابن احمر : « زهير أشعر الناس » ، وقال ذو الرمة : « لبيد أشعر الناس » ، وقال ابن مقبل : « طرفة أشعر الناس » ، وقال الكمي : « عمرو بن كلثوم أشعر الناس » والقول الراجح ما قال أبو عبيدة : « امرؤ القيس ، ثم زهير ، والنابغة ، والاعشى ، وليد ، وعمرو ، وطرفة »

على اننا نرى في الحكم على شاعر أنه أشعر أهل زمانه على الاطلاق حيفا، اذ قد ينفرد كل شاعر بمزية تفضله على سواه . . فيجيد شاعر في انحماسة ، وآخر في المديح ، أو الفزل ، أو غير ذلك من أغراض الشعر . وعلى ذلك قالوا : « أشعر الشعراء أربعة : زهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والاعشى اذا طرب ، وعنترة اذا غضب »

والذي عليه الاكثرون في وصف أصحاب المعلقات ، أن امرؤ القيس صاحب النصيب الاوفر في الشعر . . لان الشعر في تعبيرهم كان جملا فنحرا ، فأخذ امرؤ القيس رأسه . وان زهيرا يمتاز بأنه لا يعاقل بين كلامين ولا يتبع وحشى الكلام ولا يمدح احدا بغير ما فيه ، ولشعره ديباجة ان شئت قلت شهد ان مسسته ذاب ، (٤) وأن النابغة أوضح الشعراء معنى وأبعدهم

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٩ ج ٣
(٤) جمهرة أشعار العرب ٢٥

(١) العمدة ٢٥ ج ١
(٣) لطائف المعارف ١٧

غاية وأكثرهم فائدة . وان الاعشى امدحهم للملوك واوصفهم للخمر واقدروهم شعرا واحسنهم قريضا . وان لبيدا اقلهم لغوا وعمرو بن كلثوم اعزهم نفسا وأكثرهم امتناعا واجودهم واحدة . وطرفة اشعرهم اذ بلغ مع حداثة سنه ما بلغ القوم في طول اعمارهم

١٢ - رواية الشعر

من عادة العرب في رواية الشعر ، أنهم كانوا في أيام الجاهلية اذا نبغ الشاعر صاحبه رجل يروى له أشعاره . ويفلب في الراوية أن يكون مرشحا للشاعرية ، كأنه تلميذ يتدرب على يد استاذ يأخذ عنه . وكان اعتمادهم في الجاهلية على الحفظ ، لانهم لم يكونوا يكتبون . . فكان كثير عزة راوية جميل بثينة ، وجميل راوية هدية بن خشرم ، وهدية راوية الحطيئة ، والحطيئة راوية زهير وابنه (١) . وكان الراوية في الجاهلية وأوائل الاسلام يروى للشاعر الواحد ويصاحبه وينشد له ، ويعجب به اعجاب التلميذ بأستاذه ، ويناضل عنه ويفضله على سواه

وليست هذه العادة خاصة بالعرب ، فان اليونان القدماء كان عندهم أناس يروون الشعر وغيره ويسمون واحدهم Rhapsodist ، أشهرهم في القديم رواة الالياذة . . على أن بعض الادباء أهل الذكاء من العرب ، كان يروى الشعر بدون التخصص بشاعر دون آخر . . وانما كان يفعل ذلك رغبة في الادب والعلم . افقد كان في القديم أربعة من قريش كانوا رواة الناس للشعار وعلماءهم بالانساب والاخبار ، وهم : مخزومة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأبو الجهم بن حذيفة بن غانم بن عامر ابن عبد الله بن عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل بن أبى طالب . وكان عقيل أكثرهم ذكرا لمثالب الناس . . فعادوه لذلك وقالوا فيه وحمقوه حتى ألف بعض الاعداء فيه الاحاديث

١٣ - شعراء الجاهلية من حيث أغراضهم

تقدم ما للشعر الجاهلى من الخصائص التى يمتاز بها على الاجمال ، ولكن هذه الخصائص تختلف باختلاف أغراض الشعراء . . وينقسم الشعراء من هذا الوجه الى مجاميع ، لكل منها غرض أو أسلوب أو منحى خاص . وسنتوخى في تقسيمهم غير ما نراه في كتب القدماء ، فنقسم الشعراء بالنظر الى أغراضهم فى النظم

وقد علمت أن الشعراء الجاهليين الذين بلغتنا أخبارهم نحو مائة شاعر وبعض المائة من القبائل على اختلاف أصولها . . وكلهم عرب الا واحدا كان عبدا لبنى الحسحاس وهو أعجمى . فلا عجب اذا خلص الشعر الجاهلى من العجمة لفظا وتركيبا ، خلافا لما آلت اليه حال الشعراء بعد الاسلام اذ

نبغ فيهم طبقة من الموالي غير العرب ، كما سيجىء . فالشعراء الجاهليون كلهم عرب ، وأكثرهم من عدنان كما تقدم . . ومعظمهم أهل بادية ورحلة متشابهون في أخلاقهم وأغراضهم ، وأهمها في القرنين الأخيرين قبل الإسلام : الحرب فيما بينهم ، يوم كان البدوى يبيت وسيفه أو رمحه ضجيجه ، كأنه يتحفز للنهوض في الصباح للغزو التماسا للرزق أو الفخر أو للثأر . فيبقى أيامه في الحرب أو يتأهب للحرب ، والشاعر لسان حال قبيلته أو مرآة أخلاقها وآدابها . فلذلك كان أكثر شعراء الجاهلية من أهل الحرب الفرسان الشجعان ، وقد اشتهر جماعة منهم في وقائع مشهورة نظموا فيها قصائد الحماسة والفخر . وإذا اعتبرنا عدد شعراء الجاهلية مائة ، كان نصفهم من الفرسان وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم في الحماسة والفخر . . وبينهم طائفة من الملوك والأمراء ، أى كانت لهم الرياسة في قبائلهم وهى أكبر المناصب السياسية في ذلك العصر . ومنهم طائفة من الحكماء وأهل التعقل والعلم والحكمة . وطائفة أخرى من العشاق المتيمين الذين هاج العشاق شاعريتهم . وآخرون يدخلون في صف الفرسان ، لكنهم يختصون بصفة مشتركة هى العدو والغزو ، ويسمونهم الصعاليك . ومنهم طائفة تجمعها طبيعة الهجو ففيهم ميل الى المهاجة . وآخرون اختصوا بوصف الخيل وغيرهم بالغناء . ومن الشعراء من يجمعهم المذهب ، وأخيرا النساء الشواعر ، وهناك طائفة لا تدخل في احدى هذه الطبقات

فهذا تقسيم الشعر من حيث أغراض الناظمين وطبائعهم ومراتبهم ، لكن علماء الشعر تعودوا تقديم أصحاب المعلقات على سواهم وهم مختلفون غرضا ووجهة متشابهة من قوة وشاعرية ، فنجعلهم في باب على حدة . وعليه فتكون طبقات الشعراء الجاهليين من حيث أغراضهم ومراتبهم ١٣ طبقة ، وهذه هى مع عدد الشعراء من كل طبقة :

عدد الشعراء	عدد الشعراء
٤ النساء الشواعر	١٠ أصحاب المعلقات
٤ الهجاءون	١٤ الشعراء الامراء
٤ الوصافون للخيل	٢٨ الشعراء الفرسان
١ الموالي	٤ الشعراء الحكماء
٣٦ سائر الشعراء	٨ العشاق
	٧ الصعاليك
	١ المغنسون
١٢١ المجموع	

هؤلاء شعراء الجاهلية وعددهم ١٢١ شاعرا ، وليس هم كل من قال شعرا في الجاهلية ، اذ لم يوجد بينهم ذكى لم يقل الشعر لانه كان سجية في العرب كما تقدم . وانما وصلنا من أخبار أولئك نخبتهم وأشعرهم ، ولم نذكر كل من وصلنا أخبارهم وانما اخترنا أكثرهم شعرا وأقواهم شاعرية . والا ففى ديوان الحماسة وجمهرة أشعار العرب والمفضليات وأشعار الهذليين

والاغاني وسائر كتب الادب واللغة أسماء مئات من الشعراء لم يصلنا من أقوالهم الا بيت أو بضعة أبيات

ومن الذين اخترنا ذكرهم نفر أدرك الاسلام وعاش في أيام الراشدين ، وقد عددناه جاهليا لانه نشأ على طبائع الجاهلية وأما المؤرخون فيسمونهم مخضرمين

لكل طبقة مزية

ولكل طائفة من هؤلاء الشعراء صبغة في أشعارهم حسب غرضها .. فالشعراء الامراء أو الملوك تمتاز أشعارهم بأنفة الملك وعزه ، فيفتخرون بالسيادة أكثر من السيف والرمح والقبيلة .. فمن أقوال أحدهم وهو الافوه الاودي :

معاشر ما بنوا مجداً لقومهم وإن بنى غيرهم ما أفسدوا عادوا
ويعد هذا البيت من حكمة العرب . وإذا مدحوا لا نجد في مدحهم تزلفاً أو استجداء ، وإنما يكون للشكر على خدمة سلفت كقول امرئ القيس بمدح بنى ثعل :

فأبلغ معداً والعباد وطيباً وكندة أنى شاكر لبنى ثعل
وترى في تشابيههم عند الوصف ذكر آنية الترف الذى يالفها الملوك والامراء ، فامرؤ القيس لما أراد وصف عين فريسه شبهها بالمرآة وهى من آنية الترف عندهم ، قال :

وعين كمرآة الصنّاع تديرها لمحجرها من النّصيف المنقّب (*)

ووصف بعض حمر الوحش ، فشبه ألوانها بأنواع الوشى الجميلة . ولما وصف قروحه شبهها بنقش الخواتم

ولا يخلو شعر الامراء من ذكر المجد السالف ، ويشيرون الى مواليتهم وأعوانهم وغير ذلك مما ستراه في مكانه

ويقال نحو ذلك في شعراء سائر الطبقات ، فان كلا منها تختص بأسلوب أو بشيء يميزها عن الطبقات الاخرى .. فشعر العشاق المتيمين أكثره فى التشبيب وشكوى الغرام والهجران . وشعر الحكماء أكثره حكم وعظات وعبر . ولا يمنع ذلك أن يشترك الشاعر فى غير غرض من هذه الأغراض ، أى أن يكون متحمساً وحكيماً وعاشقاً وغير ذلك .. فان كثيرين من الفرسان عشقوا وهاموا ، وإنما جعلناهم من طبقة الفرسان لقلبة ذلك عليهم

(*) الصنّاع : الحاذقة ومرآتها تكون نظيفة صافية ، والنصيف : الخمار ، والمنقّب : الذى ينتقّب به

وقد آن لنا أن نصف أشهر هؤلاء الشعراء وأشعرهم وفيهم الكثير من الشعر والمقل ، وبعضهم نظموا كثيرا ، ولم يصلنا من أشعارهم الا القليل ولا فائدة لطالب تاريخ آداب اللغة من ايراد تراجم هؤلاء .. وانما نختص بالوصف الشعراء الذين كانوا قدوة لسواهم او خلفوا آثارا يمكن الحصول عليها ومطالعتها .. ونكتفى في الآخرين بذكر المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة أخبارهم لمن أراد

أشعر شعراء الجاهلية

١ - أصحاب المعلقات

اختلف الرواة في عدد المعلقات وأصحابها ، فأبو زيد القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب يجعلهم ثمانية كما رأيت .. وهم امرؤ القيس ، وزهير والنابغة ، والاعشى ، ولييد ، وعمرو بن كلثوم وطرفة ، وعنترة (❖) . ولكن الزوزنى جعل المعلقات سبعة ، ليس بين أصحابها النابغة ولا الاعشى ، وأضاف الحارث بن حلزة . وأضاف أبو زكريا التبريزي فوق ذلك قصيدة عبيد بن الأبرص ، فصارت المعلقات وملحقاتها عشرة .. هذه أسماء أصحابها :

امرؤ القيس - النابغة - زهير - طرفة بن العبد - لييد - عنترة - عمرو بن كلثوم - الحارث بن حلزة - الاعشى - عبيد بن الأبرص . وذكر أبو جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، وهو شارح المعلقات ، أنها سبعة وأن بعضهم أضاف إليها قصيدتي النابغة والاعشى وأن لم يعد هما من المعلقات . وذكر ابن خلدون سبعة من أصحاب المعلقات فيهم علقمة ابن عبدة (١) لكنه لم يعين معلقته ، وسنأتى هنا على ترجمة كل من نسبت إليه معلقة معينة .. فإن الشاعرية نجتمعهم جميعا

هل علقته المعلقات بالكعبة ؟

اختلف أصحاب الاخبار في شأن هذه المعلقات في الجاهلية ، فقال بعضهم أن العرب بلغ من تعظيمهم إياها أن علقوها بأستار الكعبة ، وأنكر بعضهم ذلك واكبروه . وأقدم المنكرين أبو جعفر النحاس النحوى المتقدم ذكره ، فقد قال في شرحه المعلقات بالنسخة الخطية الموجودة منه في مكتبة برلين ما نصه : « واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع ، وقيل أن العرب كان أكثرهم يجتمع بعكاظ ويتناشدون الأشعار .. فإذا استحسن الملك قصيدة قال علقوها وأثبتوها في خزائني . فأما قول من قال أنها علقته في الكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة . وأصلح ما قيل في هذا « أن حمادا الراوية لما

(❖) أكبر الظن أن صاحب الجمهرة أسقط عنترة من أصحاب المعلقات وجعله من أصحاب المجهرات ، لأن كل مجموعة عنده تشتمل على سبعة من الشعراء فقط . ويظهر أن فصله من أصحاب المجهرات والحقه بأصحاب المعلقات من عمل النساخ للكتاب قبل أن يطبع (١) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

رأى زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع وحضهم عليها ، وقال لهم هذه هي المشهورات . . فسميت القصائد المشهورة « وتقل ذلك عنه ابن الأنباري فقال : « وهو (حماد) الذي جمع السبع الطوال ، هكذا ذكره أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس ، ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة » فهو يستغرب مخالفة النحاس لما ذكره الناس

والاكثر يذهبون الى أنها علفت في الكعبة . وهذا ابن عبد ربه كان معاصرا للنحاس المذكور وتوفي قبله (سنة ٣٢٨ هـ) قال : « وقد بلغ من كلف العرب به (بالشعر) وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد ميزتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة ، فمنه يقال مذهب امرؤ القيس ، ومذهب زهير ، والمذاهب سبع ، وقد يقال لها المعلقات » (١) وأيد ذلك كثيرون في عصور مختلفة ، منهم ابن رشيق صاحب كتاب العمدة وهو من أكبر نقدة الشعر ، قال : « وكانت المعلقات تسمى المذاهب وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهب فلان اذا كانت أجود شعره . ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزائنه » (٢) فترى ان ابن رشيق أميل الى القول بتعليقها لأنه ينسب القول بذلك الى « غير واحد من العلماء » ويضعف الرأي الآخر بقوله « وقيل »

أما ابن خلدون فإنه يقطع بتعليقها ولا يذكر سواه ، وهذا قوله : « حتى انتهوا (أي العرب) الى المناغة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر ، والناغبة الدياني ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنتر بن شداد ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة بن عبدة ، والاعشى ، وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع » (٣)

وقد وافقهم أكثر العلماء والباحثين في هذا الموضوع ، وانما استأنف انكار ذلك بعض المستشرقين من الافرنج ووافقهم بعض كتابنا رغبة في الجديد من كل شيء

وأي غرابة في تعليقها وتعظيمها بعدما علمنا من تأثير الشعر في نفوس العرب وتعظيمهم لأصحابه ؟ أما الحجة التي أراد النحاس ان يضعف بها القول بتعليقها فهي غير وجيهة ، لأنه قال : « ان حمادا رأى زهد الناس بالشعر الخ » والحقيقة أن الناس لم يكونوا راغبين في الشعر مثل رغبتهم في أيامه . ألم يكن الخلفاء يستقدمون حمادا هذا من العراق الى الشام ليسألوه عن بيت من قاله أو فيم قيل ؟ . . واليك تراجم أصحاب المعلقات ومن يلحق بهم

(٣) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١

(٢) العمدة ٦١ ج ١

(١) العقد الفريد ٩٣ ج ٣

١ - امرؤ القيس بن حجر

توفى نحو سنة ٥٤٠ م

هو أشهر شعراء الجاهلية وأشرفهم أصلاً وأرفعهم منزلة ، يتصل نسبه بملوك كندة (**) ، وهم في قول العرب بطن من كهلان . وكانوا يقيمون في البحرين والمشقر ، ثم أجلوا عنهما إلى منازل كندة في حضرموت ، وإليها ينسبون . أقاموا هناك دهراً يتولون بعض مناصب الدولة على عهد التبابعة الحميريين ، وقد ضاع أكثر أخبارهم . وأقدم من عرفت أخباره منهم حجر بن عمرو آكل المرار جد جد امرئ القيس الشاعر . ونزح حجر إلى نجد ونزل بطن عاقل في أوائل القرن الخامس للميلاد ، وكان اللخميون (المناذرة) قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ولا سيما بلاد بكر بن وائل ، وهم يومئذ بنجد . . . فنهض البكريون معه لمحاربة اللخمين واستقلوا عن سلطانهم ، فاجتمعت كلمتهم على تعظيمه وملكوه عليهم حتى توفى بأواسط القرن الخامس للميلاد فخلفه ابنه عمرو بن حجر . فلما مات خلفه ابنه الحارث بن عمرو . وفي أيامه فتح الأحباش اليمن فضعف شأن دولته ، فوجه مطامعه نحو اللخمين في الحيرة ، وكان يحسداهم لتقربهم من الأكاسرة . . . واغتنم تغير كسرى قباد على المنذر بن ماء السماء بسبب المزدكية وتقرب إليه ، فوافقه وولاه الحيرة مكان المنذر . فعظم الحارث في نظر القبائل وجعلوا يتقربون إليه بالطاعة وسألوه أن يولى عليهم من أراد . وكان له أربعة أولاد أقام كلا منهم حاكماً على بعض القبائل ، ومنهم حجر ! بن الحارث والد امرئ القيس تولى على بنى أسد وغطفان

ثم انقلب الأمر على الحارث بعد موت قباد لان أنوشروان ابنه وافق المنذر وعزل الحارث ففر . وطمع فيه المنذر فطارده حتى قتله ، وجعل يفسد بين أولاده بالتحاسد حتى تحاربوا فقتل اثنان منهم وبقي اثنان : هما حجر والد امرئ القيس ومعد يكرب أمير قيس . ورأى بنو أسد تضعضع دولة كندة ، فاجتمعوا على خلاف ملكهم حجر وأمسكوا عن أداء الاتاة فحاربهم فقتلوه . . .

وكان امرؤ القيس عند مقتل أبيه غائباً (***) ، فلما علم بقتله رجع وهو يعتقد عجزه عن الأخذ بثأره لان عدوه قوى . وعلم أيضاً أن ذلك العدو إذا عرف مقره قبض عليه . ففطن برهة من الدهر وهو يتجول متنكراً في اليمن ونجد والحجاز يستجير القبائل ، فلم يجره أحد حتى أتى السموءل صاحب حصن الابلق فاستجاره فأجاره ، فاستودعه أدرعه وأمتعته وهو لا يرى من

(**) أنظر في كندة وملوكها آباء امرئ القيس تاريخ العرب (مطول) لفيليب حتى ، الجزء الاول وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٣ ص ٢١٥ ، وأولبندر Olinder في ملوك كندة (***) هكذا قول ابن الكلبي في روايته لمقتل حجر أبي امرئ القيس ، كما جاء في ترجمته بكتاب الاغانى ، وتذهب رواية أوثق من روايته إلى أن امرأ القيس كان حاضراً مقتل أبيه . راجع الاغانى (طبع دار الكتب المصرية) ج ٩ ص ٨٥ وما بعدها

يستنصره على أعدائه إلا قيصر الروم . . لان ملوك الحيرة عمال الفرس
نصروا أعداءه على جارى عادة العرب فى ذلك العهد ، اذا تظلموا من احدى
هاتين الدولتين استنصروا الاخرى . ولم يكن لامرئ القيس سبيل الى
القيصر فوسط الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب النفوذ عند قيصر الروم
يومئذ وطلب منه أن يوصله اليه ففعل ، فسار امرؤ القيس الى القيصر .
ويقول العرب ان القيصر بعد أن أجاب دعوته وسمع مدائح وشى به أحد
بنى أسد أعدائه ، وقال للقيصر : « ان امرأ القيس شتمك » فصصدق
الوشاية ، وألبس الشاعر حلة مسمومة قتلتة . ولا نعرف سما يفعل هذا
الفعل . وعلى كل حال ان امرأ القيس قتل ولم ينل أربا

وجاء فى شعراء النصرانية بعد ذكر موت امرئ القيس بالجدرى ما نصه :
« وذكر فى كتاب قديم مخطوط أن ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ
القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه . . ففعلوا ، وكان تمثال
امرئ القيس هناك الى أيام المأمون ، وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك
لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة »

شعر امرئ القيس

وكان امرؤ القيس قوى الشاعرية ولولا ذلك لم يقل الشعر ، لان الملوك
كانوا قبله يأنفون من قوله . ولكنه كان مطبوعا عليه يقوله وأبوه حتى ،
وكثيرا ما زجره وهو يعصاه حتى اضطر أبوه أن يبعده عنه . . فلم يبال بل
جعل يجول فى الاحياء مع بعض الاخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب
وبكر بن وائل ، فاذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح
لمن معه فى كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه
وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانة . ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير
ثم ينتقل عنه الى غيره

فلما أتاه نعي أبيه كان بدمون من أرض اليمن ، فغضب غضبا شديدا ،
وغضبه أهاج شاعريته . وأسفاره فى البلاد زادت اختباره . ولعله جاء
بلاد الروم قبل سفرته الاخيرة ، والأسفار توسع الخيال الشعري ، واذا
عاشر الناس وخالطهم اطلع على آدابهم واستفاد معانى جديدة أو تتفق
فريحته فتستنبط صورا جديدة ، وذلك من الاسباب التى جعلت امرأ القيس
يسبق الى أشياء فى الشعر لم تكن معروفة قبله وتبعه الشعراء فيها

واذا أمعنت النظر فيما استنبطه من المعانى والاساليب ، رأيتها من
ثمار الاسفار وسعة الاطلاع . . فمنها استيقاف الصحب فى الديار كقوله :
« قفا نبك الخ » فانه طبيعى فيمن قضى معظم حياته فى توديع ديار واستقبال
ديار . وقد كان الوفا ، اذا أقام فى المكان ألفه واذا عاشر الرجل كلف به

ومنها دقة وصفه واجادته على الخصوص فى وصف الفرس والنساقة ،
وهذا طبعا من ثمار الاسفار لانه كان يقضى الساعات والايام على فرسه

لا شيء يشغله عنه مع تعلقه به ، لانه أكبر مساعد له على النجاة في فراقه من أعدائه . ولذلك لا تكاد تقرأ له قصيدة الا وجدت فيها أبياتا يصف بها فرسه أو ناقته . وقد فتقت الاسفار والمعاشرة قريحته لاستنباط المعاني أو اقتباسها ، فمن ذلك قوله في قصيدته البائية التي يصف بها الفراق وناقته وفرسه مطلعها : (*)

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن

سلكن ضحيا بين حزمي شعبت

ولكن القارئ لا يستأنس بالمعنى الا بعد أن يتعرف الالفاظ الغريبة ، وعند ذلك يرى وصفا بديعا لم يأت الشعراء بأحسن منه كقوله في وصف الفرس :

وقد أغتدى قبل الشروق بسابح أقب كيغفور الفلاة مُحْتَبِ
بمنجردٍ قيند الأوابد لاحه طراد الهوادي كل شأو مغرب
له أيتلا ظبي وساقا نعامة وصهوة عير قائم فوق مرقب
ويخطو على صثم صلاب كأنها حجارة غيل وارسات بطحلب
نه كفّل كالدعص لبده الندى إلى حارك مثل الغبيط المذاب
وعين كمرآة الصنّاع تديرها لمحجرها من النصف المنقّب
له أذنان تعرف العتق فيهما كسامعتي مذعورة وسطر رب رب

روصف الفرس كثير في شعره ، فليراجع في ديوانه . وقد أجاد في سائر ضروب الوصف ، وله قصيدة في وصف المطر وأخرى في الوصف على الاجمال مطلعها :

(*) الغريب في هذا البيت والايات التالية له من نفس القصيدة - ضحيا : أوائل الضحى ، حزمي : الحزم : الحسزن والارض الغليظة ، شعبت : ماء لثيم ، السابح : الفرس ، أقب : ضامر ، اليعفور : الظبي ، محنب : معوج اليدين - وذلك أقوى فيه وفي الفرس إذ يساعدهما على العدو - منجرد : قصير الشعر ، الاوابد : جمع أبدة وهي الوحش ، وقيدها : تتقيده به ولا يستطيع خلاصا منه ، ولاحه ، أضمره وأهزله ، طراد : مطاردة ، الهوادي ، السوابق ، الشاو : الجري ، مغرب : بعيد - ايتلا : خاصرتا ، والصهوة : الظهر ، العير : الحمار ، والمرقب : المكان المرتفع - الغيل هنا : الماء الجاري ، وارسات : مصفرة كلون الوزس ، والطحلب : خضرة تعلو سطح الماء - الكفل : العجز ، الدعص : الكئيب الصغير المستدير - لبده : قواه وجعله صلبا - الى حارك : مع حارك والحارك : أعلى الكاهل - والغبيط : الرجل - والمذاب : الواسع ، الصنّاع : المرأة الحاذقة ، ومرآتها نظيفة صافية لانها شديدة العناية بها - المحجر : ما دار بالعين - والنصف : الخمار - المنقّب : الذي ينتقب به - العتق : الاصاله والجودة - السامعتين : الاذنين - المذعورة : البقرة من الوحش ، تذعر ، فترهف السمع خوفا من الصائده - الربرب : قطيع الوحش

ألا انعم صباحاً أيها الرّبُّع فانطلق

وحدّثْ حدِيثَ الركب إن شئت واصلق

ومع ما فى شعره وسائر أشعار الجاهلية من اللفظ الغريب ، فقد امتاز امرؤ القيس بركة الالفاظ ولطف التشبيه كقوله :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العنّاب والحشَفُ البالى (*)

وقوله :

كأن عيون الوحش حول قبابنا

وأرْحَلْنَا الجَزْع الذى لم يثَقْبِ

وقوله :

كأنى غداةَ البين لما تحمّلوا لدى سَمَرَاتِ الحى ناقفٌ حنظل

وقد أجاد فى وصفه الفرس بقوله :

مِكرٌ مِفرٌ مقبلٌ مدبرٌ معاً كجلمود صخرٍ حطه السيلُ من عل

وله أبيات كثيرة جرت مجرى الامثال على ألسنة الناس ، واتخذ الشعراء بعضها قواعد لنظمهم ، وهو أول من رقق المعانى . ومما بلغ حد النهاية فى الرقة واللفظ قوله :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلبٍ مقتل

وهو أول من وصف النساء بالطباء والمها ، وشبه الخيل بالعقبان ، والعصى ، وفرق بين النسيب وسواه فى القصيدة ، وقرب مأخذ الكلام فقيده الاوابع وأجاد الاستعارة والتشبيه (١) ومن تشبيهه وهو مما يتغنى به :

وثغرٍ أغرٌ شتيت الثنايا لذيذ المقبل والمبتسم

وما ذقتـه غير ظنٍّ به وبالظن يقضى عليك الحكم

ويقال ان امرأ القيس أول ما شبيب بالنساء ، شبيب بأبيات مطلعها :

(*) الغريب فى هذا البيت والابيات التالية : العناب : ثمر أحمر ، والحشف : التمر اليابس ، والجزع خرز يمانى فيه خطوط سود وبيض - تحمّلوا : ارتحلوا ، سمرات : جمع سمرة . ضرب من شجر البادية ، وناقف الحنظل الذى يشقه ليستخرج مافيه فتسيل مآقيه - أعشار : قطع - شتيت : مفلج ، الثنايا : الاسنان - الجمّة : مجتمع شعر الرأس - الرجل : الشعر بين السبوطه والجعوده - والاقب : الضامر

(١) المزهر ٢٢٩ ج ٢

عهدتني ناشئاً ذا غِرْنَةً خَجَلِ الْجُمَّةِ ذا بطنٍ اقبَّ (١)
 وله محاوراة شعرية في أوابد العرب مع عبيد بن الابرص، أولها قول عبيد:
 «ماحية» مَيْتَةٌ قامت بميتها درداء ما أنبت سنًا وأخراسا
 فأجابه امرؤ القيس :

تلك الشعيرة تُسْقَى في سنا بلها فأخرجت بعد طول المكث أكدا
 وهي طويلة

معلقته وسبب نظمها

أما معلقته فقد نظمها في وصف واقعة جرت له مع حبيبته وابنة عمه
 عنيزة بنت شرحبيل إذ حظر عليه لقاءها ، ولعلمهم منعوه منها لما كان من
 رغبته في الشعر . أما هو فكان ينتهز الفرص للملاقاتها . . . فاغتتم فرصة
 ظعن الحى ، وكانوا إذا ظعنوا مئى الرجال أولاً ثم النساء ، فتخلف امرؤ القيس
 عن الرجال وتربص حتى ظعنن النساء ، وكان في طريق الظاعنين غدير
 يسمى دارة جلجل في منازل كندة بنجد . فسبقهن امرؤ القيس الى الغدير
 وفيهن عنيزة ، فنزعن ثيابهن ونزلن في الماء فيرز هو من مخبئه وجمع الثياب
 وجلس عليها وحلف : لا يعطى الواحدة منهن ثيابها الا اذا خرجت اليه عارية ،
 فخرجن وبقيت عنيزة وأقسمت عليه أن يعدل عن شرطه ، فأبى وألح
 عليها أن تخرج فخرجت ، ثم دفع اليها ثيابها فلبستها واجتمع النسوة
 عليه ، وأخذن يعنفنه وقلن له : « انك أخرتنا عن الحى وجوعتنا » ، فقال :
 « سأعقر لكن راحلتى تأكلن منها » فعقرها وأتين بالحطب ، وجعلن يشوبن
 اللحم حتى شبعن . وكان معه ركوة فيها خمر فسقاهن منها . . . فلم
 ارتحلن حمان أمتعته على رواحلهن وبقي هو لا مركب له ، فقال لعنيزة :
 « لا بد لك من أن تحملىنى » وساعده صواحبها على طلبه فحملته على مقدم
 هودجها ، فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبلها ويحادثها ثم نظم معلقته
 ومطلعها :

قِفَا نَبْكَ من ذكرى حبيبٍ ومنزل

بسِقْط اللّوَى بين الدّخول فحومل

وصف بها ما تقدم أحسن وصف ، وهي مدرجة مع سائر المعلقات في
 كتاب ، شرح عدة شروح

أما سائر أشعاره فانها جمعت في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب
 المصرية ، وقد طبع في باريس سنة ١٨٣٧ وفي غيرها وقد شرحه البطلينوسى

النحوى المتوفى سنة ٤٩٤ هـ وطبع الشرح بمصر سنة ١٢٨٢ هـ (**) وللنحاس شرح للمعلقة طبع فى هال سنة ١٨٧٦

وقد ترجمت معلقته الى اللغة الروسية وطبعت مع الاصل العربى شى. بطرسبورج سنة ١٨٨٥ بعناية موركوس

وتجد كثيرا من أشعار امرئ القيس وأخباره فى كتاب الاغانى ٦٢ ج ٨ و ١٩ ج ٢ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٧ ، وفى شرح المعلقات ، وفى كتاب الشعراء الستة الجاهليين طبع لندن سنة ١٨٧٠ ، وخزانة الادب ٥٣٢ ج ٣ وفى شعراء النصرانية صفحة ٦ وفى جمهرة أشعار العرب ٣٩ وفى أكثر كتب الادب والتاريخ (***)

٢ - زهير بن أبى سلمى

توفى نحو سنة ٦١٥ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء ، وهم : امرؤ القيس وزهير والنابغة ، وانما اختلفوا فى تقديم احد الثلاثة على صاحبيه . وكما امتاز امرؤ القيس باستنباط الافكار والاساليب وتلطيف المعانى ، فقد امتاز زهير بما فى نظمه من الحكمة البالغة وكثرة الامثال مع القدرة على المدح ، وهو لا يعاظم فى الكلام ويتجنب وحشيته ولا يمدح أحدا الا بما فيه ، وكثيرون يفضلونه على صاحبيه ، ويقولون انه احسنهم شعرا وأبعدهم عن سخف ، واجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من الالفاظ

وهو من مزينة احدى قبائل مضر ، وكان يقيم هو وأبوه وولده فى منازل بنى عبد الله بن عطفان بالحجاز من نجد . وأول من نزل هناك منهم أبوه أبو سلمى لانه تزوج امرأة من بنى قهر بن مرة من ذبيان بن غطفان فولدت له زهيرا ، وتزوج زهير امرأة من سحيم بن مرة ، ولذلك كان زهير يذكر فى شعره بنى مرة وغطفان ويمدحهما . وكان لزهير اخلاق عالية ونفس كبيرة مع سعة صدر وحلم . . فرفع القوم منزلته وجعلوه سيذا . وكثر ماله واتسعت ثروته ، وكان مع ذلك عريضا فى الشاعرية فكان أبوه شاعرا وكذلك خاله واختاه وابناه . وكان لشعره تأثير كبير فى نفوس العرب وكان مقربا من أمراء ذبيان وخصوصا هرم بن سنان والحارث بن عوف . وأول قصيدة نظمها فى مدحها معلقته المشهورة التى مطلعها :

أَمِنْ أَمٍّ أَوْ فِي دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْ مَانَةَ الدَّرَجِاجِ فَالْمُتَلَكِّمِ

(*) بجانب هذه الطبقات طبع أيضا ديوان امرئ القيس فى مصر بتحقيق حسن السندوبى ، وفى مجموعة مختار الشعر الجاهلى لمصطفى السقا ، وطبع فى بمباى بالهند سنة ١٩١٣ ، وفى الشام مع ديوانى طرفة وزهير

(**) وانظر أيضا كتاب الموشح للمرزبانى ص ٢٧ والمؤتلف للامدى ، ومعاهد التنصيص للعباسى ، وشرح العيون لابن نباتة (طبعة بولاق) ص ١٨١ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٦ - ٩ : وابن بدرون طبعة دوزى ص ١١٧ - ١٢٠ ، وطبقات الشعراء لابن سلام فى مواضع متفرقة ، واعجاز القرآن للباقلانى ، وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٣ ص ٢٥٢ ، وفى الادب الجاهلى لطف حسين ، ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمان ٢٤ ج ١

قالها على أثر مكرمة أتياها بحقن الدماء بين عبس وذبيان (١).
ثم مدح هرما بقصائد كثيرة حتى حلف هرم ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ،
ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا سلم عليه إلا أعطاه عبدا أو وليدة أو فرسا .
فاستحيا زهير من كثرة ما كان يقبل منه فأصبح إذا رآه في ملا من الناس
قال : « عموا صباحا غير هرم . . وخيركم استثنيت » وقال عمر بن الخطاب
لبعض ولد هرم : « أنشدني بعض مدح زهير أباك » فأنشده ، فقال عمر :
« انه كان ليحسن فيكم القول » فقال « ونحن والله كنا نحسن له العطاء » ،
فقال عمر : « قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم » ومدح زهير أيضا سنان
بن أبي حارثة المري وحسن بن حذيفة بن بدر وغيرهما
ومما قاله في مدح هرم ، ولم يسبقه إليه أحد قوله :

قد جعل المبتغون الخير في هرمٍ والسائلون إلى أبوابه طرقًا
من يلقَ يوماً على علاته هرما يلق السباحة منه والتدعى خلقا
يطلب شأواً امرأين قدما حسبا بذنا الملوك وبذا هذه الشوقا (*)
هو الجواد فإن يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبنا
ومن بليغ مدحه قوله في مدح حصن بن حذيفة بعد أن استهل بوصف
الصيد ثم تخلص إلى المدح في قصيدة طويلة جئنا بمثال منها في فصل
سابق من هذا الكتاب ، وتجد أمثلة من نظمه في أماكن أخرى منه
ويؤخذ من بعض أقواله أنه كان مؤمنا بالبعث ، كقوله :

يؤخر فيودع في كتاب نيد آخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم
ومما يدل على تعقله وحنكته وسعة صدره حكمه في معلقته التي نقلنا
بعضها في الصفحات الأولى من هذا الكتاب . وقد جمع خلاصة التقاضى في
بيت واحد وهو :

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نزار أو جلاء

فزهير يمتاز بمدحياته وحكمياته وبلاغته . وقد جمعت أشعاره في
ديوان شرحه ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ ومنه نسخة خطية في دار الكتب
المصرية (**) ، وقد طبع سنة ١٣٢٣ هـ وشرحه الشنتمري المعروف بالاعلم
المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وقد طبع هذا الشرح في لندن سنة ١٣٠٦ هـ ، وله
شروح أخرى ضاعت أو لم نقف عليها . وكتب ديروف Dyroff الألماني

(١) الاغاني ١٤٩ ج ٩

(*) الشاؤ : الغاية ، وامرأين : أبيه وجده ، والسوق : الناس غير الملوك
(**) نشرت دار الكتب المصرية رواية ثعلب للديوان التي ذكرها المؤلف ، وقد طبع الديوان
أيضا في مجموعة العقد الثمين لالورد ، وفي مجموعة مختار الشعر الجاهلي للسقا ، ومع ديواني
طرفة ، امرئ القيس في الشام

كتاباً باللمائية في زهير وأشعاره ، وما لم ينشر منها طبع في منشور سنة ١٨٩٢

وقد جمعت أخباره وأقواله في كتاب الاغانى ٤٨ و ١٤٦ ج ٩ وفي ديوان الشعراء الستة الجاهليين ، وخزانه الادب ٣٧٥ ج ١ والشعر والشعراء ٥٧ (*) وجمعت معلقته مع سائر المعلقات وفي الجمهرة ص ٤٧ ، وقد شرحها كثيرون منهم النحاس المتقدم ذكره وهو أهم شروحا . وقد نشره الدكتور هوسهر الألماني سنة ١٩٠٥ في برلين مع مقدمة ألمانية مفيدة

٣ - النابغة النيباني

توفي سنة ٦٠٤ م

هو أحد الثلاثة المقدمين على سائر الشعراء واسمه زياد بن معاوية من ذبيان من قيس . وهو من الاشراف الذين غض الشعر منهم كما غض من امرئ القيس . وكان يفد على النعمان صاحب الحيرة فيمدحه ، فوقعته العداوة بينه وبين المنخل الشاعر ، فوشى به الى النعمان . فهرب النابغة الى بني غسان ونزل بعمر بن الحارث الاصغر ملك الغساسنة فمدحه . ومازال مقيما عنده حتى مات عمرو وخلفه النعمان اخوه ، فمكث معه حتى اصطلح مع النعمان صاحب الحيرة فعاد اليه

وكان يفد على صاحب الحيرة ايضا حسان بن ثابت الانصاري ، ولكن النابغة كان مقدما على الجميع . فجمع من عطايا النعمان صاحب الحيرة ثروة طائلة وصار يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب . وله منزلة كبرى عند شعراء عصره ، فاذا جاء سوق عكاظ ضربوا له قبة من جلد وجاء الشعراء ينشدون أشعارهم . وأول من أنشده ذات مرة الاعشى ثم حسان ثم الخنساء ، وهذا شرف لم ينله أحد من الشعراء سواه

ويمتاز النابغة عن صاحبيه بأنه احسنهم ديباجة شعر واكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا ، فكان شعره كلام ليس فيه تكلف . وذلك ظاهر في كل أقواله حتى جرى كثير منها مجرى الامثال ، واقتبس الشعراء كثيرا من أقواله منها :

نَبَّئْتُ أَنْ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرِ مِنَ الْأَسَدِ
تمثل به الحجاج بن يوسف حين سخط عليه عبد الملك بن مروان ، وقوله :

فَلَوْ كَفَّتِ الْيَمِينُ بَغْتِكَ خَوْثًا لَأَفْرَدْتُ الْيَمِينَ مِنَ الشَّامِ
أخذه المثقب العبدى فقال :

(*) أنظر أيضا شرح شواهد المغنى للسبوطي ص ٤٨ ، وطبعات الشعراء لابن سلام ، ومعاهد التنصيب للعباسي ، والموشح للمرزباني ص ٤٥ وخاص الخاص للثعالبي ص ٧٥ ، وكتابه الاعجاز والابجاز ص ٣٧ ، وشعراء النصرانية لسيخو ٥١٠ - ٥٩٥ ، وفي الادب الجاهلي لطف حسين ، وتاريخ الادب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية لكارلو نالينو طبع دار المعارف ص ٦٢ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

ولو أنى تخالفنى شمالى بنصرٍ لم تصاحبها يمينى
وقوله :

فحملتني ذنب امرئ وتركته
كذى العرّ يكوى غيره وهو راتع
أخذه الكميت فقال :

ولا أكوى الصحاح براعاتٍ بهن العرّ قبلى ما كورينا
وقوله :

واستبق ودك للصديق ولا تكن قتباً يعرض بغاربٍ ملحاحاً (*)
أخذه ابن ميادة فقال :

ما إن ألح على الإخوان أسألهم ، كما يلح بعض الغارب القتب
ومما يتمثل به من شعره قوله :

لو أنها عرضت لأشمط راهب
عبد الإله ضرورة المتعبّد (**)

لرنا لبهجتها وحسن حديثها
ولخاله رشداً وإن لم يرشداً
أخذه ربيعة بن مقروم الضبى فقال :

لو أنها عرضت لأشمط راهب
فى رأس مشرفة الذرى يتبئل
لرنا لبهجتها وحسن حديثها

ولهم من ناموسه يتنزل
ومما يتمثل به أيضاً من شعره :

ومن عصاك فعاقبه معاقبة
تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد (***)

وقال فى العفة وهو أحسن ما قيل فيها :

(*) القتب : الرجل ، والغارب : الكاهل أو ما بين السنام والعنق

(**) الاشمط : الذى خالط شعره الشب ، والضرورة : الذى لا ذنب له

(***) الضمد : الحقد

رقاق النعمال طيّب حُجْزَاتِهِمْ
يحيون بالريحان يوم السَّباسِبِ (*)

أخذه عدى بن زيد فقال :

أَجَلْ إِنْ اللَّهُ قَدْ فَضَّلَكُمْ فوق من أحكى بصلب وإزار
فالصلب الحسب والازار العفاف ، وفى أمثالهم : أصدق من قطاة - قال
النابغة :

تدعو قَطَاً وبها تُدْعَى إِذَا تُسَبِّتُ
يا حُسْنَهَا حين تدعوها فتنتسب
وذلك لأنها تلفظ باسمها . أخذه أبو نواس فقال : « أصدق من قول
قطاة قَطَا »

وقد مدح النابغة النعمان وعمرو بن هند من أصحاب الحيرة ، وعمرو
ابن الحارث الغساني وأخاه النعمان ووائل بن الحلاج الكلبي وهجا ابن زرعة
ورثى واعتذر وفاخر . ولكن الشعر الوصفى قليل فى منظومه الا القصيدة
التي نظمها فى وصف المتجردة زوجة النعمان صاحب الحيرة وقد تقدم
مطلعها . ومن قوله فى وصفها : (***)

نظرتْ بِمَقْلَةٍ شَادَنٍ مَتْرَبِّ أَحْوَى أَحَمَّ المَقْلَتَيْنِ مَقْلَدِ
والنظم فى سلكٍ يَزِينُ نَحْرَهَا ذهبٌ توقد كالشهاب الموقدِ
صفراءُ كالسَّيْرَاءِ أَكْمَلَ خَلْقَهَا كالغُصْنِ فى غُلُوَّائِهِ المتأوِّدِ
قامت تراءى بين سِجْنَفَى كِلَّةٍ كالشمس يوم طلوعها بالأُسْعَدِ
أو دُرَّةٍ صَدْفِيَّةٍ غَوَّاصِهَا بهجٌ متى يرها يَهْلٌ ويسجد
أو دميةٍ من مرمر مرفوعة بنيتْ بِأَجْرٍ يُشَادُ وَقَرْمَدِ
سقط النَّصِيفُ ولم تُرد إسقاطه فتناولته واثقتنا باليدِ
بمخضَّبٍ رَخْصٍ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَمٌ يكاد من اللطافة يُعَقِّدِ

(*) يصف فى هذا البيت الغساسنة بالترف والنعيم ، والحجرات : الاوساط ، ويريد
بطبيها العفة والشرف . يوم السباسب : يوم الشعانين

(**) الغريب فى الابيات : الشادن : الطبي الصغير ، المتربب ، المحبوس فى البيت ، أحوى :
فيه حمرة الى سواد . أحم : أسود ، ومقلد : قلد بالحلى وزين - السبراء : ثوب من حرير فيه
خطوط ، وغلواء الغصن : ارتفاعه ، المتأود : المثنى ، السجف : الستر ، الأسعد : برج الحمل
- يهل : يرفع صوته بالتكبير - تشاد : تبني وتطلى ، والقرمد : خزف مطبوخ - النصيف :
الجمار ، المخضب هنا : الكف ، والرخص : اللين ، البنان : الاصابع ، والمنع ، شجر لين
الاعصان أو ثمر أحمر مسنطيل كالاصابع

وهى طويلة وفيها أبيات لا يليق نشرها ، ولكنه وصف فيها الطبيعة كما
هى عادة الجاهليين فى تمثيل الواقع ، وكما فعل سليمان الحكيم فى نشيد
الانشاد . ومن أحسن شعره معلقته التى مطلعها :

عوجوا فحيثوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيئون من ثوى وأحجار
وهى ستون بيتا ذكرها صاحب جمهرة أشعار العرب

وللنابغة ديوان مطبوع غير مرة ، وشرح منه نسخة خطية فى دار الكتب
المصرية ، وقد ترجمه الى الفرنسية وطبعه مع الاصل العربى المسمى
ديرنبرج فى المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٨ ، وصدر كتاب اسمه
التوضيح والبيان لأشعار نابغة ذبيان طبع بمصر (*)

وأخباره متفرقة فى الاغانى ١٦٢ ج ٩ والشعر والشعراء ٧٠ و ١٢٦
والجمهرة ٥٢ وفى دواوين الشعراء الستة الجاهليين وفى شرح المعلقات
وسائر كتب الادب (**)

٤ - أعشى قيس

توفى سنة ٦٢٩ م

اسمه ميمون بن قيس بن جندل بن بكر بن وائل من ربيعة ، وهو أحد
الاعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم . والبعض يقدمونه على سائرهم اذا
طرب ، كما يتقدم امرؤ القيس اذا غضب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا
رغب (١) ويحتج الذين يقدمونه بكثرة طوالة الجياد وتصرفه فى المديح
والهجاء وسائر فنون الشعر مما ليس لسواه . ويقال انه أول من سأل
بشعره وانتجع به أقاصى البلاد ، وكان يفنى به فسموه صناجة العرب ، وقد
تقدم أنه قدرى المذهب لقوله :

استأثر الله بالوفاء وبال عدل وولئى الملامة الرجل

ويظن انه أخذ ذلك من نصارى الحيرة . وهو الذى زوج بنات المحلق
بأبيات قالها فيه . ولم يكن يمدح قوما إلا رفعتهم ، ولم يهج قوما إلا
وضعهم ، لانه من أسير الناس شعرا وأعظمهم فيه حظا (٢) وله منافرة مع

(*) طبع ديوان النابغة أيضا مع الشعراء الستة فى مصر بشرح البطليموس ، وفى مجموعة
مختار الشعر الجاهلى للسقا ، ونشر فى بيروت مع مجموعة دواوين أخرى باسم خمسة دواوين
العرب : النابغة وعروة بن الورد والفرزدق وحاتم طي وعلقمة الفحل ، وهو مطبوع بين
شعراء النصرانية بعناية نسخو . وعثر ديرنبرج بعد نشرته التى ذكرها المؤلف للديوان على
مخطوطة جديدة ، ووجد بها زيادات فأصدر بها ملحقا سنة ١٨٩٩ ، وفى دار الكتب المصرية غير
مخطوطة من الديوان

(**) وأنظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام والموشح للمرزبانى ص ٣٨ وتاريخ ابن عساكر
٤٢٤/٥ وشرح شواهد المغنى للسيوطى ص ٢٨ ، وفى الادب الجاهلى لطلح حسين ، وتاريخ
الادب العربية لنالينو ص ٦٩ - ٧١ ودائرة المعارف الاسلامة وما بها من مراجع

(٢) العمدة ١٤٦ ج ٢

(١) الاغانى ٧٧ ج ٨

علقمة الفحل . ويمتاز الاعشى عن معظم شعراء الجاهلية بوصف الخمر ،
اذ قل فيهم من ذكره واما هو فقد وصفها بقوله :

وأدكن عاتق جَحَلٍ ربحلٍ صَبَحَتْ براحة شرِّ بأكراما (*)
من اللأى حُملن على المطايا كريح المسك تستلُّ الزكاما
وقوله :

من خمر عانة قد أتى لختامها حوّل تسلُّ غمامة المزكوم
وقد ادرك الرسول ووفد عليه فمدحه بقصيدة مطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرّمدا وعادك ما عاد السليم المسهدا
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهّدا (١)
وفيها يقول لناقته :

فآليت لا أرثي لها من كلالٍ ولا من حفا حتى تزور محمدا
نبي يرى ما لا ترون وذكره أغارَ لعمري في البلاد وأنجدا
متى ما تنأخى عند باب ابن هاشم تراحي وتلقى من فواضله يدا
فلما علم أبو سفيان بذلك حرض قومه على ارضائه بالرجوع خوفا من أن
يسلم فينصر الرسول بشعره على قريش ، فجعلوا له مائة من الابل فأخذها
ورجع . وله معلقة مطلعها :

ما بكاء الكبير في الأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي (٢)

وللأعشى ديوان خط في دار الكتب المصرية . وله قصيدتان ترجمتا الى
الالمانية ترجمهما المستشرق الالماني « جاير Geyer » الاولى المعلقة المتقدم
ذكرها ، والثانية اولها : « ودع هريرة ان الركب مرتحل » وقد غنى
بشرحهما مطولا حتى بلغت صفحات شرح الاولى وحدها ٢٢٣ صفحة .
وللمستشرق المذكور ولع خاص بشعر الاعشى وهو يطبع ديوانه عن
النسخة الوحيدة الكاملة الموجودة في الاسكوريال (**) (*)

وتجد أخبار الاعشى وأشعاره في الاغانى ٥٢ ج ١٥ و ١٦٠ ج ١٦ و ٧٧

(*) الادكن : المائل الى السواد ، والعاتق : القديم ، جحل : سقاء واسع ، ربحل :
ضخم

(١) مهّد : صاحبة الاعشى (٢) جمهرة أشعار العرب ٥٦

(**) اعتمد حابر في نشره لديوان الاعشى على ست مخطوطات ، وقد نشره سنة ١٩٢٨ بعد
جهود قام بها في هذا السبيل لمدة أربعين عاما ، وأضاف اليه ملحقين : ملحقا بما وجده
من شعر الاعشى في كتب الادب والتاريخ ، وملحقا بأشعار من سموها باسم الاعشى وهم
كثيرون - وطبع محمد حسين الديوان بمصر معتمدا على هذه النشرة

ح ٨ و ١٤٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ١٣٥ والجمهرة ٥٦ وغيرها وفي سيرة الرسول ومعجم البلدان (✱) وفي سائر كتب الادب

٥ - لبید بن ربیعہ

توفي سنة ٦٦٢ م

هو لبید بن ربیعہ العامري (من قيس) وكان من أشرف الشعراء المجيدين والفرسان المعمرين . يقال انه عمر ١٤٥ سنة عاش معظمها في الجاهلية ، وقد أدرك الاسلام وأسلم وهاجر وحسن اسلامه ونزل الكوفة أيام عمر بن الخطاب ، فأقام بها حتى مات في أوائل خلافة معاوية . فكان عمره ١٤٥ سنة منها ٩٠ في الجاهلية . وكانت الشاعرية ظاهرة في عينيه منذ صباه . ذكروا أن النابغة رآه وهو غلام جاء مع اعمامه الى النعمان ابن المنذر فتوسم فيه الشاعرية ، فسأل عنه فنسبوه ، فقال له : « يا غلام ان عينيك لعينا شاعر ، أفترض من الشعر شيئا ؟ » قال : « نعم يا أعم » قال : « فأنشدني » فأنشده قوله : « ألم ترجع على الدمن الخوالي الأخ » فقال له : « يا غلام أنت أشعر بنى عامر زدني » فأنشده قوله : « طلل لخولة في الرسيس قديم » . فضرب بيده على جبينه ، وقال : « اذهب فأنت اشعر قيس كلها »

وأكثر شعره في الجاهلية لان الخلفاء الراشدين شغلوا الناس عن الشعر بالقرآن ، ذكروا أن عمر بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبه وهو على الكوفة يقول له : « استنشد من قبلك من شعراء مصر ما قالوا في الاسلام » فأرسل الى الاغلب الراجز العجلي ، فقال له أنشدني ، فقال :

أرجزاً تريد أم قصيدا لقد طلبت هينا موجوداً

ثم أرسل الى لبید ، فقال : « أنشدني ما قلته في الاسلام » فكتب سورة النقرة في صحيفة ، ثم أتى بها وقال : أبدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر » فكتب المغيرة بذلك الى عمر ، فنقص من عطاء الاغلب خمسمائة وجعلها في عطاء لبید (١)

فمعظم ما يروونه من شعره قيل في الجاهلية . وكان من أجود العرب ، ويقال انه آلى على نفسه في الجاهلية أن لا تهب صبا الا أطعم ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم . فهبت الصبا يوما والوليد بن عقبة في الكوفة ، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ، ثم قال : « ان أخاكم لبید بن ربیعہ قد نذر في الجاهلية أن لا تهب صبا الا أطعم ، وهذا يوم من أيامه قد هبت صبا فأعينوه ، وأنا أول من فعل »

(✱) أنظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، في مواضع متفرقة ، والمؤتلف للآمدي ، والموشح للمرزباني ص ٤٩ ومعاهد التنصيص وشرح شواهد المغنى للسيوطي ، وشعراء النصرانية للويس شيخو ، وكتاب في الادب الجاهلي لطلح حسين ، وتاريخ الادب العربية لنالينو ص ٧١ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

ثم نزل عن المنبر فأرسل اليه بمائة بكرة ، وكتب اليه بأبيات قالها :
أرى الجزارَ يشحذُ شفرتيه إذا هبت رياحُ أبي عَقيـلٍ
أشم الأنفَ أصبـيدُ عامري طويلُ الباع كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفرى بحلقتيه على العلاتِ والمالِ القليل
ينحر الكُوم إذ سحبت عليه ذيولُ صبا تجاذب بالأصيل (١)
فلما بلغت أبياته ليبدأ قال لابنته : « أجيبه فلعمري لقد عشت برهة
وما أعيا بجواب شاعر » فقالت ابنته :

إذا هبت رياح أبي عقيـل دعونا عند هبتها انوليدا
أشم الأنف أروع عبشميّا أعان على مروءته ليبدأ
بأمثال الهضاب كأن ركباً عليها من بنى حامٍ قعوداً
أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناها فأطعمنا الثريدا
فعُدْ إن الكريم له معادٌ وظنى لا أبا لك أن تعوداً
فقال لها لبيد : « قد أحسنت لولا انك استطعمته » ، فقالت : « ان الملوك
لا يستحي من مسئلتهم » ، فقال : « وانت يابنية في هذه أشعر »
ومما يستجاد من قوله قصيدة مطلعها :

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ
ويقال انه لم يقل في الاسلام الا بيتاً واحداً ، هو :
الحمد لله أن لم يأتني أجابى حتى لبست من الإسلام سربالا
أما معلقته فمطلعها :

عَفَتِ الديارُ محلها فمقامها بمنى تأبَّدَ غَوْلُها فرجامُها
وقد جمعت أشعاره في ديوان طبع في فينا للمرة الاولى سنة ١٨٨٠ بعناية
يوسف ضياء الدين الخالدي ، ثم ترجمت هذه الطبعة الى الالمانية مع
تعليقات بالمقابلة على نسخ خطية في ستراسبورج وليدن مع ترجمة حياة
الشاعر بعناية « هوبر Huber » وطبع في ليدن سنة ١٨٩١ . وله سيرة
بالالمانية بقلم المستشرق هوبر المذكور طبعت في ليدن سنة ١٨٨٧ وأخرى
« لكريمير Kremer » طبعت في فينا سنة ١٨٨١ ، وأخباره في الاغانى
٩٣ ج ١٤ و ١٣٧ ج ١٥ والشعر والشعراء ١٤٨ والمستطرف ٤٣ ج ٢
والجمهرة ٦٣ ، وغيرها من كتب الادب (*)

(١) الكوم : القطعة من الابل
(*) وانظر في لبيد الموشح للمرزيبانى ص ٧١ وكتب طبقات الصحابة مثل الاصابة ج ٦ ص
٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٦٠ ونيكلسون Nicholson في كتابه التاريخ الادبى للعرب :
A literary History of the Arabs ص ١١٩ - ١٢١ وتاريخ الادب العربية لنالينوس ص ٦٢
وفى الادب الجاهلى لطله حسن ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

٦ - عمرو بن كلثوم

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من قبيلة تغلب ، وأمه ليلى بنت المهلهل أخى كليب المشهور ، فهو حفيد المهلهل . واشتهرت أمه ليلى بالانفة وعظم النفس تفاخرا بأبيها . وساد عمرو بن كلثوم قومه تغلب وهو فى الخامسة عشرة ، وقد عمر طويلا ، وكان اعز الناس نفسا واكثرهم امتناعا وأنفة ، وكان شاعرا مطبوعا اشتهر بمعلقته التى مطلعها :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

وهى حماسية فخرية يقال انها كانت تزيد على ألف بيت وانما وصل إلينا بعضها . وقد نظمها غضبا لامه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة . وكان عمرو هذا معجبا بنفسه ، فقال يوما للندماء : « هل تعلمون أحدا من العرب تأنف أمه من خدمة أمى ؟ » فقالوا : « نعم . . أم عمرو ابن كلثوم » قال : « ولم ؟ » قالوا : « لان أباه المهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب بن وائل أعز العرب ، وبعلمها كلثوم بن مالك أفرس العرب ، وابنتها عمرو وهو سيد قومه »

فأرسل عمرو بن هند صاحب الحيرة الى عمرو بن كلثوم يستزيره ، ويسأله أن يزيّر أمه أمه . فأقبل ابن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة فى جماعة من بنى تغلب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل فى ظعن من بنى تغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه ، فضربه فيما بين الحيرة والفرات ، وأرسل الى وجوه أهل مملكته فحضروا فى وجوه بنى تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند فى رواقه ، ودخلت ليلى وهند فى قبة من جانب الرواق ، وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحى الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة ، ثم دعا بالطرف . فقالت هند : « ناولينى يا ليلى ذلك الطبق » فقالت ليلى : « لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها » فأعادت عليها وألحت ، فصاحت ليلى : « وا ذلاه يا لتغلب » فسمعها عمرو ابن كلثوم ، فثار الدم فى وجهه ، ونظر اليه عمرو بن هند فعرف الشر فى عينيه . فوثب عمرو بن كلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلق بالرواق ليس هناك سيف غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى فى بنى تغلب فأنتهبوا ما فى الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة

فجاشت نفس ابن كلثوم وحمى غضبه وأخذته الانفة والنخوة ، فنظم معلقته او لعلاه نظم بعضها فى ذلك الحين ، ثم اتمها فى حادثة اخرى جرت له مع عمرو بن هند المذكور على أثر خلاف جرى بين قومه التغلبيين واخوانهم البكريين وتقاضوا الى عمرو هذا . وكان قد أصلح بينهما بعد حرب البسوس وشرط عليهما شروطا اذا اختصما . فلما جاءوه للمقاضاة كان ابن كلثوم سيد تغلب والنعمان بن هرم سيد بكر . وجرى بين الاميرين جدال بين يدى صاحب الحيرة . وكان هذا يؤثر تغلبا على بكر فطرد ابن هرم ، فنهض ابن كلثوم وأنشد معلقته ، وكان حاضرا هناك الحارث بن

حلزة من بكر وائل فأنشد معلقته كما سيحییء . فالغالب ان ابن كلثوم نظم معلقته على مرتين في حادثة أمه وهذه الحادثة . ولذلك رأيت فيها إشارة الى كليهما وقد وقف عمرو بن كلثوم بهذه في سوق عكاظ فأنشدها في موسم مكة ، وكان بنو تغلب يعظمونها ويروونها صغارهم وكبارهم لما حوتله من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها . فقد استهلها بذكر الخمر ووصف شاربها وتأثيرها ، وهذا قليل في شعر الجاهلية كما تقدم . ثم وصف ليلى نحو وصف النابغة المتجردة ، ثم خاطب عمرو بن هند وافتخر بنفسه وأهله ، وأشار الى ما أراده ابن هند من احتقار والدته ، وذكر واقعة لهم في ذي أراط فازوا بها وايدعوا ، ثم تخلص الى الفخر في أبيات هذا بعضها :

وقد علم القبائل غير فخرٍ	إذا قَبَبَ بأبْطَحها بئبنا
بأنا العاصمون إذا أطعنا	وأنا العارمون إذا عصينا
وأنا المنعمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا أتينا
وأنا الحاكمون بما أردنا	وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون لما سخطنا	وأنا الآخذون لما هويننا
وأنا الطالبون إذا تقمنا	وأنا الضاربون إذا ابتلينا
وأنا النازلون بكل ثغر	يخاف النازلون به المئثونا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا	ويشرب غيرنا كدراً وطينا

وليس لعمرو بن كلثوم ديوان معروف . ولكن اشعاره متفرقة في الاغانى . ١٨١ ج ٩ وفي الشعر والشعراء ١١٧ والجمهرة ٧٤ وشعراء النصرانية ١٩٧ وشرح القصائد العشر ١٠٨ وفي معجم البلدان وديوان الحماسة وغيرها (*)

٧ - الحارث بن حلزة اليشكري

توفي سنة ٥٨٠ م

هو من بكر وائل ، وقد اشتهر بين أهل العراق . وكان به وضع أى برص ، وهو قليل النظم وانما اشتهر بمعلقته وهى قصيدة واحدة كما اشتهر بمثلها عمرو بن كلثوم وطرفه بن العبد الآتى ذكره . وقد تقدم أن الحارث كان في وفد البكرين الذين اتوا عمرو بن هند وخطيبهم النعمان بن هرم . فلما غضب ابن هند عليه وأوشك أن يقضى لبنى تغلب ، قال الحارث

(*) انظر أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، وتاريخ الادب العربية لنالينو ص ٦١ وفي الادب الجاهلى لطلح حسين . وقد طبع ديوان عمرو بن كلثوم مع ديوان الحارث بن حلزة في مجلة المشرق ص ٥٩١ - ٦١١ من السنة العشرين ١٩٢٢ . وراجع أيضا الشعراء الفرسان لبطرس البستاني

ابن حلزة لقومه : « انى قد قلت خطبة فمن قام بها ظفر بحجته وفلج على خصمه .. فرواها اناسا منهم ، فلما قاموا بين يدي الملك لم يرضه انشادهم » ، فقال : « انى لا ارى احدا يقوم بها مقامى لكنى اكره ان اكلم الملك من وراء سبعة ستور ، وينضح اثرى بالماء اذا انصرفت عنه » . وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص ، وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى احد به سوء . ثم خاف ابن حلزة على قومه وقال : « انا محتمل ذلك واقرب من الملك » فقيل لعمر بن هند : « ان به وضحا » فأمر ان تمد بينه وبين الحارث سبعة ستور . فجعلت ، فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك : « أهذا يناطقنى وهو لا يطيق صدر راحلته » فأجابه الملك حتى افحمه . وانشد الحارث قصيدته التى مطلعها :

آذتتنا ببينها أسماءُ ربِّ ثاورٍ يَمَلُّ منه الثَّواءُ
وكانت هند أم عمرو صاحب الحيرة تسمع ، فقالت : تالله ما رأيت كاليوم قط رجلا يقول مثل هذا القول يكلم من وراء سبعة ستور » فقال الملك : « ارفعوا سترا وادنوا الحارث » حتى اذا ازيلت الستور السبعة أقعده الملك قريبا مثله وبالع في اكرامه ، وضرب بالحارث المثل بالفخر ، فقيل : « أفخر من الحارث بن حلزة » وخصوصا لانهم يزعمون انه قالها ارتجالا ، وذلك بعيد لانه ذكر فيها عدة من أيام العرب غير ببعضها بنى تغلب تصريجا وعرض ببعضها بعمر بن هند ، فهى من قبيل الملاحم في وصف الوقائع والحارث غير معلقته أبيات قليلة منشورة مع أخباره في الاغانى ١٧٧ ج ٩ ، وشرح القصائد العشر ١٢٥ والشعر والشعراء ٩٦ وشعراء النصرانية ١٦ وفى سائر كتب الادب (*)

٨ - طرفة بن العبد

توفى سنة ٥٠٠ م

هو ابو عمرو طرفة بن العبد من بكر وائل من ربيعة ابن اخت جرير ابن عبد المسيح المعروف بالتملس ، وقد نبغ في الشعر منذ حداثة حتى صار يعد من الطبقة الاولى وتوفى صغير السن . ومع كونه من المقلين فان أشعاره كانت معول اصحاب اللغة في الاستشهاد ، وكان في صباه عاكفا على الملاهى يعاقر الخمر وينفق ماله عليها ، ولكن مكانه في قومه جعله جريئاعلى الهجاء ، ومات ابوه وهو صغير فأبى أعمامه ان يقسموا ماله وظلموه حقا لآله وردة ، فنظم في هجائهم قصيدة ابدع فيها مطلعها :

ما تنظرون بحق وردةٍ فكم صغَرَ البنون ورهطُ وردةٍ غيبُ
واشتهر في الاكثر بمعلقته .. ويقال فى سبب نظمها ان اخاه معبدا كانت

(*) انظر فى الحارث أيضا ، طبقات الشعراء لابن سلام ، والمفضليات رقم ٢٥ ، ٦٢ ومعجم الازباني ، وقد طبع ديوانه كما مر مع ديوان عمرو بن كلثوم ، وانظر تاريخ الاداب العربية انالينو ص ٦٠ وفى الادب الجاهلى لطله حسين

له ابل ضلت فذهب أخوه طرفه الى ابن عمه مالك ليعينه فى طلبها فلامه وانتهره ، وقال : « فرطت فيها ثم أقبلت تتعب فى طلبها » فهأجت قريحة طرفه ، فقال معلقته التى مطالعها :

لخولة أطلال" ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد

وفىها يشبه حدوج حبيبته بالسفن السابحة فى الماء ، ثم يصف ناقته وصفا جميلا يوهمك لأول وهلة انه يصف حبيبته . ولكنك لا تلبث ان ترى وصفه الدقيق لكل عضو من أعضائها حتى ذيلها ، ثم ينتقل الى الحكم والموعظة ثم العتاب يعاتب ابن عمه على تعنيفه ، ويأسف لانه لا يقدر أن يرد تعنيفه لمقامه عنده

ولطرفة حديث مع عمرو بن هند صاحب الحيرة والمتلمس الشاعر كان سببا فى قتله . وذلك أن طرفه كان فى صباه معجبا بنفسه يتخلج فى مشيته ، قمشى تلك المشية مرة بين يدي عمرو بن هند فنظر اليه نظرة كادت تبثله من مجلسه . وكان المتلمس حاضرا ، فلما قاما قال له المتلمس : « ياطرفة انى أخاف عليك من نظرتك اليك » فقال طرفه : « كلا » ثم انه كتب لهما كتابين الى المكعب ، وكان عامله على البحرين وعمان ، فخرجا من عنده وسارا حتى اذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة رأيا فيها شيخا دار بينهما وبينه كلام نبه المتلمس الى ما قد يكون فى الكتاب الذى يحمله من الاذى . ولهم يكن يعرف القراءة فاذا هو بسلام من أهل الحيرة يسقى غنما له من نهر الحيرة ، فقال له المتلمس : « يا غلام أتقرأ ؟ » قال : « نعم » قال : « اقرأ هذه » فاذا فيها « باسمك اللهم من عمرو بن هند الى المكعب اذا اتاك كتابى هذا من المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا » فألقى المتلمس الصحيفة فى النهر ، وقال : « يا طرفه معك والله مثلها » فقال : « كلا ما كان ليكتب لى مثل ذلك » ثم أتى طرفه الى المكعب ، فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا ، ف ضرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يسعى فى حتفه بنفسه

وقد جمعت أشعار طرفه فى ديوان طبع بشالون بفرنسا سنة ١٩٠٠ مع ترجمة فرنسية بعناية « سلكسن » . وتجد أخبار طرفه مع بعض أقواله متفرقة فى الاغانى وفى شرح المعلقات وامثال الميدانى وحياة الحيوان للدميرى ٢٠٩ ج ٢ والجمهرة ٨٣ وفى ديوان الشعراء الستة الجاهلين وخزانة الادب ٤١٤ ج ١ والشعر والشعراء ٨٨ وفى شرح القصائد العشر ٣٠ وفى الحماسة وغيرها . وفى المجلة الآسيوية الفرنسية Journal Asiatique لسنة ١٨٤١ مقالة عنه وعن المتلمس (*)

(*) أنظر فى طرفه أيضا طبقات الشعراء لابن سلام ، والموشح للمرزبانى ص ٥٧ وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٨ وفى الادب الجاهلى لطف حسين ، ودائرة المعارف الاسلامية . وقد طبع ديوانه طبعة أخرى غير التى أشار اليها المؤلف فى العقد النبى ، وأيضا فى مجموعة مصطفى السقا

٩ - عنتره بن شداد العيسى

توفي سنة ٦١٥ م

هو عنتره بن شداد من قبيلة عبس من قيس ، وهو من الشعراء الفرسان . الشجعان ، وعشق قهاجت شاعريته واتسع خياله . وأخباره مدونة في قصته المشهورة ، لكن أكثرها موضوع من قبيل القصص الروائية . أما عنتره فلا شك في وجوده ، وله حروب وأشعار . والصحيح من خبره أن أمه زبيبة كانت حبشية فلما أنجبت ابنها وظهرت مواهبه اعترف به أبوه وألحقه بنسبه على اصطلاحهم في ذلك العصر

وهو أحد أغربة العرب ، ممن أمهاتهم أماء وهم ثلاثة : عنتره وخفاف بن عمير والسليك بن السليكة . وشهد عنتره حرب داحس والغبراء وهو شاب ووقعت ملاحاة بينه وبين بنى عبس في ابل أخذها من حليف لهم اقتتلوا عليها . وحدثت حروب بين جديلة وثعل ، وكان عنتره مع جديلة فنصرهم فانتصروا فشكته ثعل الى غطفان . ووقائع كثيرة يشتبه فيها الصحيح بالموضوع وهم في اختلاف في سبب قتله . وأحب عبلة بنت عمه وهو يذكرها في أكثر أشعاره

ولعنتره أشعار كثيرة تدخل في ديوان كبير ، والرواة مختلفون فيما هو له وما هو موضوع . ومما هو ثابت له المعلقة التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهّم

ويقال في سبب نظمها أنه جلس يوما في مجلس بعدما كان قد أبلى . واعترف به أبوه وأعتقه ، فسأبه رجل من بنى عبس ذكر سواده وأمّه وأخوته . فسبه عنتره وفخر عليه ، وقال فيما قال له : « انى لاضر البأس وأوفى المغنم وأعنف عند المسئلة وأجود بما ملكت يدي وأفصل الخطة الصماء » قال له الرجل : « أنا اشعر منك » قال : « ستعلم ذلك » فقال عنتره يذكر قتل معاوية بن نزال وهى أول كلمة قالها

فبدأ بذكر الديار ديار عبلة وخاطبها يشكو البعد والغرام ، ثم استأنف . الفخر والحماسة . وأكثر الرواة ينكرون أن يكون مطلع المعلقة له ومنهم الأصمعي وابن الأعرابي ، وكلهم يقولون أن أول المعلقة الحقيقي :

يا دار عبلة بالجِواءِ تكلمى وعمى صباحا دار عبلة واسامى .
ومن غرر القصائد المنسوبة اليه قصيدة يذكر فيها واقعة يوم الفروق .
مطلعها :

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

وصف فيها الواقعة وافتخر . . وله قصيدة فخمة يتوعد بها النعمان . ويفتخر بقومه كلها حكم وحماسة مطلعها :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرقب ولا ينال العلى من طبعه الغضب
وفي هذا البيت من الحكمة البالغة ما ليس بعده غاية . ومن أقواله قصيدة
يهدد بها عمارة والربيع ابنى زياد العبسى معرضا بذكر قومهما مطلعها :

لغير العلا منى القلا والتجنب ولولا العلا ماكنت فى العيش أرب
وغير هذه شئ كثير يراجع فى ديوانه وفيه معان لم يسبق إليها ، منها
قوله :

وخلا الذباب بها فليس يبارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه فعل المكب على الزناد الأجذم
وقوله :

وإذا شربت فانتى مسـنـهـلك مالى وعرضى وافر لم يكتلم
وإذا صحوت فما أقصّر عن تدى وكما علت شمائلى وتكرمى
ومن ذلك قوله :

انى امرؤ من خير عبس منـصـباً شطرى وأحمى سائرى بالمتنصل
وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من مغم مخول
يقول النصف من نسبى شريف فى خير عبس وأحمى النصف الآخر وهو
نسبه فى السودان بالسيف فأشرفه أيضاً ، ومن أحسن شعره قوله :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهـل لا بد أن أسقى بذاك المنهل
فاقتنى حياءك لا أبالك واعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل
إن المنية لو تمثـل مثـلت مثلى إذا نزلوا بضـنـك المنزل
ومن افراطه قوله :

وأنا المنية فى المواطن كلها والطعن منى سابق الآجار
وفى هذه يفخر بأخواله من السودان اذ يقول :

إنى لتعرف فى الحروب مواطنى فى آل عبس مشهدى وفعالى
منهم أبى حقاً فهم لى والد والأُم من جام فهم أخوالى
وأشعار عنبرة كلها واردة فى قصته وقد أفرد بها بعضهم فى ديوان على
حدة ، وطبع فى بيروت بغر تحقيق فيما هو له وما ليس له (**) ، وقد

(*) هذا المطلع بعينه للشرىف الرضى فى قصيدة مشهورة له

(**) طبع ديوان عنبرة أيضاً فى مجموعة العقد الثمين لالورد ، ومجموعة مختار الشعر
الجاهلى لمصطفى السقا

وردت أخباره في الاغانى ١٤٨ ج ٧ والشعر والشعراء ١٣٠. وشعراء النصرانية ٧٩٤ والجمهرة ٩٢ وخزانة الادب ٦٢ ج ١ والعقد الفريد ٣٤ ج ١ وشرح القصائد العشر ٩٠ وترجمنا له في السنة الخامسة من الهلال . وللمستشرق الالماني توربكي Thorbecke كتاب بشأنه طبع في هيدلبرج سنة ١٨٦٨ (*)

قصة عنتره

أما قصته فقد اختلفوا في واضعها ، ويظهر أنها وضعت بالتدريج ومعنى ذلك أنهم توسعوا فيها وأضافوا اليها زيادات على مر التاريخ حتى بلغت ماهى عليه الان . وكان من عادة المسلمين في صدر الاسلام أن يستنهضوا همم الجند للحرب بتلاوة أخبار الشجعان وفرسانهم الجاهليين ، وقد رأيناهم يفعلون ذلك في القرن الاول للهجرة في زمن الحجاج بن يوسف سنة ٧٧ في الواقعة التي قتل فيها شبيب عتاب بن ورقاء . ذكر ابن الاثير ان عتابا سار في أصحابه قبل المعركة يحرضهم على القتال ويقص عليهم ، ثم قال : « اين القصاص ؟ » فلم يجبه أحد ، فقال : « اين من يروى شعر عنتره ؟ » فلم يجبه أحد الخ

فكانوا أولا يروون أشعار عنتره للحماسة ، ثم صاروا يجمعون أخباره وأحاديثه ويتناقلونها رواية عن الاصمعي وهي تتسع حتى جمعت بمصر في أواخر القرن الرابع للهجرة في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي . وقد جاء في سبب جمعها وتدوينها ان رجلا اسمه الشيخ يوسف بن اسماعيل كان يتصل بالعزيز بالله . . فاتفق ان يحدث ربة في دار العزيز ، لهجت الناس بها في المنازل والاسواق فساء العزيز ذلك ، وأشار على الشيخ يوسف المذكور ان يطرف الناس بما عساه أن يشغلهم عن هذا الحديث

وكان الشيخ يوسف هذا واسع الرواية في أخبار العرب كثير النوادر والاحاديث ، وكان قد أخذ روايات شتى عن أبي عبيدة وابن هشام وجهينة الاخبار والاصمعي وغيرهم من الرواة ، فأخذ يكتب قصة عنتره ويوزعها في الناس فأعجبوا بها واشتغلوا عن سواها . ومن تلطفه في الحيلة أنه قسمها الى ٧٢ كتابا والتزم في آخر كل كتاب ان يقطع الكلام في حادث مهم يشتاق القارئ والسامع الى الوقوف على تمامه . . فلا يفتر عن طلب الكتاب الذي يليه ، فاذا وقف عليه انتهى به مثل ما انتهى في الاول وهكذا الى نهاية القصة . وقد أثبت في هذه الكتب ما ورد من أشعار العرب المذكورين فيها ، ولكن تداول النساخين الجهلاء للقصة أفسد روايتها . . والقصة مشهورة ومطبوعة مرارا

(*) أنظر أيضا في عنتره تاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦١ ودائرة المعارف الاسلامية . وقد كتب آلورد بحثا في صحة أشعاره

١٠ - عبيد بن الأبرص الأسدي

توفي سنة ٥٥٥ م

هو من بني أسد من مضر من شعراء الطبقة الأولى قديم الذكر عظيم الشهرة ، لكن الباقي من شعره أقل من شهرته ، وكان عبيد لا يقول الشعر في صباه . وذكروا في سبب ما بعثه على النظم انه كان ضيق الرزق قليل المال ، فأقبل ذات يوم بغنم له ومعه أخته ماوية ليوردا غنمهما . فمنعه رجل من مالك وجبهه . . فانطلق حزينا مهموما ثم ابتهل الى الله : ان كان فلان ظلمني ورماني بالبهتان فأدلى مني وانصرني عليه . ووضع رأسه فنام ، فرأى في المنام ان رجلا أتاه بكبة من شعر ألقاها في فيه ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز ، واستمر بعد ذلك ينظم الشعر حتى صار شاعر بني أسد غير مدافع ، فنظم قصيدته البائية وهي التي تعد من المعلقة مطلعها :

أَقْفَرُ من أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقُطَيْبِيُّنَا فَاذْثُوبٌ

وهي ٤٨ بيتا نشرها التبريزي ملحقة بالمعلقة السبع مع قصيدتي الأعشى والنابغة في شرح القصائد العشر . وهو معدود من اصحاب المجمعرات عند صاحب جمهرة أشعار العرب ، وجمهرته عنده هي نفس هذه المعلقة مع بعض التغيير (١)

وفي أيامه كان حجر بن الحارث الكندي والد امرئ القيس ملكا على بني أسد كما تقدم ، وكان عبيد ينادمه فنظم فيه قصائد من جملتها قصيدة يغني بها ، مطلعها :

طاف الخيالُ علينا ليلةَ الوادي من أمٍّ عمرو ولم يُلِّم بِمِيعاد

وأبى بنو أسد مرة ان يدفعوا الاتاة لحجر وقتلوا رسله ، ففضضب وحاربهم واستباح اموالهم واخرجهم الى تهامة وحبس بعض ساداتهم وفيهم عبيد بن الأبرص . . فذهب منهم وفد اليه ، وجاء عبيد فوقف وأنشد قصيدة جاء فيها :

وَمَنْعَتَهُمْ نَجْدًا فَقَدْ حَلَّشُوا عَلَى وَجَلٍ تِهَاءَهُ
بَرِمَتْ بنو أسد كما بَرِمَتْ بِيضَتِهَا الْحَمَامَهُ
جَعَلَتْ لَهَا عودين من نَشْمٍ وَآخِرَ من ثَمَامِهِ (٢)
مهما تركت تركت عفوا أو قتلت فلا مَلامَهُ
أنت المليكُ عليهم وهمُ العبيد الى القِيَامِهِ
ذَلُّوا لِسُوطِكَ مَثَلُ ما ذلَّ الْأَشْيَقِرُّ ذُو الْخِزَامِهِ (٣)

(١) الجمهرة ١٠٠ (٢) النشم : شجر ، والثمامة : نبت
(٣) الأشيقر : الأحمر من الابل ، والخزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير

فأطلق حجر سبيلهم • ثم ثارت أسد ثانية عليه وقتلوه كما ذكرنا في
ترجمة امرئ القيس • وغضب امرؤ القيس ولم يقبل منهم دية أبيه
وبعدهم فقال عبید قصيدة مطلعها :

يا إذا المخوفنا بقتل أبيه اذلالا وحينا
وزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذبا ومينا

وعمر عبید طويلا حتى قتله المنذر بن ماء السماء في حديث، خلاصته أن
المنذر قتل نديمين أنه من بنى أسد وهو غضبان ، فلما أصبح ندم فبنى
على قبريهما ضريحين سماهما الغريين وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس
فيهما هناك ، أحدهما يوم نعيم والآخر يوم بؤس • فأول من يطلع عليه في
يوم النعيم يعطيه مائة من الابل وأول من يطلع عليه في يوم البؤس يقتله
ويطلى بدمه الغريين . فاتفق لعبيد أن أتاه في يوم بؤسه فقتله . وهذا
الحديث يشبه ما ذكروه عن حنظلة والنعمان ، لكن حادثة حنظلة تمثل الوفاء
أحسن تمثيل اذ يطلق النعمان حنظلة بضمانة على أن يغيب سنة ثم يعود
ليقتل ، فلما حان الوقت جاء وسأله النعمان عما حمله على المجيء بعد أن
نجا بنفسه ، فقال : « الوفاء »

فلعل الاصل فيها قصة عبید فزاد عليها العـرب وعد حنظلة ووفاءه
ليمثلوا بها الوفاء على نحو ما كما يفعل اليونان في الروايات التمثيلية ، وقد
أشرنا الى ذلك قبلا

ومن أحسن شعر عبید ، قصيدته الدالية التي مطلعها :

لمن ذمّة أقوت بحرّة صرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدد

ولعبيد ديوان تحت الطبع على يد لجنة تذكّار جيب بانجلترا مع ديوان
عامر بن الطفيل بتصحيح المستشرق لايل Lyall (*)

وتجد اخبار عبید في الاغانى ٨٤ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٤٣ وشعراء
النصرانية ٥٩٦ والجمهرة ١٠٠ وفي مجمع الامثال للميداني ومعجم البلدان
والعمدة ومعجم البكرى وغيرها (**)

الملاحظات والمستشرقون

وقد عني غير واحد بشرح الملاحظات وان اختلفوا في عددها كما تقدم •
وعنى جماعة من علماء اوربا المستشرقين بترجمتها • وأشهر من فعل ذلك
منهم وأليم جونز W. Jones الانجليزى فقد نشرها مع ترجمة

(*) نشر لايل الديوانين مع بحث طريف عن الشاعرين
(**) انظر أيضا في عبید أمالى القالى ج ٣ ص ١٩٩ وشرح شواهد المغنى للسيوطى
ص ٢٩٢ ، وفي الادب الجاهلى لظه حسين ، وتاريخ الادب العربية لنالينو ص ٦٧
ومقدمة لايل لديوانه

وشرح في لندن سنة ١٧٨٣ ، وابل Abel النمساوى ترجمها الى
 النمساوية ونشرها مع الاصل العربى فى برلين سنة ١٨٩١ . ثم جنسن
 Johnson الانجليزى ترجمها الى الانجليزية ونشرها فى لندن سنة ١٨٩٤ ،
 مع مقدمة للشيخ فيض الابهى . وقد كتب عنها وعن غيرها من شعـ
 الجاهلية لايـل Lyall المذكور كتابا طبع فى لندن سنة ١٨٨٥ ونولدكى
 Noeldeke الالماني وغيرهما

الشعراء، الأمراء

الشعراء من الملوك والامراء بضعة عشر شاعرا ، منهم اثنان من أصحاب المعلقات هما امرؤ القيس وعمرو بن كلثوم وقد ترجمنا لهما ، واليك من بقى :

١ - الافوه الاودى

توفى سنة ٥٧٠ م

هو صلاءة بن عمرو من أود ، وينتهى نسبة الى مذحج من قبائل اليمن . وكان سيد قومه وقائدهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها ، وله قصيدة دالية تدل على حكمة وصدق نظر منها قوله : (*)

ان النجاة اذا ما كنت ذا بصيرٍ من أجّة الغى إبعاد
والخير تزداد منه ما لقيت به والشر يكفيك منه قلما زاد
والبيت لا يثبتنى الا له عمد ولا عماد اذا لم ترس أوتاد
فان تجمّع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا
لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهّالهم سادوا
تلقى الأمور بأهل الرأي ماصلحت فان تولوا فبالأشرار تنقاد
اذا تولى سراة الناس أمرهم نمت على ذاك أمر القوم فازدادوا
ومن حماسياته قوله :

نقاتل أقواما فنسبى نساءهم ولم يرَ ذو عزٍ لنسوتنا حجلا
نقود ونأبى أن نقساد ولا ترى لقوم علينا في مكارمهم فضلا
وانا بطاء المشى عند نسائنا كما قيّدت بالصيف نجديّة بزلا

(*) الغريب فى آيات الافوه الاودى - الاحة : من أجب النار - السراة : الاشراف والسادة - الحجل : الخلخال - البزل : جمع بازل وهو البعير المسن

وقد جمعت أقواله في الاغانى ٤٤ ج ١١ وشعراء النضرانية ٧٠ والشعر والشعراء ١١٠ وله أبيات متفرقة في كتب الادب ونحوها وليس له ديوان مجموع (*)

٢ - المهلهل بن ربيعة

توفي نحو سنة ٥٣١ م

هو عدى بن ربيعة التغلبى أخو كليب من نجد من الطبقة الاولى ، وهو خال امرئ القيس الشاعر الملك . وكان المهلهل فصيحا شديدا البأس في الحروب ، وقد شهد حرب يوم السلان مع أخيه كليب ، وأبلى بلاء حسنا . وكان المهلهل في أول أمره صاحب لهو كثير المحادثة للنساء ، فسماه أخوه كليب « زير النساء » أى جليسهن ، ولم يكن يرجو منه خيرا . فلما قتل كليب فى أمر البسوس المشهور (١) كان المهلهل يعاقر الخمر ، فهاجه مقتل أخيه وذهب الى قومه واستحثهم على الاخذ بالثأر . وجز شعره وقصر ثوبه ، وهجر النساء وترك الغزل ، وحرم القمار والشراب ، ونهض للحرب ، وما أشبه عمله هذا بعمل ابن أخته امرئ القيس . ولعل هذا ورث الشاعرية عن خاله لان كليهما وصاف ومستنبط . وطالت الحروب بين بكر وتغلب نحو أربعين سنة كان النصر فيها سجلا ثم تصافوا واصطلحوا

وكان المهلهل فى أثناء ذلك يقول الشعر على مقتضيات الاحوال بين فخر وحماسة وغيرهما . . فمن ذلك قوله يوم علم بمقتل أخيه وجاء الى قومه فرأى النساء يبكين ، فقال : « استبقين للبكاء عيونا الى آخر الابد » وقال وهو أول شعره :

كنا نغار على العواتق أن ترى بالأمس خارجة عن الأوطان
فخرجن حين ثوى كليب حُسْرًا مستيقناتٍ بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عوانًا إذ حان مصرعه من الأكفان
يخمشن من أدم الوجوه حواسرا من بعده ويعدن بالأزمان
متسلبات تكدهن وقد ورى أجوافهن بحرقه وورانى
ثم تخلص الى الرثاء والوعيد بالثأر . ومن مراثيه فى أخيه قوله من قصيدة :

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها أن أنت خلّيتها فيمن يخلّيها

(*) طبع ديوان الافوه بمصر فى مجموعة الطرائف الادبية سنة ١٩٣٧ ، وراجع الامالى للقالى ج ٢ ص ٢٢٨ : وسمط اللالى ٢٦٥ ، ٨٤٤ والعينى ج ١ ص ٤٢١ وانظر تاريخ الاداب العربية لتالينو ص ٦٤

(١) اقرأ تفصيله فى كتابنا « العرب قبل الاسلام » صفحة ٢٣٢

كليبُ أي فتى عزٌّ ومسكرمة تحت السقائف اذ يعلوك سافيتها
نعي النعاة كليباً لي فقلت لهم مادت بنا الأرض أم مادت رواسيها
ليت السماء على من تحتها وقعت وانثقت الأرض فانجابت بمن فيها
ومن أقواله قصيدته الممدودة من المنتقيات ومطلعها :

حَلَّكَتْ رَكابُ البغي من وائلٍ في رهط جَسَّاسٍ ثقال الوسوق
والعرب تسميها الداهية . وقد وضع القصاصون قصة حماسية بطلها
المهلhel تعرف بقصة الزير ، كما وضعوا قصة عنتره ولكنها متأخرة وعبارتها
أقرب الى العامية . وللمهلhel ذكر في تاريخ الشعر العربي فانه أول من
طول قصائده كما تقدم

وقد جمعت أشعاره في ديوان ، وهو أقدم شاعر جمع له ديوان ولم يصل
الينا هذا الديوان . ولكن بعض المعاصرين جمع له ديواناً أخذ من أقواله
في كتب الادب وغيرها ولم تقف عليه . ولكنك تجد معظم اشعاره في الاغانى
١٤٨ ج ٤ وخزانة الادب ٣٠٠ ج ١ والشعر والشعراء ١٦٤ والجمهرة
١٦٥ وفي تاريخ ابن الاثير ومعجم ياقوت ومعجم البكرى وشعراء النصرانية
١٦٠ وفي ديوان الحماسة وغيرها (*)

٣ - عبد يغوث

توفي سنة ٥٨٠ م

هو عبد يغوث بن صلاة من بنى الحارث بن كعب من كهلان . كان فارساً
سيداً لقومه ، وكان قائدهم في يوم الكلاب الثاني الى بنى تميم وقد أسر يومئذ
وقتل . وهو عريق في الشعاعرية ونبع من أهله غير شاعر وكلهم فحول .
وأحسن شعره قصيدة قالها وهو يتأهب للموت ، وكان قد أسر وشهد
لسانه بنسعة ، وخبروه في الطريقة التي يريد ان يقتل بها فقال :
« اسقوني الخمر ودعوني أنح على نفسي » فسقوه وقطعوا له عرق الاكل
وتركوه ودمه ينزف ومعه ابنه ، فجعل يلومانه على ما أركبهما من المشاق
فنظم هذه القصيدة ومطلعها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما ييا فما لكما في اللوم نفع ولا ليا
ومنها قوله : (**)

(*) راجع ترجمة له في امالي القالي ج ٢ ص ١٣٠ . وانظر الموشح للمزباني ص ٧٤
وكتاب في الادب الجاهلي وتاريخ الادب العربية لنالينو ص ٥٣
(**) الغريب في هذه الابيات : النسعة : سر يضفر من جلد - اسجج : سهل ويسر
في الامر - حربه ماله : سلبه اياه - الرعاء : جمع راع ، العزيزين : جمع معزب وهو
المتخى بابله ، المتالي : الابل - الجزور : البعير الذي يجزر ويذبح - المطبة هنا :
الناقة ، والشرب : جمع شارب ، واصدع : اشق ، والقبنة : المغنية ، يقول انه كان
ينحر جزوره للشرب ويشق قميصه او برداء للمغنيين ، فيعطى كلا قطعة - وعادية أي
وفرس عادية تسبح في الارض سباحا ، سوم الجراد أي تمرر الجراد في السرعة ،
وزعتها : كففتها ، العوالى : الرماح - أسبأ : اشترى الخمر ، والروى : المثلوى ،
والايسار : الذين يضربون القдах في القمار

أقول وقد شدوا لساني بنسعةٍ أمعشرَ تيمٍ أطلقوا عن لساني
 أمعشر تيمٍ قد ملكتم فأسنجحوا فان أخاكم لم يكن من بوانيا
 فان تقتلونى تقتلوا بى سيدا وان تطلقونى تحرّبونى بمالييا
 أحقا عباد الله أن لست سامعا نشيد الرّعاء المتعزّ بين المتاليا
 وقد كنت نحّار الجزور ومُعمل ال مطيّ وأمضى حيث لا حى ماضيا
 وأنحرّ للشّرّب الكرام مطيتى وأصدع بين القينتين ردائيا
 وعاديةٍ سؤمَ الجراد وزعتّها بكفى وقد أنحوا الى العوانيا
 كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى نفسى عن رجاليا
 ولم أسبأ الزّقق الرّوى ولم أقل لأيسار صدق: أعظموا ضوء ناريا
 وأخباره فى الاغانى ٧٣ ج ١٥ وخزانة الادب ٣١٧ ج ١ وشعراء النصرانية
 ٧٥ والكامل لابن الاثير ومعجم البلدان وغيرها (*)

٤ - زهير بن جناب

توفى سنة ٥٠٠ م

هو زهير بن جناب الكلبى من قضاة ، وهو من مشاهير امراء العرب فى
 الجاهلية . ولد فى اخر القرن الرابع للميلاد وعمر طويلا ربما بلغ عمره ١٥٠
 سنة ، وله حروب كثيرة مع قبائل العرب وتولى الامارة على بكر وتغلب
 لصاحب اليمن ، وما زال عليهم حتى حاووا الاستقلال من اليمن كما تقدم
 ولما كبر زهير وشاخ ثقلت همته وكف بصره ، وظل مع ذلك مقدما عند
 ملوك اليمن والشام . وكان الغساسنة يستشيرونه حتى توفى نحو سنة
 ٥٠٠ وهو من أقدم الشعراء وأجودهم ولم يصلنا من شعره الا القليل . هذه
 أمثلة منه فى الحماسة (***)

أبى قومنا أن بفلوا الحق فانتهاوا اليه وأنياب من الحرب تحرق
 فجاءوا الى رجراجة مستمزة يكاد المرنئى نحوها الطرف يصعق
 دروع وأرماح بأيدي أعزة وموضونة مما أفاد مخرق
 وخيل جعلناها دخيل كرامة عّقارا ليوم الحرب تحفى وتنبق
 فما برحوا حتى تركنا رئيسهم يُعفّر فيه المضرّجى المذلّق

(*) انظر ايضا ذيل الامالى ص ١٣٣ والفضليات رقم ٣٠
 (**) القريب فى الأبيات التالية : الرجراجة : الجماعة الكثيفة ، مستمزة : متميزة
 من الغيظ ، أو مستمزة من الميرة أى تطلبها - الموضونة : الدروع ، ومخرق : لقب غير
 ملك من ملوك المناذرة ، يقال كان يحرق العرب ، وكان تلك كانت عادة لهم فى بعض
 حروبهم أن يحرقوا الاسرى - تنبق هنا : تشد عليها السروج - المضرّجى : الضعيف
 العظيم ، المذلّق : المحدد نابه

ويقال انه صاحب البيت المشهور :
 اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام
 وجاءت اخباره في الاغانى ١٧ ج ٣ والشعر والشعراء ٢٢٣ وشعراء
 النصرانية ٢٠٥ وأمثال الميداني وغيرها (*)

٥ - عامر بن الطفيل العامري

توفي سنة ٦٢٣ م

هو ابن عم لبيد الشاعر ، وكان فارس قيس وسيدهم . وكان عقيما
 لا يولد له ، ومن جيد شعره في الحماسة قوله :
 وما الأرض الا قيس عيلا نأهلها لهم ساحتها سهلا وحزومها
 وقد نال آفاق السموات مجدنا لنا الضحوة من افاقها وغيومها
 ومن قوله في الفخر :

فاني وان كنت ابن فارس عامر وسيدها المشهور في كل موكب
 فما سؤدتني عامر من وراثته ابي الله أن أسمو بأب ولا أب
 ولكنني أحمى حماها وأتقى أذاها وأرمى من رماها بمنكب

ولعامر المذكور ديوان أخذت في نشره لجنة تذكاري جيب الانجليزية مع
 ديوان عبيد بن الابرص بعناية المستشرق لايل Lyall (**) وله أخبار
 في الشعر والشعراء ١٩١ والاغانى ٤٦ ج ١٠ وخزانة الادب ٤٩٢ ج ٣ (***)

٦ - ابو قيس بن الاسلت

هو عامر بن جشم من الاوس وهو سيدهم أسسندوا اليه حروبهم
 وجعلوه رئيسا عليهم في حرب يوم بغاث ، فقام فيها خير قيام . ومن شعره
 قوله في امرأة خفرة :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن اتيانهن فتعذر
 وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

(*) أنظر أيضا ابن الاثير الجزء الاول وتاريخ ابي الفداء واما الى المرتضى (طبعة الحلبي ج
 أول ص ٢٣٨ والمعمرين طبع ليدن ص ٢٦ ولامنس في كتابه Le Berceau de l'Islam
 وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٥ ص ١٩٣

(**) طبع لايل الديوانين كما مر بنا . وقدم لكل من الشعراء بمقدمة طريفة

(***) وأنظر أيضا الخزانة ج ١ ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ، والمؤلف ص ١٥٤ ، ومعجم
 الرزباني ص ٢٢٢ والفضليات رقم ١٠٦ ، ١٠٧ والاصمعيات رقم ٧٧ ، ٧٨ ، وشرح
 النقااض لابن الانباري طبع لايل في يوم فيف الريح ٤٦٩ - ٤٧٢ ، ويوم شعب جبلة
 ٦٥٤ - ٦٧٨ ، وسيرة ابن هشام والشعراء الفرسان لبطرس البستاني ، ودائرة المعارف
 الاسلامية

وهو من أصحاب المذاهبات ومطلع مذهبه :
 قالت ولم تقصد لقول الخنئ مهلا فقد أبلغت أسماعى
 وأخباره في الاغانى ١٦٠ ج ١٥ والجمهرة ١٢٦ (*)

٧ - الحصين بن الحمام

توفى سنة ٦٢١ م

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة سيد بنى سهم بن مرة من قيس ، وكان
 يعرف بمانع الضيم . وأحسن ما وصل إلينا من أقواله قصيدة حماسية
 فخرية قنأها على أثر نصر في موضع يقال له دارة موضوع ، مطلعها :

جَزَى اللهُ أَفْنَاءَ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ عَقُوقًا وَمَأْتَمًا

وهى من جملة المفضليات التى اختارها المفضل الضبى . أخباره في
 الاغانى ١٢٣ ج ١٢ والشعر والشعراء ٤١٠ وشعراء النصرانية ٧٣٣ والسيرة
 النبوية لابن هشام والحماسة والعمدة (***)

٨ - قيس بن عاصم

من تميم ويكنى أبا على ، وهو شاعر فارس شجاع حكيم كثير أنفارات
 مظفر فى غزواته ، أدرك الجاهلية والاسلام وساد فيهما . وهو أحد من
 وأد بناته فى الجاهلية ، وله حديث عن إحدى بناته يؤثر فى النفس (١) وكان
 مشهورا بالكرم لا يستطيع الاكل وحده . ومن نظمه فى ذلك قوله وقد جاءته
 امرأته بالطعام :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي نَهْ أَكِيلًا فَا نِي لَسْتُ أَكُلُهُ وَحَسْدِي
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَا نِي أَخَافُ مَلَامَتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
 وَانِي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مِنْ غَيْرِ ذَلَّةٍ وَمَا بِي إِلَّا تَلَكُ مِنْ شَيْمِ الْعَبْدِ

وعنه يروون وصية أوصى بها أولاده ، ضرب لهم فيها مثل الاتحاد بالرماح
 إذا ضمت معا يعسر كسرهما وإذا تفرقت كسرت

وأخبار قيس فى الاغانى ١٤٩ ج ١٢ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣ والمستطرف

(*) أنظر أيضا الإصابة لابن حجر ج ٧ ص ١٥٧ وابن الاثير الجزء الاول ، والمفضليات
 رقم ٧٥ ، والبيان والتبيين فى مواضع متفرقة (أنظر الفهرس)

(**) أنظر أيضا كتاب طبقات الشعراء لابن سلام ، والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسند
 القابة لابن الاثير ، والإصابة لابن حجر
 (١) أقرأه فى الاغانى ١٥٠ ج ١٢

٩٧ ج ١ والعقد الفريد ١٦٤ ج ١ (*)

ومن الشعراء الامراء ايضا :

٩ - ورقاء بن زهير الغطفاني سيد بني عبس . ترجمته في الاغانى ٨ ج ١١

١٠ - حجر بن عمرو والد امرىء القيس . ترجمته في شعراء النصرانية ص ١

١١ - أمية بن الاسكر التيمى (مضر) ترجمته في الاغانى ١٥٦ ج ١٨

١٢ - منظور بن زبان سبد فزارة وقائدهم . ترجمته في الاغانى ٥٥ ج ١١

١٣ - الاخشن بن شهاب من سادات تغلب . ترجمته في شعراء النصرانية ١٨٤

١٤ - دريد بن الصمة (توفي سنة ٦٣٠) من هوازن سيد جشم ، وهو من اصحاب المنتقيات ، ترجمته في الاغانى ٢ ج ٩ ، والشعر والشعراء ٤٧٠ ، وشعراء النصرانية ٧٥٢ ، وأنجمرة ١١٧

وقد ذكرنا بجانب كل واحد من هؤلاء المأخذ الذى يمكن الرجوع اليه في مطالعة خبره أو أمثلة من شعره ، ولهم أخبار وأشعار أيضا في سائر كتب الادب . . . وخصوصا الشعر والشعراء والحماسة

(*) أنظر أيضا في قيس أمالي المرتضى طبعة الحسلب. ج ١ ص ١٠٧ - ١١٤ ، ٥٩٢ ، ج ٢ ص ١٦١ ، ٢٨٦ والحماسة لأبى تمام وعيون الاخبار لابن قتيبة ج أول ص ٢٨٦ وكتب تراجم الصحابة والسيرة النبوية لابن هشام والبيان والتبيين والكامل للمبرد في مواضع متفرقة . وقد نسبت الابيات المروية له الى حاتم . أنظر حماسة أبى تمام ، وراجع الشعراء الفرسان للبستاني

الشعراء الفرسان

هم أكثر شعراء الجاهلية لان الفروسية والحرب من طبائع أهل البادية ،
وقل من الشعراء من لم يركب أو يغز . ولكننا اختصصنا في هذا الفصل
من غلبت عليهم الفروسية ، وفيهم الفرسان المشهورون وغير المشهورين .
وهم نحو ٤٠ فارسا ، لو أردنا إيراد تراجمهم لاستغرق ذلك مكانا كبيرا مع
قلة الحاجة الى التفصيل في هذا المقام . فنكتفي بذكر الأشهر منهم او من
كان له ديوان محفوظ يمكن الرجوع اليه ، ونكتفي فيمن بقى منهم بذكر
الماخذ التي يمكن الرجوع اليها في مطالعة أخبارهم ، وهاك تراجم الأشهر :

١ - أبو محجن الثقفي

توفي سنة ٦٥٠ م

هو فارس شجاع ينسب الى ثقيف، وكان مولعا بالشراب ، وقد ادرك
الاسلام فهو مخضرم ، وحبسه سعد بن أبي وقاص لشرب الخمر . واتفق
بعد قليل أن المسلمين أصابهم جهد في القادسية ، وكان عند أم ولد لسعد
المذكور ، فهاجت حماسته ونظم هذه الايات :

كفى حزنا أن تطعن الخيل بالقنا وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عتاني الحديد وغلقت مغاليق من دوني تصم المناديا
وقد كنت ذا أهل كثير واخوة فقد تركوني واحدا لا أخا لي
هلم سلاحي لا أبا لك اني أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
ثم احتالت أم ولد سعد المذكورة في اطلاق سراحه . ومن قوله في حب
الخمر :

إذا مت فادفني الى جنب كرمة تروى عظامي بعد موتي عروقتها
ولا تدفني بالفسلة فاني أخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

ولأبي محجن ديوان شعر مطبوع في لندن سنة ١٨٨٧ ، ومنه نسخة
خطية في دار الكتب المصرية . وأخباره متفرقة في الشعر والشعراء ٢٥١ .

وخزانة الادب ٥٥٣ ج ٣ ، وفي الاغانى وغيره (*)

٢ - الاغلب العجلى

توفى سنة ٦٤٣ م

هو الاغلب بن عمرو من جشم من بنى عجل من ربيعة . وهو أحد المعمرين في الجاهلية ، وأدرك الاسلام وأسلم . وكان في جملة من توجه الى الكوفة مع سعد بن أبي وقاص ، ومات في واقعة لها ولد سنة ٢١ هـ ، وهو أول من رجز الارجيز الطوال . . فقد كان العرب ينشدون الرجز في الحرب والحداء والمفاخرة فيأتون منه بأبيات يسيرة . ثم جاء الاغلب فكان أول من قصد الرجز وأطاله ثم سلك الناس طريقته . والاسلام لم يمنعه من انظم كما منع لبيدا ، وقد تقدم خبر ذلك في ترجمة لبيد . ولم نقف له على شعر أو خبر غير ما في الاغانى ١٦٤ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٨٩ ، وخزانة الادب ٣٣٣ ج ١

٣ - حاتم الطائي

توفى سنة ٥٠٦ م

هو حاتم بن عبد الله من قبيلة طى ويكنى أبا سفانة . وهو من أجواد العرب وله أخبار في السخاء مشهورة حتى جرى ذكره مجرى الامثال ، فيقال : « أجود من حاتم طى » وكانت والدته من أسخى الناس حتى اضطرت اخوتها ان يحجروا على أموالها خوفا من تبذيرها . وكانت ابنته سفانة سخية ايضا ، فكان أبوها يعطيها القطعة بعد القطعة من ابله فتهبها للناس . وكان حاتم مع ذلك شاعرا وشجاعا ، ويشبه جوده شعره . وإذا قاتل غلب ، وإذا غنم أنهب ، وإذا سابق سبق . وكان اذا أهل الشهر الاصم الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية وتنجر له ، ينجر في كل يوم عشرة من الابل فيطعم الناس . وكانت الشعراء تفد عليه كالخطيئة وبشر بن أبي خازم . ويروون عن سخاء حاتم وقائع يغلب أن تكون موضوعة أو مبالغ فيها ، لتمثيل فضيلة السخاء وتحبيبها الى الناس من قبيل الشعر التمثيلي وقد أشرنا الى ذلك في كلامنا عن أقسام الشعر عند اليونان . ومن أقواله في السخاء :

أماوى قد طال التجنب والهجر وقد غدرتنى في طلابكم الغدر
أماوى ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكور
أماوى انى لا أقول لسائل اذا جاء يوما حل في مالنا النذر

(*) انظر في ابى محجن ايضا طبقات الشعراء لابن سلام والبيان والتبيين طبع لجنة التأليف ج ٣ ص ٢٣٨ وعيون الاخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٨ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٤٠ ج ١

أماوى" أما مانع" فمُبَيَّن" وأما عطاء" لا ينهه الزجر
أماوى ما يغنى الشراء عن الفتى اذ حشرجت نفس" وضاق بها الصدر
وقوله :

إذا كان بعض المال ربًا لأهله فانى بحمد الله مالى معبئ
أخذه ابن يعفر فقال :

ذرينى أكن للمال ربًا ولا يكن لى المال ربًا تحمدى غيبه غذا
أرينى جوادا مات هزًا لا لعلى أرى ما ترين أو بخيلا مخلدًا
ويستحسن له قوله :

ألا أبلغا وُهمَ بن عمرو رسالةً فانك أنت المرء بالخير أجدر
رأيتك أدنى من أناسٍ قرابةً وغيرك منهم كنت أحبو وأنصر
إذا ما أتى يومٌ يفرق بيننا بموتٍ فكن أنت الذى يتأخر

ولحاتم ديوان مطبوع فى لندن سنة ١٨٧٢ بعناية المرحوم رزق الله حسون،
وطبع أيضا فى بيروت . وأخباره منشورة فى الاغانى ٩٦ ج ١٦ ، والشعر
والشعراء ١٢٣ ، وخزانة الادب ٤٩٤ ج ١ ، والمسنططرف ١٣٧ ج ١ ،
والعقد الفريد ٨١ ج ١ ، وشعراء النصرانية ٩٨ (*)

٤ - زيد الخيل

هو زيد بن مهلهل من طى ، وكان رجلا جسيما طويلا جميلا فارسا
مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصيت فى الجاهلية ، وأدرك الاسلام ووفد على
النبي . . فسر به ولقبه وقرظه وسماه زيد الخير . وهو شاعر مقل لأنه
انما كان يقول الشعر فى مفاخراته ومغازيه واياديه عند من مر عليه وأحسن
فى قراه اليه . وقد سمي زيد الخيل لكثرة خيله يوم لم يكن لسواه من
العرب الا الفرس والفرسان ، فكانت له خيل كثيرة . . منها المسماة
المعروفة التى ذكرها فى شعره وهى ستة : الهطال والكميت والورد وكامل
ودوول ولاحق . وله فى كل منها شعر وكان له ثلاثة بنين كلهم شاعر ، وأكثر

(*) وانظر أيضا مروج الذهب للمسعودى طبعة باريس ج ٣ ص ٣٢٧ ، وذيل الامالى
للقال ، ص ١٥٤ ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٣ ص ٤٢٤ والبيان والتبيين فى مواضع
متفرقة ، وكذلك حماسة ابن تمام . والمظنون انه عاش بعد منتصف القرن السادس
للمسيح وربما لحق القرن السابع . اذ يقال ان ابنته وصفته للنبي صلى الله عليه
وسلم . وانظر تاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٦٤ ، والشعراء الفرسان لبطرس
البستاني ، ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٦ ج ١

أشعاره فى الحماسة والفخر وذكر المواقع والطعن والضرب كقوله : (*)

أنا لنكثر فى قيسٍ وقائنا وفى تميمٍ وهذا الحى من أسدٍ
وعامرٌ بن طفيلٍ قد نحوت له صدر القناة بماضى الحد مطرد
لما أحس بأن الورود مدرّكه وصارما وربيط الجأش ذالبد
نادى الى بسلمٍ بعد ما أخذت منه المنية بالحيزوم واللغند
ولو تصبّر لى حتى أخالطه أسعرته طعنة كالنار بالزند
وجرت بينه وبين بعض القبائل معركة اسر فيها الحطيئة الشاعر فحبسه
وضيق عليه ، وقال فى ذلك :

أقول لعبدى جرولٍ اذ أسرته أثبني ولا يفررك أنك شاعر
أنا الفارس الحامى الحقيقة والذى له المكرمات والشهى والمآثر
وقومى رءوس الناس والرأس قائد اذا الحرب شبتها الأكف المساعر
فلست اذا ما الموت حوذ ورده وأترع حوضاه وحمّج ناظر
بوقافة يخشى الحتوف تهيبا يواعدنى عنها من القب ضامر
ولكننى أغشى الحتوف بصعدتى مجاهرة ان الكريم يجامر
واروى سنانى من دماء عزيزة على أهلها اذ لا تترجى الأياصر
ولا نعرف لزيد الخيل ديوانا مجموعا ولكن أخباره منشورة فى الاغانى ٤٧
ج ١٦ ، والشعر والشعراء ١٥٦ ، والدميرى ٢٠١ ج ١ ، وخزانة الادب
٤٨٨ ج ٢ (***)

٥ - سلامة بن جندل التميمي

توفى سنة ٦٠٨ م

هو شاعر جليل من قدماء الشعراء ، وكان من فرسان تميم المعدودين
وأخوه أحمر مثله . شعره سلس يستشهد به أهل اللغة لمتانته ، وكان

(*) الغريب فى الابيات الآتية والاخرى التى تليها : نحوت له : قصدت له ، مطرد :
متسق - الورد : اسم فرس له ، وذو لبد : الاسد يشبه نفسه به - الحيزوم : الصدر ،
واللغد هنا : الحلق . اللهى : العطايا - شب : أوقد ، والمساعر : جمع مسعر وهو
المتعود على ايقاد الحرب ، التحميمج : شدة النظر مع فتح العينين وادارة الحدقة فرعا
ورعبا - القب : وسط المعركة ، والضامر : الجواد - الصعدة : القناة - الاباصر :
القرايات والعهود

(**) وأنظر فى زيد الخيل السيرة النبوية لابن هشام (الفهرس) وكتب طبقات الصحابة
مثل الاصابة لابن حجر ج ٢ ص ٣٤ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢٤١ وذيل الامالى ص ٢٤ ،
وراجع الشعراء الفرسان للبستاني

معاصرا لعمر و بن هند صاحب الحيرة والنعمان ابى قابوس وله فيهما
أشعار . ومن أحسن شعره قصيدته التي مطلعها :

يا دارَ أسماءَ بالعُلياء من اضمٍ بين الدكاك من قوٍّ فَمَعصوبٍ (*)
كانت لنا مرة دارا فغيرها مَرَّ الرياح بساقى التَّشربِ مجلوب
وترى أمثلة من شعره في كتاب الشعر والشعراء ١٤٧، وشعراء النصرانية
٤٨٦ ، وخزانة الادب ٨٦ ج ٢ ، ومعجم البلدان (***)

٦ - علقمة الفحل

هو علقمة بن عبدة من تميم ، وكان معاصرا لامرئ القيس وينازعه
اشعر . وتحاكما الى أم جندب زوجة امرئ القيس ، فقالت لهما أنظما
قصيدتين من وزن واحد وقافية واحدة تصفان بها الخيل (***)
فنظم امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها :

خليلىَّ مَثْرِيًّا بى على أم جندبٍ لِنَقْضِ لَباناتِ الفؤادِ المَعْدَبِ
ونظم علقمة قصيدة مطلعها :

ذهبتَ من الهجران في كلِّ مذهبٍ ولم يك حقاَّ كلُّ هذا التجنُّبِ
وأنشدها القصيدتين فحكمت لعلقمة ، لان امرأ القيس قال فى وصف
سرعة الفرس :

فللسوط ألُهب وللحاق درَّةٌ وللزَّجر منه وقع أهوج مَنعَبٍ (١)
وقال علقمة :

فأدركهنَّ ثانيا من عِنانِه يمرُّ كمرِّ الرائح المتحلَّبِ
ومرجع حكمها الى أن امرأ القيس أجهد فرسه بسوطه وساقه ، أما
علقمة فان فرسه أدرك طريدته وهو ثان عنانه . ففضب امرؤ القيس
وطلق امرأته فتزوجها علقمة
ومن جيد شعره قوله :

(*) الدكاك : القطع من الرمل والارض الغليظة ، واضم وقو ومعصوب من منازل تميم
(**) وأنظر المفضلات رقم ٢٢ ، والاصمعيات (طبع دار المعارف) رقم ٤٢ ، والكامل
للمبرد وجمهرة أشعار العرب ، وطبقات الشعراء لابن سلام حيث وضعه فى الطبقة
السابعة مع الحصين بن الحمام والمتلمس والسبب بن علس . وقد طبع ديوانه فى بيروت
(***) يظن ان هذه القصة منتحلة ، وبالتالي يظن ان قصيدتى الشاعرين
المتصلتين بها منتحلتان أيضا . ومن شكك فيها من القدماء ابن المعتز . انظر الموشح
للمرزياني فى ترجمة امرئ القيس
(١) الالهوب : شدة جرى الفرس ومثله الدرة ، والاهوج : الاحمق ، والمتعب :

فان تسألوني بالنساء فأننى بصير" بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودّهـن نصيب
يُردّـن ثراء المال حيث علّمـنه وشـرّـخ الشباب عندهن عجيب

ولعلّمة ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٦٧ مع تعاليق بعناية البرت
سوسين Socin وطبع في بيروت في بضع عشرة صفحة (*) . وله
أخبار متفرقة في خزانة الادب ٥٦٥ ج ١ ، والاغانى ١٢٨ ج ٧ ، وشعراء
النصرانية ٤٩٨ ، والشعر والشعراء ١٠٧ ، والعمدة وسائر كتب
الادب (**)

٧ - عمرو بن معدى كرب

توفى سنة ٦٤٣ م

هو من زبيد من مذحج (كهلان) فارس من فرسان اليمن أو هو فارس
اليمن ويقدمونه على زيد الخيل في البأس ، وقد أدرك الاسلام وأسلم
وجاهد حتى مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب . وهو ممن يصدق عن
نفسه في شعره فلا يفاخر بالمحال . ومن ذلك قوله (***)

ولقد أجمع رجلئى بها حذر الموت وانى لفـرور
ولقد أعطفها كاوهة حين للنفس من الموت هـرير
كل ما ذلك منى خلق وبكل أنا فى الروع جـدير

ومن اشعاره الداهية مذهب الامثال قوله :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع
وصله بالزمام فكل أمر سما لك أو سموت له ولوع

وأخباره فى الاغانى ٢٥ ج ١٤ ، والشعر والشعراء ٢١٩ ، وخزانة الادب
٤٢٥ ج ١ ، والمستطرف ١٧٩ ج ١ (****)

(*) وطبع الديوان أيضا في مجموعة العقد الثمين لالورد ، ومجموعة السقا « مختار
الشعر الجاهلى » ، وطبع أيضا في الجزائر
(**) وانظر المفضليات رقم ١١٩ ، ١٢٠ والاشفاق لابن دريد وشرح الانبارى ٧٧٢
وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة مع طرفة وعبيد بن الابرص وعدي بن زيد
(***) الغريب في الابيات : الفرور : كثير الهرب والفرار ، اعطف هنا : اكر ، يقول
أن الكر والفر من مادتي في الحرب ، والهرير : الصياح . وما في الشطر الاول من البيت
الثالث زائدة

(****) انظر أيضا الاذمعيات رقم ٣٤ ، ٦١ ، ٦٢ وديوان الحماسة « الفيرس »
والاشفاق ٢٤٥ ومعجم المرباني ٢٠٨ وذيل الامالى ص ١٤٥ والسميط ٧٤ والعينى جزء
اول ص ٣٧٩ وكتب طبقات الصحابة مثل الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة

٨ - قيس بن الخطيم

توفي سنة ٦١٢ م

هو شاعر فارس من الاوس ، اعتدى رجل من الخزرج على أبيه وهو غلام فقتله ، وعلم أن جده قتله رجل من عبد القيس . . فلما عرف موضع ثأره لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم ، فظفر بقاتل أبيه في يثرب فقتله وظفر بقاتل جده في ذي المجاز ، ولكنه رآه في ركب عظيم فاستنجد خدّاش بن زهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا القاتل ، فطعنه قيس بحربة قتله وفر . فأراد رهط الرجل أن يتبعوه فمنعهم بنو عامر ، وفي ذلك يقول قيس : (*)

ثأرتُ عَدِيًّا والخطيم فلم أضعْ ولايةً أشياخٍ جعلتُ ازاءها
ضربتُ بذي الزُّجَّيْنِ رُبَّةً مالِك فأبئتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءها
وسامحتني فيها ابنُ عمرو بن عامر خدّاشٌ فأدّيتُ نعمةً وأفادها
طعنتُ ابنَ عبدِ القيس طعنةً ثأري لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها
ملكْتُ بها كفى فأنهرتُ فتقها يرى قائمٌ من دونها ما وراءها
وهو معدود من اصحاب المذاهب ، ومطلع مذهبه :

أُتُعرفُ رسماً كاطَّراد المذاهب لعمرةٍ وحشاً غيرَ موقفٍ راكِب
تبدَّلتُ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضئتُ بحاجِب
ومن أقواله في الفخر :

ونحنُ الفُـوارسُ يومَ الرِّيبِ حِـرْ قد علموا كيف قرَّسانها
ولقيس بن الخطيم ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية (**) .
وله أخبار متفرقة في كتب الادب وخصوصا الاغانى ١٥٩ ج ٢ والجمهرة ١٢٣ (***)

سائر الشعراء الفرسان

ومن الشعراء الفرسان أيضا طائفة ، أخبارهم قليلة أو ليس لهم دواوين

(*) الغريب في هذه الابيات : عدى أبوه والخطيم جده - الزج : الحديد في أسفل الرمح ، والرُبَّة هنا : موضع العروة - سامحتني : تابعتني وحماني ، وخدّاش : هو خدّاش بن زهير العبسي ، وأفاء : أنعم وأدى - النفذ : الخرق والثقب ، والشعاع : حمرة الدم ، ملكت : شددت ، أنهرت : أوسعت . اطراد : تتابع ، المذاهب : جمع مذهب وهو جلد به خطوط مذهبة
(**) طبع ديوان قيس في ليبسيك
(***) وأنظر الاصمعيات رقم ٦٨ ، وطبقات الشعراء لابن سلام وديوان الحماسة لأبي تمام والخزانة ج ٣ ص ١٦٨

محفوظة ، فنكتفى بذكر المصادر التي يمكن الرجوع اليها في تراجمهم وأخبارهم :

اسم الشاعر	أسماء المصادر
٩ - أحيحة بن الجلاح (توفي سنة ٥٦١ م) من الاوس ومن أصحاب المدهيات	الافغانى ١١٦ ج ١٣
١٠ - جحدر بن ضبيعة من بكر وائل (٥٣٠)	شعراء النصرانية ٢٦٨
١١ - أفنون هو صريم بن معشر من تغلب	» » ١٩٢ والشعر والشعراء ٢٤٨
١٢ - بسطام بن قيس التميمي من بكر	» » ٢٥٦
١٣ - جابر بن حنى التغلبي (٥٦٤)	» » ١٨٨
١٤ - الحارث بن الطفيل وقد على كسرى	الافغانى ٥٣ ج ١٢
١٥ - خفاف بن ندبة السلمى من قيس	الافغانى ١٣٩ ج ١٦ وخزانة الادب ٨١ ج ٢
١٦ - ذو الاصبع العدواني (٦٠٢)	الافغانى ٢ ج ٣ وخزانة الادب ٤٠٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٦٢٥
١٧ - الربيع بن زياد العبسى (٥٩٠)	الافغانى ٢٠ ج ١٦ وشعراء النصرانية ٧٨٧
١٨ - زهير التميمي من اشراف مازن	الافغانى ١٥٦ ج ١٩
١٩ - الحارث بن عباد من بكر بن وائل	شعراء النصرانية ٢٧٠
٢٠ - صخر بن عبد الله من هذيل	الافغانى ٢٠ ج ٢٠
٢١ - العباس بن مرداس وأخوه سراقه	الشعر والشعراء ١٦٦ ج و ٤٦٧ والافغانى ٦٤ ج ١٣ وخزانة الادب ٧٣ ج ١
٢٢ - عبدة بن الطبيب	الافغانى ١٦٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٤٥٦
٢٣ - سويد بن أبي كاهل	الافغانى ١٧١ ج ١١ وشعراء النصرانية ٤٢٥ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٤ - عمرو بن العجلان	الافغانى ٢٢ ج ٢٠
٢٥ - الفند الزمانى (٥٣٠)	الافغانى ١٤٣ ج ٢٠ وخزانة الادب ٥٨ ج ٢ وشعراء النصرانية ٢٤١
٢٦ - متمم بن نويرة من أصحاب المرائى	الافغانى ٦٦ ج ١٤ وابن خلكان ١٧٢ ج ٢ والشعر والشعراء ١٩٢ وخزانة الادب ٢٣٦ ج ١ والجمهرة ١٤١
٢٧ - نبيه بن الحجاج	خزانة الادب ١٠١ ج ٣
٢٨ - كعب بن سعد الغنوى	الخزانة ٦٢١ ج ٣ وشعراء النصرانية ٧٤٦

الشعراء الحكماء

نريد بالحكماء من الشعراء الذين كان لهم علم غير الشعر وكانت لهم
حكمة وقد دخل بعضهم في طبقة الشعراء الامراء وفي أصحاب المملكات
كالافوه الاودي وزهير بن أبي سلمى . ونحن ذاكرون فيما يلي من غلبت
فيه الحكمة على سواها مع الشاعرية

١ - أمية بن أبي الصلت

توفي سنة ٦٢٤ م

يتصل نسبه بثقيف ، وكان عالماً بغير العربية على ما يظهر . . فاطلع على
كتب القدماء وخصوصاً التوراة وقد أورد في شعره الفاظاً غريبة لم تكن
العرب تعرفها . وكان يسمى الله في بعض أشعاره « السلطيظ » وفي بعضها
« التغرور » فربما اقتبسهما من الحبشة أو صاغهما على صيغ تلك اللغة .
فالاحباش يسمون الله في اللغة الامهرية « أغزا يهر » فلعلها كانت قبلاً
أقرب إلى لفظ التغرور . والسلطيظ نظنها صيغة من تلك اللغة صاغ عليها
اسماً من السلطنة (١)

وكان أمية مفطوراً على الدين ، فلقى في تجارته إلى الشام بعض أهل
الدين ، فزهد في الدنيا ولبس المسوح وتعبد . وقد ذكر ابراهيم واسماعيل
والحنيفية ووصف الجنة والنار في شعره وحرّم الخمر وشك في الاوثان
وطمع في النبوة . وكان العرب ينتظرون نبياً يهديهم ، فكان يرجو أن يكون
هو . فلما ظهر النبي أسقط في يده ، وقال : « انما كنت أرجو أن أكونه »
ولكنه ما أنفك يختلف إلى الاديرة والكنائس يجالس الرهبان
والقسوس حتى غلب على ظن البعض أنه مسيحي ، ومن قوله وفيه
فلسفة :

الحمد لله مُمَسِّنَا وَمُصَبِّحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحْنَا رَبِّي وَمَسَّنَا
رَبُّ الْحَنِيفَةِ لَمْ تَنْقُدْ خَزَائِنَهَا مَمْلُوءَةً طَبَّقَ الْآفَاقَ سُلْطَانًا
أَلَا نَبِيُّنَا مَتَّى فَيُخْبِرُنَا مَا بَعْدَ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانَا

(١) راجع ترجمة أمية بن أبي الصلت مطولة في « الهلال » السنة التاسعة

بينا يَرْبُّبُنَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا وبينما نقتنى الأولاد أَفْنَانَا
وقد علمنا لو أَنَّ العلمَ ينقصنا أنْ سوفَ يَلْحَقَ أخرانَا بأولانَا
وله قصيدة يصف بها الله وملائكته مطلعها :

لك الحمد والنعماء والملك ربَّنَا فلا شيءَ أعلى منك مجدا وأمجَدَ
وبعد ان يصف العزة الالهية ومجلسها يصف الملائكة بقوله :

ملائكة أقدامهم تحت عرشه بكفَّيه لولا الله ككثوا وأبلدوا
قيام على الأقدام عانين تحته فرائصهم من شدة الخوف ترعد
وسبَّطُ صفوف ينظرون قضاءه يصيخون بالأسماع للوحى رُكَّد
أمين " لوحى القدس جبريل فيهم " وميكالُ ذو الروح القوى المسدَّدُ
وحرَّاس أبواب السماوات دونهم قيامُ عليها بالمقاليد رُصِّدُ
وله عدة قصائد في حوادث التوراة كخراب سدود وقصة اسحق
وابراهيم . وله قصيدة معدودة في المجمرات مطلعها :

عرفت الدار قد أقوت سنينا لزيب اذ تحلُّ بها قطينا
وفي أشعاره معان وأساليب لم تكن العرب تعرفها اخذها من كتب غيره
وأدخلها في شعره (١)

وأخباره في الاغانى ١٨٦ ج ٣ و ٣ ج ٨ و ٧١ ج ١٦ والدميرى ١٥٤ ج ٢
وخزانة الادب ١١٩ ج ١ وشعراء النصرانية ٢١٩ والعمدة وغيرها (*)

٢ - ورقة بن نوفل

توفى سنة ٥٩٢ م

هو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى من قريش . وهو أحد من
اعتزل الاوثان في الجاهلية وقرأ الكتب وامتنع عن أكل ذبائح الاوثان .
وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبرانى وقد شاخ وكف بصره . وله
ذكر في السيرة النبوية عندما سمع الرسول جبريل يكلمه وجاء خديجة

(١) الاغانى ١٨٧ ج ٣ . (*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وكتاب الحيوان للجاحظ في مواضع متفرقة ،
وكتاب البدء للمقدسى ، والسيرة النبوية لابن هشام ، والموشح للمرزبانى ودويان
الحماسة ولهيار بحث في شعره نشره في المجلة الآسيوية ج ١٠ قسم ٤ (١٩٠٤) ص ١٢٥
والظنون انه حمل عليه أكثر ما ينسب اليه من شعر، وخاصة ما يشبه منه الواد التي
ذكرها القصاص في تفسير القرآن الكريم - وراجع دائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ
الاداب العربية لنالينو ص ٧٧ وفي الادب الجاهلى لطله حسين ، وتاريخ العرب قبل الاسلام
لجواد على ج ٥ ص ٣٧٨ وما بعدها ، وقد طبع ديوانه في ليبسك سنة ١٩١١ وبه ثبت
بمصادره وطبعت مجموعة أخرى له في بيروت سنة ١٩٣٤

امراته خائفاً ، فسألت ورقة وهو ابن عمها (١) عما رآه الرسول فقال :
« انه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى وانه لنبي هذه الامة »
وله اشعار كان يغنى بها المغنون في صدر الاسلام منها قوله :

ولقد غزوتُ الحىَّ يَخْشَى أهله بعد الهدؤٍ وبعدما سقط الندى
فلتلك لذاتُ الشباب قضيتها عنى فسائلُ بعضهم ماذا قضى
ومن شعره في التوحيد والدين قصيدة مطلعها :
لقد نصحتُ لأقوامٍ وقلت لهم أنا النذير فلا يغركمُ أَحَدُ
وقصيدة أخرى مطلعها :

رشدتُ وأنعمت ابنَ عمرو وانما تجنبتَ تَشُوراً من النار حاميا
وتجد شيئاً من أخباره في السيرة النبوية لابن هشام ٧٦ و ٨٠ ج ١ ،
والاغاني ١٣ ج ٣ ، وشعراء النصرانية ٦١٦ ، والسيرة الحلبية ٢٥٦ ج ١ ،
ومعجم البلدان

٣ - زيد بن عمرو

توفي سنة ٦٢٠ م

هو أيضا من عبد العزى من قريش ، وقد اعتزل الاوثان مثل ورقة ،
وكان يقول : « يا معشر قريش ايرسل الله قطر السماء وينبت يقل الارض
ويخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغير الله ؟ » . فأخرجه القرشيون
من مكة ، ومنعوه أن يدخلها . وكان أشدهم عليه الخطاب بن نفيل والد
عمر . وكان قد تخلف عن عبادة الاوثان أربعة من قريش هم : ورقة وزيد
المذكوران ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، فاجتمع هؤلاء
وتواطأوا على رفض الوثنية ، وعلى أن يضربوا في البلدان يلتمسون الحنيفية
دين ابراهيم . فلما أجمع زيد على الخروج منعه الخطاب عمه وعاتبه على
فراق دين آبائه . ثم خرج سائحا ويقال انه قتل في الشام ، وله اشعار في
التدين منها :

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتُ له الأرض تحمل صَخرا ثَقِلا
دَحَاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمت له المِزَنُ تحمل عَذْباً زَلالا
إذا هي سبيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجلا
وتجد أخباره في الاغاني ١٥ ج ٣ ، والسيرة النبوية لابن هشام
٧٦ ج ١ ، وشعراء النصرانية ٦١٩ ، وخزانة الادب ٩٩ ج ٣ (*)

(١) ابن هشام ٨١ ج ١
(*) انظر ابن سعد ج أول قسم أول ص ١٠٥ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من
مراجع وجواد على ج ٥ ص ٣٧٥

٤ - قس بن ساعدة

توفي سنة ٦٠٠ م

هو من أباد يعدوته من الخطباء ، ولكنه كان خطيب العرب وشاعرها
وحكيمها في عصره . وهو أسقف من نجران ، والمشهور أنه أول من علل
على شرف وخطب عليه ، وأول من قال : « أما بعد » . وينسبون إليه
قوله : « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » . وقد أدركه الرسول
ورآه في عكاظ فكان يروى عنه كلاما سمعه منه . وكان فصيحاً يضرب
المثل بفصاحته . وكان يفد على قيصر زائراً فيكرمه ويعظمه ، ولكنه كان
زاهداً في الدنيا ينظر إليها نظر الفلاسفة فلا يرغب في البقاء فيها كما يؤخذ
من خطبته التي قالها في عكاظ ورواها أبو بكر الصديق وهي مشهورة ،
ختمها بقوله :

في الذاهبين الأول
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصغر والأكابر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقيين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

ولعل الذي زهده في الدنيا وكرهها إليه المصيبة التي انتابته بفقد
أخوين كانا يعبدان الله معه ، فماتا ودفنهما معا وشق عليه مصابه بهما
فكان يتردد على قبريهما ويندبهما ، ومن قوله في قصيدة : (**)

خليلى هباً طالما قد رقدتما أجداً كما لا تقضيان كراكما
ألم تعلمما أني بسَمْعان مفرد وما لى فيها من خليل سواكما
أقيم على قبريكما لست بارحاً طوال الليالى أو يجيب صداكما
جرى الموت مجرى اللحم والعظم منكما كأن الذى يسقى العقار سقاكما

وله أشعار كثيرة ضاع معظمها وله أقوال جرت مجرى الأمثال وجمعت
في كتاب شعراء النصرانية ٢١١ وفي الأغاني ٤١ ج ١٤ وخزانة الأدب ٢٦٧
ج ١ وغيرها من كتب الأدب والتاريخ والبيان (**) (*)

(*) روى أبو الفرج في كتاب الأغاني ج ١٤ ص ٤٠ روايات مختلفة في نسبة هذه
الآبيات ، فهي تنسب إلى قس أو إلى عيسى بن قدامة الأسدى أو إلى الحزین بن
الحارث أحد بنى عامر أو أحد الكوفيين ، وقد خرج فى بحث للحجساج إلى الديلم ،
والكرى : النوم ، والعقار : الخمر
(**) انظر أيضاً البيان والتبيين للجاحظ فى مواضع متفرقة ، وأمالى القالى ج ٢
ص ٣٩ ودائرة المعارف الإسلامية وجواد على ج ٥ ص ٣٧١

الشعراء العشاق

قل من الشعراء من لم يحرك قلبه الحب ، واذا لم يحركه كان شعره جافا قاسيا . ولذلك فالعشاق من الشعراء كثيرون ، ومنهم في الجاهلية طائفة كبيرة : فعنترة عشق عبلة ، والمخبل السعدي عشق الميلاء ، وحاتم الطائي عشق ماوية ، والمرقس الأكبر عشق أسماء ، والنمر بن تولب عشق جمرة ، وسحيم عبد بنى الحسحاس عشق عميرة (١) ، غير الذين اشتهروا في صدر الاسلام من آل عذرة وغيرهم . وسيأتى ذكرهم عند كلامنا عن الشعر والشعراء في أيام الامويين

والحب يحرك الشاعرية ويشحذ القريحة - وخصوصا مع الغيرة. ليس للشعر فقط ، بل في كل ما يفتقر الى خيال . وبين الشعراء الفرسان الذين ترجمنا لهم غير واحد من المحبين ، وكذلك في سائر الطبقات . لكننا خصصنا هذا الباب فيمن لم يكن له باعث على النظم غير العشق ، وكان أكثر شعره أو كله في معشوقته . وهذه الطبقة كانت قليلة قبل الاسلام لاشتغال القوم بالحرب عن سواها ، ولأن بعض القبائل كانت تحرم الغزل على الاطلاق

ثم تكاثر الشعراء العشاق بعد الاسلام لانتشار التسرى وركون القوم الى الرخاء ، حتى اذا نضج التمدن الاسلامي ودخلت العناصر الاجنبية تحول ذلك الى التهلك والتخنت كما سيجيء . أما في الجاهلية ، فالشعراء المتيمون يعدون على الاصابع ، أشهرهم :

١ - المرقش الأكبر

توفي سنة ٥٥٢ م

اسمه عوف بن سعد بن مالك من بكر وائل ، وهو من الشعراء المقدمين . ويمتاز عن أكثر شعراء الجاهلية بأنه كان يعرف الكتابة لان أباه دفعه وأخاه حرمله الى نصراني من أهل الحيرة علمهما الخط . ويندر في أهل الجاهلية من فعل ذلك خصوصا الشعراء ، فان معولهم في حفظ أشعارهم على الرواة . ويختلف عن أكثر شعراء الجاهلية بأنه مات متيما . وسبب موته انه كان يهوى ابنة عم له اسمها أسماء عشقها وهو غلام ،

فقال له عمه : « لا أزوجك حتى تعرف بالبأس » فسافر المرقش في طلب العلا ، وأصيب عمه في أثناء غيابه بضيق فأتاه رجل من بنى مراد أطمعه بالمال فزوجه أسماء على مائة من الإبل . فلما عاد المرقش أخفوا خبر الزواج عنه . ثم اكتشف خبره ، فركب في طلب ذلك المرادى مع صديق له من غفيلة ، فمرض في الطريق فنزلا كهفا في أسفل نجران ، وهى أرض مراد ومعه صديقه الغفيلي وامراته ، وسمعهما يتآمران على تركه يأسا من شفائه .. فاختلس فرصة كتب فيها على مؤخر الرحل هذه الآيات :

يا صاحبي تلبثا لا تعجبا
ان الرّواح رهين أن لا تعذلا
يا راكبا اما عرضت فبلغن
أنس بن سعد ان لقيت وحرملا
لله دركما ودر أيكما
ان أفلت العبدان حتى يقتلا
من مبلغ الأقوام أن مرقشا
أضحى على الأصحاب عبئا مثقلا
وكأنما ترد السباغ بشلوه
اذ غاب جمع بنى ضبيعة منها

ورأينا بعض الآيات ينسب الى المهلهل ايضا . وانطلق الغفيلي حتى أتى أهله وأخبرهم أن المرقش مات ، ولكن أخاه حرملة قرأ ما على الرحل ، فشك في صدق الرجل واستنطقه فاعترف له بالحقيقة فركب في طلبه .. فلما بلغ الكهف اخبر أن المرقش علم وهو هناك بوجود أسماء وزوجها ، فاحتال حتى حمل اليهما في حديث طويل ولم يطل مكثه فمات عندهما . وقال في موته شعرا مطلعته :

سرى ليلا خيال من سلمي فأرقنى وأصحابي هجود
وهو من أصحاب المنتقيات .. وله اقوال في الحماسة يصف بها بعض المعارك وأخرى في الفخر . ومن أحسن شعره في الحماسة قصيدته التي استهلها بذكر حبيبته :

أمن آل أسماء الطلول الدوارس
تخطط فيها الطير ، قفر بسابس
ثم تخلص الى وصف خروجه وسفره . وقصيدة أخرى في وصف الطلول ونجائب الإبل وغيرها . واتصل المرقش الأكبر بالحارث بن أبي شمر الغساني ، وناداه سنة ٥٢٤ وملهه
وترى أشعاره وأخباره في الأغاني ١٨٩ ج ٥ ، والشعر والشعراء ١٠٢ ، وشعراء النصرانية ٢٨٢ ، وخزانة الادب ٥١٤ ج ٣ ، والجمهرة ١١٢ ، وغيرها من كتب الادب (*)

(*) وانظر له ١٤ قصيدة ومقطوعة في المفضليات وقد اشتهرت من بينها ذات الرقم ٥٤ لأنها لا تجرى على مروض الخليل ، وله مقطوعات أخرى في الأغاني (طبع بولاق) ج ٧ ص ١٩٢ ، ج ١٠ ص ١٢٨ وانظر أيضا معجم الرزباني ٢٠١ ودائرة المعارف الإسلامية.

٢ - عبد الله بن عجلان

توفي سنة ٥٦٦ م

هو من نهد من قضاة شاعر متيم قتله الحب ، وكان له زوجة يقال لها
هند طلقها لأنها لم تلد له فتزوجها غيره ، ثم ندم على ذلك ومات أسفا
عليها . وكان سييدا في قومه وابن سيد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بنى
نهد مالا ، وكان يجدر بنا ادخاله في جملة الشعراء الامراء لولا تغلب
العشق عليه . ومن أقواله فيها :

فارقت هندا طائعا فندمت عند فراقها
فالعين تذكري دمة كالدرد من آماقها
متحلبا فوق الرداء يجول من رفاقها
خود رداح طقة ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألد حديثها وأسر عند عناقها

والله أخبار وأشعار جمعت في الاغاني ١٠٢ ج ١٩ ، والشعر
والشعراء ٤٤٩ (*)

٣ - عروة بن حزام العنري

توفي سنة ٣٠ هـ «١»

هو من الشعراء المتيمين الذين ادركوا الاسلام . وقد قتلهم الهوى ،
لا يعرف له شعر الا في عفراء بنت عمه . وتشبيهه بها وكان قد خطبها من
أبيها فوعده ثم زوجها لغيره . فآثر ذلك في مزاجه فضعف واضطرب حتى
ظنوا فيه الخبل وأصابه هزال ، فرآه ابن مكحول عراف اليمامة فجالسه
وسأله عما به وهل هو خبل أو جنون ؟ فقال له عروة : « هل لك علم
بالاوجاع ؟ » قال : « نعم » فأنشأ يقول :

وما بى من خبل ولا بى جنة ولكن عمى يا أخى كذوب
أقول لعراف اليمامة داونى فانك ان داويتنى لطيب
فواكبدا أمسبت رفاتا كأنما يلذعها بالموقدات طيب
عشيّة لا عفراء منك بعيدة فتسلو ولا عفراء منك قريب
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا وما عقتبها في الرياح جنوب

(*) ويراجع تزيين الاسواق لداود الانطاكي ٧٦ وديوان الحماسة لابی تمام ، انظر
الفهرس
(١) فوات الوفيات ٣٣ ج ١

«وانى لتغشاني لذكراك هزة» لها بين جلدى والعظام ديب
وقال يخاطب صديقين له رافقاه :

متى تكشفنا عنى القميص تبينا بى الضر من عفراء يا فتيان
إذا تريا لحمًا قليلًا وأعظمنا رقاqa وقلبا دائم الخفقان
جعلت لعراء اليمامة حكمه وعرف حجرا ان هما شفيانى
فما تركا من حيلة يعرفانها ولا شربة الا وقد سسقيانى
ورشا على وجهى من الماء ساعة وقاما مع العواد يتدراى
وقالا شفاك الله والله ما لنا بما ضمنت منك الضلوع يدان
وتجد أخباره فى الاغانى ١٥٢ ج ٢٠ ، وفوات الوفيات ٣٣ ج ٢ ،
والشعر والشعراء ٣٩٤ ، وخزانة الادب ٥٣٤ ج ١ (*)

٤ - مالك بن الصمصامة

هو من جعدة كان يهوى جنوب بنت محصن الجعدى فمنعه اخوها منها،
وكان مالك شاعرا فارسا شجاعا جميلا فبلغه ان اخاها اقسام اذا تعرض
مالك لاخته اسره وجز ناصيته فقال :

وما الحلق بعد الأسر شر بقية من الصد والهجران وهى قريب
ألا أيها الساقى الذى بل دلوه بقرىبان يسقى هل عليك رقيب
أحقا عباد الله أن لست خارجا ولا والجا الا على رقيب
ولا زائرا وحدى ولا فى جماعة من الناس الا قيل أنت مريب
وهل ريبة فى أن تحن نجية الى الفها أو أن يحن نجيب
وله أشعار أخرى فى الاغانى ٨٣ ج ١٩

٥ - مسافر بن أبى عمرو

هو من قریش ، كان سيدا جوادا احب هند بنت عتبة التى تزوجها
أبو سفيان بعد ذلك . وهى أم معاوية واخوته فخطبها مسافر وهو ذو ثروة
فلم تقبله ، فلما بلغه زواجها بأبى سفيان اعتل ومات وله فيها أشعار .
وأخباره فى الاغانى ٤٨ ج ٨

(*) انظر أيضا خزانة الادب ج ٣ ص ٦١٥ وذيل الامالى للقالى ص ١٥٩ ، وامالى
المرتضى (طبعة الحلبي) ج ١ ص ٤٥٩ ولعمرو ديوان مخطوط بدار الكتب المصرية

- ومن الشعراء الجاهليين المتيمين :
- منظور بن زيان من فزارة كان عاشقا، وهو من الامراء ايضا وقد تقدم ذكره
 - مسعود بن خراشة من تميم ، وهو من المخضرمين
 - عنترة العبسي ، وقد تقدمت ترجمته

الشعراء الصعاليك

هم طائفة من الشعراء اشتهروا بالعدو والاغارة على القبائل للنهب ، أشهرهم :

١ - الشنفرى

توفي سنة ٥١٠ م

هو من الاواس بن الحجر من الازد شاعر من اهل اليمن معدود في العدائين الذين لا تلحقهم الخيل ، منهم هذا ، وسليك بن السلكة ، وعمرو ابن براقه ، وأسيود بن جابر ، وتأبط شرا . ويقال أن الشنفرى حلف ليقتلن مائة رجل من بنى سلامان فقتل تسعة وتسعين ، فاحتالوا عليه فأمسكه رجل منهم عداء هو أسيود بن جابر ثم قتله ، فمز به رجل منهم فركل جمجمته . فدخلت شظية منها في رجله فمات ، فتمت القتلى مائة . وللشنفرى أشعار في الفخر والحماسة أشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب ومطلعها : (*)

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فانى الى قوم سواكم لأمنيل
وقصيدة اختارها صاحب المفضليات مطلعها : (**)

ألام أم عمرو أجمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها اذ تولت
وقد عنى الاستاذ المستشرق ردهوس Redhouse بترتيب لامية العرب وترجمتها الى الانجليزية ، وقد طبعت في المجلة الاسيوية الانجليزية سنة ١٨٨١ وترجمها الى الالمانية ريس Reuss في المجلة الالمانية الشرقية سنة ١٨٥٣

وأخبار الشنفرى مفرقة في الاغانى ٨٧ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ١٨ ، وخزانة الادب ١٦ ج ٢ ، والمفضليات وغيرها (***)

(*) اشتهرت هذه اللامية بشرونها ، وأقدم رواية لها في ذيل الامالى للقالى ص ٢٠٨ وقد زعم ان خلفا الاحمر هو الذى صنعها ونحلها الشنفرى
(**) اجمعت : عزمت أمرها ، واستقلت : ارتحلت
(***) وأنظر أيضا حماسة أبى تمام وكتاب المغتالين لابن حبيب وامالى القالى ج ١ ص ١٥٧ والذيل كما قدمنا وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٥٧ ودائرة المعارف الاسلامية والشعراء الفرسان للبستاني وقد طبع ديوانه في مجموعة الطرائف الادبية بالقاهرة

٢ - تأبط شرا

توفي سنة ٥٣٠ م

هو ثابت بن جابر من فهم من قيس كان أسمع العرب وأبصرهم وأكيدهم، وكان أعدى رجل، ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسمنها، ثم يعدو خلفه فلا يفوته. وله أخبار كثيرة يضيق عنها هذا المكان. ومن شعره في وصف الغول : (*)

ألا من مبلغ فتيسان فهم بما لا قيت عند رحي بيسان
بأنى قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان
فقلت لها كلانا نضو أين أخو سفر فخلّى لى مكانى
فشدت شدة نحوى فأهوى لها كفّى بمصقول يمانى
فأضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجيران
فقلت ثنّ قلت لها رويدا مكانك انى ثبت الجنان
فلم أنفك متكئا عليها لأنظر مصبحا ماذا أتانى
إذا عينان فى رأس قبيح كرأس الهرّ مشقوق اللسان
وساقا مخدج وشواة كلب وثوب من عباء أو شينان

وأخباره فى الاغانى ٢٠٩ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ١٧٤ ، وخزانة الادب ٦٦ ج ١ ، وكتب عنه بور Baur بالامانية مقالة فى سيرة حياته وشعره فى المجلة الشرقية الالمانية سنة ١٨٥٦ (***)

٣ - السليك بن السلكة

توفي سنة ٦٥٠ م

هو من تميم ، أمه أمة سوداء . وكان من عاداته اذا كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه . فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل اغار . وكان أدل من قطاة يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مضر وانما يغير على اليمن ، فاذا لم يمكنه ذلك اغار على ربيعة . ويعده

(*) الغريب فى هذه الابيات : رحي بطان : اسم موضع . السهب : الفلاة . الصحصحان : الارض المستوية . النضو : الهزول . الاين : التعب . المصقول اليماني : السيف . الجران : مقدم العنق ، وخرت لليدين وللجران : سقطت على الارض . المخدج : ناقص الخلق . الشواة : الاطراف . الشنان جمع شن وهو القرية البالية . (***) وأنظر قطعاً مختلفة له فى حماسة أبى تمام ، والتبريزى على هذه الحماسة ، وحماسة ابن الشجرى ، وشرح شواهد الغنى ص ١٩ ، ٤٣ ، ٨٢ ، ومروج الذهب للمنعم طبعه بارس ج ٣ ص ٣١٠ ، واعجاز القرآن للباقلانى ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ص ٥٧ والشعراء الفرسان للبستاني

المفضل الضبي من أشد رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم . وكان ادل الناس بالارض وأعلمهم بمسالكها ، وله اخبار كثيرة مدهشة . ومن شعره على أثر غزوة رابحة :

بكى صرّداً لما رأى الحيّ أعرضت مهامه رملٍ دونهم وسهوبٌ
فقلت له لا تبك عينك انها قضية ما يقضى لها ، فتشوبٌ
سيكفيك فقد الحيّ لحم مقدّ دوماً قدورٍ في الجفان مشوبٌ
ألم تر أن الدهر لوان لونه وطوران بشرٌ مرة وكذوبٌ
فما ذرّ قرن الشمس حتى أريته مصاد المنايا والغبار يثوب .
وأخباره في الاغانى ١٣٣ ج ١٨ والشعر والشعراء ٢١٣

٤ - عروة بن الورد

توفي سنة ٥٩٦ م

هو من عبس ، وكان شاعراً فارساً وصعلوكاً مقدماً . وكان يلقب عروة الصعاليك لأنه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بأمرهم اذا أخفقوا في غزواتهم ويعولهم اذا لم يكن عندهم معاش . وكان لشعره تأثير في نفوس قبيلته . سئل الحطيئة كيف كنتم في حربكم ؟ قال : « كنا ألف حازم » . ف قيل وكيف ذلك ؟ قال : « كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنا لا نعصيه وكنا تقدم اقدام عنتره ونأتم بشعر عروة بن الورد وننقاد لأمر الربيع بن زياد » . ومن شعر عروة قوله : (*)

وانى امرؤ عافى انائى شركته وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أتَهْزَأُ منى أن سمّنت وأن ترى بجسمى شحوب الحق ، والحق شجاهد
أفرّق جسمى فى جُسوم كثيرة وأحسو قراح الماء ، والماء بارد
ومن قوله فى الاقدام :

دعيني للغنى أسعى فاني رأيت الناس شرّهم الفقير
ومن ذلك قوله :

لعلّ ارتيادى فى البلاد وبغيتى وشدّى حيازيم المطية بالرحل
سيدقنى يوما الى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

(*) الغريب فى هذه الابيات : العافى : طالب المعروف ، يقول عروة لصاحبه انه يأكل مع جماعة يشاركونى فى انائى ، وانت تأكل وحلك ، فعافى انائك واحد - ويريد بالحق حقوق القبيلة عليه - الماء القراح : الذى لا يخالط لبن أو غيره

والهجمة من الابل مازاد على الاربعين . وله قصيدة تعد من المنتقيات
مطلعها :

أقلى على اللوم يا ابنة منذر ونامى فان لم تشتهى النوم فاسهرى
ذرينى أطوِّفْ فى البلاد لعلنى أخليك أو أغنيك عن سوء محضرى
فترى الهمة والنشاط والاقدام ظاهرة فى كل اقواله

ولعروة ديوان طبع فى غوتنجن سنة ١٨٦٤ مع ترجمة ألمانية وشروح
لنولدكى وطبع أيضا فى بيروت . وله أشعار متفرقة فى الاغانى ١٩٠ ج ٢ ،
والشعر والشعراء ٤٢٥ وشعراء النصرانية ٨٨٣ والجمهرة (*) ١١٤ وكتب
بوشر Boucher الفرنسى مقالة عنه وعن ذى الاصبع العدوانى فى المجلة
الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٦٧

ومن الشعراء الصعاليك :

٥ - حاجز الازدى (٥٧٠) كان يسبق الخيل . ترجمته فى الاغانى
٤٩ ج ١٢

٦ - قيس بن الحدادية الازدى . ترجمته فى الاغانى ٢ ج ١٣

٧ - ابو الطمحان القينى من قضاة مخضرم . ترجمته فى الاغانى ١٣٠ ج
١١٠ والشعر والشعراء ٩٢٩ وخزانة الادب ٤٢٨ ج ٣

شعراء اليهود

لا يتجاوز شعراء اليهود فى الجاهلية عدد أصابع اليد الواحدة أشهرهم:

١ - السموال بن غريص بن عاديا

توفى سنة ٥٦٠ م

ويلحقون نسبه بالكاهن هرون أخى موسى . وهو صاحب حصن الابلق
بتيماء ويضرب المثل بوفائه . وحديثه مع امرئ القيس الشاعر ودروعه
أشهر من أن يذكر حتى يتبادر الى الذهن ان العرب وضعوا ذلك الحديث
أو بالغوا فيه على سبيل التمثيل ترغيبا فى الوفاء فان الطبيعة تأبى على
الرجل أن يضحي بابنه فى سبيل الوفاء . ولا نقول ان ذلك مستحيل لكنه
بعيد الحدوث وقد أشرنا الى ذلك قبل . وكانت العرب تنزل بالسموال
فيضيئها واشتهر بقصيدته الفخرية التى مطلعها : (***)

(*) وانظر حماسة ابى تمام والتبريزى ، والكامل للمبرد « راجع الفهارس » وديوانه
مطبوع فى الجزائر بشرح ابن السكيت وفى مصر

(**) تنسب هذه القصيدة الى عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، ولعل ذلك هو
الاصح والاقر الى الصواب . انظر شرح التبريزى على ديوان الحماسة

إذا المرء لم يَدْنَسْ من اللؤم عرضته فكلُّ رداءٍ يرتديه جميل

وقد خمسها غير واحد أشهرهم صفى الدين الحلبي

وللسموال ديوان شعر طبع في بيروت سنة ١٩٠٩ وله أخبار في الاغانى
٩٨ ج ١٩ و ١٢ ج ٣ و ٨٧ ج ٦ و ٣٧ ج ٩ والمستطرف ١٦٢ ج ١ والشعر
والشعراء ٤٥ والمشرق مجلد ٩ و ١٠ و ١٢ (*)

ومن الشعراء اليهود (**) أيضا :

- ٢ - أوس بن دنى من قريظة ترجمته في الاغانى ٩٤ ج ١٩
- ٣ - الربيع بن أبى الحقيق من رؤساء قريظة ترجمته في الاغانى ٦١ ج ٢١
- ٤ - كعب بن الاشرف من النضير له مناقضات . ترجمته في الاغانى
١٠٦ ج ١٩

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام، البيان والتبيين في مواضع متفرقة او امالى
القالى ج ١ ص ٢٧٢ ودائرة المعارف الاسلامية
(**) عنيت طائفة من المستشرقين بالبحث في يهود جزيرة العرب قبل الاسلام وجمع
اشعارهم ، مثل مرجليوث ونولدكي وفرانز دلش وليفى دلافيدا . انظر تاريخ الاداب
العربية لتالينو ص ٥٦ وراجع فيهم طبقات الشعراء لابن سلام

النساء الشواعر

قد ذكرنا ما كان من رقى المرأة في الجاهلية وعزة نفسها وذكائها، والشعر لا ينمو ويزهر الا في ظل العز والارتقاء . ويندر نبوغ الشعراء البلغاء في أمة ذليلة . . فظهر في الجاهلية عدة شواعر جاء ذكر عشرات منهن في الحماسة وغيرها ، وذكرنا أسماء بعضهن فيما تقدم . وهاك تراجم أشهرهن :

١ - الخنساء

توفيت سنة ٦٤٦ م

هي تماضر بنت عمرو بن الشريد من سراة سليم (قيس) من أهل نجد . وقد أجمع رواة الشعر على أنه لم تقم امرأة في العرب قبلها ولا بعدها أشعر منها . وقد أنشدت شعرها النابغة في عكاظ ، فأعجب به وقال لها : « لولا أن هذا الأعمى أنشدني قبلك (يعني الأعشى) لفضلتك على شعراء هذا الموسم » على أن أكثر قولها في رثاء أخيها صخر ، وكان قد قتل في واقعة يوم الكلاب من أيام العرب ودفن في أرض سليم . . فأخذت تنظم فيه المراثي كأن الحزن أثار شاعريتها . وقد أدركت الخنساء الاسلام وهي عجوز ولها أربعة اولاد ، فشهدت حرب القادسية وحرضت اولادها على الثبات في القتال . فلما حمى الوطيس تقدموا واحدا واحدا ينشدون النرجز يذكرون فيه وصية والدتهم حتى قتلوا عن آخرهم . فلما بلغها الخبر ، قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم »

ومن اشعارها في رثاء صخر أخيها قولها :

ألا ما لعينيك أم مالهـا لقد أخضَل الدمعُ سربالها
أبعد ابن عمرو من آل الشَّريد د حَكَتْ به الأرض أثقالها
فإن تك مـُرَّةٌ أودتْ به فقد كان يكـُثر تَقْتالها
سأحمل نفسي على خطيئة فاما عليها وإما لها
فإن تصبر النفسُ تَلْقَ السرورَ وإن تجزع النفسُ أشقى لها

والخنساء ديوان شعر كبير طبع في بيروت مشروحا سنة ١٨٨٨ ، وفيه مراثٍ لستين شاعرة ، وترجم إلى الفرنسية وطبع سنة ١٨٨٩ ، ولها

أخبار كثيرة متفرقة بالاغاني ٦٤ و ١٣٦ ج ١٣ و ٣٤ ج ٤ ، وخزانة الادب ٢٠٨ ج ١ ، والشعر والشعراء ١٩٧ (*)

٢ - خرتق بنت بدر بن هفان

توفيت سنة ٥٧٠ م

هي أخت طرفة بن العبد لأمه ، ولها أشعار كثيرة في أخيها وزوجها لم يصلنا منها الا بضعة ، وخمسون بيتا جمعت في ديوان ، منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وقد طبعت أخبارها وأشعارها في شعراء النصرانية ٣٢١ ، وأفردت في ديوان على حدة طبع في بيروت . ولها أخبار في خزانة الادب ٣٠٦ ج ٢

٣ - ليلى العفيفة

توفيت سنة ٤٨٣ م

هي بنت الكيز من ربيعة من أقدم الشعراء ، وكانت تامة الحسن كثيرة الادب . ولها شعر حسن نشر بعضه في كتاب شعراء النصرانية ١٤٨

٤ - جليلا بنت مرة

توفيت سنة ٥٣٨ م

هي أخت جساس الشيباني قاتل كليب بن ربيعة . وهي أيضا زوجة كليب المقتول ، فلما قتل زوجها رحلت من بيته وشمنت بها أخت كليب فأجابتها بشعر مطلعته :

يا ابنة الأقوام ان لم تـ فلا تعجلى باللوم حتى تسألى
وتجد أخبارها في شعراء النصرانية ٢٥٢ ، والاغاني ١٥١ ج ٤

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وديوان الحماسة لابي تمام ، والكامل ، والبيان والتبيين وأماله المرتضى ، وتاريخ الطبري طبع ليدن ج ١ ص ١٩٠٥ وقد درس شيخو وجبريلي Gabrieli ورودوكناكس Phodokanakis أشعارها انظر تاريخ الادب العربية لنالينو ص ٦٥ وانظر دائرة المعارف الاسلامية في مادة الخنساء وقد طبع ديوانها ايضا بالقاهرة

الشعراء الرجاءون

لا تكاد تجد في شعراء الجاهلية شاعرا يتوخى الهجو فيفرد له قولا ،
وانما كان هجوهم يأتي في أثناء مفاخراتهم وحماسياتهم . ولكن ظهرت طبقة
من الهجائيين في اواخر عصر الجاهلية ، واكثرهم من المخضرمين الذين ادركوا
الاسلام . . منهم الحطيئة العنبي ، وحسان بن ثابت وابنه عبد الرحمن ،
وعبد الرحمن بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير السهمي ، فأفردنا لهم هذا
الفصل

١ - الحطيئة

هو جرول بن اوس من بنى عيس من فحول الشعراء ومقدميهم
وفصحائهم ، متين الشعر شرود القافية متصرف في جميع الفنون من المديح
والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك كله . ولكنه كان ذا شر وسفه ، دنيء
النفس لا رأي له ، وانما يساق الى مايرجو منه مصلحة فينتهي الى كل
واحدة من القبائل اذا غضب من غيرها . فاذا غضب من بنى عيس ، قال
انه من بنى ذهل والعكس بالعكس . لكنه كان شديد الهجاء يخاف العرب
لسانه ويسترضونه بالمال خوفا من شره . وكان يعتمد تخويف الناس
بالهجو استدرارا لاموالهم بما يعبر عنه الافرنج اليوم بقولهم *chantage*
وذلك نادر في طباع اهل الجاهلية

وكان اذا نزل مدينة او نجعا دب الخوف في اهله ، وارصدوا له العطايا
خوفا من لسانه ، وهو يبالغ في الطمع كثيرا . . ذكروا انه نزل المدينة مرة
فمشى اشرافها بعضهم الى بعض فقالوا : « قد قدم علينا هذا الرجل وهو
شاعر والشاعر يظن فيحقق ، وهو يأتي الرجل من اشرافكم يسأله فان
اعطاه جهد نفسه بهرها (فوق ماتستطيع) وان حرمه هجاه » فأجمع
رايهم على أن يجعلوا له شيئا معدا يجمعونه بينهم . . فكان اهل البيت
من قريش والانصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين من الدنانير
حتى جمعوا له اربعمائة دينار وظنوا انهم قد اغنوه فأتوه ، فقالوا له : « هذه
صلة آل فلان ، وهذه صلة آل فلان ، وهذه صلة آل فلان » فأخذها فظنوا
أنهم قد كفوه عن المسئلة ، فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام ماثلا
ينادي : « من يحملني على بغلين » . . هكذا كان يفعل مع كل قوم ينزل
فيهم والا سلقهم بهنجوه

وأكثر هجوه الذي وصل إلينا في الزبرقان وبغيض . وكان الزبرقان من عمال عمر بن الخطاب ، وقد عرف شدة وطأة الحطيئة فأحب أن يقربه فدعاه إليه وأنزله في قومه ، وضمن له مؤونة عياله على أن يستصفي له مدحه . وكان بغيض بن عامر من بنى أنف الناقة وأخوته وأهله ينازعون الزبرقان الشرف . فاغتنموا استهانة أم شذرة أم الزبرقان مرة بالحطيئة ودعوه إليهم ، وفي مقدمتهم بغيض هذا وعلقمة بن هوذة . فسار معهم وضربوا له قبة بكل طناب من أطناها جلة (وعاء تمر) هجرية وأراحوا عليه ابلهم وأكثروا من التمر واللبن وبالغوا في اكرامه ، فمدحهم بالبيت المشهور الذي رفع رءوسهم وهو :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوئى بأنف الناقة الذئبا
ثم جاء الزبرقان يطلب الحطيئة منهم لانه جاره فأبوا وتنازعوا . ثم اتفقوا على أن يخبروه في الذهاب الى أحد الحيين فاختر بغيضا ، فرجع الزبرقان مفضبا فحرض بغيض الحطيئة على هجوه ففعل . ومن قوله يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض : (*)

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا في آل لآي بن شمّاس بأكياس
ما كان ذئب بغيض لا أبا لكم في بائس جاء يحدو آخر الناس
وقد مدحتكم عمدا لأرشدكم كيما يكون لكم متّحى وامراسي
لما بدا لي منكم عيب أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكم آسى
أزمعت يأسا مبينا من نوائكم ولن يثرى طاردا للحرّ كالياس
جار لقوم أطالوا هون منزله وغادروه مقيما بين أرماس
مكثوا قراه وهرته كلابهم وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

وشكاه الناس لعمر بن الخطاب فسجنه ، فكتب إليه من السجن أبياتا يشكو إليه حال أهله بسبب سجنه منها :

ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَّخ حُمر الحواصل لأماء ولا شجر

(*) الغريب في هذه الابيات : الجنب هنا : القريب في آل لآي : أى في ملحقهم . أكياس : جمع كيس وهو الدكى . المتح : الاستقاء من البئر . الامراس : وضع جبل البئر في البكرة : يقول انه مدح الزبرقان وقومه قبل أن يتحول الى بغيض وقومه ، آسى : طبيب ، الهون : الدلة ، والارماس : القبور ، القرى : الضيافة ، وهرته كلابهم : نسجته ، وهو كناية عن بخلهم ، الطاعم هنا : المطعوم ، الكاسي : المكسر أى انه لا يعطى ولا يكسو احدا

أَلْقَيْتُ كَاسِيْبَهُمْ فِي قَعْرِ مَظْلَمَةٍ فَأَغْفِرْ عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ يَا عَمْرُ
 نَمِ أَخْرَجَهُ مِنَ السَّجْنِ وَهَدَدَهُ بِقَطْعِ لِسَانِهِ وَأَذْنِيهِ فَتَوَسَّطَ لَهُ بَعْضُ
 الصَّحَابَةِ ، فَأَطْلَقَهُ وَأَوْصَاهُ أَنْ يَكْفِيَ لِسَانَهُ عَنِ الْهَجْوِ . وَبَلَغَ مِنْ شُغْفِ
 الْحَظِيئَةِ بِالْهَجْوِ أَنَّهُ هَجَا أُمَّهُ وَأَبَاهُ وَهَجَا نَفْسَهُ . . فَمِمَّا هَجَا بِهِ أُمَّهُ قَوْلُهُ :
 أَغْرَبًا لَا إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرًا وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا (*)
 جَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجْزِوزٍ وَلَقَّكَ الْعَقُوقُ مِنَ الْبَنِينَا
 وَقَالَ لِأَبِيهِ :

لِحَاكَ اللَّهُ ثُمَّ لِحَاكَ حَقًّا أَبَا وَلِحَاكَ مِنْ عَمٍّ وَخَسَالٍ
 فَنَعِمَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى الْمُخَازَى وَبُسَ الشَّيْخِ أَنْتَ لَدَى الْمُعَالَى
 جَمَعْتَ اللَّؤْمَ لَا حِيَّاكَ رَبِّي وَأَبْوَابَ السَّفَاهَةِ وَالضَّلَالِ
 وَقَالَ لِنَفْسِهِ :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلَّمْنَا بِسَوْءٍ فَمَا أَدْرَى لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ
 أَرَى لِي وَجْهًا شَوْهَهُ اللَّهُ خَلَقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ
 وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَشُوبَاتِ وَمَطْلَعِ مَشُوبَتِهِ :

نَأْتِكَ أَمَامَةً إِلَّا سَوْأًا وَأَبْصُرْتَ مِنْهَا بَعِينَ خِيَالًا
 وَلِلْحَظِيئَةِ أَشْعَارُ كَثِيرَةٌ جَمَعْتُ فِي دِيْوَانِ طَبْعِ فِي لَيْبَسِكَ سَنَةَ ١٨٩٣ ،
 وَفِي مِصْرَ وَبَيْرُوتَ مَعَ شُرُوحٍ . وَلَهُ شَرْحُ خَطِّي فِي دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ .
 وَأَخْبَارُهُ فِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ١٨٠ ، وَفِي الْأَغَانِي ٤٣ ج ٢ و ٣٩ ج ١٦ ، وَفِي
 الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ٨٠ ج ١ و ١١١ ج ٣ ، وَفِي الْمُسْتَطَرَفِ ١٣٩ ج ١ ، وَخَزَانَةُ
 الْأَدَبِ ٤٠٩ ج ١ ، وَالْجُمُهرَةُ ١٥٣ (**)

٢ - حسان بن ثابت

توفي سنة ٥٤ هـ

هو من الخزرج من أهل المدينة ، وقد عاصر الجاهلية والإسلام . . فهو
 من المخضرمين . واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسان وملوك الحيرة ،
 وله مع النابغة الذبياني أحاديث . واختص بعد الإسلام بمدح النبي والدفاع
 عنه ، وهو يعد أشعر أهل المدن في ذلك العصر . وكان شديد الهجاء حتى

(*) الغريال : النمجام ، والكانون : الثقل
 (**) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، الكامل ، والبيان والتبيين في مواضع
 متفرقة ، والاشتقاق ، وزهر الآداب ج ١ ص ١٩ ، وتاريخ أبي الفدا ج ١ ص ٢٧٥ ،
 ودائرة المعارف الإسلامية مادة الحظيئة

فيل لو مزج البحر بشعره لمزجه . قال أبو عبيدة : « فضل حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي (ص) في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الاسلام » . ومن شعره في الجاهلية قوله يمدح جبلة ابن الابهيم الفساني :

أولاد جَفَنَةَ عند قبر أبيهم
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ
بِرَدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
يَغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمَقْبَلِ
بِيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ
شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

اما في الاسلام ، فكان حسان في جملة من أسلم وأخذ يناصر الرسول . ولم يكن رجل حرب فنصره بلسانه ، وكان الرسول يسر به ويستنشده الاشعار في الدفاع عن المسلمين اذا هجاهم هاج من المشركين أو غيرهم . وقد حملته الرسول على ذلك ليرد عنه هجو الهاجين . . فقد كان يهجو الرسول والمسلمين ثلاثة من قريش هم : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلى بن أبى طالب : « اهج عنا القوم الذين قد هجونا » فقال على : « ان اذن لى رسول الله فعلت » فقال رجل : « يا رسول الله ائذن لعلى كى يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا » قال : « ليس هناك أو ليس عنده ذلك » ثم قال : « ما يمنع القوم الذين نصرُوا رسول الله بسلاحهم ان ينصروه بالسنتهم ؟ » فقال حسان بن ثابت : « انا لها » وأخذ بطرف لسانه وقال : « والله ما يسرنى به مقول بين بصرى وصنعاء » قال : « كيف تهجوهم وانا منهم » فقال : « انى أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين » فكان يهجوهم ثلاثة من الانصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والابام والمآثر ويعيرانهم بالمشالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر . . فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة . . فلما أسلموا وفقهوا الاسلام ، كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ومن أمثلة دفاعه عن الرسول ان وفدا من تميم جاءوا الرسول وهم سبعون أو ثمانون رجلا فيهم خيرة الشعراء من تميم . . وفيهم الزبرقان بن بدر ، فأنشد الزبرقان قصيدة فخر فأمر الرسول حسانا أن يجيبهم فقال :

ان الذوائب من فِهْرٍ واخوتهم قد بَيَّنُّوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تَتَّبَعُ
يرضى بها كلُّ من كانت سريرته تَقْوَى الْإِلَهِ وبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قومٌ اذا حاربوا ضَرَّشُوا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياهم نفَعُوا
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْبَدَّةٍ ان الخلائق فاعلم شرُّها الْبِدْعُ

لا يَرَقِعُ الناسُ ما أوهتْ أَكْفَشَهُمْ ُ عند الرقاع ولا يوهون ما رقعوا
 ان كان في الناس سَبَّاقُونَ بعدهم ُ فكل سبق لأدنى سببقهم تَبَعَ ُ
 أَعْفَتُهُ ُ ذَكَرْتُ ُ في الوحي عِفَّتَهُمْ ُ لا يطمعون ولا يَظُرُّ رِي بهم طمع
 يَسْمُونَ للحرب تبدو وهي كالحة اذا الزعانف من أظفارها خشعوا
 لا يفرحون اذا نالوا عدوهم ُ وان أصيبوا فلا خور ولا جُزُع ُ
 الى أن قال :

أكرم ُ بقوم ُ رسول ُ الله قائدهم اذا تفرقت ُ الأهواء والشبائع ُ
 وانهم أفضل ُ الأحياء كلهم ُ ان جَدَّ بالناس جدُّ القول أو شَمِعُوا (*)
 وهو من أصحاب المذاهبات ومطلع مذهبه :

لعمري أياك الخير حقاً لَمَّا نَبَا ُ على ُ لسانى في الخطوب ولا يدي
 وقد جمعت أشعاره في ديوان وطبع في الهند وتونس ، ثم طبعت له لجنة
 تذكاري جيب في إنجلترا سنة ١٩١٠ ، وضبطته على النسخ الخطية الموجودة
 في مكاتب لندن وبرلين وباريس وبطرسبورج بعد الاطلاع على النسخ
 المطبوعة المتقدم ذكرها

وتجد أخباره في الشعر والشعراء ١٧٠ ، والاغاني ٢ ج ٤ ، و ١٦٩ ج
 ٨ ، و ١٦٩ ج ١٠ ، و ١٥٠ ج ١٣ ، و ٢ ج ١٤ ، وخزانة الادب ١١١ ج
 ١ ، والجمهرة ١٢١ ، وفي السنة السادسة من الهلال ٤٨٢ (***)

٣ - عبد الرحمن بن الحكم

هو أخو مروان بن الحكم الذي تولى الخلافة في الدولة الاموية ، وأفضت
 بعده الى أولاده وأحفاده . وكان عبد الرحمن هذا يهاجى عبد الرحمن بن
 حسان بن ثابت ، الاول يدافع عن قريش وبنى أمية ، والثاني عن الانصار .
 وقد هجا ابن الحكم اخاه الحارث لانه ذهب في غزوة ولم يفلح ، فقال فيه
 أبياتا منها :

كفأك الغزو اذا أحجمت عنه حدث السن ُ مقتبَل ُ الشبابِ
 فليتك حَبْضَةٌ ذهبت ُ ضللا ُ وليتك عند منقطع السحابِ

(*) شمعوا : مزحوا

(**) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الطبري
 « فهرس كل منهما » والموشح للمرزياني والبيان والتبيين (الفهرس) ودواوين
 الحماسة ، وتجد من شعره مقتطفات كثيرة في كتب الادب المختلفة ، وأنظر ترجمته في
 دائرة المعارف الاسلامية

وهجا أخاه مروان فضلا عن هجوه الانصار وغيرهم
وتجد أخباره في ذلك مدونة في الاغانى ٧٢ ج ١٢ و ١٥٠ ج ١٣
ومن الشعراء الهجائيين أيضا :

{ - عبد الله بن الزبيرى : هو أحد شعراء قريش المعدودين لكنه كان
هجاء فاكثر من هجو المسلمين وحرض عليهم كفار قريش . ثم أسلم فقبل
اسلامه وتجد أخباره في الاغانى ١١ ج ١٤ (*)

(*) وراجع ديوان الحماسة لابی تمام ، والبيان والتبيين ج ٣ ص ٣٤٨ ، وانظر فهرس
السيرة النبوية لابن هشام

الشعراء الوصافون للخيـل

قد رأيت وصفا كثيرا في أشعار من تقدم ذكرهم ، وخصوصا أصحاب المعلقات ولا سيما امرأ القيس . ولكننا نريد أن نضمن هذا الباب الشعراء الذين اشتهروا بوصف الخيل دون سواها ، وهم ثلاثة ، نضيف اليهم شاعرا اشتهر بوصف الحمير وهم :

١ - أبو دؤاد الأيادي

هو من أقدم شعراء الجاهلية ، وأكثر أشعاره في وصف الخيل وله أشعار في المدح والفخر ومن قوله في وصف الفرس : (*)

ولقد أغتدى يدافع ركني أحوذى ذو مِيعَةٍ اضريـجٌ
مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِكرٌ مِفرٌ مِنفَحٌ مِطرَحٌ سبوحٌ خروج
سَلْهَبٌ سَرْحٌ كأن رماحا حملته وفي السَّراة دُمُوجٌ (١)

وليس له ديوان معروف ، ولكن أخباره في الاغانى ٩٥ ج ١٥ و ٤٧ ج ٢ ، والشعر والشعراء ١٢٠ (***)

٢ - طفيل الغنوى

هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلى من الفحول المعدودين ، ومن أشعر شعراء قيس ، ومن أوصف العرب للخيـل حتى سموه طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، وهو يدخل وصفها في كل باب من شعره . ومن قوله : (***)

(*) الغريب في هذه الابيات : الاحوذى : الطارد السريع السير من الخيل ، وذو مِيعَةٍ ، ذو فتوة ، والاضريج : الجواد ، مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ : يخالط الامور ويزايدلها أى يفارقها ، مِنفَحٌ : يدخل في كل شيء ، مِطرَحٌ : بعيد النظر ، سَلْهَبٌ : طويل ومثلها سَرْحٌ ، والسراة : الظهر ، دُمُوجٌ : انتظام واتساق

(**) وله قصيدتان في الاصمعيات رقم ٦٥ ، ٦٦ وانظر في أخباره وأشعاره شواهد المغنى للسيوطى ١٢٤ والعينى ج ٢ ص ٣٩١ اللآلىء والخزانة ج ٣ ص ٤٣٨ ، ج ٤ ص ١٩٠ (***) الغريب في ابيات طفيل الغنوى : عواوير : جمع عوار وهو الضعيف الجبان ، والردي : الموت . أرسان : جمع رسن وهو الحبل ، والجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس قصر الشعر وذلك أجود فيه ، والبادى : الغير أولا : والمعقب : الغير ثانيا ، تد : نسيل ، ومن غريب واشيب اى في هؤلاء القوم الغزاة الشيب والشبان

بخيلٍ إذا قيل اركبوا لم يَقُلْ لهم عواويرٌ يخشون الرَّدَى أين نركبُ
ولكن يجاب المستغيث وخيلهم عليها حماسة بالمنية تضرب
ومن قوله في وصف بيته :

وأطنابه أرسانٌ جرْدٌ كأنها صدورُ القنا من بادىء ومعقَّبِ
نصبتُ على قومٍ تدرُّ رماحهم عروقَ الأعادي من غريرٍ وأشيب
ولطفيل الفنوى ديوان تحت الطبع بنفقة لجنة تذكّار جيب الانجليزية
مع ديوان الطرماح بن حكيم بعناية المستشرق كرنكو Krenkow وأخباره
فى الاغانى ٨٨ ج ١٤ ، والشعر والشعراء ٢٧٥ (*)

٣ - النابغة الجعدي

هو غير النابغة الذبياني ، وهو من جعده (قبس) مخضرم قال الشعر فى
الجاهلية ، وسكت دهرًا ثم نبغ فى الاسلام . ويقال مع ذلك انه كان أسن
من الذبياني . وهو ممن فكر فى الجاهلية فأنكر الخمر والمسكر وهجر الزلام
والاوثان . وكان مغلبًا اذا هوجى غلب ، وله مهاجاة مع ليلى الاخيلية
وغيرها . ويقول علماء الشعر فى وصف شعره : « خمار بواف ومطرف
بالاف » يريدون ان بين أشعاره تفاوتًا كبيرًا . ومن قوله فى وصف
الفرس :

كَأَنَّ مَقْطَعَهُ شَرَّاسِيفُهُ إِلَى طَرَفِ الْقَتَبِ فَلَمَنْقَبِ (١)
لَطِمَنَّ بِثَرَسٍ شَدِيدِ الصَّتَّةِ لَ مِنْ خَشَبِ الْجُوزِ لَمْ يَثْقَبِ

وله قصيدة جمعها أبو زيد مع المشوبات فى جمهرة أشعار العرب ، يصف
بها حاله منذ كان عند المنذر ، وكيف سار الى الرسول وأسلم ، ووصف
ناقته وفرسه وبعض المواقع وغير ذلك مطلعها :

خَلِيلِيَّ عَوْجًا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا وَلَوْ مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا
وللنابغة الجعدي أخبار متفرقة فى الاغانى ١٢٨ ج ٤ ، والشعر والشعراء
١٥٨ ، وجمهرة أشعار العرب ١٤٥ ، وفى خزانة الادب ٥١٢ ج ١ (***)

(*) طبع الديوان كما قدمنا فى سنة ١٩٢٧ ، وانظر فى طفيل ايضا الاشتقاق ١٦٥ ،
والأوتلف ١١٤٧ ، ١٨٤ والاقتضاب ٣٢٧ ، والعينى ج ٣ ص ٢٤ والخزانة ج ٣ ص ٦٤٢
والحماسة لابی تمام وشرح التبريزي
(١) الشراسيف : أطراف الاضلاع ، المنقب : وسط البطن ، والقنّب : الرجل
(**) وانظر ايضا طبقات الشعراء لابر سلام حيث جعله فى الطبقة الثانية من
الشعراء الجاهليين ، ومعجم المرباني ٣٢١ ، والموشح ٦٤ ، والأوتلف ١٩١ ، والممرين ٦٤ ،
وأمالى المرتضى ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٩ ، والألالي ٢٤٧ ، والاستيعاب ٣٢٠ ، واسد الغابة
ج ٥ ، والاصابة ج ٦ ، والسيرة النبوية لابن هشام

٤ - الشماخ بن ضرار

ويدخل في هذا الباب الشماخ بن ضرار الديباني ، فانه وصاف للحمير وهو مخضرم ، ويقولون ان الحطيئة كتب في وصيته : « أبلغوا الشماخ أنه أشعر غطفان كلها » وقد أجمع علماء الشعر على انه أوصف الشعراء للحمير ، وأوصفهم للقوس ، وأرجزهم على البديهة . وكان فيه ميل الى الهجاء حتى انه يهجو أهله وضيغه . وقد يصح عده من الشعراء الهجائيين ، ولكن الوصف غالب عليه . ومن وصفه القوس ، قوله : (*)

وذاق فأعطته من اللّين جانباً كفّى ولهاً أن يثغر السهم حانجراً
إذا أتبضّ الرامون عنها ترنمت ترثم ثكلى أوجعتها الجنائز
وهذان البيتان من قصيدة عدها أبوزيد من المشوبات ومطلعها :

عفا بطنٌ قوٌّ من سليمي فعالزٌ فذاتُ الصفا فالمشرفات التّواشيزُ
وقد جمعت أشعار الشماخ في ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية (* *) ، وله أخبار متفرقة في الاغانى ١٠١ ج ٨ ، والشعر والشعراء ١٧٧ ، وخزانة الادب ٥٢٦ ج ١ ، والجمهرة ١٥٤

ومن وصاف الخيل أيضا سلامة بن جندل وقد ترجمنا له مع الشعراء الفرسان ، وفاتنا ان نذكر هناك ان له ديوانا طبع في بيروت

الشعراء الموالى

١ - عبد بنى الحسحاس

ليس فيمن وصلنا خبرهم من الجاهليين شاعر من الموالى أو العبيد الا عبد بنى الحسحاس ، وهو حبشي واسمه سحيم . كان مطبوعا على الشعر ، اشتراه بنو الحسحاس وهم بطن من أسد ، ومن نظمه قوله :

أشعارُ عبد بنى الحَسْحَاسِ قَمْنُ له عند الفخار مقام الأصل والورقِ
إن كنتُ عبداً فنفسى حرّةٌ كرمًا أو أسودَ اللونِ إني أبيضُ الخلقِ
وذكروا ان صاحبه كان اسمه مالكا جاء به لبيعه لعثمان بن عفان ،

(*) الغريب في هذه الابيات : البيت الاول يصف القوس بأنها وسط بين اللينة والشديدة ، انبض القوس : حركها ليرمى عنها ، قو وعانز وذات الصفا : مواضع ، المشرفات والنواشر : المرتفعات

(*) طبع ديوان الشماخ بمصر وانظر فيه طبقات الشعراء لابن سلام والمؤتلف ١٣٨ ، وديوان الحماسة واللالى ٥٨ والاشتقاق ١٧٤ وسيرة ابن هشام وكتب طبقات الصحابة والموشح للمرزباني

فقال : « لا حاجة لى به اذ الشاعر لا حريم له ، ان شبع تشبب بنساء
اهله وان جاع هجاهم » فاشتراه غيره فلما رحل قال فى طريقه :

أشوقاً ولما تمض لى غيرُ ليلةٍ فكيف إذا سار المطىٰ بنا شهراً
وما كنت أخشى مالكا أن يبيعنى بشيءٍ ولو أمستُ أناملته صِفراً
أخوكم ومولى مالكم وحليفكم ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرًا

فلما بلغهم شعره هذا رثوا له فاستردوه ، فكان يشبب بنسائهم ،
ويفحش غاية الفحش ، فقتلوه ، وأخبره فى الاغانى ٢ ج ٢٠ ، والشعر
والشعراء ٢٤١ (*)

(*) وانظر الخزانة ج اول ص ٢٧٢ ، والبيان والتبيين ج اول ص ٧١ ، وقد طبعت
دار الكتب المصرية ديوانه

سائر الشعراء الجاهليين

بقيت طائفة من شعراء الجاهلية لا يدخلون في باب من الابواب التي تقدمت ، وان كانت تلك الابواب كثيرا ما تختلط أغراضها . . اذ لا يتفق ان يستقل شاعر أو بضعة شعراء بالحكم أو الفخر أو الوصف أو الهجاء دون سواه . ولكننا جمعنا المتقاربين في بعض تلك الاغراض ليسهل تعليقهم بالذاكرة ، وبقي جماعة منهم لا يجتمعون في باب . . وهم كثيرون نكتفي بذكر أشهرهم وخصوصا الذين لهم آثار باقية يمكن الحصول عليها وهم :

١ - ابن الدمينه (*)

هو عبد الله بن عبيد الله أحد بنى عامر من خثعم وأمه الدمينه من سلول - اشتهر بحديث امرأته حمادة - وذلك انه بلغه أن بعض اخواله من سلول يأتيها خلصة ، فرصده حتى أتاها فقتله وقتلها . على أنه قبل أن يقتل الرجل منعه عن المجيء اليها فغضب واراد ان ينتقم منه ، فنظم قصيدة يصف بها المرأة وصف من تفحص بدنها . . فذهب ابن الدمينه الى امرأته وسألها : « كيف عرف ذلك فيك ؟ » قالت : « وصفته له النساء » فغضب وقال : « والله ان لم تمكنيني منه لاقتلنك » فبعثت اليه وواعدته . وكان زوجها كامنا له . . فقام وقتله ضغطا على كبده حتى يخفى جريمته . لكن أهله تحققوا فعلته . وعشق في أثناء ذلك امرأة من قومه اسمها أميمة وهام بها ، فلما وصلتته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ثم زارها فقالت هذه الابيات :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأشمت بي من كان فيك يلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أُرْمَى وأنت سَلِيمٌ
فلو أن قولاً يَكْلِمُ الجسمَ قد بدا بجسمي من قول الوشاة كلوم
فأجابها بمثل عتابها وهو الطف أساليب العتاب : (*)

(*) أخطأ المؤلف في عد ابن الدمينه من شعراء الجاهلية ، فهو اسلامي
(**) الغريب في هذه الابيات : الحزاة : رجوع في القلب أو هو الوجد ، وكليسم : مجروح دلج الري : السير بالليل ، وجون : سود ، والجلهتين : موضع ، جنوم : راقدة ، يقول انه كان يركب الخطر بالليل والطيور ساكنة في أعشاشها ، الحفلة : أغضبه ، كظيم : غاضب

وأنت التي قَطَّعْتَ قَلْبِي حَزَازَةً وَقَرَّحْتَ قَرَحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمٌ
وأنت التي كَلَّفْتَنِي دَلَجَ الشَّرِّ وَجَوَّنَ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومٌ
وأنت التي أَحْفَظْتَ قَوْمِي فَكُلَّهُمْ بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصَّدُودِ كَظِيمٌ
ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهى عنده . وهذه الابيات تغنى بها المسلمون
أجيالا ، واليه تنسب الابيات المشهورة :

ولى كبدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح
ولا بن الدمينه ديوان شعر منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية . وله
اخبار فى الاغانى ١٥١ ج ١٥ والشعر والشعراء ٤٥٨ (*)

٢ - أوس بن حجر

هو من نمر أحد بطون تميم من فحول الشعراء الجاهليين ، يقرنه بعضهم
بالحطيئة وبالنابغة . قالوا : كان أوس شاعر مضر كلها حتى حل مكانه
النابغة وزهير ، فأصبح شاعر تميم فى الجاهلية غير مدافع . وكان غزلا
مغرما بالنساء فخرج فى سفر ، وبينما هو فى أرض بنى أسد يسير على ناقته
ليلا صرخته فاندقت فخذه ، فظل فى مكانه لا يستطيع انتقالا حتى خرجت
بنات الحى يجتنين الكمامة . فبصرن بالناقة ورأين أوسا ملقى ففزعن ،
فنادى احداهن وسألها عمن هى ، فقالت : « خليمة بنت فضالة » وكان
يعرف اباها ، فدفع اليها حجرا وقال : « اعطى هذا الى أبيك ، وقولى له
أن هذا نقرؤك السلام » فمضت وبلغت ما قاله فأتى فضالة فاحتمله الى
بيته وعالجه ، فنظم فيه أوس مدائح كثيرة وأحب ابنته ونظم فيها ، ثم
توفى فضالة فرثاه أحسن الرثاء ، منه قوله : (* *)

آيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا
إن الذى جمع السماحة والن جددة والحزم والقوى جمعا
المخلف المتلف المرزأ لم يمتنع بضعف ولم يمت طبعها
أودى وهل تنفع الإشاحة من شيء لمن قد يحاول النزعا

ولاوس بن حجر ديوان طبع فى فينا مع ترجمة المانية سنة ١٨٩٢ بعناية
المستشرق جاير Geyer وعليه تعليقات . وأخباره فى الاغانى ٦ ج ١٠ ،

(*) طبع ديوان ابن الدمينه بالقاهرة وانظر حماسة ابى تمام فى مواضع متفرقة ،
وتلبيان والتبيين ، ومعاهد التنصيص ج اول والآل ١٣٦ وإمالى المرتضى « الفهرس »
ودائرة المعارف الإسلامية .

(* *) الغريب فى هذه الابيات : جمع فى آخر البيت الثانى : مات ، المرزأ : المصاب
فى ماله لكثرة ما يوجد به ، يمتنع : يصاب ، والطبع بكسر الباء : الدنس اللثيم ،
الإشاحة : الجدة فى طلب الامر ، النزوع : النزوع فى طلب الحاجة

والشعر والشعراء ٩٩ ، وخزانه الادب ٢٣٥ ج ٢ (*)

٣ - التلمس

توفي سنة ٥٨٠ هـ

هو جرير بن عبد المسيح من ضبيعة (ربيعة) وهو خال طرفة بن العبد ، واليه تنسب صحيفة التلمس كما مر في حديثه مع طرفة وعمرو ابن هند صاحب الحيرة . ولهذه الحكاية مثال في تاريخ قدماء اليونان تعزى الى بيلروفت (١) فلما علم التلمس بفحوى الصحيفة كما تقدم في ترجمة طرفة رماها في النهر قرب الحيرة وهرب الى الشام ولحق بملوك آل غسان ، ونظم في ذلك قصيدة ذكر فيها نجاته ، وكان قد استحث طرفة على رمي ورقته بقوله : (***)

أَلْقِ الصَّحِيفَةَ لَا أَبَا لَكَ إِنَّهُ يَخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ النَّقْرَسُ
فلما بلغه انه قتل بها قال :

عصاني فما لاقى الرشاد وإنما تَتَبَيَّنُ من أمر الغوى عواقبه
فأصبح محمولاً على آلة الرَّدَى تمجُّ نجيع الجوف منه ترائبه
ونظم في هجو عمرو بن هند قصيدة طويلة هني من خيرة شعره
مطلعها :

يَا آلَ بَكْرٍ أَلَا اللَّهُ أَمْكُمُ طَالَ الثَّوَاءُ وَثُوبُ الْعَجْزِ مَلْبُوسُ
وأقام التلمس في حوران عند الغساسنة الى وفاته . ومن قوله وفيه
افراط في الفخر من قصيدة عاتب بها خاله الحارث اليشكري :

أَحَارَثُ إِنْ لَوْ تَسَاطَ دِمَاؤُنَا تَزَايَلْنِ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دِمَا
يريد أن دماءهم تمتاز عن دماء غيرهم أو تأبى الامتزاج بها ، ومنها :

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقْمَنَّا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوْنَا
لذِي الْحَلَمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ الْعَصَا وَمَا عُلِّمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا
وَلَوْ غَيْرَ أَخْوَالِي أَرَادُوا تَقِيصَتِي جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ الْعَرَانِينَ مِيسَمَا

(*) وانظر في أوس الموشح للمعز بن باني ومصادر جابر ناشر ديوانه ويذكر الجاحظ في الجزء السادس من الحيوان ان شعره اختلط بشعر شريح بن أوس وراجع دائرة المعارف الإسلامية وكتاب في الادب الجاهلي لطلحة حسين (١) شعراء النصرانية ٣٣٠

(**) الغريب في ابیات التلمس : الحياء : العطاء ، النقرس : مرض يصيب المفاصل .
نمج : تلفظ ، والنجيع : الدم السائل ، تساط : تخلط ، تزايلن : افترقن وتمايزن ،
صعر خده : أماله كبرا ، العرائن : جمع عرنين وهو اول الانف ، والميسم : العلامة ،
الستعمل : الطريق ، والقلدب البعيد ، والعيس الابل

، ومما يتمنل به من شعره قوله :

وأعلم علم حق غير ظن وتقوى الله من خير العتاد
لحفظ المال أيسر من بثغاه وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير على الفساد
وهو من اصحاب المنتقيات ومطلع قصيدته :

كم دون مئة من مستعمل قد ف ومن فلاة بها تستودع العيس
وفد جمع شعر المتلمس في ديوان منه نسختان خطيتان في دار الكتب
المصرية وأخبره في الاغانى ١٢٠ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ٨٥ ، وحياة
الحيوان للدميرى ٢٠٩ ج ٢ ، وابن خلكان ١٩٩ ج ٢ ، والجمهرة ١١٣ ،
وشعراء النصرانية ٣٣٠ ، والحماسة وشرحها ، ومعجم البلدان ، ولسان
العرب ، وغيرها (**)

٤ - المثقب العبدى

توفي سنة ٥٨٧ م

هو عائد بن محسن بن ثعلبة من ربيعة ، وكان فى جملة الذين كانوا
يترددون على عمرو بن هند ويمدحونه وله فيه قصائد . وله فى وصف
راحلته قصيدة مطلعها :

هل عند عان لفؤاد صد من نهلة فى اليوم أوفى غد (**) (*)
وله قصيدة يمدح بها عمرا المذكور مطلعها :

أفاطم قبل بينك ودجيني ومنعك ما سألت كأن تبينى
ومما سبق اليه وأخذ عنه قوله من هذه القصيدة فى وصف ناقته :

كأن مواقع الثفنات منها معرس باكرات الورد جئون

الباكرات القطا . فأخذ هذا المعنى عنه ذو الرمة والطرمح

وله قصيدة منها البيت المشهور :

حسن قول نعم من بعد لا وقبح قول لا بعد نعم

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام والبيان والتبيين والخزانة ج ٣ ص ٧٣
والأوتلف ص ٧١ والأصمعيات والموشح للمرزبانى والعيشى فى شرح الشواهد الكبرى
ومعجم البلدان ج ٧ ص ٢٠٨ وأمالى المرتضى ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٥ ودائرة المعارف الاسلامية
وفد طبع ديوانه

(**) الغريب فى ابيات المثقب : عان : من العناء ، صد : عطشان ، تبينى : من البين
أى البعد . الثفنات : مواصل الدراعين والمضدين من باطن وهى التى على الأرض منها
إذا بركت ، والجون : السود ، والمعرس : مكان النزول آخر الليل ، وباكرات الورد :
القطا يكرن بالورود الى الماء . شبه ما من الأرض من ناقته بتعريس القطا فى منازلها

وللمثقب ديوان حوى شعره مع شروح منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية واخباره في الشعر والشعراء ٢٣٣ وخزانة الادب ج ٤ ، وشعراء النصرانية ٤٠٠ (*)

٥ - المنخل اليشكري

توفي سنة ٥٩٧ م

هو المنخل بن عبيد من يشكر من بكر وائل (ربيعة) شاعر مقل كان ينادم النعمان مع النابغة الذبياني ، ولكن النعمان كان يؤثر شعر النابغة على شعره ، فسعى المنخل بالنابغة وأوغر صدر النعمان عليه حتى هم بقتله فهرب النابغة وخلا المنخل بمجالسته . ثم اتهمه النعمان بامراته وأمر بقتله فقتل ، ويقال انه دفن حيا . والعرب تضرب المثل به كما تضربه بمن هلك منهم ولم يعلم خبره . ومن مشهور شعره أبيات من قصيدة له في الفخر مطلعها :

إن كنت عاذلتى فسيري نحو العراق ولا تحورى
الى أن يقول :

ولقد شربت من المدامة بالصغير وبالكبير
فإذا انتشيت فإننى رب الخور نق والسدير
وإذا صبحت فأننى رب الشويهة والبعر

واخبار المنخل في الاغانى ١٥٢ ج ١٨ و ١٦٦ ج ٩ ، والشعر والشعراء ٢٣٨ ، وشعراء النصرانية ٤٢١

٦ - كعب بن زهير

توفي سنة ٢٤ هـ

هو كعب بن زهير بن أبى سلمى ، ولكعب ذكر خاص عند ظهور الاسلام لانه من المخضرمين . وكان هجا الرسول ثم جاءه واسلم ، ومدحه بقصيدته المشهورة التى مطلعها : (***)

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم عندها لم يجز مكبول
وهي من المشوبات . . ولما أقبل على النبی وطلب الامان انشده اياها
والجلس حافل بالصحابة من قریش وغيرهم ، فلما وصل الى قوله :

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام والمفصلية للضبى ارقام ٢٨ ، ٧٦ ، ٧٧
(**) القريب في ابيات كعب بن زهير : بانت : فارقت ، المتبول : السقيم من الحب ،
المكبول : المقيد ، زولوا : هاجروا ، النكس : الضعيف ، كشف : جمع اكشف وهو من
لا يحمل ترسا ، والخور : الضعفاء ، مغازيل : جمع معزول : من لا سلاح معه

إن الرسول لنور" يستضاء به مَهْنَدٌ من سيوف الله مَسْلُولٌ
في فتيةٍ من قريش قال قائلهم بَبْطَنِ مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فمالزال أنكاس" ولا كَشَش عند اللقاء ولا خُورٌ معَاذِلُ

أشار الرسول الى الناس أن يسمعوا شعر ابن زهير . ولما فرغ من الانشاد
خلع الرسول عليه بردته وهي التي تداول الخلفاء لبسها (١)

وقد طبعت هذه القصيدة مرارا بمصر وأوربا ، وشرحها كثيرون منهم
ابن دريد والتبريزي وغيرهما في العصور المختلفة إلى الآن . ومن الاصل
والشروح نسخ كثيرة في مكاتب برلين ولندن والاسكوريال ومصر وغيرها .
وتسطرها غير واحد مما يطول شرحه . وأخبار كعب في الاغانى ١٤٧ ج ١٥ ،
والشعر والشعراء ٥٨ ، و ٦٧ ، والجمهرة ١٤٨ والحماسة وغيرها (*)

٧ - معن بن أوس

توفي سنة ٢٩ هـ

هو معن بن اوس بن نصر من مزينة (مضر) شاعر مجيد فحل من
المخضرمين وله مدائح في جماعة من الصحابة ، ووفد على عمر بن الخطاب
مستعينا به على أمره وخاطبه بقصيدته التي أولها :

تَأْوِيْبِهِ طَيْفٌ بِذَاتِ الْجِرَاثِمِ فَنَامَ رَفِيقَاهُ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

ويقال انه لقي معاوية ايضا ، وكان معاوية يفضل مزينة في الشعر
ويقول : « كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير » وأشعر أهل الاسلام
منهم : وهما ابنه كعب ومعن بن أوس . وكان معن مَثْنَانَا ، يحسن
صحبة بناته وتربيتهن . ومن شعره قوله :

وَذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفَارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمٌ
إِذَا سُمِّتُهُ وَصَلَّ الْقَرَابَةَ سَامِنِي قَطِيعَتَهَا تِلْكَ السَّفَاهَةُ وَالظُّلْمُ

فَأَسْعَى لِكِي أَبْنَى وَيَهْدِمُ صَالِحِي وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنَى كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ
يَحَاوِلُ رَغْمِي لَا يَحَاوِلُ غَيْرَهُ وَكَالْمَوْتُ عِنْدِي أَنْ يَحِلَّ بِهِ رَغْمٌ

فَمَا زِلْتُ فِي لَيْنٍ لَهُ وَتَعَطَّشٌ عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ
لَأَسْتَلَّ مِنْهُ الضُّغْنُ حَتَّى سَلَّتْهُ وَإِنْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يَضِيقُ بِهِ الْحِلْمُ

وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٩٠٣ ، واخباره في الاغانى ١٦٤ ج

(١) راجع تاريخ البردة النبوية في تاريخ التمدن الاسلامى ١١٥ ج ١ « طبعة ثالثة »
(*) طبع ديوان كعب في دار الكتب المصرية وانظر اخباره في السيرة النبوية لابن هشام .
وفي كتب التاريخ وطبقات الصحابة - وراجع دائرة المعارف الاسلامية

١٠ ، وخزانة الادب ٢٥٨ ج ٣ (*)

٨ - الباقي من هذه الطبقة

وفي هذه الطبقة من الجاهليين والمخضرمين جماعة ضاق المقام عن تراجمهم، وفيهم بضعة من الفحول . ولكن اكثرهم مقلون ، فنكتفى بأسمائهم مرتبة حسب الحروف الابجدية مع الاشارة الى المآخذ التي يمكن الرجوع اليها في معرفة أخبارهم :

اسم الشاعر	المصادر
٨ - كثير بن، الغريرة من تميم شاعر مخضرم	الاغاني ٩٧ ج ١٠
٩ - أبو خراش الهذلي من هذيل	» ٣٨ ج ٢١
١٠ - أبو ذؤيب » » من أصحاب المرائي	» ٥٨ ج ٦ والشعر والشعراء ٤١٣
١١ - أبو زبيد الطائي كان يزور عثمان	» ٢٤ ج ١١ » » ١٦٧
١٢ - أبو العيال من هذيل شاعر فصيح أدرك معاوية	» ١٦٧ ج ٢٠
١٣ - الأسود بن يعفر من تميم شاعر فصيح	الشعر والشعراء ١٣٤ والاغاني ١٣٤ ج ١١ والخزانة ٩٥ ج ١ وشعراء النصرانية ٤٧٥
١٤ - جران العود (١)	الشعر والشعراء ٥٠
١٥ - الحادرة المازني (٢) شاعر مقل	الاغاني ٨٢ ج ٣
١٦ - حنظلة الطائي صاحب الوفاء	شعراء النصرانية ٨٩ والمستطرف ١٦١ ج ١
١٧ - خزيمه بن نهد من قضاة شاعر قديم	الاغاني ١٥٩ ج ١١
١٨ - ربيعة بن مقروم من ضبة	» ٩٠ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٨٠ وخزانة الادب ٥٦٦ ج ٣
١٩ - سويد بن أبي كاهل من يشكر	» ١٧١ ج ١١ والشعر والشعراء ٢٥٠
٢٠ - عدى بن زيد العبادي من تميم من أصحاب المجهرات شاعر ، كاتب كسرى	» ١٨ ج ٢ والشعر والشعراء ٢١١ والجمهرة ١٠٢
٢١ - عدى بن نوفل من قريش شاعر مقل	» ١٣٥ ج ١٣
٢٢ - عمرو بن شأس من أسد	» ٦٣ ج ١٠ والشعر والشعراء ٢٥٤
٢٣ - عمرو بن سعيد من قريش	» ٨٧ ج ٨
٢٤ - عمرو بن براقه شاعر قديم	» ١٣٠ ج ٢١

(*) وانظر نكت الهميان ٢٩٤ ، والبيان والتبيين « الفهرس » وحماسة ابي تمام وشرح التبريزي والاصابة وغيرها من كتب طبقات الصحابة

(١) له ديوان مطبوع

(٢) له ديوان خطي في دار الكتب المصرية وفي المتحف البريطاني وطبع شيء منه في لندن سنة ١٨٥٨ « وقد طبع في مصر »

- ٢٥ - عمرو بن قميئة من ربيعة
الافغانى ١٦٣ ج ١٦ والخزانة ٢٤٩ ج ٢
والشعر والشعراء ٢٢٢
» ١٤٣ ج ١٩
» ٤٥ ج ١٢
» ١٧١ ج ١٠
٢٦ - عيينة بن مرداس شاعر مقل
٢٧ - غيلان الثقفى من أهل الطائف
٢٨ - فضالة بن شريك من مضر وفد على ابن
الزبير
٢٩ - كعب بن مالك من الخزرج مخضرم
٢٠ - لقيط بن يعمر الابدلى شاعر جاهلى
قديم (١)
٣١ - المتنخل من هذيل شاعر فحل
٣٢ - المخبل السعدى من تميم مات أيام عمر
» ١٤٥ ج ٢٠ وخزانة الادب ١٣٧ ج ٢
» ٤٠ ج ١٢ والشعر والشعراء ٢٥٠
وخزانة الادب ٥٣٥ ج ٢
٢٣ - المزوف العبدى (٤٨٠ م) شاعر قديم
الشعر والشعراء ٢٣٥
٣٤ - النمر بن تولب من عكل من أصحاب
الافغانى ١٥٧ ج ١٩ والشعر والشعراء ١٧٣
والجهمرة ١٠٩
٣٥ - هدية بن الخشم (٢) من بادية الحجاز
» ١٦٩ ج ٢١ والشعر والشعراء ٤٣٤
كان راوية الخطيئة
وخزانة الادب ٨٤ ج ٤
٣٦ - يزيد بن عبد المدان
شعراء النصرانية ٨٠

هؤلاء شعراء الجاهلية والمخضرمون ممن وقفنا لهم على تراجم مستقلة
مع بيان اغراضهم ومراتبهم . وهناك طائفة كبيرة عرفوا بأبيات او قصائد
ومنها كثيرون فى كتب الادب والحماسة والمجهرات والمفضليات وغيرها

٩ - آخذ الشعراء الجاهليين (*)

يحسن بنا أن نأتى على ذكر الكتب التى يمكن الطلاب الشعر التوسع بها
فى معرفة الشعراء الجاهليين أو المخضرمين ، غير الدواوين التى تقدم ذكرها
وغير المعاجم اللغوية . وهذه أهمها مما طبع ويقرب تناوله ، ونذكر هنا
الطبعات التى عولنا عليها فى المصادر التى بين أيدينا مرتبة حسب الحروف
الابجدية آتسهل المراجعة على المطالع :

(١) له ديوان فى مكتبة آيا صوفيا

(٢) عنه مقالة بالفرنسية لدوجات فى المجلة الاسيوية الفرنسية سنة ١٨٥٥

(*) يمكن الرجوع ايضا الى ما أضفناه من مراجع فى تعليقاتنا ، وكذلك ينبغى الرجوع الى
المراجع التى تذكرها دائرة المعارف الاسلامية ، فيمن تترجم لهم من الشعراء الجاهليين ،
والمراجع الاخرى التى يذكرها بروكلمن فى تاريخ الاداب العربية

اسم الكتاب	سنة الطبع ومكانه
١ - اشعار الهذليين رواية السكري	لندن سنة ١٨٥٤
٢ - الاصمعيات	ليبسك » ١٩٠٢
٣ - الاغانى لابی الفرج الاصبهاني ٢١ جزءا	بولاق » ١٢٨٥
٤ - أمالي إلقالي	مصر » ١٣٢٦
٥ - أمثال آل عرب للضبي	الاستانة » ١٣٠٠
٦ - البيان والتبيين للجاحظ جزآن	مصر » ١٣١٣
٧ - جمهرة اشعار آل عرب لابی زيد بن ابي الخطاب	بولاق » ١٣٠٨
٨ - جمهرة الامثال لابی الحسن العسكري	بمباي » ١٣٠٧
٩ - الحماسة لابی تمام وشرحها للتبريزي ٤ أجزاء	بولاق » ١٢٩٦
١٠ - » للبحثري	بيروت » ١٩٠٩
١١ - خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ٤ أجزاء	بولاق » ١٢٩٩
١٢ - سيرة الرسول لابن هشام ٣ أجزاء	بولاق » ١٢٩٥
١٣ - شرح القصائد العشر للتبريزي	كلكتة » ١٨٩٤
١٤ - شرح المقامات الحريرية للشريشي	بولاق » ١٢٨٤
١٥ - الشعر والشعراء لابن قتيبة	ليدن » ١٩٠٢
١٦ - شعراء النصرانية للاب شيخو ١٦ أجزاء	بيروت » ١٨٩٠
١٧ - طبقات الشعراء لاسكندر ابكارديوس	بيروت » ١٨٥٨
١٨ - العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهليين	لندن » ١٨٧٠
١٩ - العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ أجزاء	مصر » ١٣٠٥
٢٠ - العمدة لابن رشيق جزءان	مصر » ١٣٢٥
٢١ - قواعد الشعر لثعلب	ليدن » ١٨٩٠
٢٢ - الكامل لابن الاثير ١٢ جزءا	مصر » ١٣٠٢
٢٣ - الكامل للمبرد	مصر » ١٢٨٦
٢٤ - الكشكول وعلى هامشه أدب الدنيا والدين	مصر » ١٣٠٥
٢٥ - مجمع الامثال للميداني مشروح	بيروت » ١٣١٢
٢٦ - مصارع العشاق للسراج	الاستانة » ١٣٠٨
٢٧ - معجم البلدان لياقوت الحموي ٦ أجزاء	ليبسك » ١٨٧٠
٢٨ - معجم ما استعجم للبكري جزءان	غوتنجن » ١٨٧٧
٢٩ - المعلقات وشروحها	مصر » ١٣١٩
٣٠ - المفضليات للمفضل الضبي	ليبسك » ١٨٨٥
٣١ - نقد الشعر لقدامة بن جعفر	الاستانة » ١٣٠٢

ولا يخفى ان للمستشرقين عناية كبرى بالشعر العربي ، ولهم فيه أبحاث وانتقادات . واليك أشهر ما كتبوه بهذا الشأن لعل القاري يحب الاطلاع عليها نذكرها باللغات التي كتبت بها مع مكان طبعها وسنته :

- Ahlwardt, Ueber Poesie Poetik der Araber, Gotha 1856.
 Clouston, Arabian Poetry for English readers, Glasgow, 1881
 Guyard, Théorie nouvelle de la métrique arabe précédée de Considération gén, sur le rythme naturel du langue J.A. 1876.
 Muir. Ancient Arabic Poetry; its genuinness & its Authenticity, J.R.A.S. 1879
 Noeldeke, Beitroege Zur Kenntness der Poesie der alten Araber., Hanover 1864.
 Slane, Le diwan d'Amrou 'L' Kaig précédé de la vie de ce poète, Paris 1837.
 Lyall, Translation of Ancient Arabic poetry, London 1887.
 وهناك شرح للمعلقات بالعربية والفارسية والهندية اسمه رياض الفيض
 طبع في لاهور (الهند) سنة ١٢٩٩

١٠ - الخطابة في الجاهلية (*)

الخطابة تحتاج الى خيال وبلاغة ، ولذلك عددناها من قبيل الشعر أو هي شعر منشور ، وهو شعر منظوم ، لكل منهما موقفه . . فالخطابة تحتاج الى الحماسة ، ويغلب تأثيرها في أبناء عصر الفروسية واصحاب النفوس الابية طلاب الاستقلال والحرية مما لا يشترط في الشعر . ولذلك تشابهت جاهلية العرب وجاهلية اليونان من هذا الوجه ، لان كليهما اهل شعر وخطابة وأهل اباء واستقلال . ولذلك أيضا كانت الخطابة رائجة عند الرومان مع تأخر الشعر عندهم . ولنفس هذا السبب قصر العبرانيون في الخطابة مع تقدمهم في الشعر لغلبة الدل والضعف على طباعهم ، فتحول خيالهم الشعري الى الشكوى والتضرع وانصرف قرائحهم الى نظم المراثى والحكم.

أما العرب فقد قضى عليهم الاقليم بالحرية والحماسة وهم ذوو نفوس حساسة مثل سائر أهل الخيال الشعري ، فأصبح للبلاغة وقع شديد في نفوسهم . . فالعبارة البليغة تقعدهم أو تقيمهم بما تثيره في خواطرهم من النخوة . واقتضت المنازعات بينهم أن يتفاخروا ويتنافروا ، فاحتساجوا الى الخطابة في الاقناع وتأليف الاحزاب ، وان غلب في موضوعات خطبهم المفاخرة بالاحساب والآداب في المجالس والاندية العمومية والخصوصية . وكانوا يخطبون وعليهم العمائم ، وهم وقوف في أيديهم المخاصر ، ويعتمدون على الارض بالقسي ويشيرون بالعصى والقنا ، وقد يخطبون وهم جلوس

(*) انظر في الخطابة الجاهلية كتاب في الادب الجاهلي لطف حسين ، وتاريخ الاداب العربية لثالينو وتطور الاساليب الشعرية لانيس المقدسي ، وكتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربي » وكلمة خطيب في دائرة المعارف الاسلامية

على رواحلهم (١) . ومما يدل على تشابه الشعر والخطابة ان الغالب في الشعراء ان يخطبوا والخطباء ان ينظموا ، فيكون الواحد شاعرا وخطيبا . . . فاذا غلب عليه الشعر سموه شاعرا أو الخطابة سموه خطيبا . والقبائل التي كثر خطباؤها هي غالبا التي كثر شعراؤها . ومن اقوالهم في تاريخ الشعر والخطابة ، ان عبد القيس بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين . فرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب ، وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من اشعر القبائل ، ولم يكونوا كذلك حين كانوا في سرّة البادية وفي معدن الفصاحة (٢) ويدل ذلك على نتائج احتكاك الافكار عند الاختلاط بالاعاجم . ولهذا السبب كثر الخطباء ايضا في اليمن لاختلاطهم بالفرس ، وكان الفرس اهل خطابة مثل العرب

موضوعات الخطب

وكان العرب يخطبون بعبارة بليغة فصيحة وهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون ، وانما كانت الخطابة فيهم قريحة مثل الشعر . وكانوا يدربون فتياتهم عليها من حداثتهم (٣) لاحتياجهم الى الخطباء في ايفاد الوفود مثل حاجتهم الى الشعراء في حفظ الانساب والدفاع عن الاعراض . ولكنهم كانوا يقدمون الشاعر على الخطيب في الجاهلية ، ولما جاء الاسلام صار الخطيب مقدما لحاجتهم اليه في الاقناع وجمع كلمة الاحزاب . ولكن نظرا لحاجة العرب الى الخطباء في الوفود ، فقد كان خطيب القبيلة عندهم عميدها وزعيمها ، وهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن السنة

اما ايفاد الوفود فقد كان شائعا في تلك العصور ، فكانت دول الروم والهند والصين والفرس يتبادلون الوفود لمبادلة العلاقات او للمفاخرة . ولم يكن للعرب دول تستوفد من قبلها ، ولكن المناذرة ملوك العرب في العراق نائوا يذكرون فصاحة العرب بين يدي الاكاسرة وخصوصا كسرى انوشروان فكان يميل الى مشاهدتهم . . . فاتفق مرة أن النعمان خاطبه في ذلك ، فطلب اليه ان يريه واحدا منهم فاستقدم جماعة من خطباء العرب اختار من كل قبيلة اثنين او ثلاثة هم بالحقيقة حكماؤها ووجهائها ، ومنهم اكثم ابن صيفى ، وحاجب بن زرارة من قبيلة تميم ، والحارث بن ظالم ، وقيس ابن مسعود من قبيلة بكر ، وخالد بن جعفر ، وعلقمة بن علاثة ، وعامر ابن الطفيل من بني عامر ، وغيرهم . فقدموا على كسرى ، وخطب كل منهم بين يديه خطابا ذكره ابن عبد ربه مفصلا في الجزء الثالث من العقد الفريد (٤)

على أن عرب اليمن وشرقي جزيرة العرب كانوا يقدمون على كسرى

(١) البيان والتبيين ٢٠ ج ٢ و ١٣٩ ج ١

(٢) البيان ٤٢ ج ١

(٣) البيان والتبيين ٥٨ و ٩٨ ج ١

(٤) المظنون أن وفود العرب على كسرى وخطاباتهم بين يديه على هذا النحو الذي رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد من خيال القصص

للسكوى من عماله هناك ، وكان غيرهم من العرب يفدون عليه بالهدايا من الخيل ونحوها على سبيل الاستجداء كما فعل أبو سفيان والد معاوية . وكانوا يفدون على الامراء من العرب وغيرهم كوفود حسان بن ثابت . على النعمان بن المنذر بالحيرة وعلى آل جفنة في البلقاء . ووفود وجهساء قريش على سيف بن ذي يزن في اليمن بعد انتصاره على الحبشة . . وفدوا عليه للتهنئة بالنصر ، وكان في جملة خطباء ذلك الوفد عبد المطلب جد النبي . ومن هذا القبيل وفود القبائل على النبي بعد ان استتب له الامر ، فقد جاءه من كل قبيلة وجهاءها وخيرة بلغائها للدخول في الاسلام أو للاستفهام أو غير ذلك . ومن هذا القبيل ايضا وفود العرب على الخلفاء للتسليم والتهنئة . . كوفود جبلة بن الايهم ، وعمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب ، ووفود أهل اليمامة على ابي بكر وغيرهم مما يطول شرحه

الخطباء

وجملة القول أن الخطباء كانوا كثيرين في النهضة الجاهلية كالشعراء ، والغالب فيهم ان يكونوا امراء القبائل او وجهاءها او حكماءها . وكان لكل قبيلة خطيب أو أكثر كما كان لها شاعر أو أكثر . واشهر خطباء الجاهلية قس بن ساعدة من بنى اباد وقد ادركه الرسول فرآه في سوق عكاظ على جمل أحمر ، وهو يقول في خطابه : « ايها الناس اجتمعوا فاسمعوا وعوا ، من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت » (١) وقد تقدم ذكره بين الشعراء

ومنهم سحبان وائل الباهلي الذي يضرب المثل بفصاحته ، فيقال : « هو أخطب من سحبان وائل » وكان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ . ومنهم جماعة كبيرة من حمير كدويد ابن زبد ، وزهير بن جناب . ومرثد الخير ، وغيرهم من سائر القبائل كالبحارث بن كعب المدحجي ، وقيس بن زهير العبسي ، وذى الأصابع العدواني ، واكثم بن صيفي التميمي ، وعمرو بن كلثوم ، وغيرهم

وكانوا يتخبرون في خطبهم الالفاظ الرقيقة والمعاني المألوفة . وكانت خطبهم على ضربين : الطوال ، والقصار . والقصار أكثر عددا لانهم كانوا يفضلونها لسهولة حفظها . وكانوا لشدة عنايتهم بالخطب يتوارثونها ويتناقلونها في الاعقاب ويسمونها بأسماء خاصة كالعجوز ، خطبة لال رقية ، والعدراء خطبة قيس بن خارجة ، والشوهاء خطبة سحبان (٢)

وتجد أمثلة من خطب الجاهلية أو أثناء الفتوح في كتب الادب ، ولا سيما العقد الفريد لابن عبد ربه ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والاغاني ونهج البلاغة (خطب على) وفي كتب المغازي والفتوح كفتوح الشام لابي اسماعيل المصري ، وفتوح الشام للواقدي ، وفتوح البلدان للبلاذري ، والسيرة النبوية لابن هشام ، وتاريخ الطبري ، وابن الأثير ، وغيرها

١١ - الانساب في الجاهلية (*)

للانساب في عصور الجاهلية عند الأمم القديمة شأن كبير ، اذ يكون للناس عناية عظيمة في حفظ انسابهم للتناصر على الأعداء أو للتفاخر بالآباء . وقد بالغ اليونان في ذلك حتى حفظوا انساب آلهتهم وكيفية تسلسلها بعضها من بعض ، ثم نسبوا أنفسهم اليها فلم يكن في جاهلية اليونان اسرة كبيرة من الاشراف ورجال السلطان الا وحبل نسبها يتصل ببعض تلك الالهة . وقد نظم بعضهم الاشعار للتفاخر بذلك قبل المسيح ببضعة قرون . وكذلك كان الرومان في اقدم أجيالهم . . فالتبقة التي تعرف عندهم بالبطارقة ، كانوا يدعون الانتساب الى آباء أعلى طبقة من البشر

نسب العرب

العرب العدنانيون من حيث انسابهم يرجعون في أصل آبائهم الاولين الى اسماعيل بن ابراهيم ، والقحطانيون ينتسبون الى يقطان بن عابر . وقد زادت عناية العرب بالانساب رغبة في التناصر على الغرباء . وقد رتب انساب العرب في ست مراتب او طبقات ، اولها : الشعب ، ثم القبيلة ، فالعمارة ، فالبطن ، فالخذ ، فالفضيلة . فالشعب هو النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان ، ثم القبيلة وهي ما انقسمت فيها انساب الشعب مثل ربعة ومضر ، ثم العمارة وهي ما انقسمت فيها انساب القبائل مثل قريش وكنانة ، ثم البطن وهو ما انقسمت فيه انساب العمارة مثل بنى عبد مناف ، وبنى مخزوم ، ثم الفخذ وهو ما انقسمت اليه انساب البطن مثل بنى هاشم ، وبنى أمية ، ثم الفضيلة مثل بنى ابي طالب ، وبنى العباس (١) . وبالعرب في الرجوع الى الاجداد حتى رجعوا بأسماء المدن الى أسماء بعض أجدادهم . والغالب أن ينتهى النسب بأحد آباء التوراة . . فاذا سئل احدهم مثلاً عن الاندلس من بناها ، قال : « بناها اندلس بن يافث بن نوح » (٢) وكان النسابون يحفظون أسماء القبائل وما يتفرع منها حفظاً دقيقاً ، فاذا عرض لهم رجل فقال : انا من بنى تميم مثلاً انسبني ، فانه يبدأ من قبيلة تميم وما تفرع منها من العمائر والبطون والافخاذ حتى ينتهى الى الفضيلة ، ومنها الى والد السائل او اليه هو نفسه وكثر النسابون في الجاهلية ، ولم تخل قبيلة أو عمارة أو بطن من نسبة . ومن اشهرهم دغفل السدوسي من بنى شيبان ، وعميرة ابو ضمضم ، وابن لسان الحمرة من بنى تيم اللات ، وزيد بن الكيس النمرى ، والنخار بن أوس القضاعى ، وصعصعة بن صوحان ، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وغيرهم (٣) ، وظل النسب محفوظاً في صدر الاسلام ، واشتهر كثير من النسابين ، فلما آلت الدولة الى الموالى والمصطنعين صار الناس ينتسبون الى مواليتهم ومصطنعتهم

(*) انظر في الانساب كتاب دراسات اسلامية لجولدسهر جزء اول ص ١٧٧. وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على جزء رابع ومصادره

(٢) ابن خلكان ١٤ ج ١

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ١٩٤

(٣) بلوغ العرب ١٩٦ ج ٣ والبيان ١١٨ ج ١

١٢ - الاخبار أو التاريخ في الجاهلية

لم يكن عند عرب الجاهلية تاريخ من قبيل ما نفهمه من هذه الكلمة اليوم ، ولكنهم كانوا يتناقلون اخبارا متفرقة بعضها حدث في بلادهم ، والبعض الآخر نقله اليهم الذين عاشروهم من الامم الاخرى (*) . فمن امثال اخبارهم حروب القبائل المعروفة بأيام العرب ، وقصة سد مأرب واستيلاء ابي كرب تبارك الله على اليمن وبعض من خلفه ، وملك ذي نواس ، وقصة أصحاب الاخدود ، وفتح الحبشة لليمن ، وقصة أصحاب الفيل وقدمهم الى الكعبة وحرب ذي يزن الحميري الى آخر ما انتهى اليه أمر الفرس في اليمن ، وقصة عمرو بن لحي واصنام العرب وحكاية جرهم ودفن التماثيل في زمزم ، وتاريخ الكعبة الى أيام قصي بن كلاب ، وولاية الحج وأمر عامر بن الظرب ، ثم ما كان من تغلب قصي على أمر مكة ، وقصة حلف المطيبين وحلف الفضول وحفر بئر زمزم وحرب الفجار وحديث بنيان الكعبة . . . غير أخبار عاد وثمود وغيرهما من العرب البائدة ، وحكاية بلقيس وسليمان ونحوهما من أخبار التوراة وغير ذلك من الاخبار التي كان العرب يتناقلونها عند ظهور الاسلام

١٣ - الاسواق ومجالس الادب في الجاهلية

١ - اسواق العرب

السوق مكان يجتمع فيه أهل البلاد أو القرى في أوقات معينة ، يتبايعون ويتداولون ويتقايضون . ولا تزال أمثال هذه الاسواق تقام الى اليوم في القرى أو في البلاد البعيدة عن التمدن الحديث ، على أن في بعض المدن الكبرى كالقاهرة مثلا اسواقا تنعقد في بعض أيام الاسبوع وتعرف بها ، كسوق السبت أو السبئية وسوق الثلاثاء أو الاربعاء . . . فيجتمع اليها الناس من الضواحي للبيع والشراء

ومن هذه الاسواق ما ينعقد كل اسبوع ، ومنها ما لا ينعقد الا مرة في الشهر أو في السنة ، ومنها ما ينعقد مرة في بضع سنين . فان للهند سوقا يقيمونها في هردوار على ضفاف الكنج كل سنة ، ويبلغ عدد المجتمعين هناك في الموسم ٣٠٠.٠٠٠ نفس . وقيمون في ذلك المكان حجا مرة كل ١٢ سنة ، يبلغ عدد الحاجين اليه نحو مليون نفس ، وهو اكبر أسواق العالم . وأمثال هذه الاسواق كثيرة في روسيا وتركيا وألمانيا وفرنسا وانجلترا وأمريكا . ففي روسيا سوق تقام في مدينة نوفكروود مرتين

(*) أكثر ما تداوله العرب عن الجاهلية الاولى لبلادهم يعد من قبيل الاساطير ، وقد استطاع المستشرقون في العصر الحديث أن يكتبوا تاريخ العرب كتابة علمية ، تعتمد على النقوش التي وجدوها منشورة في اليمن وفي الشمال ، كما تعتمد على التوراة والكتب العبرانية والسورانية واليونانية والرومانية . وبذلك دونوا التاريخ الجاهلي تدوينا صحيحا . أنظر في ذلك تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ، الفصل الاول من الجزء الاول

فى السنة ، يبلغ عدد الذين يؤمونها ١٢٠٠٠ نفس يجتمعون هناك من سائر بلاد روسيا ومن شرقى أوربا . ويقدرّون قيمة ما يباع من البضائع فى أسواق روسيا بنحو ١٢٠٠٠٠٠٠ روبل فى العام ، وقس على ذلك سائر الاسواق الكبرى .

وقد كان كثير من امثال هذه الاسواق فى العالم القديم ، ولكن الاقوام لا تتزاحم فيها الا اذا كان الغرض من الاجتماع حجا دينيا . فاذا اجتمع الناس فى مكان الحج وتكاثروا ، احتاجوا الى من يبيعهم الاطعمة والاشربة وغيرها فتقام الاسواق لهذه الغاية ، كذلك كان شأن العرب فى سوق عكاظ وغيرها من أسواق الجاهلية

وكان للعرب فى الجاهلية اسواق يقيمونها فى أشهر السنة ، وينتقلون من أحداها الى الأخرى . . يحضرها العرب من قرب منهم ومن بعد ، فاذا فرغوا من سوق انتقلوا الى سواها . فكانوا ينزلون دومة الجندل فى أعالي نجد أول يوم من شهر ربيع الأول ، فيقيمون فيها الاسواق للبيع والشراء والاخذ والعطاء ثم ينتقلون الى سوق هجر . . فيقيمون هناك شهرا ويرتحلون منها الى عمان حيث يقيمون سوقا ثم يرتحلون الى حضرموت فعدن ، وبعضهم ينزل صنعاء فيقيمون بعض أسواقهم ثم يرتحلون الى عكاظ فى الأشهر الحرام . وكانت لهم أسواق أخرى فى صحار والشحر والمجنة وحباشة والمشقر وغيرها (١)

وأشهر أسواق عرب الجاهلية سوق عكاظ، وهى مكان بين الطائف ونخلة، صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل الا ما كان من الانصاب التى كانت لاهل الجاهلية ، وبها من دماء البدن ، كالارحاء العظام (٢) . . فكانت العرب اذا قصدت الحج اقامت بهذه السوق من أول ذى القعدة ، يبيعون ويشترّون، الى عشرين منه ، ثم يتوجهون الى مكة فيقضون مناسك الحج ثم يعودون الى أوطانهم . وكان كل شريف انما يحضر سوق بلده الا سوق عكاظ ، فانهم كانوا يتوافدون اليها من كل ناحية ، ومن كان له أسير سعى فى فدائه هناك ، ومن كانت له حكومة ارتفع الى الذى يقوم بأمر الحكومة فى ايام الموسم وهم أناس من تميم . ومن كان له ثأر على أحد ولم يعرف مكانه ، طلبه فى المواسم . . واذا أراد أحد أن يعمل عملا تعرفه العرب أو يشهدا فيه ، عمله فى عكاظ (٣) واذا أراد أن يفاخر احدا على مشهد من الناس فاخره هناك . وكانوا يتفاخرون حتى فى المصائب ، كما تقدم عن معازمة الخنساء وهند بنت عتبة

ويهمنا فى هذا المقام أن العرب كانوا يفتشون وقت المواسم واجتماع القبائل ويقيمون مجالس للبحث فى كل موضوع كالمناشدة والمفاخرة ، فينشد الشعراء ويخطب الخطباء . . فيختارون كبيرا من وجهائهم يجعلونه حكما فيما يختلفون فيه . وكان النابغة الذبياني اذا أتى سوق عكاظ فى الموسم

ضربوا له قبة حمراء من ادم ، وتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها (١) ليحكم فيها . ويقال انهم كانوا اذا أعجبتهم قصيدة علقوها في الكعبة ، ومنها المعلقة السبع

رسان العرب في ذلك شأن اليونان القدماء في الجمناسيوم ، وهي أبنية كانوا يجتمعون فيها للالعاب البدنية وفيهم الفلاسفة والعلماء . . فكانوا بغتة فرصة وجودهم هناك ويتباحثون ويتناظرون ويتنافرون كما كان يفعل العرب في عكاظ (٢) . ولا يخفى ما في ذلك من تمحيص الحقائق واستحداث القرائح ، فضلا عما كان يترتب على ذلك الاجتماع من تنقيح اللغة ونموها . . فان قریشا كانوا يسمعون لغات القبائل في أثناء تلك الاجتماعات ، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا افصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبج الالفاظ كالشكشة والكسكسة والعننة والفحفة والوكم والوهم والعججة والاستنطاء وغير ذلك من العيوب في لغات الامم الاخرى (٣)

٢ - مجالس الأدب

وكان للعرب مجالس يجتمعون فيها لمناشدة الاشعار ومبادلة الاخبار والبحث في بعض شؤونهم العامة . وكانوا يسمون تلك المجالس الاندية ، ومنها نادى قریش ودار الندوة بجوار الكعبة . وكان لكل بيت فناء بين يديه للاجتماع (٤) ، ولكل قوم مجتمع عام في المضارب (٥) ، على انهم كانوا حيثما اجتمعوا تناشدوا وتفاخروا

وتجد اخبار أسواق العرب وأماكنها في جملة التاريخ الجاهلي . وفي كتب الاقاليم والمعاجم الجغرافية ، وخصوصا معجم البلدان لياقوت الحموي ، ومعجم ما استعجم للبكري ، وصفة جزيرة العرب للهمداني ، وكلها مطبوعة . فضلا عما جاء من اخبارها في الاغانى ٩ ج ١ و ٦١ ج ٢ و ٢٢ و ١١٠ و ١٣٦ ج ٤ و ٩٢ ج ٦ و ٤٦ ج ٧ و ١٠ ج ٩ و ١٢ و ٢٩ و ١٤٨ ج ١٠ و ٥٤ ج ١٢ و ١٤١ ج ١٣ و ٤١ ج ١٤ و ٧٣ ج ١٩ وفي السير النبوية وغيرها (*)

(١) الشعر والشعراء ١٩٧
(٢) Lit. Gr. 132
(٣) المزهر ١٠٩ ج ١
(٤) الاغانى ٥٢ ج ٢
(٥) ١٢٩ ج ١١

(*) انظر أيضا في أسواق العرب تاريخ اليعقوبي « طبع ليدن » ج ١ ص ٣١٣ وما بعدها ، والمحرر لابن حبيب « طبع حيدر اباد » ص ٢٦٣ وما بعدها

العلوم الطبيعية

١ - الطب

الطب من جملة العلوم التي اشتهر بها الكلدان كهنة بابل ، ويقال انهم اول من بحث في علاج الامراض . . فكانوا يضعون مرضاهم في الازقة ومعابر الطرق حتى اذا مر بهم أحد أصيب بذلك الداء أخبرهم بسبب شفائه ، فيكتبون ذلك على ألواح يعلقونها في الهياكل . ولذلك كان التطبيب عندهم من جملة أعمال الكهان . وعن الكلدان أخذت سائر الامم القديمة ، وفي جملتها العرب . وهو متشابه عند الامم ، في مصر وفينيقيّة وأشور . وكان لمصر شأن خاص فيه . ثم تناوله اليونان فأثقفوه ورتبوا أبوابه ، وعنهم أخذ الرومان والفرس . ونظرا لمعاصرة العرب لهذه الدول فقد اقتبسوا شيئا من طبها اضافوه الى ما جاءهم به الكلدان ، والى ما استنبطوه من عند انفسهم بالاختبار . فتألف من ذلك ما عبرنا عنه بالطب في الجاهلية . ولا يزال كثير منه الى اليوم في قبائل البادية . وكان للتطبيب عندهم طريقتان : الاولى طريقة الكهان والعرافين ، والثانية طريقة العلاج الحقيقية . فالكهان كانوا يعالجون بالرقى والسحر او بذبح الذبائح في الكعبة والدعاء فيها أو بالتعزيم او نحو ذلك

وكان التطبيب بالرقى شائعا في الامم القديمة كلها ، وقد وجدوا في الآثار المصرية كثيرا من العزائم التي كانوا يصفونها لمعالجة المرضى . وجاء في أخبارهم أن كاهنهم كان اذا سار لمعالجة مريض صحبه خادمان أحدهما يحمل كتاب العزائم ، والثاني يحمل صندوق العقاقير الطبية وهم يعالجون بالاثنين معا . وكانوا يوجهون كلامهم في العزيمة او الرقية الى حد آلهتهم وخصوصا ايزيس وأوزيريس ورع ، ولهم عبارات يقولونها عند وضع الادوية وعند تناولها للمريض . فَمَنْ امثلة العزائم التي كانوا يتلونونها عند تناول الدواء : « هذا هو كتاب الشفاء لكل مريض ، فهل لايزيس أن تشفيني كما شفت حوريس من كل ألم أصابه من ست حينما قتل أباه ، أوزيريس ؟ فيا ايزيس أنت الساحرة الكبيرة اشفيني وخلصيني من كل شيء مكدر ردىء شيطاني ومن أمراض اللبسة والأمراض القاتلة والخبثية بأنواعها التي تعتريني كما خلصت ابنك حوريس . . . » (١) وكان عندهم عزائم لاجراج الارواح الشريرة التي تسبب الامراض في زعمهم

فعلى هذه الكيفية كان العرب يتلون العزائم لاصنامهم ويرقون لاجراج الجن أو الشياطين . وكان اعتقادهم من هذا القبيل انهم اذا خافوا وباء نهقوا نهيق الحمير ، يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء وأن شرب دماء الملوك يشفى من الخبل

وأما معالجتهم بالعقاقير فشبيهة بما كان عند المصريين وغيرهم من الأمم القديمة ، فقد كانوا يعالجون بالعقاقير البسيطة أو الاشرية وخصوصا العسل . . فانه كان قاعدة العلاج فى أمراض البطن ، على أن اعتمادهم فى معالجة الامراض كان معظمه عائدا الى الجراحة كالحجامة والكى . ومن اقوالهم : « كل داء يحسم بالكى آخر الامر . . وآخر الطب الكى » . وكثيرا ما كانوا يعالجون بالقطع أو البتر ، والغالب أن يكون ذلك بالنار . . فان النار عندهم كانت تقوم مقام مضادات الفساد عندنا . فاذا أرادوا فصل عضو حموا شفرة بالنار وقطعوه بها كما فعلوا بصخر بن عمرو أخى الخنساء لما نتأت قطعة من جوفه مثل الكبد على أثر طعنة ، فاحموا له شفرة وقطعوها (١) وكانوا يعالجون الحول فى البصر بادامة النظر الى حجر الرحى فى دورانه ، ويزعمون أن العين تستقيم به . ومن معالجتهم التى نعبدها اليوم خرافة ان المجروح اذا شرب الماء مات (٢) واذا خافت المرأة حتى برد قلبها سقوها ماء حارا (٣)

٢ - الاطباء

وأما الاطباء فقد كانوا فى أول الامر من الكهنة ، ثم تعاطى الطب جماعة العرب ممن خالطوا الروم والفرس ، وأخذوا الطب عنهم ، فاشتهروا بهذه الصناعة وأكثرهم من أهل النهضة الاخيرة قبل الاسلام حوالى القرن السادس للميلاد . . على أن بعضهم أقدم من ذلك كثيرا ، واقدم اطباءهم لقمان وهو حكيمهم وفيلسوفهم . وفى أصله وزمن وجوده اختلاف ، يليه رجل من تيم الرباب يقال له ابن حزيم ويضربون به المثل بالحدق فى الطب ، فيقولون لمن أرادوا وصفه بذلك : « أطب من ابن حزيم » وفيه يقول أوس بن حجر :

فهل لكم فيها إلى فانى بصير" بما أعيا النطاسي" حزيمًا

ومن أحدث اطباء الجاهلية الحارث بن كلدة ، توفى سنة ١٣ للهجرة . وهو من بنى ثقيف من أهل الطائف ، رحل الى أرض فارس وأخذ الطب من جنديسابور وتعاطى صناعة الطب هناك واكتسب مالا ثم عاد الى بلاده وأقام فى الطائف . ونال شهرة واسعة وقد أدرك الاسلام ، وكان الرسول يأمر من كان به علة أن يأتيه فيستوصفه . ومنهم ابن أبى رومية التميمي والنضر بن الحارث بن كلدة

واكثر هؤلاء الاطباء ثقفوا الطب من بلاد الفرس او الروم ، وبعضهم أخذه عن الكهان او الاحبار من الاديان ونحوها . وربما اخذوا عنهم شيئا من الفلسفة القديمة كما فعل النضر المذكور . والظاهر أن بعضهم كان يخصص نفسه للامعمال الجراحية فيغلب عليه لقب الجراح ، وأشهر جراحى الجاهلية ابن أبى رومية التميمى المتقدم ذكره ، فقد كان جراحا مزاولا لـاعمال اليد

ويؤخذ مما حوته اللغة العربية قبل الاسلام من أسماء العلل والامراض والعقاقير ، أن العرب عرفوا كثيرا من الامراض ومعالجتها (*) وناهيك بما عرفوه وتوسعوا فيه من احوال الاعضاء وأوصافها وهو من قبيل علم التشريح ، وهم يعبرون عنه بخلق الانسان . وقد ألف أدباء المسلمين كتباً كثيرة في هذا الموضوع نقلا عن العرب سيأتى ذكرها بين مؤلفات اهل اللغة . والمتأمل فيما حوته من أسماء الاعضاء وأوصافها يتبين له أن أولئك الجاهليين كانوا على معرفة بتشريح الاعضاء ، لان عندهم لكل عضو اسما ووصفا من الرأس وما يتركب منه وما له من الصفات ، الى الشعر وأقسامه وألوانه . . فالاذن وما تتركب منه وأقسامها . . فالوجه وما تتركب منه . . فالحاجب وانواعه وما يحمده منه وما يذم . . والعين واصنافها وطبقاتها ومجارى دمعها ، وغير ذلك مما اشتملت عليه . والانف وما تتركب منه وبيان أقسامه . والفم وما تتركب منه . والاسنان وعددها وأسماء أصنافها وأجزائها ومنابتها . واللسان وما اشتمل عليه من الاجزاء والعظام التى فى اسفله . والحلق وبيان ما فيه من اللفاديد والحنجرة والفصمة والبلعوم والحلقوم . واللحيين ، وبيان محلها وأسماء ما تتركب منه . واللحية وأسماء أجزائها وأقسامها وألوانها وسائر اوصافها . والعنق وما تتركب منه . والمنكب والكتف وما اشتملا عليه . واليد وما تتركب منه من العظام والاعصاب والعضلات والعروق ، وما وضع لذلك من الاسماء . والاصابع وأسمائها وأجزائها . والظفر وأقسامه وأسمائه . والصدر وما تتركب منه . والجنبان وعدد اضلاعهما ، وأسمائها ، وما يلحق ذلك . والبطن وما حوى ، وكذلك سائر الاعضاء . وقد توسعوا فى بعضها حتى وضعوا لكل عضو عدة أسماء وتجد نتفا من الطب الجاهلى فى العقد الفريد والاغاني والكشكول وحياة الحيوان وسواها من كتب الادب وغيرها ، ويستخرج شئ كثير من أشعارهم

(*) ينبغى ألا نبالغ فى معرفة عرب الجاهلية بالطب ، فان ما كان عندهم من ذلك لا يتجاوز ملاحظات أولية بسيطة ، وفى ذلك يقول ابن خلدون فى مقدمته : « للبادية من اهل العمران طب ينونه فى غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص ، متوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ، الا أنه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج . وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث ابن كلدة وغيره »

٣ - البيطرة والخيول وعلوم طبيعية أخرى (*)

وكان للعرب معرفة حسنة في شئون الخيل وأحوالها لم يسبقهم إليها سواهم ، لعنايتهم بأفراسهم ويعبرون عنها بالبيطرة . ونبغ فيهم غير واحد من أطباء الحيوان ، منهم العاص بن وائل . وظلت هذه المعرفة تتناقل في أفراد منهم إلى اليوم ، وهم يجولون في البادية يعالجون الخيل معالجة الحاذقين . وروى عنهم الرواة في صدر الدولة العباسية ، ووضعوا الكتب فيما جمعوه من هذا العلم . وخصص الالوسي صاحب بلوغ الأرب فصلا في هذا الموضوع بالجزء الثالث من كتابه ، ذكر فيه كثيرا من عيوب الخيل وما يستحب منها نقلا عن كتاب الخيل لأبي عبدالله الاسكافي وقد ألف الأدباء كثيرا من الكتب في الخيل ، وهي ترمى إلى نحو هذا الغرض وتعد من كتب اللغة سيأتى ذكرها ومن المعارف الطبيعية التي توصلوا إليها :

أولا - استنباط الماء ويسمونه الريافة ، فانهم كانوا يعرفون وجود الماء في مكان بشم التراب أو برائحة بعض النباتات أو نحو ذلك

ثانيا - الاهتداء في البراري بأمارات يعرفونها بالآتربة أو بالنجوم
ثالثا - نزول الغيث وهو من قبيل الظواهر الجوية

رابعا - الملاحة وقد اضطروا إلى معرفتها لاسفارهم إلى الهند والحبشة للاتجار من عهد دول اليمن . ونجد أمثلة من معارفهم هذه في الجزء الثالث من كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب للالوسي ، وهو المطبوع في بغداد سنة ١٣١٤

٤ - الانواء ومهاب الرياح

ويراد بالانواء عندهم ما يقابل علم الظواهر الجوية عندنا مما يتعلق بالمطر والرياح ، ولكنهم كانوا ينسبون الظواهر المذكورة إلى طلوع الكواكب أو غروبها . ولذلك كان علم الانواء فرعاً من علم النجوم ، وكانوا يسمون طلوع المنزلة نوعها أي نهوضها وسموا تأثير الطلوع بارحا وتأثير السقوط نوعاً . ومن طلوع كل واحدة منها إلى طلوع التي تليها ثلاثة عشر يوما سوى الجبهة ، فان بين طلوعها وطلوع التي تليها ١٤ يوما . ومن أقوالهم في ذلك :

والدهر فاعلم كله أرباع لكل ربع واحد أسباع
وكل سبع لطلوع كوكب ونوء نجم ساقط في المغرب

(*) أنظر أيضا البيطرة عند الأعراب في مجلة المشرق ج أول عام ١٨٩٨ للاب انستاس الكرملي . ويظن هل G. Heil كاتب مادة بيطرة في دائرة المعارف الإسلامية أنه كان في العصر الجاهلي بياطرة جوالون ، نرحوا من الامبراطورية البيزنطية وبلاد الشام إلى الجزيرة العربية

ومن طلوع كل نجم يطلع الى طلوع ما يليه أربع
من الليالي ثم تسع تتبع

ثم اختلفوا فيها ، فزعم بعضهم أن كل تأثير يكون بعد طلوع منزلة الى
طلوع التي تليها فهو منسوب اليها . وزعم آخرون أن لطلوع كل واحدة
وسقوطها مقدارا من الزمن ينسب اليها ما يكون فيه ، فاذا انقضت تلك المدة
لم ينسب اليها ما يكون بعدها . وكانوا اذا تحقق التأثير فلم يظهر منه
شيء في تلك الأزمنة قالوا : خوى النجم أو خوت المنزلة يعنون بذلك انه
مضت مدة نوء ولم يكن فيه مطر أو حر أو برد أو ريح (١) ومن أمثالهم
« أخطأ نوءك » يضرب لمن طلب حاجة فلم يقدر عليها (٢)

وكانوا اذا أمطرت السماء نسبوا المطر الى تأثير النجم المتسلط في ذلك
الوقت ، فيقولون مثلا مطرنا بنوء المجرة أو هذا نوء الخريف ومطرنا
بالشعري . وقالوا : ان النوء سقوط نجم ينزل في المغرب مع الفجر وطلوع
رقيبته في الشرق من أنجم المنازل ، ولذلك كانت الانواء ٢٨ نوءا أو نجما ،
كانوا يعتقدون أنها هي علة الامطار والرياح والحر والبرد . وفي أشعارهم
أمثلة كثيرة تدل على علاقة أحوال الجو أو فصول السنة باقتترانات الكواكب
أو طلوعها ، وقد نظموها شعرا ليسهل حفظها على الناس لقلة الكتابة
عندهم ، ومن ذلك قولهم :

إذا ما قارن القمر الثريا لثالثة فقد ذهب الشتاء
وقول الآخر :

إذا ما البدر تمَّ مع الثريا أذاك البرد أوله الشتاء
وقول الآخر :

إذا ما قارن الدبران يوما لأربع عشرة قمر التمام
فقد حَفَّ الشتاء بكل أرض فوارس مؤذات باحْتدام
وحلَّق في السماء البدر حتى يقلَّص ظل أعمدة الخيام
وذلك في انتصاف الليل شطرا ويصفو الجو من كدر الغمام
وقول الآخر :

إذا ما هلال الشهر أول ليلة بدا لعيون الناس بين النعائم (٣)
أتتك رياح القمر من كل جهة وطاب قبيل الصبح كور العمانم

(٢) مجمع الامثال للميداني ٢٠٢ ج ١

(١) الآثار الباقية للبيروني ٣٣٩
(٣) النعائم : من منازل القمر

وقول الآخر :

وقد برد الليلُ التمام بأهله وأصبحت العواءُ للشمس منزلاً (١)
وكان عندهم لمطلع كل كوكب أو منزل وصف يدل على تأثير ذلك في
الطقس على اعتقادهم . ومن هذا القبيل اعتقادهم تأثير النجوم في أعمال
البشر على ما كان عند الكلدان ، (٢) على أنهم كثيراً ما كانوا يستدلون على
المطر أيضاً بألوان الغيوم وأشكالها فأقل الغيوم مطراً عندهم البيضاء ثم
الحمراء ثم السوداء . ومن أقوالهم : « السحابة البيضاء جفل والحمراء
عارض والسوداء هطلة » (٣)

وكان العرب في حاجة إلى معرفة مهاب الرياح للاهتداء في أسفارهم ،
ولذلك فقد وضعوا لها الاسماء . . ولكنهم اختلفوا في عدد جهاتها فحسبها
بعضهم ستة والبعض الآخر أربعة . فهي عند أصحاب القول الثاني : ١ -
مهب الصبا من الشمال ٢ - مهب الشمال من الغرب ٣ - مهب الدبور من
الجنوب ٤ - مهب الجنوب من المشرق . ويزيد عليها أصحاب القول الأول
النكباء بجانب الشمال والمحوة بجانب الجنوب ، واليك قول ذى الرمة في
ذلك : (*)

أهاضيب أنواءٍ وهيفان جرّتا على الدار أعرافَ الحبال الأعافرِ
وثالثة تهوى من الشام حرّجف لها سننٌ فوق الحصى بالأعاصر
ورابعة من مطلع الشمس أجفلت عليها بدّقعاء المعافقراق
فحنت بها النكب السوافى فأكثرت حين اللقاح القاربات العواشر (٤)
وتجد أمثلة من هذا الموضوع فيما يأتى ذكره من الكتب التى تبحث في
الفلك

(١) البيرونى ٣٣٧ . والعواء : من منازل الشمس والقمر

(٢) Rawlinsons Ancient Monarchies 111.425.

(٣) الميدانى ١٠٩ ج ٧

(*) الغريب في هذه الابيات : أهاضيب : أمطار ، وهيفان . جمع هيف وهى الريح الحارة ،
والحبال : الرمل ، وأعرافها : أعاليها ، والأعافر : الحمر ، ثالثة : ريح شمال باردة ، حرّجف
شديدة ، سنن : طريق ، الأعاصير : جمع أعصار ، الرابعة هنا : الصبا ، أجفلت ، تحركت
واسرعت ، دقعاء : غبار ، والمعافقراق : موضعان ، النكب : رياح تهب منحرفة ، السوافى :
تسفى التراب ، اللقاح : التى ولدت ، القاربات : يريد من الماء ، العواشر : التى ترد العشر
(٤) البيرونى ٣٤٠

العلوم الرياضية

١ - الفلك والنجوم

معظم هذه العلوم دُخِل على العرب ، اقتبسوه من الأمم الأخرى ممن هاجر اليهم وقام بين ظهرانيهم أو التقوا بهم في أسفارهم ، وأكثر أخذهم عن الكلدان . فقد أخذوا عنهم علم النجوم وتعلموا منهم مواقع الأبراج . ومناطقها ومنازل القمر والشمس . وربما كان لهم علم بشيء من أحكامها من عند أنفسهم أو مما وصل اليهم من طريق الهند أو غيرها . ولكن يقال بالاجمال ان العرب مدبنون بعلم النجوم للكلدان ، وهم يسمونهم الصابئة . والصابئة ان لم يكونوا الكلدان انفسهم ، فهم خلفاؤهم أو تلاميذهم . (١) وكان الصابئة كثيرين في بلاد العرب ، ولهم مثل منزلة النصاري ، فأخذ العرب عنهم علم النجوم باصطلاحاته وأسمائه ، وإن كان معظم أسماء السيارات لا يرد الى أصله الكلداني . . وربما كان له أسباب عارضة ضاعت أخبارها

على أن بعضها لا يزال أصله الكلداني ظاهرا فيه كالمرخ مثلا ، فإنه يقابل « مرداخ » الكلدانية لفظا ومعنى . ولكن معظم تلك الأسماء قد ضاعت المشابهة اللفظية بينها ، وبقيت المشابهة المعنوية . فان « زحل » معناه في العربية الارتفاع والعلو ، وهي نفس دلالة « كاون » اسم هذا السيار في الكلدانية . وأما الأبراج ومنازل القمر فلا تزال كما كانت عند الكلدان لفظا ومعنى . واليك أسماء الأبراج عند كليهما :

اسماؤها العربية	اسماؤها الكلدانية	اسماؤها العربية	اسماؤها الكلدانية
الحمل أو الكبش	امرا	الميزان	ماسانا
الثور	ثورا	العقرب	عقربا
الجوزاء أو التوأمن	نامى	القوس أو الرامى	قشتا
السرطان	سرطان	الجدى	كدبا
الاسد	اريا	الدلو	دولا
السنبلة	شبلتا	الحوت أو السمكة	نونا

وأما منازل القمر والشمس ، فقد تبدل بعض اسمائها على نحو ما أصاب السيارات . ولكن العبرة بالاكثـر في قواعد هذا العلم ومصطلحاته ، فإنها عند العرب كما كانت عند الكلدان تماما حتى لفظ « منازل القمر » و « منازل الشمس » فان هذا التعبير هو نفس ما كان يعبر به الكلدان عن هذه المنازل . وقد أبدلته الأمم الأخرى التي أخذت هذا العلم عن الكلدان بتعبير آخر الا العرب والعبرانيين

ومعرفة العرب بالنجوم مشهورة ، فقد رأيت أنهم عرفوا السيارات والأبراج ، وعرفوا عددا كبيرا من الثوابت . ولهم في ذلك مذهب يختلف عن مذاهب المنجمين في الأمم الأخرى (١) . وفي قدم أسماء تلك النجوم في العربية دليل على قدم معرفة العرب بها وبمواقعها مثل : بنات نعش الكبرى والصغرى ، والسها ، والظباء ، والربيع ، والرباض ، والعوائذ ، والذئبين ، والنثرة ، والفرقد ، والقدر ، والراعى ، وكلب الراعى ، والأغنام ، والرامي ، والسماك ، وعصا الضياع ، وأولاد الضياع ، والسماك الرامح ، وحارس السماء ، والأظفار ، والفوارس ، والكف المخضب ، والخباء ، والعيوق ، والعنز ، والجديين ، وغيرها

أما منازل القمر ، فقد قسموها الى ثمانية وعشرين قسما خلافا لما كان عند الهنود فإنها ٢٧ قسما عندهم . وأراد العرب منها غير ما أراده أولئك ، اذ كان مرادهم منها معرفة أحوال الهواء في الأزمنة وحوادث الجو في فصول السنة ، لأنهم كانوا أميين فلم يتمكنهم معرفتها الا بشيء يعاين فأشاروا اليها بالكواكب كما رأيت في الكلام على الأنواء . واليك أسماء منازل القمر في العربية وهي ٢٨ :

الثريا	الجبهة	الأكليل	سعد السعود
الدبران	الدبرة	القلب	سعد الاخبية
المهقة	الصرقة	الشولة	الفرغ المقدم
الهنعة	العواء	النعائم	الفرغ المؤخر
الذراع	السماك	البلدة	بطن الحوت
النثرة	الفقر	سعد الذابح	الشرطان
الطرف	الربانيان	سعد بلع	البطين

وكان العرب اذا عهدوا المنازل بدأوا بالشرطين لاسباب تتعلق باقليمهم . وقد بالغ المتعصبون للعرب في صدر الدولة العباسية في براعة العرب في علم النجوم . ومن جملة المتعصبين ابن قتيبة ، فقد قال في كتابه « تفضيل العرب على العجم » ان العرب اعلم الأمم بالكواكب ومطالعها ومساقطها (٢) . ومع اعترافنا بما في ذلك من المبالغة ، فاننا نستدل منه على توسع العرب في هذا العلم

(١) القزويني على هامش الديميري ٥٠ ج ١
(٢) البيروني ٢٣٨

ولا غرابة في اتقانهم معرفة النجوم ومواقعها ، فانها كانت دليلاً لهم في أسفارهم وأكثر أحوالهم . . فكانوا اذا سألهم سائل عن الطريق المؤدى الى البلد الفلاني ، قالوا : « عليك بنجم كذا وكذا » فيسير في جهته حتى يجد المكان ، وربما استعانوا على ذلك أيضا بذكر مهاب الرياح يعبرون بها عن الجهات . ومن أمثلة ذلك ان سليك بن سعد سأل قيس بن مكشوح المرادي أن يصف له منازل قومه ثم يصف هو له منازل قومه ، فتوافقا وتعاهدا الا يتكاذبا ، فقال قيس بن مكشوح : « خذ بين مهب الجنوب والصبا ثم سر حتى لا تدري أين ظل الشجرة ، فاذا انقطعت المياه فسر أربعا حتى تبدو لك رملة وقف بينها الطريق . . فانك ترد على قومي مراد وختعم » فقال السليك : « خذ مطلع سهيل ويد الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء ، فثم منازل قومي بني سعد بن زيد مناة » واشتهر في جاهلية العرب في اتقان علم النجوم جماعة منهم : بنو مارية بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشيباني (١)

وقد ألف الأدباء في صدر الاسلام كتباً في الانواع ضاعت . وتجد أشياء متفرقة في كتاب الآثار الباقية للبيروني ، والامثال للميداني ، وعجائب المخلوقات للقزويني ، وحياة الحيوان للدميري (**) ، وكلها مطبوع ومتداول

٢ - الميثولوجيا

ومما يلحق بعلم النجوم أيضا ما يعبر عنه بالافرنج بالميثولوجيا ، وهي عبارة عما كانوا يزعمون وقوعه بين الكواكب ، وهي الالهة عندهم ، من الحروب او الزواج او نحو ذلك ، من حوادث البشر على نحو ما ذكروه عن آلهة اليونان . . فالعرب ألّوها الاجرام وعبدوها ، وقد ضاع خبر ذلك لعدم تدوينه (***) . على أننا نستدل عليه من بعض ما وصل إلينا من أسماء أصنامهم وعبادة بعض رجالهم . فاللات أسم للزهرة ، وقد اشتهر كثيرون بعبادتها وعبادة الشمس والقمر والشعري . وكانوا يتناظرون في أفضلية بعضها على بعض ، قالوا : « وابو كبشة اول من عبد الشعري ، وكان يقول الشعري تقطع السماء عرضا ، ولا أرى في السماء شمسا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء عرضا غيرها » (٢)

أما تشخيص تلك الاجرام وانزالها منزلة البشر ، فقد كان معروفا عند العرب . ومن الاقاصيص الميثولوجية التي كانوا يتناقلونها أن الدبران خطب الثريا وأراد القمر أن يزوجه بها ، فأبت عليه وولت عنه وقالت للقمر : « ما أصنع بهذا السبروت الذي لا مال له ؟ » ، فجمع الدبران قلاصه يتمول بها فهو يتبعها حيث توجهت يسوق صداقها قدامه يعنون القلاص .

(١) البيروني ١٢٤١

(*) أنظر في المعارف الفلكية عند عرب الجاهلية ، كتاب علم الفلك عند العرب لنالينو ودائرة المعارف الاسلامية ، ومقدمة ابن خلدون

(**) أنظر في ذلك جواد على ج ٥ ص ١٢٠ و ص ٣١٧ وما بعدهما

(٢) الخميس ٦٥ ج ١

وان الجدى قتل نعشا فبناته تدور به تريده . وان سهيلا ركض الجوزاء
فركضته برجلها فطرحته حيث هو وضربها هو بالسيف فقطع وسطها .
وان الشعري اليمانية كانت مع الشعري الشامية ففارقتهما وعبرت المجرة
فسميت الشعري العبور ، فلما رأت الشعري اليمانية فراقها اياها بكت
عليها حتى غمضت عينها فسميت الشعري الغميصاء (١)
ومن هذا القبيل تأليههم بعض المشاهير من الملوك أو القواد أو الاسلاف
واعتبار البعض الآخر من نتاج الملائكة أو الجان . . فعندهم مثلا أن بلقيس
كانت أمها جنية وأن جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم . وكذلك كان
ذو القرنين عندهم أمة آدمية وأبوه من الملائكة (٢) ، وأما أصل هـــــ
الاعتقادات فاما هندي أو يوناني أو مصري . . أما الكلدان فقلما كانت لهم عناية
بأمثال ذلك

٣ - التوقيت

كان العرب يؤرخون بكل عام فيه أمر مشهور . وأشهر الحوادث التي
وصلت إلينا أخبارها مما أرخوا بها عام الفيل ، أي هجوم الاحباش على
مكة . وكان ذلك سنة ٣٨ من ملك كسرى أنوشاه . وأرخت قریش
بموت هشام بن المغيرة المخزومي . وكان عندهم تاريخ يسمى « زمن
الفتح » وهو أقدم ازمنتهم ، وفيه أقوال لا محل لها هنا (٣)
وكانت سنتها قمرية وأشهرها ١٢ شهرا كما هي الآن ، وكانوا يكبسون
أي يزيدون أياما كل سنة حتى تبقى النسبة محفوظة بين شهورهم وتوالي
الفصول . ولهم في الكبس طريقة ذكرها البيروني قال : (*)

« وكذلك كانت العرب تفعل في جاهليتها فينظرون الى فضل ما بين
سنتهم وسنة الشمس وهو عشرة أيام واحد عشر وعشرون ساعة وخمس
ساعة بالجليل من الحساب ، فيلحقون بها شهرا كلما تم منها ما يستوفي أيام
شهر . ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة ، وتتولى
ذلك النساء من كنانة المعروفون بالقلامس ، وأحدهم قلمس وهو البحر
الغزير . وهم ابو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن قلع
ابن حذيفة ، وكانوا كلهم نساء . وأول من فعل ذلك منهم كان حذيفة ،
وهو ابن عبد فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وآخر
من فعله أبو ثمامة

« وكان أخذ ذلك من اليهود قبل ظهور الاسلام بقريب من مائتي سنة ،
غير أنهم كانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر . .
فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها
ولا تتقدم ، الى أن حج النبي عليه الصلاة والسلام حجة الوداع وأنزل عليه

(١) الميداني ٣١٢ جزء ٢

(٢) الدميري ١٨ ج ٢

(٣) بلوغ العرب في أحوال العرب ٢١٩ جزء ٣

(*) انظر في الكبس أو النسيء المحبر لابن حبيب ص ١٥٦ وجواد على ج ٥ ص ٢٣٩

السماء وربما عبروا عنه بالهاتف . ومن أقوالهم « الاحبار فى اليهود ،
والرهبان فى النصارى ، والكهان فى العرب »

فكل ما كان يصنعه الكاهن انما مصدره الغيب ، فاذا استطببه مريض
من ألم أو صداع عالجه بالرقى ، واذا استشاره فى معضلة خط له فى الرمل
أو نفث فى العقد . واذا حكمه متخاصمان رمى لهما بالقداح ، واذا
استطلعه شخص أخذ قممما جعله بين يديه ونفث فيه ونحو ذلك من
الحركات الوهمية . واذا استفسره عن رؤيا تمت وتظاهر باستطلاع الغيب

قلنا ان الكهانة أتت العرب من بين النهرين ، فالكهان القدماء كانوا فى
الغالب كلدانيين (أو صائبية فى قولهم) وكان العلم عندهم ، ثم ما لبث
العرب أنفسهم أن أخذوا ذلك عنهم فنشأ الكهان منهم . على أن بعض العرب
اقتصروا فيما تناولوه على علم دون آخر ، فكان بعضهم يتعاطى الطب فقط
وبعضهم تعبير الرؤيا أو القيافة أو القضاء

الكهان

واشتهر فى بلاد العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن ، أقدمهم شق
وسطيح وحكاياتهما أشبه بالخرافات منها بالحقائق . فعندهم ان الاول كان
شق انسان (أى نصفه) بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ، وأن
سطيحا كان لحما يطوى كما يطوى الثوب لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه فى
صدره ، ويزعمون أن هذين الكاهنين عاشا بضعة قرون ، الى غير ذلك من
الابهام . ومن الكهان الذين تبغوا فى النهضة العربية قبل الاسلام : خنافر
ابن التوأم الحميرى ، وسواد بن قارب الدوسى ، وفيهم من يعرفون بما
ينسبون اليه من البلاد أو القبائل . . كقولهم كاهن قريش ، وكاهن اليمن ،
وكاهن حضرموت ، وغيرهم

ويقال نحو ذلك فى العرافين ، وأكثرهم ينسبون الى بلدانهم وقبائلهم
كعراف هذيل ، وعراف نجد ، وأشهرهم عراف اليمامة شهره عروة بن
حزام ببیت قاله فيه - وكذلك الشعراء يشهرون بمدوحهم - وهو قوله :

أقول لعراف اليمامة داوئى فانك ان داوئتنى لطيب

وأما الكواهن من النساء فانهن كثرات منهن طريفة كاهنة اليمن ، وهى
أقدمهن . واليهما ينسبون الانذار بخراب سد مأرب واتيان سيل العرم ،
وتبراء بين الشجر وحضرموت ، وسلمى الهمدانية الحميرية ، وعفراء الحميرية ،
وفاطمة الخثعمية بمكة ، وزرقاء اليمامة وغيرهن . وينسبن الى القبيلة أو
المدينة ككاهنة بنى سعد ، يزعمون أنها أقدم عهدا من شق وسطيح وانها
استخلفتها (١) . وما زالت الكهانة فى العرب حتى جاء الحديث بابطالها
وهو : « لا كهانة بعد النبوة » (٢)

وكان للكهان عند العرب لغة خاصة تمتاز بتسجيع خصص —وصى يعرف بسجع الكهان مع تعقيد وغموض . ولعلمهم كانوا ينوخون ذلك للتمويه على الناس بعبارات تحتمل غير وجه كما يفعل بعض مشايخ البنجيم في هذه الايام ، حتى اذا لم يصدق تكهنهم جعلوا السبب قصور الناس في فهم الكاهن . ومن أمثلة سجع الكهان ما يروونه عن طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر ، فأنها قالت لهم : « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمنى ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم » قالوا لها : « ما شأنك يا طريفة » قالت : « خذوا البعير الشدقم فحضبوه بالدم تكن لكم أرض جرهم جيران بيته المحرم » (١)

٢ - القيافة وغيرها (*)

ومن قبيل الكهانة أيضا القيافة ، لكنها تختص بتتبع الآثار والاستدلال منها على الاعيان . وهى قسمان : قيافة الاثر ، وقيافة البشر . والاولى تختص بتتبع آثار الاقدام او الحوافر او الاخفاف والاستدلال من آثارها فى الرمال أو التراب على أصحابها . والفائدة من ذلك الاهتداء الى الفار من الناس أو الضال من الحيوان ، وقد أتقن العرب ذلك حتى فرق بعضهم بين أثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل والمرأة والبكر والثيب . وأما قيافة البشر فهى الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينهما فى النسب والولادة وسائر احوالهما ، وهى من قبيل الفراسة

وكانت القيافة شائعة فى العرب ثم اختصت بعض القبائل بها دون البعض الآخر ، واشهر العرب بقيافة الاثر بنو مدلج وبنو لهب . ولا تزال هذه القيافة شائعة الى اليوم فى بعض قبائل نجد ، مثل بنى مرة وهم أعلم الناس بها حتى لقد يعرف احدهم الانسان من اثره ، وربما نظر الى اثر بعير فقال هذا بعير فلان . وكثيرون منهم يميزون بين العراقى والشامى والمصرى والمدنى

والفراسة كانت شائعة عند العرب ، وكانت لهم فيها براعة يستدلون بهيئة الانسان واشكاله واقواله على أخلاقه ومناقبه . وهى من قبيل الذكاء وسرعة الخاطر ، وسجية طبيعية

ومن قبيل الكهانة تعبير الرؤيا ، وكان معروفا عند العرب . وكانوا يفرعون الى الكهان فى تفسير الاحلام على ان كثيرين من غير الكهان كانوا يتعاطونها (٢) ومن هذا القبيل زجر الطير وخط الرمل . وقد اغضينا عنهما لضيق المقام

(١) الاغانى ١١٠ ج ١٣
(*) راجع فى القيافة والفراسة والعيافة أو الزجر ، وهى التنبؤ بحركات الطيور ، جواد على ج ٥ ص ٣١٧
(٢) السيرة الحلبية ٢٩١ ج ١

وتجد أخبار كهاتهم في كتب التاريخ وكتب الادب وخصوصا الاغانى
والعقد الفرند وفي السيرة النبوية وكتب التفسير وفي الجزء الاول من
مروج الذهب للمسعودى والاول من ابى الفداء وفي معجم البلدان لياقوت
الحموى ومعجم ما استعجم للبكرى وحياة الحيوان للدميرى وفي كتب الادب
وغيرها ..

عصر صدر الإسلام

من ظهور الاسلام الى سنة ٤١ هـ

ظهر الاسلام في جزيرة العرب فشغل أهلها في أثناء حياة الرسول ومعظم أيام الراشدين بالفتوح والجهاد والاسفار . وجاء الاسلام بالقرآن والحديث فأخذوا بمجامع قلوبهم واستقروا في المكان الاول من أذهانهم ، وغيرا من عاداتهم وأخلاقهم وسائر احوالهم ، فظهر اثر ذلك في علومهم وآدابهم

١ - التغيير الذي أحدثه الاسلام في العرب (*)

اجتماع كلمة القبائل

كان العرب في الجاهلية يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالانساب ، فلما جاء الاسلام كان في جملة ما بدله من احوالهم انه جمع كلمتهم وصاروا يدا واحدة على اختلاف انسابهم ومواطنهم . وبعد ان كان اليمنى يفاخر الحجازى ، والمضرى يفاخر الحميرى ، ونحو ذلك من مفاخرات القبائل والبطون والافخاذ ، جاء الاسلام فجمعهم تحت راية واحدة باسم واحد هو « الاسلام » فقال الرسول : « المسلمون أخوة » وقال من خطبة ألقاها يوم فتح مكة : « يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية ونعظفها بالاباء . الناس من آدم وآدم من تراب » (١) وقال من خطبة في حجة الوداع : « أيها الناس ان ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب واکرمکم عند الله اتقاکم ، ليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى » (٢)

وافتنى بالرسول خلفاؤه الاولون لا سيما عمر بن الخطاب ، فان جبلة بن الايهم ملك غسان بعد ان اسلم اتفق وهو يطوف في الكعبة ان فزاريا وطىء أزاره فأنحل ، فرفع جبلة يده وهشم أنف الفزارى فشكاه الى عمر ، فأراد عمر أن يهشم أنف جبلة فقال : « وكيف ذلك يا أمير المؤمنين

(*) انظر في ذلك فجر الاسلام لاحمد امين ، الفصل الاول من الباب الثانى ، وكذلك الفصل الاول في كتاب العقيدة والشريعة في الاسلام لجولدتسيهر
(١) ابن هشام ٢١٩ ج ٢ (٢) البيان والتبيين ١٦٤ ج ١

وهو سوقة وأنا ملك ؟ » فأجابه عمر : « ان الاسلام جمعك واياه ، فلست تفضله بشيء الا بالتقى والعافية » فلم يحتمل جبلة ذلك فعمد الى الفرار

انتشار العرب في الارض

كان العرب محصورين في جزيرتهم القاحلة ، وهم اهل بادية وخشونة وشظف من العيش يسمعون بالرومي او الفارسي ، فيعظمون قسدهم ويتمثلون بسطوة قيصر وكسرى ، ولم يتجاوزوا جزيرة العرب الا قليلا . فلما ظهر الاسلام واجتمعت كلمة العرب ، نهضوا للفتح وأوغلوا في البلاد وفتحوا الامصار . ولم يستطع شيء ان يقف تيارهم ، فانساحوا في الارض حتى نصبوا اعلامهم على ضفاف الكنج شرقا ، وشواطئ المحيط الاطلسي غربا ، وضفاف نهر لورا شمالا ، وأواسط افريقيا جنوبا . وملأوا الارض فتحا ونصرا واحتلوا مدائن كسرى وقيصر ، وأقاموا في المدن وركنوا الى الحضارة وتعودوا الترف واختلطت انسابهم بتوالي الاجيال . والقبائل التي قامت بنصرة الاسلام ونشره قبائل مضر وأنصارها من العدنانية والقحطانية

ولم ينتشر العرب بالفتح فقط ، ولكنهم هاجروا أيضا بأهلهم وخيامهم وانعامهم التماسا لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة . فقد جلت بطون من خزاعة الى مصر والشام في صدر الاسلام ، لان أرضهم أجذبت فمشوا يطلبون الغيث والمراعى . وكذلك كانت تفعل العرب كلما أصابها جذب حتى كانت لهم أعوام خاصة يجلون فيها الى مصر والشام يسمونها أعوام الجلاء . وكانوا يفعلون ذلك قبل الاسلام ، اذا أجذبت أرضهم يمموا العراق وفارس فيعطيهما الفرس التمر والشعير . . ولكنهم كانوا لا يقيمون هناك بل يرجعون الى بلادهم خوفا من الذل في سلطان دولة أعجمية . أما بعد الاسلام ، فكان المقام يطيب لهم في بلاد فتحهم آباؤهم وأعمامهم وأخوالهم وغرسوا فيها اعلامهم وجعلوها فيئا لهم ولا يخفى ما يترتب على مثل هذا الاختلاط من الانقلاب في اللغة والآداب ، لكنه لم ينضج ويظهر الا في عصر الامويين فما بعده

انتشار القرآن الكريم

بعد ان كان هم عرب الجاهلية اذا اجتمعوا في ناد أو سوق انشاد الأشعار والتفاخر أو التفاضل ، أصبح همهم القرآن وحفظه وتلاوته صباح مساء . وادا بعث الخليفة عاملا الى بلدة أمره ان يحكم بالعدل وأن يعلم المسلمين القرآن وكانوا يعلمونهم الحديث أيضا

٢ - تأثير ذلك التغيير في آداب اللغة

ان ظهور الاسلام انقلاب ديني سياسي اجتماعي . ولا بد لكل انقلاب من آثار يخلفها في نفوس أصحابه وعقولهم ، فيحدث تغييرا في آدابهم

وعلمهم . والتغيير الذى أحدثه الاسلام فى آداب الجاهلية يرجع الى ثلاثة أوجه :

أولا - أنه أبطل بعض تلك الآداب . ثانيا - أنه نوع البعض الآخر . ثالثا - أنه أحدث آدابا جديدة لم تكن من قبل . فالآداب التى أبطلها الاسلام الكهانة وفروعها اذ جاء الحديث بتحريمها (١) والآداب التى أحدثها ، بعضها اقتضاه الاسلام كالعلوم الشرعية واللسانية ، وبعضها نقل عن الأمم الأخرى كالفلسفة والطبىات والطب . وسيأتى الكلام عنها فى حينه

أما النوع الذى أحدثه الاسلام فى آداب الجاهلية ، فأكثره فى الشعر والخطابة وهما من الآداب الجاهلية التى زادها الاسلام رونقا . لكن الخطابة سبقت الشعر فى الرقى لحاجة المسلمين اليها فى الفتوح والغزوات (**) . والعرب لا يزالون على بداوتهم تتأثر نفوسهم من التصورات الشعرية سواء سبكت فى قالب الخطابة او الشعر . والخطابة أقرب تناولا ، اذ لم يرد فى القرآن ما ينفر الناس منها كما ورد فى الشعر والشعراء . فكما كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم الى الشعر فى تقييد مآثرهم وتفخيم شأنهم والتهويل على عدوهم والتهيب من فرسانهم ، اصبح الخطيب فى الاسلام مقدما على الشاعر لفرط حاجتهم الى الخطابة فى استنهاض الهمم وجمع الأحزاب وأرهاب الأعداء (٢)

٣ - الخطابة فى عصر صدر الاسلام (***)

والفرق بين الخطابة فى الجاهلية وفى الاسلام ان الاسلام زادها بلاغة وحكمة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد أسلوب القرآن واقتباس الآيات القرآنية . وقد كان للقرآن نحو هذا التأثير فى الشعر أيضا . ولكن الخطابة أوسع مجالا للاقتباس ، فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلا أو إشارة أو تهديدا حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات ، كما فعل مصعب بن الزبير لما قدم العراق واراد ان يحرض أهله على الطاعة لاخيه عبد الله ، فصعد المنبر وقال : « بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من

(١) مشكاة المصابيح ٣٩٢
(*) لم تكن الخطابة فى صدر الاسلام تستخدم للفروات والفتوح فقط ، كما اشار المؤلف ، بل كانت تستخدم أولا وقبل كل شئ للدعوة الدينية ، وقد جعلها الاسلام فرضا مكتوبا فى صلاة الجمعة من كل اسبوع وفى صلاة العيدين والاستسقاء

(٢) البيان والتبيين ٩٨ ج ١
(**) انظر فى الخطابة لعصر صدر الاسلام الفصل الثانى من كتابنا الفن ومذاهبه فى النشر العربى ، وجمهرة خطب العرب لاحمد زكى صفوت ، الجزء الاول ، وكلمة خطبة فى دائرة المعارف الاسلامية

المفسدين (وأشار بيده نحو الشام) ونريد ان نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (وأشار بيده نحو الحجاز) ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (وأشار بيده نحو العراق) « (١)

وزادت الخطابة بعد الاسلام قوة ووقعا في النفوس بنهضة العرب الحروب وانتصارهم في أكثر مواقعها ، فازدادوا أنفة وسمت نفوسهم فسموا بها ذوقهم في البلاغة وشجذت قرائحهم بما شاهدوه في البلاد الجديدة والامم الجديدة والالسنه الجديدة ، فبلغت الخطابة عندهم مبلغا قلما سبقهم فيه أحد من الامم التي تقدمتهم بلاغة وإيقاعا وتأثيرا . . حتى اليونان والرومان ، ولا ننكر ما كان من تفوق هاتين الامتين في الخطابة وما نبغ بين رجالهما من الخطباء الذين لا يشق لهم غبار : كديموستينيس ، وبروتاجوراس ، وبريكليس ، من خطباء اليونان ، وشيشرون ، ويوليوس قيصر ، من خطباء الرومان . ولكن العرب لم يأتوا بأقل مما أتى به أولئك بلاغة ووتعا . وربما كان الخطباء في الاسلام أكثر عددا ، وخطبهم أوفر وأبلغ مع اعتبار الفرق بين الامتين لغة وخلقا وأدبا

فقد ذكروا لديموستينيس أخطب خطباء اليونان ٦١ خطبة نصّفها منسوب اليه خطأ ، وهذه خطب الامام على تعدد بالمئات . وأما في كثرة الخطباء فالعرب كانوا في صدر الاسلام من اكثر الامم خطباء لان خلفاءهم وأمرأهم وقوادهم كان معظمهم من الخطباء حتى النساك والزهاد (٢) . ولا غرابة في ذلك لان العرب اهل خيال وذوو نفوس حساسة ، وللبلاغة تأثير شديد في عواطفهم تقعدهم وتقيمهم . وقد كان ذلك من جملة ما ساعد على نشر الاسلام بينهم . وكثيرا ما توقف فتح ابلد أو الحصن على خطاب يتلوه القائد على رجاله فتثور فيهم النخوة وتسرى في عروقهم الحماسة ، فيستميئون في الدفاع أو الهجوم . وفي أخبار الفتوح أدلة كثيرة لا يساعد المقام على ايرادها . وكثيرون من القواد انما ساعدتهم على النصر قوة عارضتهم وتأثير خطبهم في نفوس رجالهم

واذا رجعت الى حوادث الفتح او جمع الاحزاب او اخماد الثورات ، رأيت حجباً . وأول ثورة كادت تهب في الاسلام ثورة أهل المدينة لما بلغهم موت الرسول ، فهاجوا حتى خاف الصحابة سوء العاقبة ، فقام أبو بكر خطيباً فقال : « أيها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حي لم يموت . . وتلا الآية الكريمة : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم (٣) . فهذه الكلمات القليلة كانت كافية لخماد تلك الثورة . وقس على ذلك خطب السقيفة وخطب من تولى بعده من الخلفاء الراشدين

وأعظم الخطباء في عصر صدر الاسلام الرسول والخلفاء والقواد . وتري

(١) البيان ٢٩ ج ٢ (٢) البيان ١٣٥ ج ١
(٣) البيان ١٢٢ ج ١ والشهرستاني ٩ ج ٢

أمثلة من أقوالهم متفرقة في السيرة النبوية وكتب الغزوات والفتوح والتاريخ ، وفي العقد الفريد وغيره من كتب الادب ، وكلها مطبوعة مشهورة . وأشهر خطباء ذلك العصر الامام علي بن أبي طالب ، فقد جمعت خطبه في كتاب « نهج البلاغة » جمعها الشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، (*) ولا نطن كل ما حواه من الخطب له . وقد شرح نهج البلاغة غير واحد ، وطبع مرارا في الشام ومصر . ومنها شرح مطول لعبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزلي طبع في طهران في عشرين جزءا ، وفيه فوائد جمة عن تاريخ الاسلام وتمدنه

٤ - الشعر في عصر صدر الاسلام

الرسول والشعر

علمت مما تقدم أن أكثر شعراء الجاهلية من الفرسان والامراء وأهل الحرب ، وأكثر أشعارهم في الفخر والحماسة بما بين قبائلهم من التنازع ، ومرجع ذلك كله الى العصبية . كل قبيلة تطلب الفضل لنفسها على سواها . فلما جاء الاسلام وجمع كلمة العرب وذهبت العصبية الجاهلية لم تبق حاجة الى الشعر أو الشعراء . ناهيك باشتغال أهل المواهب والقرائح بالحروب في الجهاد لنشر الاسلام وبالاسفار . وقد أدهشتهم أساليب القرآن وبهرتهم النبوة وانصرفت قرائعهم الشعرية الى الخطابة ، لحاجتهم اليها في استنهاض الهمم وتحريك الخواطر للجهاد ، وهي شعر منشور . وقد جاء الطعن على الشعراء في الآية الكريمة « والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون »

وزد على ذلك إن الرسول لم يكن راغبا في الشعر لانه من عوامل التفريق ، وهو يدعو العرب الى الاجتماع . وكان اذا روى شعرا لا يلتفت الى وزنه (١) ، ومن أقواله : « لأن يمتليء جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير من أن يمتليء شعرا » (٢) ولم يكن مع ذلك يبغض الشعر حقه ، أما الآية الكريمة التي نزلت في الشعراء إنما يراد بها شعراء الذين تناولوه بالهجاء والأذى . وقد قبح الشعر في الدين غلب الشعر على قلوبهم حتى شغلهم عن الدين وفروضة ، وليس الشعر على إطلاقه . ولذلك فقد أبدى إعجابه به بقوله : « ان من الشعر لحكمة » يشير الى الأشعار التي فيها ندين أو دفاع عن الحق . ومن أقواله : « اصدق كلمة قالها شاعر

(*) يختلف السابقون في مصنف كتاب نهج البلاغة ، أهو الشريف المرتضى أم أحوه الشريف الرضي . ويجمع الباحثون في عصرنا على أن أكثر ما فيه من خطب ليس من عمل علي ، وإنما هو من عمل مؤلفه والمصور التي سبقتها ، ويقول الذهبي في كتاب ميزان الاعتدال : « من طالع كتاب نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين على رضي الله عنه ، فان فيه السب الصريح والخط على السيد بن أبي بكر وعمر » . وأيضا فان صناعته الادبية من طراز العصور المتأخرة ، ويكفي أن نقرا فيه وصف الطاووس لنعرف أنه ليس من صنع علي وإنما هو من صنع العصر العباسي

(١) الاغانى ٦٧ ج ١٣ (٢) العمدة ١٢ ج ١ ، ويريه : يفسده

قول لبید : الا كل شيء ما خلا الله باطل » وكثيرا ما كان يجب ان يسمع
شعر أمية بن أبي الصلت لما فيه من ذكر الله والبعث (١)

اما سائر أغراض الشعر فكان يعرض عنها ويرد عليها بكلام القرآن .
يروى من هذا القبيل أن الطفيل بن عمرو الدوسي أتى الرسول ، فعرض
عليه الاسلام فقال له : « أنى رجل شاعر فاسمع ما أقول » فقال : « هات »
فأنشد :

لا وإله الناس فألم حَرَّ بِهِمْ ولو حاربنا منهم" وبنو فهم
ولما يكن يوم" نزول نجومه تطير به الركبان ذو نبأ ضخم
أَسْلِمًا على خَسَفٍ ولست بخالد ومالى من واقٍ إذا جاءنى حَتْمى
فلا سلم حتى تحفر الناس خيفة" وتصبح طير كائنات (٢) على لحم

فأجابه النبي « وأنا أقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » وقرأ المعوذتين ، فأسلم الرجل (٣) وكان النبي مع ذلك يقرب الشعراء المسلمين ويشجعهم على قول الشعر لتأثيرهم في الأذهان (٤)

وعرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي وهو يطوف ، وكان قد قتل أباهما فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته أبياتاً مطلعها :

يا راكباً إن الأثيلَ مَظِنَّةٌ من صُبْحِ خامسةٍ وأنتَ موفقٌ
إلى أن قالت :

أحمد" ها أنت نجِّلُ نجيةٍ من قومها والفحلُ فحلٌ "مُعرق
ما كان ضررُك لو مَنَنْتَ وربما مَنُ الفتى وهو المَغِيظُ المَلْحَقُ
والنضرُ أقربُ من قتلٍ وسيلةٍ وأحقُّهم إن كان عَتَقٌ يعتقُ

فقال النبي : « لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته » (٥) . ولذلك
ثم يكن يرى بأسا من انتصار الشعراء له يدفعون عنه أقوال شعراء قريش
الذين جاءت الآية بالطعن عليهم ، وتوعدهم الرسول ففر بعضهم من وجهه
ومات البعض الآخر (٦) . وقد تقدم في ترجمة حسان بن ثابت أن أشهر
من هجا المسلمين ثلاثة : عبد الله بن الزبير ، وأبو سفيان ، وعمرو بن
العاص ، وأن النبي قال للانتصار : « ما يمنع الذين نصرنا رسول الله

(۲) کائنات : عاکفات

(۴) الاغانی ۶۷ ج ۱۳

(٦) العمدة ٧ ج ١

(١١) مشكاة المصابيح ٤٠٩

(۳) الاغانی ۵۳ ج ۱۲

(٥) العمدۃ ٣٠ ج ١

بسلّاحهم أن ينصروه بألسنتهم » فانتصب للدفاع عنه ثلاثة هم : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحه . وكان يرى لأشعارهم تأثيرا في أعدائه ، ومن أقواله : « هؤلاء النفر (الشعراء) أشد على قريش من نضج النبل » وقال لحسان مرة : « أهجم (يعنى قريشاً) فوالله أجهأؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام . أهجمهم ومعك جبريل روح القدس والقي أبا بكر يعلمك تلك الهنات . » (١)

الشعر والخلفاء الراشدون

وسار الخلفاء الراشدون على خطة الرسول في تحريض الناس على حفظ القرآن . ذكروا أن غالبا أبا الفرزدق الشاعر جاء بابنه وهو غلام الى على بالبصرة بعد واقعة الجمل وقال له : « ان ابنى هذا من شعراء مضر فاسمع له » فأجابه على : « علمه القرآن »

وكانوا ينشطون من يعدل عن الشعر الى القرآن كما فعل عمر بن الخطاب باستنشاد الشعراء على يد المغيرة بن شعبه ففضل من عدل الى القرآن . وقد تقدم حديث ذلك في ترجمة ليلى . على انهم اقتدوا بالنبي في التمييز بين شعر وشعر وشاعر وشاعر . وحرص عمر المسلمون على حفظ الشعر فقال : « رووا اولادكم ماسار من المثل وحسن من الشعر » (٢) وقد أراد أحسنه ، ويؤيد ذلك قوله : « أرووا من الشعر أعفه » (٣)

وقد ازدادوا حاجة الى الشعر لما عمدوا الى تفسير القرآن فقال ابن عباس : « اذا قرأتم شيئا في كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب » (٤) وفي مقدمة جمهرة اشعار العرب لابي زيد القريشي امثلة كثيرة من هذا القبيل (٥)

ولم يكن الراشدون يرون بأسا من ان يقولوا الشعر هم أنفسهم ، فقد رووا لابي بكر قصيدة حماسية قالها في بعض الفزوات . ورووا لعمر أبياتا في الحكم ونحوها وكذلك لعثمان . اما على ، فالمرؤى من شعره كثير بعضه قاله في صفين (٦) ، وليس بين الصحابة من لم يقل الشعر أو يتمثل به (٧)

على انهم كانوا يمنعون الشعراء من هجو الاسلام والمسلمين وأشدهم وطأة في ذلك عمر ، فقد أخذ عهدا على الحطيئة الا يهجو رجلا مسلما (٨) . ويقال بالاجمال ان الشعر في عصر الراشدين توقف لاشتغال المسلمين عنه بالفتوح الا ما كان منه من قبيل الجهاد كأقوال حسان وأصحابه في الدفاع عن النبي والاسلام

(٢) البيان والتبيين ٢١٣ ج ١

(٤) العمدة ١١ ج ١

(٦) العمدة ١٢ ج ١

(٨) العقد الفريد ١١١ ج ٣

(١) العمدة ١٢ ج ١

(٣) الجمهرة ١٥

(٥) الجمهرة ٥

(٧) الجمهرة ١٦

وأما سائر الشعراء المخضرمين فقد ترجمنا لهم مع شعراء الجاهلية لأنهم نشأوا فيها وتطبعوا بطبائع أهلها

٥ - اللغة والانشاء

في عصر صدر الاسلام

وكان لظهور الاسلام تأثير كبير في اللغة العربية وأساليبها. والفاظها لتشرب قرائح المسلمين روح القرآن ، وحفظهم كلامه واعجابهم به . وطبيعى أن الكاتب تتكيف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظة من أشعارها وأمثالها وأساليبها . فلا غرو اذا ظهرت أساليب القرآن وألفاظه في لغة المسلمين : شعرا ونثرا ، كتابة وخطابة . ويرجع ذلك التغير الى قسمين : تغير في الاسلوب ، وتغير في الالفاظ

التغير في الاسلوب

أما الاسلوب الانشائي فلا يمكننا تعيين مقدار التغير الذى أصابه الا بالرجوع الى ما وصلنا من انشاء الجاهليين ، والفرق بينه وبين أسلوب القرآن كالفرق بين الثريا والثرى . . أين قول طريفة كاهنة اليمن حين خاف أهل مأرب سيل العرم وعليهم مزيقياء عمرو بن عامر ، فانها قالت لهم : « لا تؤموا مكة حتى أقول وما علمنى ما أقول الا الحكم المحكم رب جميع الامم من عرب وعجم الخ » من أساليب القرآن ؟

وتولد في صدر الاسلام ضرب من الانشاء من أبلغ ما يكون . وأحسن الامثلة عليه مخاطبات الخلفاء والقواد ، وكلها من السهل الممتنع . . ككتاب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص لما بعث به الى فتح مصر ، ثم تخوف فكتب اليه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص عليه سلام الله تعالى وبركاته . اما بعد فان أدركك كتابي هذا وانت لم تدخل مصر فارجع عنها ، واما اذا أدركك وقد دخلتها او شيئا من ارضها . . فامض واعلم انى ممدك »

وكتب ابن الخطاب الى ابن العاص يستنجده في مجاعة بقوله : « من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاصي ابن العاصي سلام . اما بعد فلعمري يا عمرو ماتبالي اذا شبعنت انت ومن معك ان اهلك انا ومن معي فياغوثاه ثم نا غوثاه » فكتب اليه عمرو : « اله امر المؤمنين عمر بن الخطاب من عمرو ابن العاص . اما بعد فيالبيك ثم يالبيك . قد بعثت اليك بعير أولها عندك وآخرها عندى والسلام »

ذلك أسلوبهم فيما يكتبونه أو يقولونه من المخابرات السياسية او الخطب الحماسية او العهود او العقود . . حتى أنك اذا قرأت لهم رسالة تبينت أسلوب صدر الاسلام فيها ، فيهون عليك التفريق بين الصحيح والموضوع منها . .

وتجد أمثلة من المخابرات السياسية والخطب ونحوها على اسلوب صدر الاسلام في كتب الفتوح والفتوحات ، كفتوح الشام للواقدي ، وفتوح البلدان للبلاذري . ومنها جانب كبير في خطط المقرئزي عن فتوح مصر . وتجد معظمها مجموعا في كتاب فتوح الشام للشيخ أبي اسماعيل محمد بن عبد الله الازدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة طبع في كلكتة سنة ١٨٥٤ ، وقد شاهدنا فيه مالم نشاهده في غيره مما وصل إلينا من كتب الفتح . . فانه عبارة عن مجموع المخابرات السياسية أو الاوامر الرسمية التي جرت بين الخلفاء الراشدين وقوادهم أو ما تكتب به القواد أو ماكتبوه الى كبراء الروم وغيرهم . أو ما عقدوه من العهود في أثناء حروبهم في الشام الى فتحها وفتح أجنادها . . كأنها الاصول التي أخذت اخبار الفتح عنها

التأثير في الالفاظ

اما تأثير القرآن الكريم في ألفاظ اللغة فضلا عن الاسلوب ، فظاهر فيما دخلها من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الإصلاح الديني أو الشرعي . وأكثر هذه الالفاظ كانت موجودة في اللغة قبل الاسلام ، لكنها كانت تدل على معان أخرى فتحولت للدلالة على مايقاربها من المعاني الجديدة . فلفظ « مؤمن » مثلا كان معناه وفا في الجاهلية ، ولكنه كان يدل عندهم على الامان أو الايمان وهو التصديق . . فأصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر ، وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل . وكذلك المسلم والكافر والفاسق ونحوها . ومما حدث من المصطلحات الشرعية الصلاة وأصلها في العربية الدعاء ، وكذلك الركوع والسجود والحج والزكاة . . فقد كان لهذه الالفاظ وأشباهاها معان تبدلت بالاسلام وتنوعت

، قس على ذلك المصطلحات الفقهية ، كالإيلاء والظهار والعدة والحضانة والنفقة والاعتاق والاستيلاء والتعزير واللقيط والأبق والوديعة والعارية والشفعة والفرائض والقسامة وغيرها

ويروون الالفاظ وتراكيب نطق بها الرسول ولم تسمع من العرب قبله كقوله : « مات حتف أنفه » و « حمى الوطيس » و « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » (١)

وفي كتابنا « تاريخ اللغة العربية » بحث ضاف فيما دخل اللغة من الالفاظ والاساليب قبل الاسلام وبعده

٦ - العلوم التي حدثت في عصر صدر الاسلام

جمع القرآن وتدوينه (*)

لم يحدث في عصر صدر الاسلام علم ، ولكن فيه وضعت جرثومة العلوم الشرعية بجمع القرآن وحفظ الحديث . والقرآن لم ينزل مرة واحدة ، وانما نزل تدريجيا في اثناء عشرين سنة على مقتضى الاحوال من اول ظهور الدعوة الى وفاة النبي ، بعضه في مكة وبعضه في المدينة . فكان كلما قال آية أو سورة كتبوها على صحف الكتابة في تلك الايام ، وهي الرقاع من الجلود والعريض من العظام كالإكتاف والاضلاع وعلى العصب وهي قحوف جريد النخل واللخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء . فتوفي النبي سنة ١١ هـ والقرآن اما مدون على أمثال هذه الصحف او محفوظ في صدور الرجال ، وكانوا يسمون حفظته « القراء »

وكان اكثر الناس عناية بتدوينه على عهد النبي على بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وثابت بن زيد ، وأبي بن كعب ، وغيرهم (١) . فلما قام أبو بكر بالامر وارتد أهل جزيرة العرب عن الاسلام ، بعث جندا لمحاربتهم فقتل من الصحابة في تلك الحروب جماعة كبيرة ، وخصوصا في غزوة اليمامة قتل فيها وحدها ١٢٠٠ من المسلمين فيهم ٧٠٠ من القراء . فلما بلغ ذلك أهل المدينة فزعوا فزعا شديدا وخصوصا عمر بن الخطاب رجل الاسلام والمسلمين ، فأشار على أبي بكر بجمع القرآن لئلا يذهب منه شيء بموت أهله ، فتوقف أبو بكر وقال : « كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد اليه فيه عهدا » فما زال به عمر حتى أقنعه بجمعه . فأحضر أبو بكر زيد بن ثابت لانه كان من كتبة الوحي ، فجمع ما كان مدونا عند الصحابة . وربما وجد السورة مكتوبة عند اثنين أو ثلاثة أو أكثر . وقد لا يوجد من الآيات الا نسخة واحدة كآخر سورة التوبة ، فانه لم يوجد منها الا نسخة واحدة عند أبي خزيمة الانصاري ، (٢) فجمعه من تلك المحفوظات ومن صدور الرجال وسلمه الى أبي بكر . . فظلت الصحف عنده حتى توفي سنة ١٣ هـ . فلما تولى عمر تسلمها وظلت عنده حتى توفي سنة ٢٣ هـ ، فانتقلت الى ابنته حفصة من أزواج الرسول الكريم

وفي أيام عثمان اتسعت الفتوح وتفرق المسلمون في مصر والشام والعراق وفارس وأفريقية وفيهم القراء . وعند بعضهم نسخ من القرآن ، وقد رتبها كل منهم ترتيبا خاصا . فعول أهل كل مصر على من قام بينهم من

(*) انظر في جمع القرآن وتدوينه ، كتاب الاتقان للسيوطي وتاريخ القرآن للزنجاني والقراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ومذاهب التفسير الاسلامي لجولد تيهير ترجمة عبد الحليم النجار

القراء . فأهل دمشق وحمص مثلاً أخذوا عن المقداد بن الأسود ، وأهل الكوفة أخذوا عن ابن مسعود ، وأهل البصرة عن أبي موسى الأشعري (١) . ومع شدة عناية القراء بحفظ القرآن وضبطه ، لم ينجوا من الاختلاف في قراءة بعض آياته

واتفق في أثناء ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في جملة من حضر غزوة أرمينيا وأذربيجان ، فرأى في أثناء سفره اختلافاً بين المسلمين في قراءة بعض الآيات ، وسمع بعضهم يقول لبعض : « قراءتي خير من قراءتك » فلما رجع إلى المدينة أنبأ عثمان بذلك وأنذره بسوء العقبى أن لم يتلاف الأمر إلى أن قال : « أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » فبعث عثمان إلى حفصة أن « أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك » فأرسلتها ، فدعا عثمان زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأمرهم أن ينسخوا القرآن ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « إذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ، ففعلوا (٢) سنة ٣٠ هجرية وكتبوا أربعة مصاحف بعثها عثمان إلى الأمصار الأربعة : مكة ، والبصرة ، والكوفة ، والشام ، (٣) واثنين أبقاهما في المدينة واحد لاهلها وواحد لنفسه وهو الذي يسمونه « الإمام » ثم أمر بجمع ما كان قبل ذلك من المصاحف والصحف (٤) وأمر بإحراقه

فأصبح المعول في المصاحف على ما كتبه عثمان ، واشتغل المسلمون في الأمصار باستنساخ تلك المصاحف . فنسخوا منها شيئاً كثيراً في مدة قليلة . ذكر المسعودي في عرض كلامه عن واقعة صفين بين علي ومعاوية وما كان من ظهور علي وما أشار به عمرو بن العاص من رفع المصاحف : « ورفع من عسكر معاوية نحو من خمسمائة مصحف » (٥) وليست هذه كل مصاحف المسلمين . فاعتبر هذا العدد وبين كتابة مصحف عثمان وواقعة صفين سبع سنين

ومع تشديد الصحابة في التعويل على مصحف عثمان دون سواه ، فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف أخرى أشهرها مصحف علي . ويعتقد الشيعة أن علياً أول من خط المصاحف عند وفاة النبي . وتنوّل مصحفه في شيعته وبقي عند أهل جعفر . وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست أنه رأى عند أبي يعلى حمزة الحسني مصحفاً بخط علي يتوارثه بنو حسن (٦) ومنها مصحف عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ، ولكل منها ترتيب خاص في سورة (٧)

(٢) الفهرست ٢٤
(٤) أبو الفدا ١٧٦ ج ١
(٦) الفهرست ٢٨

(١) أبو الفدا ١٧٦ ج ١
(٣) نفح الطيب ٢٨٨ ج ١
(٥) المسعودي ٢٠ ج ٢
(٧) الفهرست ٢٦

الخط العربى وتاريخه (*)

بمناسبة كلامنا على جمع القرآن فى زمن الخلفاء الراشدين ، نأتى بتاريخ الخط وان تجاوزنا فى تاريخه ما بعد هذا العصر استيفاء للكلام فى موضوع واحد ، فنقول :

ليس فى آثار العرب بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة الا قبيل الاسلام ، مع أنهم كانوا محاطين شمالا وجنوبا بأهم من العرب خلفوا نقوشا كتابية كثيرة . وأشهر تلك الامم حمير فى اليمن ، كتبوا بالحرف المسند ، والانباط فى الشمال كتبوا بالحرف النبطى . وآثارهم باقية الى هذه الغاية فى ضواحي حوران والبلقاء . وقد عثر المنقبون على آثار كتابية فى الحجاز لكنها بالخط المسند . والسبب فى ذلك ان الحجازيين او عرب مضر كانت البداوة غالبية على طباعهم ، والكتابة من الفنون الحضرية

على أن بعض الذين رحلوا منهم الى العراق او الشام قبل الاسلام تخلقوا بأخلاق الحضرة واقتبسوا الكتابة منهم على سبيل الاستعارة ، فعادوا وبعضهم يكتب العربية بالحرف النبطى او العبرانى أو السريانى . ولكن النبطى والسريانى ظلا عندهم الى ما بعد الفتوح الاسلامية ، فتخلف عن الاول الخط النسخى (الدارج) وعن الثانى الخط الكوفى نسبة الى مدينة الكوفة . وكان الخط الكوفى يسمى قبل الاسلام الحيرى نسبة الى الحيرة . . . وهى مدينة عرب العراق قبل الاسلام ، وابتنى المسلمون الكوفة بجوارها . .

ومعنى ذلك أن السريان فى العراق كانوا يكتبون ببضعة أقلام من الخط السريانى فى جملتها قلم يسمونه « السطرنجلى » كانوا يكتبون به أسفار الكتاب المقدس (١) فاقتبسه العرب فى القرن الاول قبل الاسلام ، وكان من أسباب تلك النهضة عندهم . وعنه تخلف الخط الكوفى وهما متشابهان حتى الآن . .

واختلفوا فيما نقله الى بلاد العرب ، والأشهر أن أهل الانبار نقلوه . . وذلك ان رجلا منهم اسمه بشر بن عبد الملك الكندى أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل تعلم هذا الخط من الانبار وخرج الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية اخت أبى سفيان ، فعلم جماعة من أهل مكة ، فكثرت من يكتبه من قريش (٢) عند ظهور الاسلام . أما الخط النبطى فكتبوا به اللغة العربية قبل ذلك ببضعة قرون

والخلاصة على كل حال أن العرب تعلموا الخط النبطى من حوران أثناء تجارتهم الى الشام ، وتعلموا الخط الكوفى من العراق قبيل الاسلام بقليل . وضل الخطان معروفين عندهم بعد الاسلام . والارجح أنهم كانوا يستخدمون

(*) انظر فى ذلك أصل الخط العربى وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام لخليل نامى وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ١ ص ١٨٥

(٢) المزمهر ١٧٧ ج ٢

(١) اللعة الشهية فى نحو اللغة السريانية ١٧

القلمين معا : الكوفي لكتابة القرآن ونحوه من النصوص الدينية ، كما كان سلفه السطرنجيلي يستخدم عند السريان لكتابة الأسفار المقدسة النصرانية ، والنبطي لكتابة المراسلات والمكاتبات الاعتيادية . ومما يدل على تخلف القلم الكوفي عن السطرنجيلي فضلا عن شكله ، ان الالف اذا جاءت حرف مد في وسط الكلمة تحذف . وتلك قاعدة مطردة في الكتابة السريانية ، وكان ذلك شائعا في اوائل الاسلام وخصوصا في القرآن . . فيكتبون « الكتب » بدل « الكتاب » و « الظلمين » بدل « الظالمين »

فجاء الاسلام والكتابة معروفة في الحجاز ولكنها غير شائعة . فلم يكن يعرف الكتابة في مكة الا بضعة عشر انسانا أكثرهم من كبار الصحابة وهم : علي بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وطاحه بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبان ابن سعيد بن خالد بن حذيفة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب ابن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي ، وأبو سلمة بن عبد الاشهل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب وولده معاوية ، وجهيم بن الصلت بن مخزومة . ثم تعلم غيرهم من الصحابة ، ومنهم خرج كتاب الدواوين للخلفاء الراشدين وكتاب الرسائل وكتاب القرآن . فكتبوا القرآن بالكوفي أيام الراشدين وأيام بنى أمية . وفي أيامهم تفرع الخط المذكور الى أربعة اقلام اشتقها بعضها من بعض كاتب اسمه قطبة كان أكتب أهل زمانه . وكان يكتب لبنى أمية المصاحف ، ثم اشتهر بعده الضحاك بن عجلان في اوائل الدولة العباسية ، فزاد على قطبة ، ثم زاد اسحاق بن حماد وغيره ، فبلغت الاقلام العربية الى اوائل الدولة العباسية ١٢ قلما . وهى : قلم الجليل ، قلم السجلات ، قلم الديباج ، قلم اسطورمار الكبير ، قلم الثلاثين ، قلم الزنبور ، قلم المفتح ، قلم الحرم ، قلم المدامرات ، قلم العهود ، قلم القصص ، قلم الحرفاج . وفي أيام المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط ، فحدث القلم المرصع وقلم النسخ وقلم الرئاسي نسبة الى مخترعه ذى الرئاستين الفضل بن سهل وقلم الرقاع وقلم غبار الحلبة (١)

فزادت الخطوط على عشرين شكلا ، وكلها تعد من الكوفي . واما الخط النسخي او النبطي ، فقد كان شائعا بين الناس لغير المخطوطات الرسمية حتى اذا نبغ ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ فادخل في الخط المذكور تحسينا ، جعله على ما هو عليه الآن وادخله في كتابة الدواوين . والمشهور عند المؤرخين ان ابن مقلة نقل الخط من صورة القلم الكوفي الى صورة القلم النسخي . والغالب في اعتقادنا ان الخطين كانا شائعين معا من اول الاسلام ، الكوفي للمصاحف ونحوها ، والنسخي (أو النبطي) للرسائل ونحوها كما تقدم ، وان ابن مقلة انما جعل الخط النسخي على قاعدة جميلة حتى يصلح لكتابة المصاحف . وقد شاهدنا في معرض الخطوط العربية القديمة في دار الكتب المصرية رقوقا وقطعا من البردى عليها كتابات بالخط النسخي

بعضها من اواخر القرن الاول للهجرة . ورأينا عقد تكاح مكتوبا في أواسط القرن الثالث للهجرة سنة ٢٦٤ هـ على ورق مستطيل في أعلاه صورة العقد بالقلم الكوفي المنتظم وتحتها خطوط الشهود بالقلم النسخي بغاية الاختلال .. فابن مقلة حسن هذا الخط تحسينا وأدخله في كتابة المصاحف ثم تفرع الخط النسخي المذكور بتوالي الاعوام الى فروع كثيرة .

وأصبحت الاقلام الرئيسية في اللغة العربية اثنين : الكوفي والنسخي ، ولكل منهما فروع كثيرة اشتهر منها بعد القرن السابع للهجرة ستة أقلام وهي : الثلث ، والنسخي ، والتعليقي ، والريحاني ، والمحقق ، والرقاع . واشتهر من الخطاطين جماعة كبيرة الفوا فيه الكتب والرسائل ، بعضها في أدوات الخط كالاقلام وطرق بريها وأحوال الشق والقط والدواة والمداد والكاغد وغير ذلك . وما زال الخط يتفرع الى اليوم ولن يزال الى ماشاء الله ، عملا بسنة النشوء والارتقاء

وفي آخر الجزء الاول من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي (طبع دار الكتب المصرية) باب خاص في الكتابة وأدواتها وتوابعها يدخل في ٣٠ صفحة كبيرة (من صفحة ٥٤٦ - ٥٧٦) وتجد أقوالا تتعلق بالخط العربي في كشف الظنون ٤٦٦ ج ١ ، وابن خلكان ٣٤٦ ج ١ ، والعقد الفريد ١٦٢ ج ٢ ، وابن خلدون ٢٠٥ ، و ٣٤٨ ج ١ ، والاغاني ١٩ ج ١ ، ١٠٦ ج ٤ ، و ٥٠ ج ٧ ، وفي المزهري ١٧٧ ج ٢

اما مايلحق الخط من الحركات والاعجام ونحوهما من العلامات ، فسياتي الكلام عليها في العصر الاموي

العصر الأموي

١ - مميزات العصر الأموي

نريد بالعصر الأموي العصر الذي كانت الدولة الإسلامية فيه في حوزة الأمويين بالشام ، منذ بويح معاوية بالخلافة سنة ٤١ هـ إلى أن قهرهم عليها العباسيون سنة ١٣٢ هـ . ويختلف العصر الأموي عن عصر صدر الإسلام اختلافا كبيرا من أوجه كثيرة ، إذ يعد انتقال الدولة الإسلامية إلى بني أمية انقلابا عظيما في تاريخ الإسلام ، لأنها كانت في زمن الراشدين خلافة دينية فصارت في أيامهم ملكا عضودا ، وكانت شورى فصارت أرثية . وقام معاوية يطلبها وينازع أعمام النبي وأبناء عمه عليها ، والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها وأن معاوية طليق لا تحل له الخلافة . ولكنه تمكن بدهائه وسعة صدره من التغلب عليهم جميعا فأسس الدولة الأموية . وقد فصلنا الأسباب التي ساعدته على ذلك في الجزء الرابع من كتابنا تاريخ التمدن الإسلامي .

وانما يهمننا في هذا المقام مانجم عن مساعي بني أمية في تأييد سلطانهم من التفريق بين القبائل والزجوع إلى عصبية الجاهلية ، كما كان العرب قبل الإسلام يفعلون وما كان من تأثير ذلك في الآداب

التفريق بين القبائل وأحياء العصبية

قد علمت أن العصبية العربية كانت في الجاهلية بين القبائل بسبب الانساب ، فلما جاء الإسلام تنوسيت تلك العصبية واجتمع العرب كافة باسم الإسلام أو الجامعة الإسلامية . وما زالت الجامعة الإسلامية تشمل العرب على اختلاف قبائلهم وبطونهم طول أيام الخلفاء الراشدين ، حتى إذا طمع بنو أمية في الملك وقبضوا على أزمة الخلافة استبدوا وتعصبوا للعرب وحافظوا على مقتضيات البداوة وتمسكوا بعاداتها . فظلت خشنونة البادية غالبية على حكومتهم وظاهرة في سياستهم مع ذهاب أكثر مناقب البسود الأخرى . وانما حفظوا من مناقب جاهليتهم تعصبهم لقبيلتهم قريش وإيثار أهلهم على سواهم . . .

فجاشت عوامل الحسد في نفوس القبائل التي كان لها شأن في الجاهلية وضاع فضلها في الإسلام ، وخصوصا أهل البصرة والكوفة لأن أكثر العرب الذين نزلوا هذين المصيرين جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي ولا هذبته سيرته ولا ارتاضوا بخلقه ، مع ما كان فيهم من جفاء الجاهلية

وعصبيتها . فلما استفحلت الدولة اذا هم في قبضة المهاجرين من قريش وكنانة وثقيف وهذيل ، وأهل الحجاز ويشرب . فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بأنسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم ، مثل قبائل بكر بن وائل ، وعبد القيس من ربيعة ، وكندة والازد من اليمن ، وتميم وقيس من مضر . فصاروا الى الفض من قريش والانفة عليهم ، فعادت العصبية الى نحو ما كانت عليه في الجاهلية

أسباب التفريق

كان التفريق اولا بين قريش وسائر أعرب ، فتعصب العرب كافة على قريش حسدا لاستبدادهم بالسلطان دون سائر الصحابة أو التابعين ، الا الذين تألفهم معاوية من القبائل اليمنية والعذنانية . بدأ هذا الخلاف من أيام عثمان علي يد سعيد بن العاص ، (١) وتزايدت الوحشة بين قريش وسائر القبائل من ذلك الحين وخصوصا بينهم وبين اليمنية وفيهم الانصار . وثبت الانصار في نصره أهل البيت ضد أهلهم من قريش مثلما فعلوا في اول الاسلام ، اذ جاءهم الرسول مهاجرا فرارا من أهله. ولما جرت وقعة صفين سنة ٣٧ هـ بين علي ومعاوية عدوها بين اليمنية الانصار وقريش . فلما احتدم القتال في تلك الوقعة ، قال رجل يمني من أنصار علي : « أيها الناس هل من رائح الى الله تحت العوالي ، والذي نفسي بيده لنقاتلكم على تأويله (القرآن) كما قاتلناكم على تنزيله »

وامتد النزاع على هذا النحو حتى صار أكثر اليمنية شيعية على وأنصاره . . فعمد معاوية الى اجتذاب قلوبهم لعلمه أن اكتفاءه بقريش ونحوهم لا يجديه نفعا ، فقرب منه قبيلة كلب وتزوج منها بحدل أم يزيد ابنه واستنصرهم على قتلة عثمان لان امرأة عثمان كانت كلبية واستغواهم بالمال فحاربوا معه . ولما انتصر في حروبه ورسخت قدمه في الخلافة ، تقربت منه قبائل كثيرة من مضر واليمن وظلت كلب على نصره يزيد ابنه بعده لانهم أخواله

فلما مات يزيد وكان ابن الزبير في مكة يطالب بالخلافة ، واختلف بنو أمية على اختيار خالد بن يزيد أو مروان بن الحكم (وكلاهما من أمية) وقع الخصام بين دعاة ابن الزبير ودعاة بني أمية . وكان أنصار ابن الزبير من قيس (مضرية) يدعون لابن الزبير ، وأنصار بني أمية من كلب (يمنية) يدعون لخالد بن يزيد لانه ابن أختهم . ونهض أناس من بني أمية فاعترضوا على خالد لصغر سنه ، واجمعوا على بيعه مروان لشيخوخته على أن تكون اخلافة بعده لخالد . ثم جرت واقعة مرج راهط بين أصحاب مروان وأصحاب ابن الزبير ، أي بين كلب وقيس . وفاز مروان وثبتت قدمه في اخلافة . ثم توفي مروان ولم يف لخالد ، فخلفه ابنه عبد الملك بن مروان

(١) راجع تفصيله في تاريخ التمدن الاسلامي ٥٧ هـ ج ٤ « الطمة الناشئة »

الشديد الرطابة ، وظلت كلب معه وقيس مضطغنة عليه . وانقسم العرب في سائر أنحاء المملكة الإسلامية بين هذين الحزبين : قيسية وكلبية ، أو مضرية ويمنية ، أو نزارية وقحطانية . وقامت المنازعات بينهما في الشام والعراق ومصر وفارس وخراسان وأفريقيا والاندلس . ففي كل بلد من هذه البلاد وغيرها حزبان : مضرى ويمنى ، تختلف قوة أحدهما باختلاف الخلفاء أو الأمراء أو العمال . فالعامل المضرى يقدم المضرية ، والعامل اليمنى يقدم اليمنية . ويختلف ذلك باختلاف الأحوال ، وله تأثير في كل شيء من تصارييف أحوالهم حتى في تولية الخلفاء والأمراء وعزلهم . وكثيرا ما كانت الولاية والعزل موقوفين على نصره أحد هذين الحزبين

غير الانقسام الذى وقع بين بطون قريش وأهم أحزابهم : أمية وبنو هاشم ، فكان الناس يتعصبون لأحدهما على الآخر . وناهيك بالتخاضع بين العرب وغير العرب . وكما كان القرشيون مقدمين في العصر الأموى على سائر العرب ، فالعرب على الأجمال كانوا مقدمين على سائر الأمم التى دانت للمسلمين . ولم يكن هؤلاء يستنكفون من ذلك ، بل كانوا يعتقدون فضل العرب في إقامة هذا الدين وانهم مادته وأصله ، ولا كانوا يأنفون من أن يسموا العرب أسيادهم ويعبدوا أنفسهم من مواليهم بل كانوا يعدون طاعتهم رجبهم فرضا وأجبا عليهم

فكان العرب في أثناء هذه الدولة يترفعون عن سائر الأمم من الموالي (*) وأهل الذمة ، وكان العربى يعد نفسه سيدا على سواه ويعتقد أنه خلق للسيادة وذلك للخدمة . . فاقصر العرب على الاشتغال بالسياسة ، ولم يكونوا يعنون بشيء من العلم غير الشعر والتاريخ لأنه لازم للسياسة ، وأما الحساب والكتابة ، فقد كانا من صنائع الموالي . . حتى الشعر فإن الموالي نالوا منه حظا في أثناء العصر الأموى

وبالجملة أن انتقال الدولة الى الأمويين انقلاب سياسى عظيم ، وهو طبيعى في نواميس العمران لان القواعد التى وضعها الأمام عمر للدولة تنافى سياسة الملك ولم يكن يرجى بقاءها ، لان من شروطها ألا تخزن الأموال في بيت المال وأن لا يشتغل المسلمون بالزراع ولا يقتنوا الارضين ونحو ذلك مما يلائم الدين والتقوى ، ويخالف السياسة والملك . . فانتقالها الى الملك في أيام بنى أمية وانتقال كرسى الخلافة الى الشام أوجب احتكاكها بالدول الأخرى ، فاقبضت على دعائم سياسية واقتبس أهلها تمدن الأمم المجاورة وعلومهم ، وأنشأوا تمدنا من عند أنفسهم ووضعوا العلوم والآداب التى اقتضاها ذلك التمدن كما سيجىء

٢ - حال الشرق عند الفتح الإسلامى

نعنى بالشرق البلاد التى فتحها المسلمون حول بحر الروم وخليج العجم،

(*) انظر في ذلك فصلا طريفا في العقد الفريد « طبعة القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ » ج ٢ ص ٩١ وانظر ثورة المختار الثقفى في الطبرى ج ٢ ص ٦٨٤ وفلهوزن في كتابه : الدولة العربية وسقوطها The Arab Kingdom & its Fall ص ٢٤٦

وهي تشمل مصر والشام والعراق وفارس .. فلما فتحوها كان بعضها تحت سيطرة الفرس وهي العراق وفارس ، والبعض الآخر تحت سيطرة الروم وهي الشام ومصر . أما من حيث الآداب والعلوم ، فمصر والشام كانتا ملحقتين بمملكة الروم ، بآدابهم وعلومهما ، والغالب في دينهما النصرانية . والعراق وفارس كانت آدابهما فارسية وأكثر أهلها من المجوس . وكان التنازع قائما بين النصرانية والمجوسية ، ونشبت الحرب بين الروم والفرس لهذه الغاية . فجاء العرب وغلبوا الامتين جميعا ، فقام الاسلام في ذينك البلدين مقام ذينك الدينين

آداب الروم في مصر والشام (*)

كانت آداب الروم في مصر والشام يومئذ عبارة عن الآداب اليونانية في عصرها الاسكندري الروماني ، لان آداب اليونان القدماء هي القاعدة الاساسية لآداب الرومان ومن تشعبت اليه دولتهم من الامم .. وللآداب اليونانية أطوار فصلناها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي آخرها العصر الاسكندري ، وفيه انتقلت علوم اليونان وآدابهم من أثينا وغيرها من بلادهم الى الاسكندرية على عهد البطالسة بمن انتقل اليها من جالية اليونان على أثر فوح الاسكندر في الشرق في القرن الرابع قبل الميلاد ، وحملوا معهم كتب العلم والفلسفة والطب والشعر والادب واللغة والتاريخ غير ما جمعه البطالسة من الكتب الاخرى ، فزهت الاسكندرية بهم وبعلمهم

ويقسم العصر الاسكندري المذكور الى قسمين : الاول كانت مصر فيه تحت سيادة البطالسة وهو العصر الاسكندري اليوناني . والثاني بعد دخولها في سيطرة الروم قبل الميلاد ، وهو العصر الاسكندري الروماني وينتهي بظهور الاسلام ..

فلما فتح المسلمون مصر والشام ، كانت هذه البلاد في عصرها الاسكندري الثاني أو الروماني الذي يبدأ قبل الفتح الروماني بنصف قرن ، أي يوم دخول أثينا في حوزة الرومان في القرن الاول قبل الميلاد ، لان قائدهم سولا لما فتح أثينا حمل منها احمالا من كتب العلم والفلسفة الى رومية .. فانتقل العلم من أثينا الى رومية وضعف شأن الاسكندرية قبل دخولها في حوزة الروم . فلما صارت رومانية قبيل الميلاد زادت ضعفا . وكانت علومها قد تغيرت وجهتها وانحصرت في الفلسفة ، لان الاسكندرية ما برحت منذ تأسيسها وفيها جماعة من العبرانيين تزحوا اليها كعادتهم في الرحيل للارتزاق أو فرارا من الاضطهاد ، فأنسوا في الاسكندرية ترحيبا وراحة فتكاثروا . فترتب على اختلاطهم باليونان وتمازج الاذواق والابحاث تغير مهم في الفلسفة والدين ، لان العبرانيين أهل توحيد ووحى وتقليد واليونان أهل فلسفة ومنطق وأساطير دينية .. فأدى التمازج الى التقارب وزاد

(*) انظر في هذه الاداب الباب الرابع من كتاب فجر الاسلام لاحمد أمين ، والمصادر التي رجع اليها

ذلك بظهور النصرانية . ولما تأيدت النصرانية واعتنقها اليونان ، أخذوا في تطبيق فلسفتهم على الدين . فتولد من ذلك ما يسمى بالفلسفة الأفلاطونية الجديدة Neo-platonic والفلسفة الفيثاغورية الجديدة Neo-Pythagoric . وجملة القول أن العصر الاسكندري الثاني قلما أفاد العلم لأن أبحاثه كانت غايتها دينية

هذه هي الفلسفة التي كانت شائعة في المملكة الرومانية الشرقية عند الفتح الإسلامي . وكانت مدرسة الاسكندرية أم المدارس الشرقية يعلم فيها الطب والهندسة والفلك وسائر العلوم الطبيعية والرياضية ، ويتفخر العلماء بالتخرج فيها كما يتفخر متخرجو جامعات أكسفورد وكمبريدج وباريس وبرلين اليوم . وعاصرتها مدارس حسنة في برغاموس وطرسوس ورودرس وانطاكية وبيروت ، وكان في بيروت مدرسة للحقوق ذاعت شهرتها في الآفاق (١)

فلما جاء الاسلام ، كان العلم قد انحط في هذه المدارس كلها واهملت كتب الفلسفة القديمة بمقاومة رجال الدين لها لأنها في نظرهم عثرة في سبيل الدين .

آداب مملكة الفرس (*)

كان للفرس آداب قديمة قد اضافوا اليها كثيرا من علوم الهند والصين وآشور وغيرها من أمم الشرق القديم . فلما فتح الاسكندر بلادهم نقل ساكنيها في عاصمتهم من كتب العلم الى بلاده فذهب تمدنهم وتضعفت شؤونهم وتقاعدوا عن العلم الى أيام سابور بن أردشير في الدولة الساسانية بأواسط القرن الثالث للميلاد ، فحارب الزوم ونقل جماعة من أسراهم الى الأهواز وأنشأ لهم مدينة سماها جندي سابور ، وأكرم وفادتهم فحببوا اليه العلم . فعمد الى استرجاع علوم الفرس من اليونان أو الاستعاضة بمثلها . فبعث الى بلاد اليونان من استجلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية (٢) واختزنها في مدينته ، وأخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى أنوشروان العادل (٥٣١ م - ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستينيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على أثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الأفلاطونية الجديدة قد نضجت ، ففر بعض أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم . وجاء منهم سبعة الى أنوشروان فأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة ونقلها الى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب (٣) وآلفوا فيهما الكتب فطالعهما هو ورجب الناس فيها ، وعقد المجالس للبحث

(١) راجع الهلال ص ٢٢ سنة ١٩

(*) انظر في الفرس وأديبهم وأثره في الادب العربي ، الباب الثالث من فجر الاسلام والمصادر التي اعتمد عليها

(٢) أبو الفداء ٥٠ ج ١ (٣) E. Broune. Literary Hist. of Persia, I. 167

والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا أنو شروان أنه من تلامذة أفلاطون

وانشأ أنو شروان في جندي سابور مدرسة لطلب والفلسفة، اشتهرت في بلاد الفرس كما اشتهرت مدرسة الاسكندرية في مصر ومدرسة بيروت في سوريا

فترى أن آداب الفرس عند ظهور الاسلام كانت قائمة على آداب اليونان، والعالم المتمدن في ذلك العهد مدين لليونان بأكثر آدابه كما صارت الامم الاسلامية بعد ذلك مدينة بآدابها وعلومها لآداب اللغة العربية التي نضجت في أيام العباسيين

ومما يحسن قوله أن آداب اليونان نقلت الى الامم الشرقية على أيدي السورانيين، نقلوها أولا الى الفارسية ثم نقلوها الى لسانهم السرياني، ونقلوها بعد ذلك الى اللسان العربي في التمدن الاسلامي . . لكن ذلك لم يتم الا في الدولة العباسية

الدولة الاموية واللغة العربية

أما الدولة الاموية فالفهمة كانت متجهة فيها على الخصوص الى الآداب العربية الجاهلية لان الامويين كانوا شديدي الحرص على منزلة العرب كثيرى العناية بحفظ الانساب، وهم الذين جعلوا الاسلام دولة فأيدوها ونشروا اللغة العربية في المملكة الاسلامية بنقل الدواوين من الرومية والفارسية الى اللغة العربية وبعد أن كانت مصر والشام رومية والعراق كلدانية أو نبطية، أصبحت هذه البلاد بتوالي الاجيال عربية النزعة وتنوسيت لغاتها الاصلية، وهي تعد الآن من البلاد العربية . واذا نزلها التركي أو الافرنجي أو غيرهما من أى أمة كانت وتوالد فيها عد نسله عربيا

وظل العرب في أيام بنى أمية على بداوتهم وجفائهم . وكان خلفاؤهم يرسلون أولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب أساليب البدو وآدابهم، وظل كثير من عادات الجاهلية شائعا في أيامهم كالمفاخرة والمباهلة ومناشدة الاشعار فى الاندية العمومية، فكان اشراف أهل الكوفة يخرجون الى ظاهرها ينشادون الاشعار ويتجادثون ويتذكرون أيام الناس . واهل البصرة يخرجون الى المربد لهذه الغاية كما سيجىء . . كأنهم رجعوا بعصبيتهم الى ما كانوا عليه قبل الاسلام . ولم يبلغ العرب من العز والسؤدد ما بلغوا اليه في أيام هذه الدولة . وقد تكاثروا على عهدها وانتشروا فى ممالك الارض

٣ - تقسيم آداب اللغة العربية

في العصر الاموى

تقسم آداب اللغة في هذا العصر الى قسمين :

أولاً - الآداب الحادثة ويدخل تحتها : « ١ » ما حدث من العلوم أو الآداب مما اقتضاه الإسلام كعلوم القرآن والحديث والفقه والعلوم اللسانية والتاريخ والجغرافيا ونسبها العلوم الإسلامية « ٢ » ما اقتضاه التمدن الإسلامي من العلوم التي نقلت عن اليونان والفرس وغيرهم ونسبها الآداب الدخيلة

ثانياً - الآداب القديمة وهي ما كان منها موجوداً في عصر الراشدين ، كاللغة والشعر والخطابة والأمثال من الآداب الجاهلية

ويقال بالاجمال انه في العصر الأموي نضجت الآداب الجاهلية ، وولدت الآداب الإسلامية ، وبدأ النقل من اللغات الأجنبية ، فلننظر في كل منها على حدة

ونبدأ بالعلوم الحادثة في الإسلام ثم نعود الى الآداب التي كانت في الجاهلية لينجلي لنا تأثير تلك فيها

أعمار العلوم

لكل علم من العلوم على اختلاف موضوعاتها أدوار يمر بها كما يمر الحي بأدوار الحياة لأن العلوم من توابع الأحياء فتخضع لنواميس النشوء مثل خضوعهم . والأدوار التي تمر بها العلوم هي :

١ - دور التكوين « الولادة »

٢ - دور النمو أو النشوء « الصبا »

٣ - دور البلوغ « الشباب »

٤ - دور النضج « الكهولة »

٥ - دور التفرع أو التشعب أو الانحلال « الشيخوخة »

وسترى أن بعض العلوم يتكون في عصر ، وينمو في آخر ، ويبلى في آخر ، وينضج في آخر ، وقد يتخطى دورين أو ثلاثة في عصر واحد

والعصر الأموي فاتحة عصور التمدن الإسلامي أو الدولة الإسلامية لأن الإسلام قبله كان ديناً لا دولة . وفي هذا العصر بدأ تكون أكثر علوم هذا التمدن ونمت ونضجت فيما يليه . وقد تقدم أن العلوم الحادثة في الإسلام قسماً كبيراً : العلوم الإسلامية ، والعلوم الدخيلة والعلوم الإسلامية هي العلوم التي اقتضاها الإسلام ، وتقسم الى ثلاثة أقسام :

١ - العلوم الشرعية وهي العلوم الدينية الإسلامية

٢ - العلوم اللسانية وهي التي اقتضاها الإسلام ضمناً ، فاحتاجوا إليها في ضبط قراءة القرآن أو تفسيره أو تفهمه وتفهم الحديث

٣ - التاريخ والجغرافيا

العلوم الشرعية

ونريد بالعلوم الشرعية العلوم المستخرجة من القرآن والحديث ، وأهمها علوم القرآن والحديث والفقه . ولكل منها فروع تولدت بتوالي الاجيال ، وكانت في العصر الاموي في دور تكوينها ، وهي يومئذ القراءة «قراءة القرآن» والحديث « ضبط الحديث » والفقه ، وقبل التقدم اليها نهدد بالكلام في البصرة والكوفة

١ - البصرة والكوفة (*)

هما من المدن الاسلامية التي اختطها العرب لانفسهم . وكانوا قبل الاسلام أهل ماشية وخيام وخيل يكرهون الاقامة داخل الاسوار ، وينفرون من الانحصار في المدن . فلما تأيد الاسلام واجتمع العرب على فتح الامصار في العراق والشام ومصر ، كانوا في بادئ الرأي اذا ساروا الى غزو أو فتح اصطحبوا نساءهم وعيالهم . . فاذا فتحوا بلدا أقاموا في ضواحيه بخيامهم وأخبيتهم وهو معسكرهم . وكان عمر بن الخطاب يشترط على جنده المقيمين في الامصار ألا يقيموا في مكان يحول الماء فيه بينهم وبينه ، حتى اذا أراد أن يركب راحلته اليهم ركب . كذلك فعل عمرو بن العاص في الفسطاط ، وسعد بن أبي وقاص في الكوفة والبصرة ، وكانت كلها مضارب لجند العرب الفاتحين يعبرون عنها بالرباط أو المعسكر ، فاذا طال بهم المقام اختطوا الاسواق وبنوا المنازل والقصور . ذلك كان شأنهم في صدر الاسلام ، فبنوا البصرة والكوفة على هذه الصورة

على أنهم ظلوا نازعين الى البداوة بعد تخطيط البصرة لاول عهدها ، فبنوا مسجدها ودار امارتها بالقصب . وكانوا اذا غزوا نزعوا ذلك القصب وحزموه ، وحفظوه حتى يعودوا من الغزو فيعيدوا بنائه كما كان ، واعتبر ذلك في الكوفة أيضا . . التماسا لسعة العيش في البلاد العامرة من مملكتهم الجديدة ، وهم يختارون اقربها الى البادية بلدهم القديم . . فالبصرة والكوفة أوفق البلاد لهم لانهما على الحدود بين جزيرتهم والعراق . .

(*) انظر في تخطيط البصرة والكوفة وسكانهما دائرة المعارف الاسلامية ، والمصادر الموجودة في المادتين ، وتخطيط الكوفة لماسينيون « الترجمة - طبع بغداد » والعربية لبوهان فك « الترجمة - طبع مصر » ص ١٥ وما بعدها

قأول من عمر البصرة والكوفة الفاتحون وأهلهم ، ثم اتسعت الفتوح
الاسلامية شرقا وغربا ، ورسخت دولة المسلمين حتى نزح العرب بأهلهم
وخیلهم ..

المربد أو عكاظ الاسلام

انتقل العرب الى هذين البلدين ونقلوا معهم عاداتهم الجاهلية
وأخلاقهم العربية ، فانقسموا فيها قبائل وبطونا : عرب اليمن في أحد
طرفي البلد ، وعرب الحجاز في الطرف الآخر . وانقسمت المنازل في كل
جانب حسب البطون والأفخاذ . وأقاموا فيها أسواقا أدبية مثل أسواقهم
في الجاهلية للمفاخرة والمناضلة والمناشدة : أشهرها « المربد » في البصرة
وكان سوقا من أسواقها يعرف بسوق الابل ، ثم صار محلة عظيمة
سكنها الناس وأقاموا بها مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء . ويدل ذلك على
سعته وسعة البصرة أن المربد كان في زمن ياقوت بالقرن السادس للهجرة
بعد انحطاط دولة العرب ، كالبلد المنفرد ، وبينه وبين البصرة ثلاثة أميال ،
وكان ما بين ذلك عامرا فتأمل ..

وكان المربد في الدولة الاموية عكاظ الاسلام، وتألقت فيه حلقات المناشدة
والمفاخرة (١) ومجالس العلم والاداب (٢) . فكان الشعراء يؤمونه ومعهم
رواتهم للمناضلة أو المناشدة أو المحاكمة ، وكان لفحولهم حلقات خاصة
أشهرها حلقة الفرزدق وراعى الابل (٣)

وكان الاشراف يخرجون أيضا الى المربد للمذاكرة أو المناشدة . وكذلك
كان يفعل اشراف الكوفة يخرجون الى ضواحيها لمثل هذا الغرض .. لكن
المربد غلب على سائر الاسواق كما غلبت عكاظ في الجاهلية

مدينة السياسة ومدينة العلم

وفي عصر صدر الاسلام كانت المدينة عاصمة المسلمين ومقر علمائهم ،
وهم يومئذ القراء والحفاظ من الصحابة . ثم أفضت الدولة الى بنى
أمية ، وانتقلت عاصمة الاسلام الى دمشق واختلفت الاحزاب وتحصن
ابن الزبير في مكة وأخرج بنى أمية وأنصارهم من المدينة وسائر الحجاز ،
وقد علمت رغبة الامويين في استبقاء الطبائع العربية البدوية ، فنشطوا
الاداب الجاهلية ولا سيما الشعر لاسباب سيأتى تفصيلها ، فوجدوا
في البصرة والكوفة ما ينوب عن مكة والمدينة من هذا القبيل ،
وان ظلوا مضطرين الى الحجاز لان فيه الكعبة وقبر الرسول وسائر
مناسك الحج ..

وكان في المدينة على عهد معاوية طائفة من ابناء الصحابة يخشى قيامهم
للمطالبة بالخلافة ، كما فعل عبد الله بن الزبير فأعماهم معاوية بالعطايا

وقيدهم بالاحسان ووسعهم بالحلم ، فركنوا الى التمتع بالدنيا من طعام وشراب وسماع . . . ينفقون في ذلك الاموال وهي تتدفق عليهم من خزائن الشام . فلما تولى عبد الملك بن مروان « سنة ٦٥ هـ » كانت المدينة قد أصبحت مسرحا للهو والغناء ، ونبغ فيها طائفة من المغنين وتكاثر فيها المخنثون وأهل القصف الا من كان فيها من الحفاظ والقراء . فعلم عبد الملك أن أعداءه هناك لا يخشى بأسهم لاشتغالهم بأنفسهم وملأهم ، فجعل همه صرف أذهان أهل الادب والعلم عن بلاد العرب الى البصرة . . . فجعلها ملجأ الشعراء والادباء وغيرهم ، وكانت في أيامهم لا تزال كالبادية يقيم العرب حولها في المضارب قبائل وبطونا . . . فأصبحت الشام في أيامه دار الملك والبصرة دار العلم . ولم ينبغ شاعر أو خطيب في بلاد العرب كلها الا جاء البصرة والكوفة فازدحمت الاقدام فيهما ، وبعد زمن يسير خلت جزيرة العرب من أهل الادب الا اليمامة وبعض الحجاز . .

سكان البصرة والكوفة

وتقاطر الى البصرة والكوفة أيضا أهل المدن المجاورة في العراق والشام وفارس من طلاب الرزق للاستفادة من تلك النهضة السياسية بالتجارة أو الصناعة أو غيرهما ، فاجتمع في تلك البقعة آفيف من أمم شتى مصيرهم الى التعريب . . لان العربية كانت قد أصبحت لغة الدولة والدين ، ولابد منها لمن أقام في تلك الديار من المسلمين وغيرهم بعد أن تحولت دواوينها الى العربية كما تقدم . فاشتدت الحاجة الى ضبطها وجمع ألفاظها ، غير ما بعث الى ذلك من الاسباب الاخرى . ونظرا لرغبة الامويين في الاحتفاظ بالبداوة شجعوا آداب الجاهلية على الخصوص ، فاشتغل الناس بتدوينها ونبغ الرواة والادباء وغيرهم

فأصبحت البصرة والكوفة في العصر الاموي وبعده ، بؤرة العلم والادب وملتقى العلماء والادباء والشعراء يزدحمون في المسجد أو المريد أو غيرهما للمفاخرة أو المناظرة أو المناشدة ، وأهل البصرة أعرق في اللغة والادب . . يأخذ الكوفيون عنهم وهم لا يأخذون عن أهل الكوفة . أما الشعر فكان في الكوفة أكثر منه في البصرة . . ووقف المختار في أثناء حروبه بالعراق على أشعار مدفونة في القصر الابيض بالكوفة مما يدل على عناية الكوفيين بالشعر ، (١) لكن أكثره مصنوع ومنسوب الى من لم يقله (٢)

وبعد أن مهدنا للكلام بوصف البصرة والكوفة ، نتقدم الى العلوم الشرعية الاسلامية وأساسها القرآن . وقد ذكرنا كيفية جمعه وتدوينه في عصر صدر الاسلام . .

(١) الخصائص لابن جني

(٢) المزهري ٢٠٦ - ٢٠٨ ج ٢

٢ - قراءة القرآن الكريم

في العصر الاموي (*)

هي أقدم العلوم الشرعية الاسلامية ، وكان للقراء شأن في صدر الاسلام عظيم يومئذ فسموا الذين كانوا يحفظون القرآن « قراء » تمييزا لهم عن سائر المسلمين لانهم كانوا أميين . وقد تقدم ان السبب الذي حمل عثمان على جمع القرآن وكتابته ما بلغه من اختلاف الصحابة في قراءته . على أنه لم يمض على ارسال مصاحفه الى الامصار زمن قصير ، حتى أصبح لاهل كل مصر قراءة خاصة يتبعون فيها قارئاً يشقون بصحة قراءته وتنوقل ذلك واشتهر . ثم استقر منها سبع قراءات تواتر نقلها بأدائها ، واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة ، ويعدّها بعضهم عشراً

وأصحاب هذه القراءات معظمهم من الموالى وبعضهم تجاوز العصر الاموي وهم :

١ - عبد الله بن كثير توفي سنة ١٢٠ هـ في مكة ، وهو من الموالى أصله من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى بالسفن الى اليمن حيث طرد الحبشة عنها . وكان شيخاً كبيراً أبيض الرأس واللحية طويلاً جسيماً اسمر أشهل العينين يغبر شيبته بالحناء (١)

٢ - عاصم بن أبي النجود توفي سنة ١٢٧ هـ في الكوفة ، وهو مولى بنى جذيمة أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمى وزر بن حبيش (٢)

٣ - عبد الله بن عامر اليحصبي من الطبقة الاولى من التابعين ، توفي بدمشق سنة ١١٨ هـ

٤ - علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي الذي انتهت اليه رئاسة الاقراء بالكوفة ، توفي سنة ١٨٩ هـ

٥ - حمزة بن حبيب الزيات ، توفي بحلول العراق سنة ١٥٦ هـ ، وهو مولى آل عكرمة

٦ - أبو عمرو بن العلاء من تميم ، توفي سنة ١٥٥ هـ بالكوفة ، وهو العالم المشهور في علم القراءة واللغة العربية . وسيأتى ذكره مراراً في تاريخ آداب اللغة . .

٧ - نافع بن أبي نعيم ، توفي سنة ١٦٩ هـ بالمدينة . وهو مولى ، وكان أسود شديد السواد وأصله من أصبهان . ويظهر من تأخر وفاته عن زمن انتقال الدولة الى العباسيين انه كان في العصر الاموي صغيراً (٣)

(*) انظر القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ومذاهب التفسير الاسلامى لجولدتسيهر

(٢) الفهرست ٢٩

(١) ابن خلكان ٢٥٠ ج ١

(٣) ابن خلكان ١٥١ ج ٢

القراءات الشاذة (*)

واشتهر غير هؤلاء كثيرون في اقطار العالم الاسلامي ، وفيهم من يقرأ قراءات غريبة . وقد سماهم ابن النديم قراء الشواذ . . ذكر في فهرسته « صفحة ٣٠ » جماعة منهم في المدينة واخرين في مكة والبصرة والكوفة والشام واليمن وغيرها . وتكاثر قراء الشواذ على الخصوص بعد أن ظهرت الفرق الاسلامية وتشعبت الآراء في التفسير والفقه ، والخلفاء يشددون في مقاصد أولئك الشاذين خوف التفرقة كما كان يفعل رؤساء النصرانية في القرون الاولى للميلاد . ولكن الاسلام كان أقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول ، وخصوصا في أوائله ، فلم يكن المسلم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا لرأى الخليفة . ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء ، وظل بعضهم يقرأون القراءات الغريبة الى أواسط الدولة العباسية وفي جملتهم يعقوب العطار المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ، فاستحضره الخليفة واستتابه بحضرة القراء والفقهاء وكتب محضر توبته واشهد عليه من حضر (١)

وأشهر من قرأ القراءات الشاذة ابن شنبوذ البغدادي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، فانه تفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها في المحراب . . ذكرها ابن النديم وابن خلكان ، فعلم به ابن مقلة الوزير سنة ٣٢٣ هـ ، فقبض عليه واعتقله اياما فلم يكن ذلك ليرجعه عن قراءته ، فأمر بجلده واستتابه فتاب ، وقال أنه قد رجع عما يقرأه وانه لا يقرأ الا بمصحف عثمان بن عفان بالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس وكتب محضرا بذلك (٢)

والقراءات السبع التي ذكرنا اصحابها كلها جائزة عند المسلمين . وعند الأئمة أن الجميع على صواب ، فقد يختار الاقليم الواحد قراءة واحدة أو قراءتين أو أكثر ، وقد تقرأ كل القراءات في اقليم واحد . (٣) وكانوا يرجعون في اثبات صحة القراءة الى الاسناد المتسلسل كقولهم : قرأ يعقوب بن اسحق على سلام ، وقرأ سلام على عاصم ، وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن ، وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب ، وقرأ علي على الرسول (٤)

(*) أنظر في القراءات الشاذة مذاهب التفسير الاسلامي ص ٦٢ وما بعدها والتعليقات عليها في الهوامش . والشواذ : ما رويت بغير طريق التواتر

(١) طبقات الادباء ٣٦١ (٢) ابن خلكان ٤٩٠ ج ١

(٣) المقدسي ٣٩ وفتح الطيب ١٠٤ ج ١ (٤) ابن خلكان ٢٠٨ ج ٢

ولم يدون هؤلاء القراء قراءاتهم في الكتب ، لكنها تنقلت بالاسناد . .
فألف فيها كثيرون بعد نضج التمدن الاسلامي في بغداد وقرطبة وغيرهما
من مدائن ذلك التمدن . ونحن موردون خلاصة تاريخ ذلك . وأشهر ما
وصلنا من كتبهم في هذا الفن :

١ - كتاب الايضاح في الوقف والابتداء لمحمد بن قاسم الانباري
المتوفى سنة ٣٢٨ ، منه مجلد ناقص في دار الكتب المصرية بخط قديم
يشبه أن يكون من خطوط القرن الرابع للهجرة ، ومنه نسخة في المتحف
البريطاني وفي مكتبة كوبريلي بالاستانة

٢ - كتاب التيسير في القراءات السبع لابن الصيرفي من أهل
دانية بالاندلس ، توفي سنة ٤٤٤ هـ ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب
المصرية

٣ - جامع البيان في القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور

٤ - مفردات القراءات السبع لابن الصيرفي المذكور ، أتى فيه على
الاختلاف بين أصحاب نافع الاربعة الذين أخذوا عنه القراءات وبين
غيرهم من أصحاب الائمة السبعة ، ومنه نسخة خطية في دار الكتب
المصرية

٥ - حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع ، وهو
منظومة لمحمد ابن فيره الشاطبي المتوفى سنة ٥٩٠ هـ وتعرف بمتن
الشاطبية ، وقد طبعت في الهند وغيرها ومنها عدة نسخ خطية في دار
الكتب المصرية

٦ - المقدمة الجزرية في علم التجويد منظومة لابن الجزري المتوفى سنة
٨٣٣ هـ ، منها عدة نسخ في دار الكتب المصرية ، وقد طبعت مرارا

٣ - التفسير

كان العرب عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة أو آية فهموها
وأدركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لانها بلسانهم وعلى أساليب بلاغتهم ،
ولان اكثرها قيلت في احوال كانت كالقراءات تسهل فهمها . . وأذا أشكل
عليهم شيء منها سألوا الرسول فكان يبين لهم المجلد ويميز الناسخ من
المنسوخ ، فحفظ أصحابه عنه ذلك وتناقلوه فيما بينهم . وعنهم أخذ من
جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين

(*) طبعت بعد ظهور هذا الكتاب سنة ١٩١١ كتب مختلفة في القراءات ، ومن أهمها كتاب
التيسير في القراءات السبع (طبع سنة ١٩٣٠) وهو الذي نسبته المؤلف الى ابن الصيرفي
وشهرته أبو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤ هـ ، ومنها مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه
« وقد طبع سنة ١٣٤٥ هـ بدمشق) وكتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري

ولما صار الاسلام دولة واحتاجوا الى الاحكام والقوانين كان القرآن مصدر استنباطها . فزادت العناية بتفسيره وأصبح القراء والمفسرون مرجع المسلمين في استخراج تلك الاحكام وهم الفقهاء لاول عهد الاسلام . وكانوا يتناقلون التفسير شفاهاً الى أواخر القرن الاول

والمشهور أن أول من دون مجاهد (رحمه الله) المتوفى سنة ١٠٤ هـ ، ولكننا وجدنا في دار الكتب المصرية بضع نسخ من تفسير ينسب الى ابن عباس الصحابي المشهور المتوفى سنة ٦٨ هـ وهو ابن عم الرسول . والمثواتر انه اول من فسر القرآن ، ولم تكن نظن ان له تفسيراً مدوناً . ولكن يؤخذ مما ذكر في مقدمة هذا التفسير أنه نقل بالرواية والاسناد ، ولم يدون في أيام صاحبه ، وللشيعة تفسير قديم ينسبونه الى محمد الباقر بن علي بن الحسين . أما تفسير مجاهد المذكور ففيه موجد ، ولعله تفسير ابن عباس رواه مجاهد (١) . ولم ينضج التفسير الا في العهد العباسي كما سيأتي

٤ - الحديث (***)

لما اشتغل المسلمون بتفهم معاني القرآن ، كان في جملة ما افتقروا اليه في تفهمها أقوال الرسول ، وهو ما عبروا عنه بالأحاديث النبوية . وأقدم من سمعها وحفظها الصحابة ، فكانوا اذا أشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من أحكامها استعانوا بتلك الأحاديث على استيضاحها . فلما كانت الفتوح تفرق الصحابة في الارض وعند كل منهم بعض الأحاديث ، وقد ينفرد بعضهم بأحاديث لم يسمعها سواه ، فأصبح طالب الحديث اذا كان من أهل دمشق مثلاً لا يستوفيه الا اذا رحل في طلبه الى مكة والمدينة والبصرة والكوفة والري وغيرها . وكذلك المقيم في أحد هذه البلاد ، فإنه لا يستطيع استيفاء الحديث ما لم يطلبه من البلاد الأخرى . وهذا ما يعبرون عنه بالرحلة في طلب العلم . على أن الارتحال في طلب العلم لم يكن من مستحدثات الاسلام ، ولكنه كان شائعاً من قديم الزمان بالنظر الى قلة وسائل المواصلات وأسباب النشر في تلك العصور ، فكان المؤلف والجغرافي مثلاً يرحل في طلب التاريخ أو الجغرافيا الى أقاصي البلاد . كما فعل هيرودوتس واسترابون وغيرهما . وكان المسلمون يرحلون في طلب العلوم غير الحديث أيضاً ، وكان النصاري في العصر الإسلامي يرحلون الى بلاد الروم لاتقان ديانتهم (٢)

(*) أنظر في نشأة تدوين التفسير كتاب المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن لجولدتسيهر ، باب التفسير المأثور ، وكتاب فجر الاسلام لأحمد أمين ، وكلمة تفسير في دائرة المعارف الإسلامية

(١) الفهرست ٢٣

(**) أنظر في الحديث وتدوينه ودخول الوضع فيه فجر الاسلام لأحمد أمين ودراسات إسلامية لجولدتسيهر ومادة حديث في دائرة المعارف الإسلامية

(٢) طبقات الأطباء ١٧٥ ج ٢

نشأت الفتنة بعد مقتل الخليفة عثمان واختلف المسلمون في الخلافة وادعاهما غير واحد ، فانصرفت عناية كل حزب من أحزابهم الى استنباط الادلة واستخراج الاحاديث المؤيدة لدعواهم . . فكان بعضهم اذا أعوزهم حديث يؤيدون به قولاً أو يقيمون به حجة اختلقوا حديثاً من عند أنفسهم . وتكاثر ذلك في أثناء تلك الفوضى ، فكان المهلب بن أبي صفرة مثلاً يضع الاحاديث ليشد بها أمر المسلمين ويضعف أمر الخوارج (١) وهو مع ذلك معدود من النبلاء مع علمهم بما كان يضعه من الاحاديث لانهم كانوا يعدون ذلك خدعة في الحرب ، وأمثال المهلب كثيرون كانوا يضعون الحديث لأغراض مختلفة . .

فلما هدأت الفتنة وعمد المسلمون الى التحقيق كانت تلك الموضوعات قد تكاثرت ، فاشتغلوا في التفريق بينها وبين الصحيح . . فألفوا كتباً كثيرة في الحديث وميزوا صحيحه من فاسده وجعلوه مراتب . ولهم في ذلك ألفاظ اصطلاحوا عليها لهذه المراتب (**) ، كقولهم : الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، والمرسل ، والمنقطع ، والمعضل ، والشاذ ، والغريب ، وغير ذلك من القاب المتداولة بينهم . وبينوا كيف يأخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة مع تفاوت رتبها (٢) واشهر المحدثين في زمن بني أمية وبعضهم تجاوزوه (***) :

- ١ - ابن أبي مليكة : هو عبد الله بن أبي مليكة التيمي المكي ، من كبار تلامذة ابن عباس توفي سنة ١١٩ هـ
- ٢ - الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو ، محدث الشام وفقهها ، أخذ عنه كثيرون ، منهم عبد الله بن المبارك وابن زياد وأبو العباس الوليد بن مسلم ، توفي سنة ١٥٩ هـ
- ٣ - الحسن البصري : واعظ البصرة المشهور ، وفقهها ، ومحدثها ، ومن أقدم من تكلموا في مسائل القدر توفي سنة ١١٠ هـ

(١) ابن خلكان ١٤٦ ج ٢
(**) تعنى بذلك كتب خاصة هي كتب علم مصطلح الحديث ، ومن أشهرها مقدمة ابن الصلاح ومختصرها لابن كثير والتقريب للنواوي

(٢) ابن خلدون ٢٦٨ ج ١
(***) وضعنا هنا أربعة من المحدثين المشهورين في العصر الأموي بدلاً من أربعة آخرين مغمورين وضعهم المؤلف في الطبقات السابقة ومعروف أن أشهر المحدثين في عصر بني أمية هم أولاً من الصحابة عائشة أم المؤمنين وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وأنس بن مالك بن جابر ، ثم خلفهم تابعون موزعون على الأمصار لا يحصون كثرة ، منهم في المدينة الفقهاء السبعة الذين سيذكرهم المؤلف فيما بعد ومعهم نافع مولى ابن عمر وابنه سالم والزهرى وفي مكة عطاء وعكرمة وابن دينار وابن جريج ، وفي اليمن طاووس وفي الشام الخولاني وشهر بن جوشب وزجاء بن حيوة ومكحول ، وفي مصر الصابحي وأبو تميم وي زيد بن عبد الله البرقي وي زيد بن أبي حبيب ، وفي الكوفة علقمة بن قيس والاسود بن يزيد ومشروق وشريح والشعبي وسعيد بن جبير والنخعي وحمام بن أبي سليمان والاعمش ، وفي البصرة الحسن البصري وابن سيرين وأبو العالية ومسلم بن يسار وأيوب السختياني ، وفي خراسان عطاء بن مسلم والضحاك

٤ - الشعبي : هو ابو عمرو عامر بن شرحبيل توفي بالكوفة سنة ١٠٤ هـ وأكثر المحدثين نبغوا في العصر العباسي الاول ، وهم كثيرون ذكرهم ابن قتيبة في كتاب المعارف (صفحة ١٧٢ - ١٧٩)

وليس بين هؤلاء من دون كتابا ، وأقدم من دون الاحاديث مالك بن أنس(*) الامام المشهور في كتاب الموطأ . رتبته على ابواب الفقه وهو مطبوع ومشروح ، وسيدكر في باب الفقه . وذكر بعضهم ان ابن جريج دون الحديث ، لكن لم يصلنا منه شيء

وفي العصر العباسي نضج علم الحديث وضبطت كتبه على أيدي الائمة المحدثين

٥ - الفقه (***)

لما صار الاسلام دولة احتاج امراؤه الى مايقضون به بين رعاياهم في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية فرجعوا الى القرآن والحديث ، فاستخرجوا منهما شريعة نظموها بها حكومتهم وحكموا بها بين رعاياهم . . وذلك طبعى في الدول الكبرى ، فاليونان قلما عنوا بوضع الشرائع والاحكام الدولية أو القضائية لانهم لم يكونوا أهم دولة كبيرة الا زمنا قصيرا فانصرفت قرائحهم الى الفلسفة وفروعها . واما الرومان فقد اتسعت مملكتهم كما اتسعت مملكة العرب وامتد سلطانهم وقويت شوكتهم ، فلم يكن لهم بد من وضع الشرائع . لكنه لم يتم نضجها الا بعد تأسيس دولتهم ببضعة عشر قرنا على يد يوستينيان صاحب القانون المشهور سنة ٥٢٩ م ، وهى عبارة عن عادات واعتبارات واعتقادات تجمعت بتوالى الاحقاب من الشعب اللاتينى والصابنى وغيرهما من دانوا لرومية بالتدريج حتى صارت شريعة كاملة على عهد يوستينيان المذكور

(*) المعروف ان تدوين الحديث تأخر الى عصر عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الثانية . ولكن هذا لم يمنع من تدوين بعض الاحاديث منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، على نحو ما هو معروف عن تدوين عبد الله بن عمرو بن العاص . وظل الصحابة والتابعون الاولون يذكرون تدوين الاحاديث مقتدين بالرسول الذى كان يخشى أن يشغل المسلمون بشيء عن القرآن الكريم ، ولكن هذا لم يمنع من تدوين أطراف منه عند بعض التابعين ، أنظر فى ذلك تدوين العلم للخطيب البغدادي . حتى اذا كان عصر عمر بن عبد العزيز أخذ المسلمون بدونه تدويننا عاما ، وكان أول من قام بذلك ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ . وتتابع التأليف ، ففي البصرة ألف فيه سعيد بن أبى عروبة والربيع بن صبيح وفي الشام الوليد بن مسلم وفي الري جرير بن عبد الرحمن وفي خراسان عبد الله بن المبارك وفي واسط بالعراق هشيم بن بشير وفي الكوفة أبو بكر بن أبى شيبة ثم خلف هؤلاء الطبقة الثالثة من التابعين وعلى رأسهم مالك . أنظر المقرئ في الخطط وابن عبد البر في جامع بيان العلم ومقدمات شروح البخارى ومسلم وقوت القلوب للمذنب وفجر الاسلام لاحمد أمين وتذهيب لستار بن الفلسفة الاسلامية لمصطفى عبد الرازق

(**) أنظر فى الفقه والفقهاء زمن الرسول والخلفاء وبنى أمية الفصل الثالث من الباب السادس من كتاب فجر الاسلام لاحمد أمين ، ومحاضرات فى تاريخ الفقه الاسلامي لاحمد يوسف موسى والعقيدة والشريعة فى الاسلام لجولدتسيهر . وتاريخ التشريع الاسلامي لحميد الخضرى ودائرة المعارف الاسلامية

وأما المسلمون فانهم استخرجوا أحكامهم من القرآن والحديث . ولم يمض عليهم قرنان والثالث حتى نضجت شريعتهم وتكون فقههم ، وهو من أفضل شرائع العالم . وقد أسرعوا في ذلك مثل سرعتهم في تأسيس دولتهم ونشر دينهم . .

قلنا ان القرآن أساس الفقه الاسلامي ، وكان المسلمون في عهد النبي يتلقون الاحكام منه وهو يبينها لهم شفاهاً . فلم يكن ذلك يحتاج الى نظر أو قياس . فلما توفي رجع الصحابة الى القرآن والسنة ، فأصبح القراء أول فقهاء المسلمين أو حاملي شريعتهم . وكانوا يرجعون اليهم في الفتيا والاحكام لقلّة الذين يقرأون في الصدر الاول ، فلما عظمت أمصار الاسلام وذهبت الامية من العرب وكمل الفقه وأصبح صناعة بدلوا باسم الفقهاء والعلماء . .

الفقهاء

وأول الفقهاء المسلمين الصحابة الاولون ، وأولهم الخلفاء الراشدون ، ثم عبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة ، وزيد بن ثابت ، وسلمان ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الاشعري ، (١) ثم انتقلت الفتوى والفقه الى التابعين ، واشتهر منهم سبعة : سعيد بن المسيب ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وقاسم ، وعبيد الله ، وعروة ، وسليمان ، وخارجة ، وقد جمعهم بعض العلماء في هذين البيتين :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة فقسمة خيزى ، عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجه (٢)

وبعض المؤرخين يحسبهم عشرة مع تبديل بعض الاسماء ، (٣) وعنهم انتقل الفقه والفتيا في العالم الاسلامي . وفي اوائل الاسلام ، كان الفقه والقراءة والتفسير والحديث علماً واحداً . ثم أخذت هذه العلوم تستقل بعضها عن بعض عملاً بناموس الارتقاء ، فلما استقل الفقه سمو أصحابه الفقهاء كما تقدم وكان لهم تأثير كبير في الدولة لما يترتب على الفتيا من الامور الهامة كالعزل والتنصيب والقتل والعفو . ففي أيام بنى أمية كان المرجع في الفقه والفتيا الى أهل المدينة ، وكان الخلفاء لا يقطعون امراً دونهم . ولم يخلف فقهاء العصر الاموي آثاراً مكتوبة لأن الفقه نضج وتكيف بعد نوع الأئمة الاربعة في العصر العباسي

(٢) ابن خلكان ٩٢ - ١

(١) الدموي ٥١ ج ١
(٣) أبو الفداء ٢٠٩ ج ١

العلوم اللسانية

في العصر الاموى

ونريد بها العلوم التى ترجع الى ضبط اللغة العربية كالنحو والصرف والادب ونحوها . وهذه بدأت بالتكون فى العصر الاموى ، ولم يتكون منها . فى هذا العصر غير النحو ويلحقه الحركات والاعجام . وسنتكلم عن كل منها .

١ - النحو

النحو بمعناه الحقيقى طبيعى على لسان كل متكلم يتلقنه من مرضعه ، لان الانسان يتعلم النحو وهو يتعلم النطق . . اذ بدونه لا يحسن التعبير عن افكاره . اما اذا اراد ان يتعلم لسانا غير لسانه ، فدرس قواعد النحو فانه يسهل عليه تناوله . ولذلك فالامة قد تقضى قرونا عدة وهى تتكلم وتخطب وتنظم الشعر قبل أن تدون قواعد النحو وتجعله علما . . فالليونان لم يبدأوا بضبط قواعد لسانهم الا فى القرن الخامس قبل الميلاد . . وأول من بدأ بذلك منهم بروثغوراس المتوفى سنة ٤١١ ق . م . فتكلم فى المذكر والمؤنث وبعض الاسماء ، ثم بروديكوس وقد عاصره وتكلم فى المترادفات ، ثم جاء أرسطو وغيره وأتموا علم النحو اليونانى وله تاريخ يشبه تاريخ النحو العربى . وكذلك فعل الرومان فى نحو اللغة اللاتينية ، فانهم لم يدونوا قواعده الا فى القرن الاول قبل الميلاد فى زمن بومبيوس . . وقد دونه عالم اسمه ديونيسيوس تراكس اقتداء باليونان

فالليونان نبغ فيهم الشعراء والخطباء والادباء والفلاسفة قبل تدوين قواعد النحو فى لسانهم . . فنظم هوميروس الياذته وأوديسته وهو لم يتعلم قواعد النحو ، فلم يضره ذلك شيئا لان اللغة كانت ملكة فيه . والف اسخيلوس الروايات التمثيلية وسحر اليونان ببيانه ، ونبغ الفلاسفة أمثال اناكسيمندر وطاليس . وكتب هيرودوتس الرحالة تاريخه المشهور قبل وضع النحو . وكذلك الرومان ، فقد نبغ فيهم جماعة من الشعراء والخطباء والادباء قبل تدوين النحو

وهكذا العرب ، فقد نظموا الشعر وألقوا الخطب وتناشدوا وتراسلوا قبل تدوين النحو لأن ملكة اللغة كانت طبيعية فيهم . . على أنهم اضطروا الى ضبط تلك القواعد وتدوينها بأسرع مما اضطروا اليه اليونان والرومان ، انتماسا للدقة في ضبط معاني القرآن . . فلم يمض على دولتهم نصف قرن حتى شعروا بالحاجة الى النحر . ويغلب على ظننا انهم نسجوا في تبوية على منوال السريان ، لأن السريان دونوا نحوهم وألفوا فيه الكتب في أواسط القرن الخامس للميلاد . وأول من باشر ذلك منهم الاسقف يعقوب الرهاوي الملقب بمفسر الكتب المتوفى سنة ٤٦٠م (١) ، فالظاهر أن العرب لما خالطوا السريان في العراق اطلعوا على آدابهم وفي جملتها النحو ، فأعجبهم . . فلما اضطروا الى تدوين نحوهم نسجوا على منواله لان اللغتين شقيقتان . ويؤيد ذلك ان العرب بدأوا بوضع النحو وهم في العراق بين السريان والكلدان . وأقسام الكلام في العربية هي نفس أقسامه في السريانية

أما استعجال العرب في تدوين النحو فانه تابع لاستعجالهم في الفتح ونشر الدين ، لأن الفتوح دعت الى الاختلاط بالاعاجم ، والاختلاط دعا الى فساد اللغة . . فأصبح الناس يهملون الاعراب . وكان العرب عند ظهور الاسلام يعربون كلامهم على نحو ما في القرآن ، الا من خالطهم من الموالي والمتعربين ، فان هؤلاء كانوا حتى في أيام الرسول يخطئون في الاعراب . . وقد ذكروا رجلا لحن بحضرة الرسول فقال : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » وقال ابو بكر . « لان اقرأ فأسقط أحب الى من ان اقرأ فألحن » (٢) ولكن اللحن لم يكثر الا بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق ، فتذمر العمال مما كانوا يسمعون من اللحن وخصوصا في قراءة القرآن ، وأحسوا بحاجة شديدة الى ضبط قواعد اللغة

أما واضع علم النحو أو مدونه فهو بالاجماع ابوالاسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٩ هـ ، وكان من سادات التابعين صاحب على بن أبى طالب وشهد معه واقعة صفين ثم اقام في البصرة . وكأنه تعلم لغة السريان او اطلع على نحوها . فرغب في النسخ على منواله ، فعرض ذلك على والى العراقيين يومئذ زياد ابن أبيه فأبى (٣) . . حتى اذا جاءه رجل يشكو اليه أمرا فسمعه يقول : « أصلح الله الأمير توفي أبانا وترك بنون » فاستنكف زياد من سماع ذلك اللحن ، فبعث الى أبى الاسود أن يصنع ما كان قد نهاه عنه

واختلف الرواة فيما بعث ابا الاسود على وضع النحو ، لكنهم مجمعون على أنه واضعه كما قدمنا . وهو يقول انه تلقى ذلك عن على بن أبى طالب

(*) انظر في ذلك ضحى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثانى . . وكلمة نحو في دائرة المعارف الاسلامية

(٢) المزهري ١٩٩ ج ٢

(١) شعراء السريان للقرطبي ١٨

(٣) ابن خلكان ٢٤٠ ج ١

فوضع علم النحو أو الشروع فيه على الاقل ثابت لابی الاسود ، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم صاحب الفهرست مما شاهده بعينه فى عرض كلامه عن خزانة كتب اطلعه عليها احد جماعى الكتب . . فكان فى جملة ما فيها قمطر كبير فيه نحو ٣٠٠ رطل جلود، فلحاف وصكاك وقرطاس مصرى وورق صينى وورق تهامى وجلود آدم وورق خراسانى ، وبينها أربع أوراق . قال : « أحسبها من ورق الصين . ترجمتها هذه فيها كلام فى الفاعل والمفعول من أبى الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر ، وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوى وتحت هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر » (١)

على أن ما وضعه أبو الاسود من القواعد لم يكن ليسد الحاجة المستعجلة لضبط القراءة ، فعمد الى ضبطها بعلامات يتميز بها المنصوب من المرفوع أو الاسم من الفعل ، فوضع علامات كانت عند السريان يدلون بها على اترفع والنصب والجر أو يميزون بها الفعل من الاسم كما سيجىء

فالعرب كانوا يعرفون الاعراب قبل علم النحو كما كانوا يحسنون النظم قبل علم العروض ، وكان ذلك ملكة طبيعية فيهم حتى اختلطوا بالاعاجم وأسلم هؤلاء وليس فيهم ملكة اللغة ليفهموا القرآن . . فاضطروا الى ضبطها وكانوا أكثر المسلمين اشتغالا بذلك . بدأ بعلم النحو أبو الاسود وأتمه من جاء بعده من أهل البصرة والكوفة . ولم ينضج الا فى العصر العباسى . وسيأتى الكلام عليه هناك

٢ - الحركات

ونعنى بها علامات الضم والفتح والكسر ونحوها ، اضطروا الى وضعها فى أوائل الاسلام لضبط الاعراب فى قراءة القرآن . وكان القرآن فى أول الاسلام محفوظا فى صدور القراء ، لا خوف من الاختلاف فى قراءته لكثرة عسايتهم فى تناقله وضبط ألفاظه حتى دونوه وكثر أهل الاسلام . . فمضى نصف القرن الاول للهجرة والناس يقرأون بلا حركات ولا اعجام . وأول ما افتقروا اليه الحركات ، وأول من رسمها أبو الاسود الدؤلى المتقدم ذكره . . فانه وضع نقطا تمتاز بها الكلمات أو تعرف بها الحركات ، ولذلك توهم بعضهم أنه وضع نقط الاعجام . والحقيقة أنه وضع نقطا لتمييز الاسم من الفعل والحرف ، وليس لتمييز الباء من التاء أو الجيم من الحاء . والارجح انه اقتبس ذلك من الكلدان أو السريان جيرانه فى العراق ، وكان عندهم نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته لتعيين لفظه أو تعيين الكلمة الواقع هو فيها : اسم هى ، أم فعل ، أم حرف . . مثل قولهم « كتب » فيمكن ان تكون اسما جمع كتاب أو فعلا ماضيا معلوما أو مجهولا . وكان عندهم أيضا نقط هى حركات ، وصفها يعقوب الرهاوى قبيل ذلك الزمن ، (٢) وهى عبارة عن نقط كانت ترسم فى حشو الحروف ثم تحولت الى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث ، وما زالت عندهم الى اليوم

فالظاهر أن أبا الاسود اقتبس هذه الحركات . ويؤيد ذلك أنه لما أراد التنقيط أتوه بكاتب ، فقال له أبو الاسود : « اذا رأيتنى قد فتحت فمى بالحروف فانقط نقطة فوقه على أعلاه . وان ضمنت فانقط نقطة بين يدي الحرف . وان كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف » (١) فكان العرب بعد ذلك يستعملون هذه النقط . والغالب أن يكتبوها بلون غير لون الخط . وقد شاهدنا في دار الكتب المصرية مصحفا كوفيا منقطا على هذه الكيفية وجدوه في جامع عمرو بجوار القاهرة ، وهو من أقدم مصاحف العالم مكتوب على رقوق كبيرة بمداد اسود وفيه نقط حمراء اللون . فالنقطة فوق الحرف فتحة ، وتحت كسرة ، وبين يدي الحرف ضمة ، كما وصفها أبو الاسود

صور الحركات

أما صور الحركات التي وصلت إلينا . . نعى الضمة والفتحة والكسرة نلا نعلم واضعها أو واضعيها ولا الزمن الذي وضعت فيه ، ولكن الغالب أنها وضعت في القرون الأولى للإسلام كما وضعت نقط الاعجام اقتداء بالسريان لأن هؤلاء وضعوا الحركات لحروفهم في القرن الثامن للميلاد نقطا كما فعل العبرانيون . والحركات عند العبرانيين ١١ وعند السريان الشرقيين ٧ وعند السريان الغربيين ٥ ، أما في العربية فهي ثلاث فقط

ظل الساميون يكتبون سنتهم بلا حركات من أقدم أزمنة التاريخ في آشور وبابل وفينيقية واليمن والحجاز ، ولم يفتنوا لوضع الحركات إلا بعد الميلاد المسيحي . وأقدم وسيلة اتخذوها لدفع الالتباس في القراءة النقطة الكبيرة التي استخدمها السريان كما تقدم . والغالب أنها وضعت نحو القرن الرابع للميلاد . ثم تقدموا خطوة أخرى فاتخذوا لكل خطوة علامة خاصة توضع فوق الحرف أو تحته ، وهي عند العبران والسريان الشرقيين نقط توضع مفردة أو مزدوجة فوق الحرف أو تحته فتدل على الضم أو الفتح أو الكسر أو ما بينهما ، كالأماله والاشمام ونحوهما

أما السريان الغربيون ، فاقتبسوا الحركات من الابجدية اليونانية ، وأخذوا منها خمسة أحرف صوتية هي Y.E.H.O.A. عبروا بها عن الحركات ، كل حرف يجانس الحركة التي يدل عليها في اليونانية . وقد تم ذلك في المائة الثامنة للميلاد . . إذ نهض السريان لتحرير الفاظ الكتاب المقدس وسائر كتب الدين وضبطوا قراءتها ، وكانت اليونانية شائعة بين رجال العلم منهم ، فاقتبسوا حروفها الصوتية لهذه الغاية

أما العرب فقد اهتموا بضبط لسانهم مثل السريان ، فاقتدوا بهم أولا بالنقط الكبيرة والصغيرة ثم وضعوا الحركات المستقلة كما وصلت إلينا . . لكنهم لم يقتبسوها من أحرف اللسان الأخرى كما فعل السريان ، بل أخذوها من الابجدية العربية فاستخدموا حروفها الصوتية لتدل على الحركات . والحركات العربية لا تقل عددا عن الحركات السريانية وربما زادت عليها ،

ولكن الاحرف الصوتية في العربية ثلاث فقط (الواو والالف والياء)
 فاستعاروها للدلالة على الضم والفتح والكسر وهي الحركات الرئيسية ،
 وتركوا سائر الحركات المختلصة كالاشمام والروم والامالة لفطنة القارىء .
 وإذا تأملت صور الحركات المذكورة رأيت الضمة كالواو تماما والفتحة تشبه
 الالف مائلة . وأما الكسرة فانها الآن بعيدة الشبه بالياء . فاما أنها كانت عند
 أول استخدامها أقرب الى شكل الياء ثم تنوعت بالاستعمال ، أو أنهم قلدوا بها
 حركة الكسر عند السريان الشرقيين ، وهي نقطتان أسفل الحرف فرسمهما
 العرب معا فجاءتا كالكسرة . أو لعلهم اقتبسوا الياء السريانية فان صورتها
 كالكسرة العربية وهي (~) وقد قال الامام الرازى : « الحركات أبعاض
 المصوتات »

المد والشدة والوصلة والهمزة

وفي الكتابة العربية علامات أخرى لضبط التلفظ بالمد أو الوصل أو الادغام،
 وهي أحدث في استنباطها من الحركات التي تقدم ذكرها . ولكنها وضعت
 قبل القرن الخامس للهجرة وأشهرها المد « ~ » والشدة « ˆ » والوصلة « ˙ » وكلها
 مقتطعة من ألفاظ تؤدي المعنى المراد من وضعها . فالمد « ~ » مقتطعة من « مد »
 والشدة من « شد » والوصلة من « صل » . . وذلك أن الكاتب كان اذا
 أراد ضبط ما يكتبه كتب فوق الحرف الذي يريد مدده قوله « مد » بصيغة
 الامر ، وفوق الحرف المدغم لفظ « سد » والشين بلا نقط ، وفوق الالف
 المراد وصلها كلمة « صل » . وكانوا يرسمون هذه الالفاظ صغيرة كما
 يفعلون حتى اليوم في علامات ضبط قراءة القرآن ، فيكتبون فوق الكلمة
 « قف » أو « ج » أو « ص » أو « ط » وكل منها مقتطعة من لفظ يراد به
 تعيين درجة الوقف أو الوصل

وظلوا دهرًا يكتبون علامات المد والشدة والوصل بصورها الأصلية ثم
 اختصروها ، فكانوا يعبرون عن حركة المد أولاً بكتابة لفظ « مد » وعن
 التشديد بلفظ « شد » وعن الوصل بلفظ « صل » ثم اختصروا صورها
 بالاستعمال فصارت المد « ˆ » والشدة « ˆ » والوصلة « ˙ » ثم اختصرت
 في الكتابة الى ما هي عليه الآن . وقد أطلعنا في معرض دار الكتب المصرية
 على كتاب مخطوط في أوائل القرن الخامس للهجرة ، وفيه هذه العلامات
 قريبة جدا من الفاظها الأصلية . وهذه صورتها في ذلك الكتاب «مد» للمدة
 و «سد» للشدة و «ص» للوصلة

أما همزة القطع فانها بصورة العين مصغرة «ع» ، ولعلهم يرمزون عنها
 بالعين لتقارب لفظيهما ، وكثيرا ما تتبادلان ، أو أنهم رسموا العين مقطعة من
 لفظ « قطع » كما بقيت الصاد من صل والشين من شد

ومن العلامات الكتابية الشائعة علامة توضع في آخر الرسالة أو الكتاب .
 ويراد بها الدلالة على نهاية القول وهي « ۞ » أو نحوها ، والغالب في اعتقادنا
 أنها بقية لفظ « صح » التي كانوا ولا يزالون يختمون رسائلهم بها

٣ - الاعجام

كان الخط لما اقتبس من العرب من السريان والانباط خاليا من النقط . ولا تزال الخطوط السريانية بلا نقط الى اليوم . فالاعجام حاد في العربية وهو قديم فيها . والظاهر أن المسلمين بعد أن استخدموا الحركات المذكورة رأوا التصحيف قد تكاثر ، والتبست القراءة عليهم لتكاثر الاعاجم من القراء ، والعربية ليست لغتهم . . فصعب عليهم التمييز بين الاحرف المتشابهة في شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والشاء ، فانتبه لذلك الحجاج أمير العراق في أيام عبد الملك بن مروان . قال ابن خلكان : « ففرع الحجاج الى كتابه وسألهم ان يضعوا لهذه الاحرف المختلفة علامات تميزها بعضها من بعض ، فيقال أن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط افرادا وأزواجا وخالف بين اماكنها ، فعبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوطة فكان مع استعمال النقط أيضا يقع التصحيف ، فأحدثوا الاعجام فكانوا يتبعون النقط بالاعجام» (١) وفي عبارة ابن خلكان هذه التباس فلا يفهم المراد بها . ولا ما الفرق بين التنقيط والاعجام وهما واحد . ولا يعقل أن يكون المراد بالنقط الحركات لانهم انما عمدوا اليها لكثرة التصحيف أى اختلاف القراءة باختلاف النقط . فالظاهر ان النقط المذكورة هي من قبيل الاعجام لتمييز الحروف المتشابهة ، ولكن نصرا هذا لم ينقط الا بضعة حروف مما يكثر وروده ويخشى الالتباس فيه . ثم رأوا القراءة لا تضبط الا بتنقيط كل الحروف كما هي الآن ، وهذا ما عبروا عنه بالاعجام

وقد شاهدنا في معرض الخطوط في دار الكتب المصرية كتابة عربية على صحيفة من البردي « البابيروس » مؤرخة سنة ٩١ هـ ، وفيها اعجام لكنه قاصر على الصور المتشابهة للباء للتمييز بين الباء والياء والتاء وصورة حرف الشين لتمييزه من السين بثلاث نقط موضوعة على استواء واحد . وشاهدنا أجزاء من مصاحف أخرى مكتوبة على رقوق صغيرة وعليها نقط حمراء للحركات ونقط سوداء للاعجام . وقد تجد خطوطا قديمة منقطة ومحركة وخطوطا حديثة بلا تنقيط ولا تحريك

ولم تعجم الحروف كلها في وقت واحد ، ولكنهم تدرجوا في ذلك حسب الحاجة في أزمنة مختلفة . ويتضح ذلك لمن يتأمل في المخطوطات العربية القديمة ، فأنك تجد الاعجام لم يبلغ ما هو عليه الآن الا بتوالي الاجيال . وآخر حرف أعجم الياء لتمييز الياء من الالف المقصورة . وأول من فعل ذلك المرسلون الأمريكيون في بيروت في أوائل القرن الماضي

٤ - التاريخ والجغرافية

في زمن نبي أمية

نم يكن عند عرب الجاهلية من التاريخ الا أخبار متفرقة ليست من التاريخ في شيء ، فلما ظهر الاسلام واشتغل المسلمون بالفتح والحرب حتى استتب

(١) ابن خلكان ١٢٥ ج ١

لهم الامر ونزعوا الى الجهاد . . تدرجوا في وضع التاريخ مثل تدرجهم في سائر العلوم الاسلامية . وهو قسمان :

١ - تاريخ المسلمين وأعمالهم وتراجم رجالهم وهذه قد استخرجها العرب من أعمالهم

٢ - تاريخ الامم الاخرى . . وهذه بدأوا بتعريفها ونقلها من زمن بنى أمية لان الدهاة من الخلفاء الامويين كانوا من أرغب الناس في معرفة أخبار مشاهير الامم الاخرى . .

فمعاوية بن أبي سفيان كان يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ، فيقصون عليه من أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها في رعيتهما وسائر ملوك الامم وحروبها ومكائدها . ثم ينام ثلث الليل ويقوم ، فيأتيه غلمان مرتبون وعندهم كتب قد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فيقرأون عليه ما في تلك الكتب من سير الملوك وأخبار الحروب ومكائدها وأنواع السياسة (١) . والغالب في اعتقادنا ان تلك الكتب كانت باللغتين اليونانية واللاتينية، وفيها أخبار ابطال اليونان والرومان كالاسكندر ويوليوس قيصر وهنريال ، وان الفلماني كانوا يفسرونها له بالعربية .

وسماع أخبار العظماء يستنهض الهمم الى الاقتداء بهم ولذلك كان أكثر القواد الراغبين في العلا من العرب وغير العرب يستتلون أخبار من سبقهم من مشاهير القواد والسياسة للعبارة

أما تدوين التاريخ في اللغة العربية ، فبدأ في زمن بنى أمية مع رغبة المسلمين عن التدوين في ذلك العصر لأسباب بينها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي . ولكنهم اقتصروا عدم التدوين باللقه والتفسير ، فلم يدونا الا في القرن الثاني . وأما ما تقدم ذكره عن تفسير ابن عباس ، فانه مروي عنه سماعا

ويظهر انهم بدأوا بتدوين التاريخ الاجنبى قبل تدوين حروبهم وفتوحهم ، اذ لم يكن المراد بالتدوين خدمة التاريخ . . انما فعلوه لحاجة الخلفاء الى الاطلاع على احوال الامم الاخرى . وأول من فعل ذلك عبيد بن شريه (**) ألف كتاب الملوك وأخبار الماضين لمعاوية بن أبي سفيان ، ذكره صاحب الفهرست ولا وجود له الآن . وكان الامويون يسمون ابحاث هذا العلم « علم أخبار الماضين » . وذكر ابن النديم كتباً في موضوعات مختلفة ألفها ابو مخنف الأزدي من أصحاح على ، فيها تراجم المشاهير ونحوهم ، وكتابا الفه عوانة ابن الحكم الكلبي في التاريخ، وآخر في سيرة معاوية وبنى أمية في القرن الثاني للهجرة . ولم يصل إلينا شيء من هذه الكتب ولا غيرها من كتب الادب

(١) المسعودى ٥٢ ج ٢

(**) أنظر دائرة المعارف الاسلامية في ترجمة عبيد وكذلك زميله وهب بن منبه ، وهما أقدم المؤرخين العرب ، وقد كتب أبان بن عثمان بن عفان كتاباً في تاريخ الرسول وغزواته ، كما كتب في ذلك عروة بن الزبير . وانظر مادة تاريخ في دائرة المعارف الاسلامية ، والفصل الاول من الباب الخامس في فجر الاسلام لاحمد أمين

والتاريخ مما كتب في زمن بنى أمية (*)

ومن العلوم التاريخية التي ولدت في العصر الاموي علم الانساب ، وقد علمت ان الانساب من العلوم الجاهلية فاحتاج اليها المسلمون في صدر الاسلام لاثبات انسابهم . وعليها يتوقف مقدار العطاء أو منزلة الشخص من الدولة أو المنصب فجعلوها علما . وأول من احتاج الى ذلك زيادة بن أبيه الداهية المشهور الذي استلحقه معاوية بنسبه ليستعين به على أعدائه ، فعمل في نسبه كتابا دفعه الى ابنه . ذكر ذلك ابن النديم ايضا ، ولم نقف عليه ولا على خبره . وذكر أيضا من أقدم النسابين في الاسلام دغفل والحجر بن الحارث والبكري ولسان الحمرة ولم يذكر لهم كتباً

وبالاجمال أن التاريخ ولد في زمن بنى أمية، ولم ينضج الا في العصر العباسي . وعلى كل حال فإن العرب من أسبق الامم الى تدوين التاريخ بعد أن تمدنوا، لان الرومان لم يؤلفوا فيه الا بعد تأسيس دولتهم بسبعة قرون . وأول مؤرخيهم يوليوس قيصر (١) أى بعد استقرار الدولة . واليونان بدأ التاريخ عندهم بموضوعات خاصة ، ولم يدونوا التاريخ العام الا في زمن هيرودوتس أى بعد انشاء دولتهم ببضعة قرون

أما الجغرافية فلفظها يدل على انها دخيلة ، لكن العرب بدأوا بشيء منها قبل النقل كما سيجيء

٥ - العلوم الدخيلة

نريد بالعلوم الداخلية التي نقلها المسلمون الى اللغة العربية من اللسنة الاولى . ويدخل فيها علوم اليونان والفرس والهند والسريان وغيرهم . وهذه نقلت في العصر العباسي كما هو مشهور ، لكن العرب بدأوا بنقلها منذ أيام بنى أمية وإن لم يبق من نقلهم شيء الى الآن

خالد بن يزيد

وأول من فعل ذلك خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ حفيد معاوية الأكبر ويسمونه الحكيم . وكان طامعا في الخلافة بعد وفاة أخيه معاوية الثاني ، فغلبه على ذلك مروان بن الحكم وانتقلت الخلافة من بيت أبي سفيان الى بيت مروان . فلما يئس خالد من الخلافة وهو ذو مطامع وذكاء ، انصرف ذهنه الى اكتساب العلا بالعلم . وكانت صناعة الكيمياء رائجة يومئذ في مدرسة الاسكندرية ، فاستقدم جماعة منهم راهب رومي اسمه سريانوس طلب اليه أن يعلمه صناعة الكيمياء . فلما تعلمها أمر

(*) طبع بعد تأليف هذا الكتاب كتابان من كتب الاخبار والتاريخ في عصر بنى أمية ، وهما . كتاب اخبار عبيد بن شربة ، وكتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبته وهما مطبوعان في حيدر آباد سنة ١٣٤٧ هـ

بنقلها الى العربية فنقلها له رجل اسمه اسطفان القديم (١) . وهذا أول نقل
فى الاسلام من لغة الى لغة

وكان خالد راغبا فى علم النجوم أيضا ، وأنفق الاموال فى طلبه واستحضار
آلاته . ولعلمهم ترجموا له شيئا منه لم يصلنا خبره

ولم يصلنا شيء من منقولات خالد المذكورة ، ولكنه كان شديد الولع
بالعلوم الطبيعية وخصوصا الكيمياء والفلك . وقد ذكر ابن القفطى فى ترجمة
ابن السنبدى أنه شاهد فى خزائن الكتب بالقاهرة كرة نحاس ، كتب عليها
« حملت هذه الكرة من الامير خالد بن يزيد بن معاوية » (٢)

واشتغل بنقل العلم فى هذا العصر بعض أهل الشام ، نقلوا بعض كتب
الطب . وممن وصلنا خبرهم من النقلة طبيب كان معاصرا لمروان بن الحكم
اسمه ماسرجويه ، سريانى الجنس يهودى المذهب كان يقيم فى البصرة .
وظهر فى أيامه كتاب فى الطب هو كناش (حاوى) من أفضل الكتانيس ، ألفه
القس أهرون بن أعين فى اللغة السريانية فنقله ماسرجويه الى العربية .
فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب فى خزائن الكتب فى الشام . .
فحرضه بعضهم على اخراجه الى المسلمين للانتفاع به ، فاستخار الله فى
ذلك أربعين يوما ثم أخرجه الى الناس وبثه فى أيديهم . ويدل ذلك على
التردد الذى استولى على الخليفة فى اخراج هذا الكتاب ، مع أنه من كتب
الطب لا الفلسفة

وذكر ابن النديم أن سالما كاتب هشام بن عبد الملك نقل رسائل ارسطو
الى الاسكندرية . وعلى كل حال لم يبق شيء من منقولات هذا العصر

(١) الفهرست ٢٤٢ و ٢٤٤
(٢) أخبار الحكماء لابن القفطى ٤٤٠

الآداب الجاهلية

في العصر الأموي

نريد بالآداب الجاهلية الآداب العربية التي كانت عند العرب قبل الاسلام وقد تطورت عندهم ، وأهمها اللغة والشعر والخطابة والانشاء ، وننظر في كل منها على حدة

١ - اللغة

اللغة مرآة عقول أهلها ومعرض آدابهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم ، تتبعهم فيما يطرأ عليهم من التغيير وتحفظ آثار ذلك التغيير . وقد تتبدل أحوال الأمة ويذهب كثير من عاداتها أو آدابها وتبقى آثار ذلك في ألفاظها وتراكيبها ، وقد رأيت ما حدث في اللغة من الآداب الشرعية واللسانية ، فاقترضت ذلك طبعاً أن يحدث فيها اللفاظ جديدة أو تتنوع بعض ألفاظها للتعبير عن المعاني الجديدة ..

فمن المصطلحات اللغوية التي اقتضتها العلوم اللسانية قولهم : النحو والعروض والشعر والاعراب والادغام والاعلال والحقيقة والمجاز والنقض والمنع والقلب والرفع والنصب والخفض والمديد والطويل وغيرها من أسماء البحور وضروب الاعراب والتصريف ، وهي كثيرة جداً ولها فروع واشتقاقات .. حتى لقد أصبح للفظ الواحد معنى فقهي وآخر لغوي وآخر عروضي وآخر ديني مما لا يمكن حصره . أما المصطلحات الشرعية فقد ذكرنا بعضها في الكلام على اللغة في عصر صدر الاسلام ، فليقتبس عليها ودخل اللغة في هذا العصر كثير من المصطلحات الادارية كالخليفة والوزارة والحجابه والامامة وغيرها من مصطلحات الجند : كالمستترزقة والمتطوعة والعلوفة والعسكر ، وضروب الحرب وأبواب الهجوم : كالزحف والكر والفر والبيات والكفاح والغرة ، وصنوف الأسلحة : كالدبابة والكبش والعرادة وغيرها .. ناهيك بمصطلحات الدواوين علم اجمالها كقولهم : الثغور والعواصم والاقليم والقصبة والعمل والولاية والضيايع والحكومة والسكة والتوقيع والوظيفة والخراج والجزية والعشور والمرافق والصوافي والجوالي والجباية والوقف والمصادرة والمستغلات والصدقة والمكوس والمراصد ودار الضرب والضمان والدفاتر والجرائد والخزائن والايغار والراتب والجاري والعطاء والبيعة والدعوى والختم والخطط والمطالعة والمؤامرة وغير ذلك كثير جداً

وأكثر هذه الالفاظ كانت موجودة فى اللغة ، لكن مدلولاتها تغيرت بتغير أحوال العرب بعد انشاء دولتهم لحدوث معان جديدة اقتضاها ذلك التغير (١)

٢ - الشعر فى العصر الاموى

لم يكن للشعر العربى تأثير فى النفوس ومنزلة فى الدولة فى عصر من عصور العرب مثل ما كان له فى العصر الاموى ولا غرابة فى ذلك بعدما علمته من خصائص ذلك العصر السياسية وطبائع الامويين • ولا بأس من ذكر الاسباب التى بعثت على ازدهار الشعر فى هذا العصر ومنزلته فى الدولة وتأثيره فى النفوس بايجاز ، ثم نأتى على مميزاته

اسباب رواجه

١ - انقسام القبائل بالعصبية • اقتضت سياسة بنى أمية امتعاء القبائل بعضها على بعض بالرجوع الى عصبية الجاهلية • وأول من فعل ذلك معاوية فى الخلاف بينه وبين على وأبنائه • ثم كان انقسام القبائل عند انتقال الخلافة من آل معاوية الى آل مروان وكلاهما من بنى أمية ، ونشبت الحرب فى مرج راهط • وقد تقدمت الإشارة الى ذلك • وأخيرا قام طلاب الخلافة من غير العلويين فى زمن يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان وهم الحسين بن على وآل الزبير والازارقة وسعيد بن الأشدق وغيرهم كما تقدم • ولكل خارج قبيلة أو بضع قبائل تنصره ، والامويون يستعينون بالشعراء على اختلاف قبائلهم وبطونهم • يتألفونهم بالعطاء لعلمهم بما لقول الشاعر من التأثير فى نفوس عشيرته لأنه لسان حالها • فازداد الشعراء بذلك نفوذا وتقربا من الخلفاء أو الامراء • وكان الخليفة يعد مدح الشاعر له دليلا على رضى قبيلته عن سياسته لأنه لسان حالها • والقبيلة تعد اكرام الخليفة لشاعرها اكراما لها

٢ - سخاء بنى أمية بالاموال : واقتضت سياستهم تألف الشعراء بالمال فضلا عن اضطرار الشعراء وغيرهم الى استرضائهم خوفا من قطع العطاء عنهم • والعطاء يومئذ رواتب الجند وسائر المسلمين • وكان المسلمون فى صدر الاسلام كلهم جندا ، ولكل منهم راتب يتناوله من بيت المال على شروط مذكورة فى الديوان (٢) فمن قبض على بيت المال قبض على رقاب الرعية ، ويجدر بهم أن يتقربوا منه ويتزلفوا اليه • فاذا كان القابض عليه حكيما يعرف كيف يعطى ولمن يعطى ، أغناه ذلك عن سائر الاسباب فيزيد العطاء أو ينقصه أو يقطعه على حسب الاقتضاء

كذلك كان يفعل الدهاة من بنى أمية ، وقدوتهم معاوية بن أبى سفيان أكبر دهاة العرب • فقد جعل تصرفه فى العطاء وسيلة لاكتساب قلوب

(١) راجع تفصيل ذلك فى كتابنا تاريخ اللغة العربية « الطبعة الثانية » صفحة ٢٤ وما بعدها
(٢) تاريخ التمدن الاسلامى « الطبعة الثانية » صفحة ١٥٤ ج ١

المسلمين حتى أشياع العلويين وغيرهم من أبناء الصحابة الذين كان يخاف قيامهم للمطالبة بالملك . فأخبر به أن يفعل ذلك بالشعراء ولهم رواتب في بيت المال مثل سائر المسلمين ، فلم يكن الشعراء يرون بدا من استرضاء بني أمية خوفا من قطع أعطيتهم فضلا عما يرجونه من الجوائز اذا أحسنوا إرضاءهم . .

٣ - رغبة بني أمية في الشعر : كان لبني أمية رغبة شديدة في احياء لسان العرب وآدابه كما قدمنا . وكان الخلفاء أنفسهم من أهل الادب ، نفوسهم شاعرية حساسة . حدث معاوية عن نفسه : قال : « اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الارض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى ، فما حملني على الإقامة الا آيات عمرو بن الاطنابة » .

أبت لي همتي وأبى بلأني وأخذى الحمد بالثمن الرئيع
وإقحامي على المكروه نفسي وضربى هامة البطل المشيخ
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن غرض صحيح^(١)
ويزيد بن عبد الملك رد الاحوص الشاعر من منفاه بيت شعر له غنته فيه
جميلة المغنية وهو قوله :

كريم قريش حين ينسب والذي أقرت له بالملك كهلا وأمردا
فطرب يزيد وقال : « ويحك من كريم قريش هذا ؟ » قالت : « أنت
وقد قاله الاحوص وهو منفي » فكتب برده ، وأنفذ له حللا سنية وأدناه
وقربه . وقال له يوما : « لو لم تمت الينا بحسق ولا صهر ولا رحم الا
بقولك :

وإني لأستحييكم إذ يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمع
لكفالك ذلك عندنا » (٢)

وقد راسل عبد الملك بن مروان عدوه ابن الزبير بالشعر وأجابه ذلك بمثله (٣)
وكان عمال الامويين اصحاب شعر وخيال وحس مثلهم . فالحجاج وهو
أشدهم وطأة ، جىء بالاسرى بين يديه بعد حرب الاشعث فأخذ في قتلهم
بقمة ذلك اليوم حتى صاح به رجل : « والله يا حجاج لئن كنا قد أسأنا
بالذنب فما أحسنت بالعفو ، ولقد خالفت الله فينا وما أطعته » فقال له :
« وكيف . . ويلك ؟ » قال : « لان الله تعالى يقول : (فاذا لقيتم الذين

(١) العمدة ١٠ ج ١ ، والمشيخ : الجاد في الامر ، وكلما جشأت وجاشت أى كلما اضطربت
نفسى من خوف أو جزع
(٢) الاغانى ٥٧ ج ٨
(٣) الاغانى ٦٨ ج ١٣

كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) وقد قتلت فأثخنت حتى تجاوزت الحد فأسر ولا تقتل » ثم قال : « أو أمنن » فقال الحجاج : « ويل لك ألا كان هذا الكلام منك قبل هذا الوقت » ثم نادى برفع السيف ، وأمن الناس

وكان بنو أمية يحفظون الشعر ويباحثون الشعراء وينتقدونهم ، وكثيرا ما كانوا يجمعون طائفة منهم في مجلس ويقترحون عليهم ان يصفوا شيئا ويجيزون المجيد كما فعل هشام بن عبد الملك (١) أو يجمعونهم ليتفاخروا بين أيديهم كما فعل سليمان بن عبد الملك ، اذ جمع اليه الفرزدق وجريرا وكثيرا وابن الرقاع ، وقال لهم : « أنشدونا من فخركم شيئا حسنا .. ففعلوا في حديث طويل » (٢)

وقد يخطر لاحدهم شعر لا يعرف قائله أو يحتاج الى تفسير ، فيكتب الى الشاعر أو الراوية فيستقدمه من العراق الى الشام على البريد كما فعل هشام المذكور . . اذ بعث برسالة عاجله من دمشق الى عامله بالبصرة أن يشخص اليه حمادا الراوية على البريد ، فقضى حماد اثنتي عشرة ليلة في الطريق وهو خائف من تلك الدعوة العاجلة فاذا هو يقول له : « بعثت اليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قائله »
فهذا روعه وقال : « وما هو ؟ » فقال :

فدعوا بالصَّبوح يوما فجاءت قينة في يمينها إبريق

فقال حماد : « هذا يقوله عدى بن زيد من قصيدة » وأنشده اياها وكذلك كان يفعل عمالهم اذا علموا بوجود شاعر أو أديب بارع بعثوا في استقدمه مما يطول بنا ذكره (٣)

وكان من الخلفاء شعراء ، كالوليد بن يزيد ، فقد كان شاعرا بليغا ، وسيأتي خبر ذلك . وينسبون الى يزيد بن معاوية القصيدة المشهورة التي مطلعها :

نالت على يدها ما لم تنله يدي نقشا على معصم أو هت به جلدي
وربما كانت لغيره ، لكنه كان من أصحاب الشعاعية

وكان لبعض خلفائهم الدهاء شغف بالادب على الاجمال ، ونخص منهم ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشاما . حكم كل منهم أكثر من عشرين سنة ، وكانت لهم عناية بالادباء وخصوصا عبد الملك . والادب لا ينمو ويورق ويثمر الا في ظل محبيه من الملوك أو الامراء ، واذا تدبورت النهضة التي مر بها الادب في اثناء التمدن الاسلامي رأيت لكل نهضة أميرا أو ملكا أخذ بناصرها وأحيا الادب بتقديم أهله أو تنشيطهم . وسترى أدلة كثيرة من ذلك فيما يأتي من هذا الكتاب

فلا عجب اذا كان أكثر أحاديث الناس في مجتمعاتهم ومنتدياتهم في الشعر ومن هو أشعر شعراء الجاهلية أو الاسلام . وكان الرائج من شعراء الجاهلية في عصرهم امرأ القيس وزهيرا أو النابغة يفضلونهم على سواهم ، ويفضلون جريرا والفرزدق والاخلط على سائر الشعراء المسلمين في أيامهم . لكنهم كانوا يتناقشون في أي هؤلاء أشعر وكثيرا ما كانوا يتخاصمون وترتفع أصواتهم . وربما اهتم الخليفة أو الامير فبعث الى بعض العلماء يسأله عن رأيه في أشعر الشعراء كما فعل الحجاج ، اذ بعث الى ابن قتيبة يسأله عن ذلك (١) . وقد يبعثون من الشام الى العراق لمثل هذا السؤال

٤ - الحركة الادبية في البصرة والكوفة : قد علمت ما كان من حال هذين البلدين في العصر الاموي ، وفيهما احتك العرب بغيرهم من الامم المتقدمة . وفيهما اشتغل المسلمون بجمع أخبار العرب وأشعارهم وأمثالهم . وفيهما ولد النحو وغيره من الاداب اللسانية ، فتكاثرت الاندية الادبية هناك ولا سيما المربد عكاظ الاسلام كما تقدم . فكان ذلك من جملة البواعث على ازدهار الشعر في العصر الاموي

على أن الشرق كله كان يومئذ في نهضة أدبية حتى الهند والصين واليابان، فقد نبغ فيها الشعراء والادباء في القرن الثامن للميلاد (٢) على أثر ظهور الاسلام واتساع فتوحه فاهتزت أعصاب الشرق الى أقصاه ، فحدثت فيه تلك النهضة

مميزات الشعر في العصر الاموي

الانسان صنيعة الاقليم ، فتتغير أطواره وأحواله بتغير البيئة المحيطة به . ويظهر أثر ذلك في نتاج قريحته أو فكرته . وقد رأيت أن العرب اختلفت أحوالهم في العصر الاموي عما كانت عليه في زمن الجاهلية أو في زمن صدر الاسلام فظهر أثر ذلك في ثمار قرائحهم وخصوصا الشعر . واليك أهم مميزات في ذلك العصر :

١ - خلوه من وحشى الكلام : ان قرب العصر الاموي من الجاهلية ورغبة الامويين في البداوة وتقليدهم عرب الجاهلية في ادابهم وأشعارهم ، كل ذلك أبقي للشعر الاموي بلاغة الجاهلية وسلامتها من العجمة والركاكة . لكن الاسلام أكسبه أسلوب القرآن والحديث ، فتخلص من التركيب الغريب والكلام الوحشى ، فهو من حيث البلاغة أحسن في هذا العصر مما في سائر العصور وان كان لكل عصر مميزات

٢ - كثرة التشبيب (※) : كان الشاعر الجاهلي يقول الابيات تغزلا في حبيبته ، يعبر بذلك عن حبه أو ما تكنه جوارحه من الغرام أو الشوق ، ولا

(١) المزهر ٢٤٠ ج ٢
(٢) Lit. Comp. 107
(※) أنظر في كثرة التشبيب والغزل بهذا العصر الجزءين الاول والثاني من كتابنا « الشعر الغنائي في الامصار الاسلامية » . . . وهما خاصان بالمدينة ومكة وحديث الاربعاء لطف حسين ج أول

يشبب في غير حبيبته أو خطيبته ، وقد يسميها بغير اسمها . والغالب أن يكنى عنها بأحدى عرائس الشعر لئلا يعلم أهله بتشبيبهم فيمنعوه من التزوج بها ، لانهم كانوا شديدي الغيرة على النساء حتى أن أحدهم إذا سطا عليه عدو وخاف على حياته منه عمد الى امرأته أو حبيبته فيقتلها غيرة عليها من أن يمسها . سواه بعد موته (١) . ويندر في الجاهليين أن يشبب شاعرهم بغير حبيبته . وإذا فعل فلدايع فوق العادة ، كما فعل دريد بن الصمة اذ رثى أخاه بقصيدة صدرها بأبيات غزلية (٢) . وقد رأيت الشعراء العشاق في الجاهلية يعدون على الاصابع ، فأصبحوا في العصر الاموي أضعاف ذلك ، وأكثروا من وصف الحب وأعراضه وأحواله ..

وذلك طبيعي في الامة بانتقالها من البداوة الى الحضارة ، وخصوصا اذا كان ذلك على أثر الفتوح وفيها الغنائم من السبايا . . فيصيب الرجال منهم جارية أو يضع جوار في كل معركة من المعارك . وكانت السبايا في صدر الاسلام كثيرات ، وأكثرهن من الروم والفرس . والفاتحون يبيعونهن أو يستخدمنهن في حاجات المنزل ، ويستبقون الجميلات منهن للتسرى . فتحركت القلوب وتنبت القرائح للموضوعات الغزلية ، وصار الشعراء يشبون بالنساء الجميلات . وكان الخلفاء الراشدون يعدون ذلك خروجا على حرمة الادب ، فجعلوا التشبيب ذنبا يستوجب القصاص . وكان عمر بن الخطاب لا يسمع بشاعر يشبب بامرأة الا جلده (٣)

فلما أفضت الدولة الى بنى أمية - وقد انتقلت عاصمتها من المدينة الى دمشق ، وكثر الاختلاط بالاعاجم ، وأخذ العرب بأسباب الحضارة ، وذهبت هيبة العفة من نفوسهم ، وانقضت شدة الخلفاء الراشدين في المحافظة عليها - هان عليهم التشبيب ، فأكثروا منه ولا سيما في المدينة لان أهلها أغرقهم معاوية بالعطايا والرواتب ليشغلهم باللهو عن طلب الملك . فكانوا ينفقون الاموال على المغنين ونحوهم ، فكثر اللهو في المدينة وسبقت سائر المدن الاسلامية الى الغناء وشاع القصص بين أهلها وتجرا الشعراء على التشبيب بغير أحبائهم

امام أهل النسيب

على أن امام أهل النسيب والغزل في الاسلام جميل بن معمر الشاعر العاشق كان معاصرا لعبد الملك بن مروان . وهو الذي وطأ النسيب للشعراء ، فأكثر منه وتفنن فيه . . لكنه كان يشبب بحبيبته بثينة وهو في عرف أهل الادب « امام المحبين » (٤) فاستحسن الناس تشبيبهم لانه طبيعي صادر عن شعور صادق ، فأخذوا يقلدونه فيه . . فينظم الشاعر أبيات الغزل أو النسيب لمحبوب وهمي ، واستعار بعضهم أسماء حبيبات الشعراء العاشقين

(٢) العمدة ١٢٢ ج ١

(٤) الاغانى ٨٠ ج ٧

(١) الاغانى ١٤٥ ج ١٢

(٣) الاغانى ٩٨ ج ٤

كلبلى ودعد وهند وشببوا بهن تقليدا . وبعد أن كانت بشينة مثلاً معشوقة جميل بن معمر ، صارت عروساً للشعر يباح التغزل بها لمن أراد . وقد يعنون بالاسم المستعار امرأة جميلة معروفة

فجميل كان يشبب بحبيبتة ولا خرج عليه ، وأراد الشعراء تحديه والتغزل بجماليات النساء وهن في الغالب بحوزة الامراء أو الخلفاء . . فخافوا غضب بعولتهن أو آبائهن ، فلم يكن يجرؤ على المجاهرة بذلك من الشعراء الا من كان ذا عصبية تنصره أو منزلة تشفع له . ولذلك كان أسبق الشعراء الى التشبيب من قريش ، نظراً لما كان للقرشى من المنزلة الرفيعة والهيبة فى العصر الاموى . ولان القرشيين أقرب الى الحضارة لنزولهم فى مكة ، واليهما يحج الناس من أقطار العالم ومعهم أجمل النساء

شعراء قريش والتشبيب

وأول من تجرأ على التشبيب منهم ابن أبى عتيق ، وهو ابن حفيـد أبى بكر الصديق . ويقولون انه كان طاهراً عفيفاً يشبب عن غير ريبة ، ثم عمر بن أبى ربيعة من قريش ، والعرجى وهو من قريش أيضاً ، وغيرهم ، وكلهم من شعراء العصر الاموى . فتجرأ الشعراء من غير قريش على الاقتداء بهم حتى شاع التشبيب ، وصاروا يعتقدون أن الشعر لا يحسن الا به لما فيه من عطف القلوب . فيبدأ الشاعر الحضري بذكر الحبيب والصدود والهجران ، كما يبدأ البدوى بذكر الرحيل والانتقال ووصف الطلول

ولم يأت آخر عصر بنى أمية حتى صار الشاعر لا ينظم مديحاً أو فخراً الا صدره بأبيات فى الغزل قد تكون أكثر من أبيات المديح . ذكروا شاعراً اتى نصر بن سيار عامل بنى أمية على خراسان بأرجوزة فيها مائة بيت نسيباً وعشرة أبيات مديحاً ، فقال له نصر : « والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحي بنسيبك » (١) . ولم يكن الاستهلال بالغزل خاصاً بالشعر العربى ، فان فى شعر اليونان شيئاً من ذلك (٢)

على أن شعراء العرب كثيراً ما كانوا يشببون بالمرأة ليفضحوا ابنها أو زوجها (٣) . وقد يكون التشبيب بالبنت وسيلة لزواجهن كما فعل نصيب مولى عبد العزيز بن مروان ، وقد استسقى فتاة ماء فسقته لبناً وطلبت اليه أن يشبب بها ، فقال : « ما اسمك ؟ » قالت : « هند » قال : « وما اسم هذا الجبل ؟ » قالت : « قنا » (٤) فأنشأ يقول :

أحب قنأ من حبِّ هندٍ ولم أكن أبالى أقرباً زاده الله أم بعداً
ألا إن بالقيعان من بطن ذى قنأ لنا حاجةً مالت إليه بنا عمداً
أرونى قنأ أنظرَ إليه نائنى أحبُّ قنأ إنى رأيت به هنداً

(٢) جويدى فى المشرق ٤٢٧ سنة ١٠

(٤) قنا : جبل لبنى فزارة

(١) العمدة ٩٩ ج ٢

(٣) الاغانى ١٥٤ ج ١

وشاعت هذه الابيات وخطبت هذه الجارية من أجلها (١)

الخلفاء والتشبيب

وكان الامراء والكبراء يفضبون لنسائهم اذا شبيب بهن أحد لقلبة طبائع البدو عليهم ، وينقمون على المشبيب ويعيبونه حتى عدوا شعر ابن أبي ربيعة عصيانا لله (٢)

وقد يكبر على الخليفة أن يظهر غضبه على الشاعر اذا شبيب ببعض أهله فينتقم منه بالاهمال ، كذلك كان يفعل معاوية (٣) وهو أوسع الناس صدرا . واقتدى به عبد الملك بن مروان (٤) أما ابنه الوليد بن عبد الملك فلم يسع صدره ذلك الكظم ، فأخذ يتوعد الشعراء اذا شبيبوا . وبلغه أن وضاح اليمن شبيب بامراته فقتله فيما يقال (٥) وكذلك فعل عمر بن عبد العزيز فمنع ابن أبي ربيعة عن التشبيب . وكان العمال يقتدون بالخلفاء أو يعملون بأوامرهم في ذلك ، فان عامل المدينة نفى الاحوص الشاعر لانه شبيب ببعض نسائها (٦)

ولكن المرأة كان يسرها أن يشبيب بها شاعر مشهور وان كانت لا ترجو التزوج به ، ولكن يسرها ما في التشبيب من الاعجاب بجمالها (والغواني يغرن الثناء) سواء في ذلك الاميرة والحقيرة . ذكروا أن زوجة الوليد بن عبد الملك هي التي اقترحت على وضاح اليمن أن يشبيب بها . . واقترحت أم محمد بنت مروان بن الحكم أخت عبد الملك على عمر بن أبي ربيعة أن يشهرها بشعره ، وبعثت اليه ألف دينار . فأبى أن يؤجر على التشبيب ، فابتاع بالجائزة حللا وطيبا وأهداه اليها فردته . فقال فيها أبياتا مطلعها :

أيها الراكب المجيد ابتكارا قد قضى من تهامة الأوطارا (٧)

وبالجملة فان التشبيب على نحو ما هو عليه الآن نشأ في العصر الاموي

٣ - المهاجاة بين الشعراء : كان الجاهليون يتنافسون ويتفاخرون فيذكر أحدهم ما في قبيلته من الشجاعة والنجدة وما أوتوه من النصر أو الغلبة أو ما هم عليه من هذه الفضائل . ويندر فيهم من يتخطى ذلك الى الهجو . وأكثر من تخطاه منهم المخضرمون كما تقدم . وقد كثر الهجو واتسعت دائرته في العصر الاموي وأجاد الشعراء فيه . ول بعضهم مهاجاة ونقائص تدخل في كتاب ضخمة

الهجاء السياسي

وقد راج الهجاء في العصر الاموي لاحتياج ولاية الامو اليه بسبب الانقسام الذي قام بين الاحزاب المختلفة ، وهو الهجاء السياسي . وكان أكثر الشعراء

(٣) الاغاني ١٤٨ ج ١٣
(٦) الاغاني ٤٨ ج ٤

(٢) الاغاني ٣٦ ج ٦
(٥) الاغاني ٣٦ ج ٦

(١) الاغاني ١٤٨ ج ١٣
(٤) الاغاني ٢٦ ج ٦
(٧) الاغاني ٦٦ ج ١

يأخذون بناصر الامويين لانهم أهل السيادة ، وكان خلفاؤهم يبذلون الاموال للشعراء ليستعينوا بالسنتهم على أعدائهم ، لتأثير الهجاء في نفوس العرب لشدة احساسها ونخوة أهلها

وقد بدأت المهاجاة في الاسلام بين شعراء النبي وأعدائه القرشيين . تم صارت بين قريش واليمن . وكان لكل من الجانبين شعراء يردون عنهم الهجاء بأشد منه ، وقد تقدمت الإشارة الى ذلك . وكان المسلمون يحفظون ما يقوله هؤلاء من المهاجاة وينشدونه ، كل طائفة تنتصر لأصحابها . ولما بلغ ذلك عمر ابن الخطاب فنهى عنه ، وقال : « في ذلك شتم الجي بالميت وتجسديد للضعائن » (١)

فلما أفضى الامر الى معاوية ، اقتضت سياسته بمصلحته أن يجدد تلك الضغائن . . فجعل يغري الشعراء على الطعن في الانصار لانهم أصحاب على ابن أبي طالب خصمه . وكان يفعل ذلك تحت طي الخفاء . ومن الذين أغراهم على ذلك الطعن الاخطل (✱) الشاعر التغلبي المشهور . . فعظم ذلك على الانصار خصوصا لأنه نصراني ، واستعان به معاوية على المسلمين . فغضب متكلم الانصار وشاعرهم ، وهو يومئذ النعمان بن بشير ، ودخل على معاوية وأنشده قصيدة في الدفاع عن الانصار مطلعها :

معاوىَ إلا تَعْطِنَا الحقَّ تعترفُ لِحَيِّ الأزدِ مشدوداً عليها العمائم
أيشتمنا عَبدُ الأراقمِ خلة وماذا الذي تجرى عليك الأراقم
فما لى ثارٌ دون قطع لسانه فدونك من يرضيه منك الدراهم
ثم تخلص الى الفخر بأعمال الانصار وأنسابهم ، وختم القصيدة بالطعن على خلافة معاوية الى أن قال : (٢)

وإني لأغضى عن أمور كثيرة سترقى بها يوماً إليك السلالم
أصانع فيها عبد شمسٍ وإنتى لتلك التى فى النفس منى أكاثم
فما أنت والأمر الذى لست أهله ولكن ولى الحق والأمر هاشم

فلما سمع معاوية تهديده أظهر أن الاخطل فعل ذلك من عند نفسه ، وأمر أن يدفع اليه ليقطع لسانه . وأوشك أن يفعل ، لو لم يستجر الاخطل بيزيد ابن معاوية فأجاره وأرضى النعمان . وعرف الامويون هذا الفضل للأخطل ، فجعله عبد الملك بن مروان شاعر الدولة . وسنعود الى ذلك

وتحولت المهاجاة بين الانصار وقريش الى المشاتمة بين بنى هاشم وبنى أمية ، وانتشر ذلك فى أطراف المملكة الاسلامية . وكان سديف الشاعر

(١) الاغانى ٥ ج ٤
(✱) الصحيح أن الذى أغرى الاخطل بهجاء الانصار يزيد لا معاوية أبوه . أنظر ترجمة النعمان ابن بشير فى الاغانى وديوان الاخطل (طبعة بيروت)
(٢) الاغانى ١٢٦ ج ١٤

يخرج في جماعة من موالى بنى هاشم في مكة ، وشبيب يخرج في جماعة من موالى بنى أمية ، فيفتخرون ثم يتشائمون ثم يتجالدون بالسيوف ، وكان يقال لهم السديفية والشببية ، وكان أهل مكة منقسمين بينهما في العصبية

الهجاء الادبي

على أن التهاجى السياسى جر الى التهاجى بين الشعراء بقطع النظر عن الاحزاب السياسية من قبيل المفاخرة ، ويختلف سبب هذه المهاجاة باختلاف الاحوال . وقد يكون الغرض منها المقارعة لبيان المقدرة على الهجاء ، ثم يتنافر المتهاجيان الى من يحكم بينهما . . كما تهاجى جميل الشاعر المتيّم وجواس بن قطبة العذرى وتنافساً في ايهما أفضل أبا وحسباً (١)

وأشهر ضروب المهاجاة في العصر الاموى المهاجاة بن جرير والفرزدق ، وبين جرير والاخلطل (*) وغيره من الشعراء المعاصرين . والبادئ في ذلك كله هو جرير ، وكان لمهاجاته مع الفرزدق والاخلطل شهرة كبيرة حتى أصبح حديث القوم في مجالسهم وموضوع مناقشاتهم في أى الشعراء أفضل . وانقسم الناس في ذلك حزبين : نسب احدهما الى جرير فسمى جريريا ، والاخر الى الفرزدق فسمى فرزدقيا . وكثيرا ما احتدم الجدل بين الادباء في المجالس حتى آل الى الخصام . وسيأتى تفصيل ذلك في الكلام عن شعراء بنى أمية . وقد يكون الباعث على الهجاء تخويف المهجو ليسترضى الهاجى بالمال أو غيره ، كما تفعل بعض الصحف اليوم

واتصلت المهاجاة بين الشعراء الى العصر العباسى ، فاشتهرت مهاجاة يشار بن برد وحماد (٢) ، ومهاجاة أبى العتاهية ووالبة (٣) . على أن اشتغال الناس بالمناقشة في الشعراء وتفاضلهم طبيعى فى كل عصر، وليس هو خاصا بالعرب . . فقد كان اليونان أيضا يفعلون ذلك (٤)

٤ - نبوغ الموالى في الشعر : قد رأيت أنه لم يقل الشعر في الجاهلية من الموالى الا عبد بنى الحساس . وأما في الاسلام فانتظم في عداد الشعراء طائفة من الموالى وهم المسلمون غير العرب ، (٥) وفيهم الفرس والروم ومن دخل في حوزة العرب في أثناء الفتح ثم أسلموا . وأكثرهم من موالى بنى أسد وقريش . . وفيهم جماعة من نوابغ الشعراء . ولولا تقييد القوم بأساليب الجاهلية لادخلوا كثيرا من المعانى الشعرية نقلا عن لغاتهم الاصلية

٥ - الشعر السياسى أو المديح للاستجداء : قد علمت مما تقدم أن الشعراء الجاهليين نظموا المديح ، لكنهم قلما كانوا يستجدون بمدحهم . . وانما كانوا

(١) الاغانى ١١٢ ح ١٩

(*) انظر فى هذه المهاجاة وسابقتها وما تطورتا اليه من نقائص كتابنا « التطور والتجديد فى الشعر الاموى » الفصل الثالث

(٢) الاغانى ٧٤ - ٨٦ ج ١٣

(٣) الاغانى ١٥٠ ج ١٦

(٤) نكلسن ٢٠٤

(٥) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ٢٢ و ٩١ ج ٤ الطبعة الثالثة

يمدحون شكريا لصنيع . وأما في العصر الاموي ، فأصبح الغرض الاول من المدح التماس العطاء ، وقد جرهم الى ذلك استندرار الخلفاء للمدح بهذا الاموال للأسباب التي قدمناها

فأصبح الاستجداء عادة مألوفة ، ونبغت طائفة كبيرة من المداحين ، وكانوا يتدبذبون في مدحهم تبعا لما يرجونه من العطاء أو يخافونه من النقمة . ولذلك كان أكثر مديحهم في الامويين أصحاب السيادة وبيت المال . وربما مدح أحدهم بنى هاشم أو آل الزبير أو غيرهم من أعداء الامويين . ثم رغب عنهم الى هؤلاء التماسا لعطائهم أو خوفا من غضبهم لأن الامويين كانوا يغضبون على الشعراء اذا مدحوا سواهم ويتطرقون الى الانتقام منهم بكل وسيلة . فلا غرو اذا رأينا شعراء الشيعة ينظمون المدائح في الامويين .
رمن الشعراء من مدح بنى هاشم وبنى أمية أو ابن الزبير وبنى أمية

٦ - وصف الخمر : لم يتقن الشعراء وصف الخمر الا في العصر العباسي ، لكنهم بدأوا بذلك في العصر الاموي على اثر انغماس الامويين في القصف واللهو في أواخر الدولة ، وأول من وصفها من المسلمين الوليد بن يزيد الخليفة الخليفة السكير . وقد ذكر الخمر في الجاهلية عدى بن زيد والاعشى ، ثم ذكرها الاخطا ووصف الزجاجة بقوله :

وتظل تتحننا بها ترؤيئة إبريقها برقاعه مَلْثُومٌ
فإذا تعاورت الأكف زجاجها نَفَحَتْ فِشَمٌ رِياحُها المِزْكوم (١)
ثم أجاد في وصفها الوليد بن يزيد (٢) بقصيدة قال منها :

من قهوة زانها تقادمتها فهي عجوز تعلقو على الحقب
أشهى إلى الشرّب يوم جَلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلت ورق جوهرها حتى تبدت في منظر عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قَبَسٌ تذكو ضياء في عين مَرْتَقِب

وله في وصف الخمر اشعار اخذها الشعراء في اشعارهم سلخوا معانيها ولا سيما أبو نواس ، فانه سلخ معاني الوليد كلها وجعلها في شعره . (٢)
وأخذ أبو نواس أيضا من الحسين بن الضحاك ، (٣) وكان معاصرا له وأخذ من والبة وكان أستاذه

(١) الاغانى ٨٤ ج ٨
(٢) انظر في الوليد بن يزيد وخمرياته ، الفصل الرابع من كتابنا « التطور والتجديد في الشعر الاموي » وقد جمع جبريل ديوانه ونشره في المجمع العلمى العربى بدمشق
(٣) ١٧٠ ج ٦
(٢) الاغانى ١١٠ ج ٦

شعراء العصر الأموي

تكاثر الشعراء في العصر الأموي للأسباب التي قدمناها ، فزاد عددهم في أثنائه - وهي تسعون سنة - على شعراء الجاهلية الذين نبغوا في أثنائ القرنين وبعض القرن . فقد رأيت عدد الشعراء الجاهليين نحو ١٢٠ شاعرا على اختلاف القبائل والبطون ، وزاد عدد شعراء العصر الأموي على ذلك نعتى الذين اشتهروا بالشعر ووصلنا أخبارهم وهناك مئات غيرهم لم يبق من آثارهم إلا أبيات أو قصائد ذكرت في كتب الحماسة والجمهرات وغيرها من كتب الادب ، أو ضاعت أخبارهم كما ضاعت أخبار أكثر الجاهليين

١ - شعراء العصر الأموي بالنظر الى قبائلهم

إذا نظرنا الى شعراء العصر الأموي من حيث قبائلهم وأنسابهم ، رأينا أكثر شعراء العرب من قيس ، ثم قریش ، فاليمن ، فتميم ، فربيعة ، فمضر ، فلقنضاعة وهم يختلفون عن حال شعراء الجاهلية من هذه الناحية اختلافا كبيرا ، وإن اتفقوا معهم في أن الأكثرية من قيس فشعراء قریش كانوا في الجاهلية عشرة ، فصاروا في العصر الأموي ٢٣ ، وسبب ذلك بديهي لأن القرشيين ظهروا بعد الاسلام لقيام الاسلام بهم . وبعبارة ذلك شعراء فربيعة ، فقد كانوا في الجاهلية ٢٠ فصاروا في العصر الأموي ١١ ، والسبب طبيعي أيضا لأن فربيعة كان لها الشأن الأكبر في الجاهلية إذ قامت باستقلال الحجازيين من سلطان اليمن ، وكثرت حروبهم وأيامهم

وأعتبر ذلك في القحطانية أو شعراء اليمن ، فقد كانوا في الجاهلية ٢٢ فصاروا في العصر الأموي ١٦ لانتقال عز السيادة بعد الاسلام الى سواهم . وأما تميم فعدد شعرائها في العصرين واحد لأن حالها لم يختلف فيهما . أما اياد فلم ينبغ منهم في ذلك العصر شاعر لذهاب عصبيتهم قبل الاسلام . وكذلك اليهود لم ينبغ منهم في هذا العصر الأموي شاعر وكانوا في الجاهلية ٤ على أن طبقة من الشعراء كبيرة ظهرت في هذا العصر ، لم يكن منها في الجاهلية الا واحد نعتى الموالي أو العبيد ، فقد بلغ عدد الشعراء منهم ٢١ شاعرا . وهذا جدول (*) في المقابلة بين شعراء الجاهلية وشعراء بني أمية من حيث أنسابهم على وجه التقريب :

(*) هذا الجدول وما تضمنه من تعداد ونسب تقريبي

شعراؤها في الجاهلية	شعراؤها في العصر الاموي	اسم القبيلة
٢٧	٢٦	قيس
٢٠	١١	ربيعة
١٢	١٣	تميم
١٦	٩	مضر (غير قيس وقريش وتميم)
١٠	٢٣	قريش
٢٢	١٦	القحطانية (اليمن)
٤	٨	قضاة
٢	٠٠	أياد
٤	٠٠	اليهود
١	٢١	الموالي

٢ - شعراء العصر الاموي بالنظر الى أغراضهم

واذا اعتبرنا شعراء هذا العصر بالنظر الى أغراضهم ، رأيناها تختلف عن أغراض الشعراء الجاهليين اختلافا كبيرا . . فقد كانت الاكثرية في ذلك العصر للامراء والفرسان المحاربين ، وكان عددهم بضعة وأربعين شاعرا ، فصاروا في العصر الاموي قليلين لاشتغال الفرسان والكبراء بأعمال الدولة والذهاب بعض الاريحية البدوية من نفوسهم بالحضارة . وقد ظهرت آثار الحضارة في الشعر الاموي بكثرة العشاق وأهل الغزل ، وكانوا في الجاهلية ٦ فصاروا ٢١ ونشأت طائفة من الشعراء السكيرين وأهل الخلعة عددهم ٦ ، ولم يكن منهم في الجاهلية الا القليل

على أن الاكثرية في العصر الاموي لطبقة من الشعراء سميناهم « شعراء السياسة » ، لاشتغالهم بالدفاع عن الأحزاب التي قام النزاع بينها على السيادة في ذلك العصر ، وأكثرهم طبعا بجانب الامويين لانهم أقوى الأحزاب . ويليهم الخوارج ، والعلويين ، وغيرهم

ويقسم العصر الاموي بالنظر الى أغراض شعرائه الى ثلاثة أدوار :

الدور الأول : منذ بدء الدولة الاموية (سنة ٤٠هـ) الى ذهاب آل معاوية بخلافة مروان بن الحكم سنة ٦٤ هـ ، ومعظمه في زمن معاوية . ويجوز أن نسميه « دور معاوية » . وشعراء هذا الدور لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليدين ، وكانت الدولة الاموية في أيامهم لم ترسخ قدمها بعد . . فكان نحو نصفهم يخالفون سياسة معاوية وخلفائه ويطعنون فيه ، وبعضهم يجاهرون بعدوانه انتصارا للانتصار أو العلويين

الدور الثاني : من خلافة مروان بن الحكم (سنة ٦٤ هـ) الى خلافة يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) وخلفاء هذا الدور : مروان وابنه عبد الملك ، فالوليد ، فسليمان ، فعمربن عبدالعزيز . ولكن معظمه في زمن عبد الملك بن مروان ، بحيث يصح أن ينسب اليه . . فيقال « دور عبد

الملك « . وفي أيامه اختلفت الاحزاب ، وتعدد طلاب الخلافة ، ونشبت الحروب ، وراجت سوق الشعر لجمع الاحزاب أو تفريقها . وأكثر شعراء العصر الاموى نبغوا في هذا الدور وبلغ عددهم فيه نحو المائة ، وفيهم شعراء السياسة وشعراء الغزل والادب وغيرهم

الدور الثالث : من ولاية يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠١ هـ) الى انقضاء الدولة الاموية (سنة ١٣٢ هـ) . وفيه تضخمت الدولة وركن أهلها الى الترف والقصف . ومن خلفائها يزيد بن عبد الملك العاشق المقيم صاحب حباية وابنه الوليد بن يزيد الخليفة المفتون ، والناس على دين ملوكهم . وعدد الشعراء الذين نبغوا في هذا العصر نحو عدد شعراء الدور الاول ، وأكثرهم من عشراء السوء وأهل الرخاء والترف

٣ - الدور الاول من الشعر في العصر الاموى

من سنة ٤١ - ٦٤ هـ

هو اقرب سائر الادوار الى الجاهلية ، وقد نشأ شعراؤه في عصر الراشدين ، وتعودوا الصدق واستقلال الفكر والعدل . وكانوا لا يرون حقاً لمعاوية في الخلافة ، بل يعتقدون أنه أخذها بالدهاء ولا يتوقعون انتقالها الى أهله ، بل كانوا يرجون رجوعها بعده الى آل على أو غيرهم من أبناء الصحابة بالانتخاب ، ولذلك كانت لهم جراءة عليه . وأهم الاحزاب السياسية يومئذ الانصار والمهاجرون . والانصار هم أهل المدينة شيعية على ، والمهاجرون هم قریش من أهل مكة شيعية معاوية . فكان معاوية يقرب الشعراء الذين يطعنون في الانصار ، ويندر أن يجروا أحد منهم على ذلك احتراماً للامام على . فكان أكثر الشعراء في هذا الدور اما على الحياء خوفاً من معاوية أو ينصرون العلويين عليه ، وبعضهم كان يتزلف اليه بالمديح . أكثر شعراء هذا الدور من شعراء السياسة ، أما مع الامويين أو عليهم أو على الحياء . وأهم الذين كانوا مع الامويين ابن اربطة المحاربى كان سيد قومه ، وألحارث بن بدر من يربوع ، والمتوكل الليثى من كنانة ، والوليد بن عقبة من قریش والذين كانوا ضد الامويين ، أشهرهم النعمان بن بشير الانصارى ، وابن مفرغ من حمير ، وأبو الاسود الدؤلى واضع علم النحو . وممن كان على الحياء القتال الكلابى ، وسيأتى ذكرهم

ولا نعنى بقسمة العصر الاموى الى أدوار ، ان شعراء الدور الاول لم يدركوا الدور الثانى وان شعراء الثانى لم يدركوا الاول . . فان أكثرهم عاصروا الدولة الأموية في معظم سنيها وعرفوا معظم خلفائها . . ولكننا نعنى شعراء دور معين ، الذين نبغوا في هذا الدور ونظموا فيه

١ - النعمان بن بشير الانصارى

توفي سنة ٦٥ هـ

هو من الخزرج من أهل يثرب، لكنه ساير معاوية فكان معه في موقعة صفين . . ولم يكن مع معاوية في تلك الموقعة من الانصار سواه . وقد اجتذبه بدهائه وسخائه ، وكان يراعى جانبه . وكثيرا ما قبل توسطه للانصار عنده . وعاش النعمان المذكور الى خلافة مروان بن الحكم . وكان يتولى «حمص» ، فلما أفضت الخلافة الى مروان دعا لابن الزبير وخالف مروان بعد قتل الضحاك . . فلم يجبه أهل حمص الى ذلك ، فهرب منهم فتبعوه . وأدركوه وقتلوه . ومع مسيرته بنى أمية ، فانه كان شديد التعصب للانصار . ولذلك لما علم بقصيدة الاخطل في الطعن عليهم ، رد عليه كما تقدم . والنعمان ابن بشير من العريقين في الشعر خلفا عن سلف ، فان جده وأباه وعمه وأولاده وأحفاده كلهم شعراء (١)

ومن أحفاده شبيب بن زيد بن النعمان ، كان يرى فساد أمر بنى أمية على أيام الوليد بن يزيد ، فقال من قصيدة يعاتبهم :

يا أيها الراكب المزجي مطيته لقيت حيث توجهت الثنا حسنا
أبلغ أمية أعلاها وأسفلها قولا ينفر عن ثوائمها الوسنا
إن الخلافة أمر كان يعظمه خيار أولكم قدما وأولنا
فقد بقرتم بأيديكم بطونكم وقد وعظمت فما أحستتم الأذنا (*)
لما سفكتم بأيديكم دماءكم بغيا وغشيتتم أبوابكم درنا

وترى أخبار النعمان بن بشير في الاغانى ١١٩ ج ١٤ ، والعقد الفريد ١١٢ ج ٣ ، وفي سيرة ابن هشام ، وابن خلكان ، وابن الاثير ، وغيرها

٢ - ابن مفرغ الحميرى

توفي سنة ٦٩ هـ

هو يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وكان شاعرا غزلا محسنا . وكان قلبه مع على ، لكنه ساير الامويين لانه من حلفائهم . وكان مقربا من آل زياد بن أبيه . صحب عباد بن زياد والى سجستان ، فلم يحسن صحبته فهجاه سرا وكان يهزا بلحيته - وكانت كبيرة - فقال فيها :

(١) الاغانى ١٢٥ ج ١٤ .
(*) بقر : شقق ، يشير الى قتل الوليد بيد أبناء أعمامه ، والاذن هذا كناية عن الاستمتاع

ألا ليت اللّحى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمينا

فوشى به بعضهم الى عباد فجفاه وحبسه ، فهرب الى العراق وأخذ يطعن في آل زياد ويهجوهم لان أباهم زياد بن أبيه مجهول النسب ، وانما استلحقه معاوية بنسبه ليستفيد من دهائه كما هو مشهور في تاريخ الاسلام (١) فعلم عبيد الله بن زياد وهو أمير البصرة ، فقبض على ابن مفرغ واستأذن معاوية في قتله ، فنهاء عن ذلك لانه خليفة ، ولكنه اذن بتعذيبه فعذبه تعذيباً شديداً (٢)

ومن قول ابن مفرغ في زياد وابنه ، وفيه اشارة الى ضعف انسابهم :

ألا أبلغ معاوية بن صخر متغفلة عن الرجل اليماني
أتعضب ان يقال أبوك عفا وترضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد ان رحك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها ولدت زيادا وصخر من سميّة غير دان
وكان ابن مفرغ من شعراء الحماسة وله غزل لطيف

ونجد أشعاره وأخباره متفرقة في الاغانى ج ١٧ ، والشعر والشعراء ٢٠٩ ، وابن خلكان ٢٨٩ ، وسيرة ابن هشام ، وفي تاريخ ابن الاثير (*)

٣ - أبو الاسود الدؤلى توفى سنة ٦٩ هـ

اسمه ظالم بن سفيان ، وهو من الدئل بطن من كنانة ، معدود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين ، وهو واضع علم النحو . وكان من أكثر الناس تعلّقاً بعلى ، وعنه أخذ علم النحو كما تقدم . أما من حيث الشعر ، فقد كان من نصراء الشيعة لكنه لم يكن يجسر على هجو معاوية كما فعل أكثر أمثاله . وكان معاوية لا يعتمد أذاه ولكنه كان يضايقه ، ولم يرو له طعن في بنى أمية . وأكثر شعره في الحكم والادب . ومن حكمه والفخر قوله :

إذا كنت مظلوماً فلا تُلّفَ راضياً عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب
وقارب بذي جهلٍ وباعد بعالمٍ جلوبٍ عليك الحق من كل مجلب
فان حذر بوا فاقعس وإنهم تقاعسوا ليستمكنوا مما وراءك فاحذر
ولا تدع عني للجور واصبر على التي بها كنت أقضى للبعيد على أبى
فإني امرؤ أخشى إلهي وأتقى معارى وقد جرّبت ما لم تجرّب

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ١٨ ج ٤ (الطبعة الثالثة)

(٢) ابن خلكان ٢٩٢ ج ٢

(*) أنظر أيضا الاشتقاق ٣٠٩ والخزانة ج ٢ ص ٢١٠ والبيان والتبيين (أنظر الفهرس)

ومن قوله :

وأحب إذا أحبت حباً مقارباً فإنك لا تدري متى أنت نازعٌ
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مفارباً فإنك لا تدري متى أنت راجع
وكن معدناً للحلم واصفح عن الحنأ فإنك راءٍ ما عملتَ وسامع
وعاش أبو الاسود فقيراً ، وكان متهماً بالبخل . وكان يقيم بجوار البصرة .
وتجد ترجمته في الاغانى ١٠٥ ج ١١ ، وفي ابن خلكان ٢٤٠ ج ١ ، والشعر
والشعراء ٤٥٧ ، والمستطرف ١٣٩ ج ١ ، والعقد الفريد ٢٥٧ ج ٣ ،
والدميرى ٣١٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤ ، وفي المجلة الشرقية الألمانية
مقالة عن شعره وشعر على سنة ١٨٦٤ (*)

٢ - انصار معاوية

١ - مسكين الدارمي

توفي سنة ٩٠ هـ

هو ربيعة بن عامر من دارم بطن من تميم ، وكان شاعراً شريفاً من سادات
قومه ، وعمر الى أواخر الدور الثاني من العصر الاموى . لكننا وضعناه
هنا لغلبة شعره في معاوية على سواه . وله معناه شأن في تاريخ العطاء أيام
معاوية ، وكان معاوية لا يفرض العطاء (الرواتب) الا لليمن ليحازبوا معه
وينحرفوا عن على . فجاء مسكين وطلب من معاوية أن يفرض له العطاء
فأبى ، فقال أبياتا يذكره فيها بقرب النسب بين تميم ومضر وهى :

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساعٍ إلى الهَيْجَا بغير سلاح
وإن ابن عمِّ المرء فاعلمْ جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح
فلم يجبه معاوية يومئذ ، لكن سنحت له فرصة رأى فيها اليمنيين قد
أخذهم الفرور وزادت دالتهم على الدولة ، فعمد معاوية الى استرضاء
القيسيين ففرض الاربعة آلاف من قيس سوى من فرض لهم من تميم ،
وغيرهم من مضر . وصار يغزى اليمنيين فى البحر والقيسيين فى البر ،
وفرض طبعاً لمسكين ، وقربه حتى استعان بشعره فى مبايعة ابنه يزيد

وذلك ان معاوية كان يخاف اذا بايع لابنه بولاية العهد أن يفضب المسلمون
لان توارث الملك لم يكن معروفاً فى الاسلام . فأحب أن يجس نبض الراى

(*) انظر ترجمته أيضاً فى كتب طبقات الصحابة مثل الاستيعاب وأسد الغابة والاصابة
وابن سعد ، وكتب تراجم النحاة مثل طبقات الزبيدى وانباء الرواة وبغية الوعاة ، وكتب
الشيعة مثل روضات الجنات ص ٣٤١ وكتب التاريخ مثل الطبرى وابن الاثير وتاريخ ابن
عساكر وشذرات الذهب وطبقات القراء لابن الجزرى ج ١ ص ٣٤٥ ومعجم الشعراء ١٥١
والمعارف ١٩٢ وخزانة الادب ج ١ ص ١٣٦ والانساب للسمعاني وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٠
ومعجم الادباء لياقوت طبع القاهرة ج ١٢ الى غير ذلك من كتب الادب والتاريخ والتراجم

العام قبل اعلان فكره ، كما يفعل بعض دهاة السياسة في هذه الايام ، اذ يوعزون الى الصحف التي تدافع عن آرائهم أن تذكر عزمهم على العمل الفلاني ، وينظرون الى مايكون من وقعة عند الناس ، ويكون لهم مندوحة للرجوع عنه اذا توسموا فيه خطرا . فأوعز معاوية الى مسكين أن يقول أبياتا في معنى المبايعة ليزيد ، وينشدها اياه في مجلسه وهو حافل بالوجوه والاشراف . . ففعل وأنشأ قصيدة قال فيها :

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامرٍ ومروانُ أم ماذا يقول سعيدُ (*)
بنى خلفاء الله مهلا فإنما يَبْوئُها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر العربيّ خَلاه ربّته فإن أمير المؤمنين يزيد

ومعنى القصيدة انه يقترح عليه أن يولي يزيد العهد . فلما فرغ من انشاده ، قال له معاوية : « تنظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله » ولم يتكلم أحد من الحاضرين الا بالموافقة ، فأغدق عليه معاوية العطاء . ولما مات زياد بن أبيه ، رثاه مسكين بقوله :

رأيت زياده الإسلام ولّت جهازا حين ودّعنا زياد
وكان الفرزدق منحرفا عن زياد فعارضه فأجابه مسكين ثم تكافأ .
وترى أخبار مسكين في الاغانى ٦٨ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٤٧ ،
وخزانة الادب ٤٦٧ ج ١ (*)

سائر شعراء الدور الاول

أما سائر شعراء هذا الدور ، فنكتفى بالإشارة الى أماكن تراجعهم ليطالعها من شاء :

- ١ - ابن اربطاة . ترجمته في الاغانى ٧٩ ج ٢
 - ٢ - المتوكل اللينى (توفى سنة ٦٠) . ترجمته في الاغانى ٣٩ ج ١١
 - ٣ - الوليد بن عقبة (توفى سنة ٧٠) . ترجمته في الاغانى ١٧٥ ج ٤
 - ٤ - القتال الكلابى (توفى سنة ٦٤) . ترجمته في الاغانى ١٥٨ ج ٢
- والشعر والشعراء ٤٤٣

٤ - الدور الثانى من الشعر في العصر الاموى

من سنة ٦٤ هـ - ١٠١ هـ

في هذا الدور نبغ معظم شعراء بنى أمية وأبلغهم ، وعددهم يناهز مائة شاعر . وهم فئات قسمناها حسب أغراضهم ، وأول تلك الفئات شعراء السياسة ، وعددهم نحو ٤٠ شاعرا ، وأهمهم وأكثرهم عددا أنصار بنى

(*) ابن عامر ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص : من أشراف بنى أمية ومقدميهم
(**) أنظر معجم الادباء ج ١١ واللائى ١٨٦ وأمالى المرتضى (طبعة الحلبي) ج ١ ص ٤٧٠

أمية وهم نحو العشرين ، وثمانية من أنصار آل المهلب ، والباقون من أنصار سائر الأحزاب . على أن شعراء السياسة أكثر من ذلك ، اذ قلما نبغ شاعر لم يتعرض لأحد الأحزاب التي كانت شائعة يومئذ . . لكن جماعة منهم دخلوا في الطبقات الأخرى لتغلب بعض تلك الأغراض على خواطرهم . وأهم هذه الطبقات شعراء الغزل وعددهم بضعة وعشرون شاعرا ، والباقون من شعراء الأدب الذين لا يعرف لهم غرض خاص ، غير الشعراء السكيرين والمغنين

ويقدم النقاد ستة من شعراء العصر الأموي ، يعدونهم في مقدمة الشعراء الأمويين من سائر الطبقات . وهم : الأخطل ، وجريز ، والفرزدق ، والراعي ، وأبو النجم العجلي ، والاحوص (*) . . يسمونهم الفحول ، وأكثرهم من شعراء السياسة ، ويقدمون الثلاثة الأول على سائرهم ، فهم أشعر شعراء بنى أمية على الإطلاق . . نعتى جريزا ، والفرزدق ، والأخطل . واختلف الناس فيمن هو أشعرهم ، فالذين يقدمون جريزا يقولون أنه أكثرهم فنون شعر وأسهلهم ألفاظا وأقلهم تكلفا وأرقهم نسيبا . والذين يقدمون الأخطل يقولون أنه أكثرهم قصائد طوالا جيادا ، ليس فيها سقط ، ولا فحش ، وأكثرهم تهديبا لشعره . وقد تقدمهم الأخطل في الزمن ، ثم نبغ جريز والفرزدق ، فدخل الأخطل بينهما وهو شيخ طاعن في السن . وكان أبو عمرو بن العلاء يشبه جريزا بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة . ولم يجتمع أديبان من أدباء ذلك العصر إلا جرى بينهما البحث في أي الشعراء أشعر : جريز أو الفرزدق ، فيحتمل الجدل وينفض المجلس ، وأهله حزبان يعرفان بالفرزدقيين والجريريين

(*) أصاب المؤلف في الثلاثة الأولين ، أما من تلاهم فيتقدمهم عمر بن أبي ربيعة وذو الرمة والكميت والوليد بن يزيد ورؤبة ، وقد أوردنا لكل منهم دراسة تصور شعره وفنه في كتابنا « التطور والتجديد في الشعر الأموي »

فحول الشعراء

١ - الاخطل

توفي سنة ٩٥ هـ

يكنى ابا مالك واسمه غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب ، وهو نصراني مثل اكثر تلك القبيلة . والاخطل لقب غلب عليه لسبب اختلافوا فيه . وظهرت الشاعرية في الاخطل منذ حداثته ، وكان يقيم في الحيرة ، فدارت مهاجاة بينه وبين كعب بن جعيل شاعر تغلب قبله ، فغلبه الاخطل وافحمه فصار هو المقدم في شعرائها . وكان ينتخب شعره فينظم تسعين بيتا ويختار منها ثلاثين . وسئل حماد عن الاخطل ، فقال : « وما تسألونني عن رجل حبيب شعره الى النصرانية » وكان الاخطل يشرب الخمر ولا يجيد النظم الا اذا شرب . ولكنه لم ينظم شعرا تستحي العذراء من سماعه

وكان السبب في تقربه الى بنى أمية أن معاوية أراد أن يهجو الانصار (*) لأسباب تقدم بيانها ، فاقترح ابنه يزيد على كعب بن جعيل الميثاق اليه أن يهجوهم وكان مسلما قاي ، وقال : « أدلك على غلام منا نصراني لا يبالي أن يهجوهم كان لسانه لسان ثور ؟ » قال : « من هو ؟ » قال : « الاخطل » فدعاه معاوية وأمره بهجائهم ، فقال : « على أن تمنعني » قال : « نعم » فقال قصيدة جاء فيها من الهجو بالانصار قوله (***) :

وإذا نسبت ابنَ القرينة خلتَه كالجحش بين حمارة وحمار
لعن الإله من اليهود عصابةً بالجزع بين صليصلٍ وصرار
قوم إذا هدر العصور ، أيتهم حمراً عيونهمو من المسنطار
خلشوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بين النجار
إن الفوارس يعلمون ظهوركم أولاد كل مقبَّحٍ أكَّار
ذهبت تريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنصار

(*) لبس معاوية هو الذي أراد ذلك كما تقدم وانما هو ابنه يزيد

(**) الغريب في هذه الابيات : الجزع : منعطف الوادي ، صليصل : موضع بطريق المدينة ، صرار : بئر على ثلاثة أميال من المدينة ، المسطار : الخمر الصارعة لشاربها ، المساحي : جمع مسحات وهي الفأس . يقول انهم زراع لا رجال حرب وشجاعة ، الاكار : الحارث والزراع للارض

فبلغ ذلك النعمان بن بشير فرد عليه بقصيدة تقدم ذكرها في كلامنا عن
مميزات شعر العصر الأموي
ثم أفضت الخلافة الى عبد الملك بن مروان ، وكان ناقما على قبائل قيس
لأنهم نصروا أعداءه كما تقدم ، فعمد الى تقديم شعراء القبائل الاخرى ليكتسب
أحزابهم . وعلم أن الاخطل شاعر تغلب له يد في نصره الامويين على الانصار
فقربه وأكرمه . وكان عبد الملك بصيرا بالشعر يعجبه شعر الاخطل فيطرب
لما يقوله حتى سماه « شاعر بنى أمية » وبعث بمولى ينادى على رءوس
الملأ « هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا شاعر العرب » وكان الاخطل مغرما
بالخمر ، وحملته الدالة على عبد الملك أن يطلب منه أن يسقيه خمرا ، (١)
فغضب عليه وقال : « لولا حرمتك لفعلت بك وفعلت » فخرج حتى لقي
خمرا شرب عنده وعاد فجادت قريحته ، فدخل على عبد الملك ومدحه
بقصيدة مطلعها :

خف القطين فراحوا منك وابتكروا

وأزعجتهم نووى في صرّفها غير (*)

وقال له عبد الملك : « ألا تسلم فنفرض لك في الفىء ونعطيك عشرة
آلاف » فقال : « وكيف الخمر ؟ » قال : « وما تصنع بها وأن أولها لى
وان آخرها لسكر » فقال : « أما اذا قلت ذلك فان فيما بين هاتين لمنزلة
ما ملكك فيها الا كلعقة ماء من الفرات بالاصبع » فضحك وتركه على
نصرانيته وسهل عليه الدخول والخروج حتى كان يجيء وعليه جبة خز ،
وفي عنقه سلسلة ذهب فيها صليب تنفض لحيته خمرا ، حتى يدخل على
عبد الملك بغير اذن

وكان لشعره تأثير في نفس عبد الملك يقيمه ويقعده . ومن الادلة على ذلك
ان عبد الملك لما أنزل زفر بن الحارث الكلابى عن قرقيسيا ، استقدمه اليه
وأقعده على سريرته فعاتبه بعضهم على تقدير رجل كان في الامس من أعد
اعدائه وسيفه يقطر من دماء قومه فلم ينفع العتاب . . فبلغ ذلك الاخطل
وهو يشرب ، فمضى حتى دخل على عبد الملك وأنشد :

وكأسٍ مثل عَيْنِ الديك صرّفٍ تَنَسَّى الشارين لها العقولا
إذا شرب الفتى منها ثلاثا بغير الماء حاول أن يَطْـوْلا
مشى قرشيّةً (٢) لا شكّ فيها وأرخی من مآزره الفضولا

فقال له عبد الملك : « ما أخرج هذا منك يا أبا مالك الا خطة في رأسك »
قال : « أجل والله يا أمير المؤمنين حين تجلس عدو الله هذا معك على السرير
وهو القائل بالامس :

(١) الاغانى ١٧٥ ج ٧

(٢) خف القطين : ارتحل السكان ، نووى : نية ، صرف : تصرف وتحول ، غير : أحداث

(٢) مشى قرشيّة : مشية فيها خيلاء القرشيين

وقد يَنْبُتُ المَرْعى على دِمْنٍ اَثْرَى
وتَبْقَى حَزَازَاتُ النَفْسِ كَمَا هِيَ
فقبض عبد الملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير ، وقال :
« أَذْهَبَ اللَّهُ حَزَازَاتِ تِلْكَ الصَّدُورِ »
ومن قوله فى النسيب :

من الخَفِرَاتِ البِيضِ أَمَا وَشَاحِهَا
فَيَجْرَى وَأَمَا الْقَلْبُ (١) مِنْهَا فَلَا يَجْرَى
تَمُوتُ وَتَحْيَا بِالضَّجِيعِ وَتَلْتَوِي
بِمَطَرِ الدُّنْيَا مَثْبُتٌ بِالنَّصْرِ
ومن قوله فى المديح :

نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبْدَى النُّوَاجِذَ يَوْمًا عَارِمًا ذَكَرَ
الْخَائِضَ الْعَمْرَ وَالْمَيْمُونَ طَائِرَهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
ومن قوله فى الهجاء :

وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتَ عَيْبِدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتَ أَيُّهُمَا الْعَبِيدُ
لَيْمٍ الْعَالَمِينَ يَسُودُ تَيْمًا وَسَيِّدُهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا مَسُودًا
أما دخوله فى الهجاء بين جرير والفرزدق فسببه أنه كان مرة عند بشر بن
مروان أخى الخليفة وعنده جرير والفرزدق . وكان بشر يرى من السياسة
أن يغرى بين الشعراء ، فقال للأخطل : « احْكَمْ بَيْنَ الْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرٍ »
فقال : « أَعَفْنِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ » قال : « احْكَمْ بَيْنَهُمَا » فقال : « الْفَرَزْدَقُ
يَنْحِتُ مِنْ صَخْرٍ ، وَجَرِيرٌ يَغْرِفُ مِنْ بَحْرٍ » وبلغ ذلك جريرا فلم يعجبه ،
وهجاه بقوله :

يَا ذَا الْعِبَاوَةِ إِنْ بَشَرًا قَدْ قَضَى أَنْ لَا تَجُوزَ حُكُومَةُ النَّشْتِوانِ
فرد عليه الأخطل ثم رد عليه جرير مما يطول ذكره (٢) . وكان الأخطل
أشهب اللحية له ضفيران ، ومن أحسن شعره قوله فى وصف السكران :
صَرِيعٌ مَدَامَ يَرْفَعُ الشَّرْبُ رَأْسَهُ لِيَحْيَا وَقَدْ مَاتَ عِظَامٌ وَمَفْصَلٌ
نَهَادِيهِ أَحْيَانًا وَحِينَ نَجْرُهُ وَمَا كَادَ إِلَّا بِالْحَشَاشَةِ يَعْقِلُ
إِذَا رَفَعُوا صَدْرًا تَحَامِلُ صَدْرَهُ وَآخِرُ مَا نَالَ مِنْهَا مُخَبِّلٌ

(١) القليب : السوار

(٢) الأغانى ١٨٦ ج ٧

وهو من أصحاب الملحمة وله ملحمة مطلعها :

تغير الرسم من سلمى بأخمار وأقفرت من سليمان دمنة الدار
وتفنن الاخلال في النظم من حيث الوزن تفننا قلده فيه بعد أجيال ، وذلك
قوله : (※)

ولقد علمت إذا الرياح تناوحت هوج الرئال تكبهن شمالا
أنا نعجل بالعبيط لضيئنا قبل العيال ونضرب الأبطال
ولو قال :

ولقد علمت إذا الريا ح تناوحت هوج الرئال
لكان شعرا ، وإذا زدت فيه « تكبهن شمالا » كان أيضا شعرا من روى
آخر (※※)

والأخطل ديوان مطبوع في بيروت للمرة الأولى بعناية الاب صالحاني عن
نسخة بطرسبورج مع شروح سنة ١٨٩١ في ليف وخمسمائة صفحة .
وللأب المذكور طبعة فوتوغرافية عن نسخة وجدوها في بغداد . وللدكتور
غريفيثي طبعة بالحجر عن نسخة وجدت في اليمن . وعثروا في مكتبة بيازيد
بالأستانة على نسخة خطية من كتاب تقاض جرير والاخلال (١)

وله أخبار متفرقة في الأغاني ١٦٩ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ و ٢ ج ١٠ و ١٤٨
و ١٥٤ ج ١٣ والجمهرة ١٧٠ وفي الشعر والشعراء ٣٠١ والعقد الفريد ١٣٣
ج ٣ وخزانة الادب ٢٢٠ ج ١ ، وللمستشرق دي برسفال مقالة عنه وعن
جرير والفرزدق في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٩٤ ، وكتب عنه الاب
لامنس مقالة في المجلة الآسيوية المذكورة سنة ١٨٩٤ (※※※)

٢ - جرير

توفي سنة ١١١ هـ

هو جرير بن عطية بن الخطفي من كليب بن يربوع (تميم) نشأ في البادية
أيام معاوية ، وهو واسع الخيال قوى الشاعرية مع ميل إلى الهجاء . وكلان
يفد إلى الشام مع من يفد على الخلفاء للاستجداء بالمديح ، فعرفه أحدهم

(※) تناوح الرياح : تقابلها واضطرابها ، الرئال : أولاد النعام ، وتكب أولاد النعام شمالا
كناية عن أنها ريح باردة شديدة ، العبيط : الطرى من اللحم ، يقول انهم كرماء وشجعان
(※※) يشير إلى ما حدث عند الحريري وأضرابه في العصر العباسي ثم العصور التالية من
بناء الشعراء قصائدهم على وزن معين تستطيع منه أن تحذف من أبياتها كلمتين أو نحوهما ،
فتتحول القصيدة إلى وزن آخر وروى آخر . ولكن الاخلال لم يستعمل ذلك عامدا ، إنما جاء
علموا في البيتين المذكورين

(١) راجع وصفها في المشرق ٦٧ مجلد ٨
(※※※) انظر طبقات الشعراء لابن سلام والفصل الثالث من كتاب التطور والتجريد في
الشعر الاموي ، ومادة الاخلال في دائرة المعارف الاسلامية ، ونالينو في تاريخ الادب العربية

الى يزيد بن معاوية وهو أمير وجعل يختلف اليه وهو شاب ، فاستلطف
يزيد نظمه ، واتفق ان يزيد أراد أن يعاتب أباه بشعر فاقتبس ابیاتا من
قصيدة لجرير فرفعها الى أبيه عن لسانه ، وفيها قوله :

بأيّ سنانٍ تطعن القوم بعد ما نزعْتَ سِنَانًا من قَنَاتِكَ ماضيا

فاعتقد معاوية ان الابيات لابنه . فلما صارت الخلافة الى يزيد وفد
عليه جرير ، فاستؤذن له مع الشعراء فجاء الجواب : « ان أمير المؤمنين
يقول لا يصل إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره » فقال جرير :
« قولوا له أنا القائل (وذكر الأبيات) . » فأمر بادخله ، فلما أنشده
القصيدة قال يزيد : « لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلا اني قائلها »
وأمر له بجائزة

ولما صارت الخلافة الى عبد الملك بن مروان لم يتجرأ جرير على الوفود
عليه لعلمه بغضب عبد الملك على شعراء مضر لانهم كانوا يمدحون آل الزبير
أعداءه (وتميم من مضر) فاحتال حتى قدم على الحجاج وهو أمير العراق
على يد بعض عماله . فأعجب الحجاج ببلاغته وشاعريته ، فأحب أن يقدمه
الى الخليفة وعلم ان عبد الملك سينكر ذلك ، فأنفذ معه ابنه محمدا فاستقبله
عبد الملك بعد الجهد ثم أقبل يعاتبه قائلا : « ماذا عسى أن تقول فينا بعد
قولك في الحجاج عاملنا :

من سَدَّ مَطْلَخَ النِّفَاقِ عَلَيْكُمْ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ

ان الله لم ينصرنا بالحجاج وانما نصر دينه وخليفته » وظهر الغضب في
وجه عبد الملك . فتوسط محمد بن الحجاج في الرضا ، واستأذن جرير في
الأنشاد ، وأنشد القصيدة التي يقول منها :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بِطُونٍ رَاحِ

فتبسم عبد الملك وقال : « كذلك نحن وما زلنا كذلك » وأمر له بمائة
لقحة وثمانية من الرعاء (١) . وصار يفد على عبد الملك من ذلك الحين
ويأخذ الجوائز ، وكانت جائزته أربعة آلاف درهم وتوابعها من الحملان
والكسوة

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز وهو لا يرى للشعراء حقا في العطاء
وفد عليه بقصيدة عامرة فاعتذر له ولم يعطه . وتوفي جرير سنة ١١٠ بعد
الفرزدق ببضعة أشهر ، ودفن في اليمامة حيث قبر الأعشى (٢) وكان
يعن في لفظه فيخرج الكلام من أنفه أو كأن فيه نوتا

(١) الرعاء : الرعاة ، واللقحة : الناقة الحلوب

(٢) الاغانى ٤٦ ج ١٩

واشتهر جرير على الخصوص بمهاجاته الفرزدق وغيره من معاصريه ،
وكان الناس يخافون لسانه . والسبب في اشتهاره بالهجاء ان رجلا
اسمه غسان بن ذهيل من عشيرة سليط هجاه بأبيات منها :

لعمري لئن كانت بَجيلة زانها

جرير" (**) لقد أخزى كَلَيْباً جريرها

يريد أن جريرا أخزى كليباً وهو البطن الذي هو منه . . فأجابه جرير
بقصيدة وقعت على رأس الرجل وقوع السهام ، منها قوله :

ألا ليت شعري عن سَكَيْطٍ أَلَمْ تجد

سَكَيْطٌ "سوى غَسَّانَ جاراً يجيرها

فقد ضمَّنوا الأحسابَ صاحبَ سوَّاةٍ

يناجي بها نفساً خبيثاً ضميرها

فاستنصر غسان رجلا اسمه البعيث ، فنصره وهجا جريرا وقال فيه :

كليبٌ "لثامُ الناس قد تعلمونه وأنت إذا عُدَّتْ كَلَيْبٌ" لثيمُها

فأجابه جرير على الوزن والقافية . وبلغ ذلك الفرزدق وكان يحسد
جريرا فانتصر للبعيث ، فاحتدم الهجاء بينهما . . . وانقسم الأدباء في
الانتصار لهما إلى حزينين كما تقدم . وبلغ من احد المشغوفين بالفرزدق
انه عقد جائزة قيمتها ٤٠٠٠ درهم وفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير (١)
وقد جمعت مناقضاتهما في كتاب يعرف بنقائض جرير والفرزدق طبع في لندن
في جزأين سنة ١٩٠٥

وانتشبت المهاجاة بين جرير والاخلط لسبب ذكرناه في ترجمة الاخلط ،
وهاجاه أيضا عمر بن لجا التيمى وسراقة بن مرداس ثم المستنير بن سبرة
العنبري لانه اعان عليه ابن لجا . ثم هاجى راعى الابل وهو من الفحول، لانه
فضل الفرزدق عليه وله في هجائه حديث طويل ، والراعى من بنى تميم فهجا
جريرا بأبيات منها :

رأيت الجَحْشَ جَحْشَ بنى كَلَيْبٍ

تَيَمَّمْ حَوْضَ دِرْجَلَةٍ ثم هابا

(*) انظر في هذه المهاجاة ومهاجاة جرير مع الاخلط كتاب التطور والتجديد في الشعر
الاموي ومقدمة Bevan لنقائض جرير والفرزدق
(**) جرير هنا : هو جرير بن عبد الله اليجلي أحد أجلاء الصحابة وأشرف الكوفة
(١) الاغانى ٦٧ ج ٧

فذهب جرير اليه ليستكفه أو يعاتبه فلقيه في المريد - نادى الادباء والشعراء بالبصرة - على بغلة ، وبجائبه ابنه جندل على مهر . فاقرب منه جرير وحياه وقال : « يا أبا جندل ان قولك يستمع وانك تفضل الفرزدق على تفضيلا قبيحا ، وأنا أمدح قومك وهو يهجوهم ، وهو ابن عمي . ويكفيك من ذلك اذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم ولا تحمل مني ولا منه لائمة » . فلم يجبه الراعي ، ولكنه لحق ابنه ورفع الابن عصاه فضرب عجز بغلته وخاطب أباه قائلا : « لا أراك واقفا على هذا الكلب من بنى كليب كأنك تخشى منه شرا أو ترجو خيرا »

فرفست البغلة جريرا ، فوقعت قلنسوته عن رأسه . فانصرف مغضبا حتى اذا ضلى العشاء بمنزله في عليه (غرفة) له قال : « ارفعوا الى باطية من نبيذ وأسرجوا لي » فأسرجوا له وأتوه بباطية من نبيذ وجعل يشرب ويستحث قريحته وينظم حتى كان السحر ، وقد نظم ٨٠ بيتا ختمها بقوله :

فَعُضُّ الطَّرْفِ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَعْتَ وَلَا كَلَابًا

ثم جاء المريد وأنشد هذه القصيدة في مجلس الادباء وفيهم الفرزدق والراعي ، فكان لها وقع شديد ولا سيما البيت الاخير

وقد لا يفقه القارئ قوة الهجاء اذا لم يعلم أن كعبا وكلابا ونميرا ثلاثة أبطن من عامر بن صعصعة من قيس . . فجرير فضل كعبا وكلابا على نمير مع أنهما أخواه . ولم يسمع ذلك البيت أحد من العرب يومئذ الا قال : « لا يفلح النميرى بعد ذلك أبدا » ومن هذه القصيدة أبيات من أبلغ ما يكون ، كقوله :

إِذَا غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابًا

وهو أحسن بيت في الفخر ، وبسببه بدأت المهاجاة بين جرير والعباس ابن يزيد الكندي ، وقد ساءه تفاخر جرير بتميم فعارضة بقوله :

أَلَا رَغِمَتْ أَنْوَفُ بَنِي تَمِيمٍ قَسَاةَ التَّمْرِ إِنْ كَانُوا غَضَابًا

لَقَدْ غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ بَغْضَبِهَا ذُبَابًا

لَوْ أَطْلَعَ الْغُرَابُ عَلَى تَمِيمٍ وَمَا فِيهَا مِنَ السُّوءَاتِ شَابًا

فاغتتم جرير سقطة من العباس وهجاه بأبيات على نفس الوزن والقافية أولها :

إِذَا جَهِلَ الشَّقِيُّ وَلَمْ يَقْدِرْ لِبَعْضِ الْأَمْرِ أَوْشَكَ أَنْ يَصَابًا

وممن هاجاهم جرير أيضا جفنة الهزاني ، والمرار بن منقذ ، وحكيم بن معية ، والاشهب بن رميلة ، وغيرهم . وربما تهاجى الرجلان قبل أن يتعارفا كما يتناقش الصحافيان أو الكاتبان اليوم وبينهما ألوف من الاميال

وتجد أخبار هذه المهاجاة في الأغاني ج ٧ ، وفي كتاب نقائض جرير
والفرزدق ، وفي الشعر والشعراء
وأحسن أقوال جرير في النسيب قوله :

إن العيون التي في طرفها حَوَرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَا يُحْيِين قَتْلَانَا
ومن أحسن شعره قوله يرثى ابنه :

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلت لهم كيف العزاء وقد فارقت أشبالي
فارقتنى حين كفَّ الدهرُ من بصرى وحين صرتُ كعظم الرَّمَّةِ البالي
ومن قوله يرثى امرأته :

لولا الحياءُ لعادنى استعمارٌ ولزرتُ قبركُ والحبيبُ يزَارُ
ولكَّهتِ قلبى إذ عكَّتنى كَبْرَةٌ وذوو التَّمائمِ من بنيكِ صغار
لا يلبث الأحياءُ أن يتفرَّقوا ليلٌ يَكْثُرُ عليهم ونهار
صلَّى الملائكة الذين تَخَيَّرُوا والطيبون عليك والأبرار
وهو من أصحاب الملحمة ومطلع ملحمة :

حَيَّ الغداة بزامة الأطلالا رَسْمًا تقادم عهدُه فأحالا
وقد ذكرنا أمثلة من هجائه ، ومنها أيضا قوله فى هجاء تميم :

مِنْ الأصْلابِ ينزل لثومٌ تَيْمٍ وفى الأرحامِ يُخْلَقُ والمَشِيمِ
وكان جرير على الاجمال من الشعراء طلاب العطاء من الخلفاء والامراء ،
وكان يقيم هو والفرزدق بجوار البصرة . ونظرا لاشتغال الناس بهما
أهمل ذكر من عاصروهما من الشعراء
ولجرير ديوان منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وقد طبع فى
القاهرة سنة ١٨٩٥ وفى غيرها . وترى أخباره فى الأغاني ٣٨ و ١٧٢ ج
٧ و ٢ ج ١٠ و ٤٦ ج ٩ ، والجمهرة ١٦٨ ، والشعر والشعراء ٢٨٣ ،
وخزانة الادب ٣٩٧ ج ٣ ، وابن خلكان ١٠٢ ج ١ ، والمستطرف ٥٣ ج ١ ،
والعقد الفريد ١١٤ ج ١ (*)

٣ - الفرزدق

توفى سنة ١١٠ هـ

هو من دارم من تميم واسمه همام بن غالب بن صعصعة ، وكان جده
صعصعة وجيها يعرف بمحبي الموءودات ، وأبوه غالب كان رئيسا فى قومه

(*) وانظر نقائض جرير والاخلطل نشر الابن صالحانى ونقائض جرير والفرزدق بشرح
أبى عبدة نشر بيفان ، وطبقات الشعراء لابن سلام ، والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ،
وتاريخ الادب العربية لئاليتو ، ومادة جرير فى دائرة المعارف الاسلامية .

وله مناقب مشهورة • ولد الفرزدق في البصرة وأقام في باديتها مع أبيه ،
وظهرت فيه ملكة الشعر وهو غلام •• فجاء به أبوه الى علي بن أبي طالب
بعد وقعة الجمل ، وأخبره أنه شاعر فقال : « علمه القرآن » كما تقدم •
فلم ينظم شعرا حتى حفظ القرآن ، ولم يكده ينبغي حتى قامت المهاجرة بينه
وبين جرير • ولا شك أنها نفعتهما لان الانتقاد يشحذ القريحة ، والضغط
والمقاومة يظهران القوى الكامنة • وانما نأتى بمثال من ذلك •• نظم الفرزدق
قصيدة وهو في المدينة قال فيها (*) :

هما دلياني من ثمانين قامة

كما انقضَّ بازٍ أقتم الرّيش كاسرّه
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا

أحيّ فيرجى أم قتيّل نحاذره
فقلت ارفعا الأمراس لا يشعروا بنا

وأفلت في أعجاز ليلٍ أبادره
أحاذر بوايين قد وكّلا بنا

وأسودّ من ساجٍ تصر مسامره
فلما بلغت هذه الابيات جريرا نظم من جملة قصيدة طويلة :

لقد ولدت أمّ الفرزدق فاجرا فجاءت بوزّ وازٍ قصير القوادم
يوصّل حبليه إذا جنّ ليله ليرقى إلى جاراته بالسّلام
تدليّت تزني من ثمانين قامة وقصّرت عن باع العثا والمكارم
هو الرّجس يا أهل المدينة فاحذروا متداخلاً رجس بالخبيثات عالم
لقد كان إخراج الفرزدق عنكم طهوراً لما بين المصلّى وواقم
فلما وقف الفرزدق على هذه القصيدة جاوبه بقصيدة طويلة يقول في
جملتها :

وإن حراماً أن أسبّ مقاعيسا بآبائي الشّم الكرام الخضارم
ولكن نصفاً لو سببت وسبّني بنو عبد شمس من مناف وهاشم

(*) الغريب في هذه الابيات والاخرى التي تليها ، أقتم : أسود ، كاسره ، يريد كاسر
الجناحين للسقوط على الأرض ، الأمراس : الأسباب والجمال ، أسود من ساج : يريد بابا من
خشب الساج ، تصر : تصوت وتصيح ، الوزواز : القصير خفيف الحلم والجسم ، المصلّى
واقم : موضعان بالمدينة ، الخضارم : جمع خضرم وهو البحر ، والجواد : المعطاء ، مقاعيس ،
عشرة من تميم ، النصف : العدل ، أعند : أخالف وأخطيء ، وكليب : قبيلة جرير ،
ودارم : قبيلة الفرزدق

أولئك آبائي فجئني بشلهم وأعند أن أهجو كليباً بدارم

وغضب أهل المدينة لذلك وشكوه إلى مروان بن الحكم - وهو يومئذ والي المدينة - وطلبوا إليه أن يحده ، فأمر بنفيه فغضب الفرزدق وهدده بالهجاء فخاف مروان واسترضاه بالجائزة

وكان الفرزدق يتشيع لعلي وأهله (**) . والتقى في أواخر أيامه بهشام ابن عبد الملك في الحج ، ورأى هشام هناك علي بن الحسين في غمار الناس فقال : « من هذا الشاب الذي تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراعى فيها عذارى الحى وجوهها ؟ » فقالوا : « هذا علي بن الحسين » فنظم الفرزدق قصيدة في مدح علي المذكور مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأت البيت يعرفه والحل والحرم

وبلغ هشاماً خبر القصيدة وهو بين مكة والمدينة ، فغضب وحبسه هناك فقال :

أتحسبني بين المدينة والتي إليها قنوب الناس يهوى مئيبها

يقلّب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء باد عيوبها

فلما بلغ ذلك هشاماً أمر باطلاقه

ولم يكن الفرزدق من مداح بني أمية (**) لأنه كان يتشيع لعلي كما رأيت وقد هجا بعضهم ، ولكنه مدح بعض عمالهم وخصوصاً آل المهلب والحجاج خوفاً منهم

ويعتقد علماء اللغة أن شعر الفرزدق فيه كثير من أساليب العرب وألفاظهم حتى قالوا : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . وكان له على الحجاج دالة . وكان من أقرب شعراء ذلك العصر إلى الثبات في الرأي ، فقد طلب يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلب من الشعراء هجاء يزيد المذكور فأبى الفرزدق وقال : « امتدحت بني المهلب بمدائح ما امتدحت بمثلها أحد ، وإنما يقبح بمثلي أن يكذب نفسه على كبر السن فليعفى أمير المؤمنين » فأعفاه (١)

ومن أقوال الفرزدق التي تجزى مجزى الامثال قوله :

(*) الصحيح أن الفرزدق لم يكن متشيعاً لعلي وآله ، أما القصيدة التي ساقها المؤلف والتي يقال أنه مدح بها علي بن الحسين زين العابدين فليست له . أنظر في ذلك ترجمة الحزين الكنانى في الجزء الرابع عشر من الأغاني
(**) الحق أن الفرزدق كان من مداحهم ، ولكن منذ سليمان بن عبد الملك ، أما من قبله من الخلفاء فلم يعصدهم بمدح . وفي ذلك يقول من قصيدة لسليمان :
وما كنت عن نفسى لارحل طائفاً إلى الشام حتى كنت أنت المؤمرا
وانظر كتابنا « التطور والتجديد في الشعر الأموى » ص ١٢٠
(١) الأغاني ٤٣ ج ٤

فيا عجباً حتى كليب^(١) تسبني كان أباهما نهشل^(٢) ومجاشع^(٣)

وكنا إذا الجبار صَعَّرَ خدَّه ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوماً أحال على الدم

أحلامنا تزن الجبال رزاة وتخالنا جنًا إذا ما نهسل

فإن تنج منى تنج من ذى عزيمة وإلا فاني لا إخالك ناجيا

ترى الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وهو من أصحاب الملحمات ، ومطلع ملحمة :

عزفت بأعشاش^(*) وما كدت نعزف

وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

وللفرزدق ديوان مطبوع في جملة الدواوين الخمسة (النابغة ، وعروة ، وحاتم ، وعلقمة ، والفرزدق) بمصر سنة ١٢٩٣ و طبع على حدة في باريس سنة ١٨٧٠ وما بعدها مع ترجمة فرنسية للمسيو بوشر عن نسخة خطية صورت من مكتبة أياصوفيا في الأستانة . وطبعت تتمتها في مونيخ سنة ١٩٠١ ، وفي دار الكتب المصرية نسخة خطية املاء محمد بن حبيب مشروحة . ومنه نسخ خطية أيضا في أكسفورد وليدن وغوطة وبرلين ولندن . وله طبعات أخرى

وترى أخباره في الأغاني ٢ ج ١٩ و ١٨٦ ج ٨ و ٦٥ ج ١ و ٦ ج ٩ و ١٧ ج ٧ و ٤٦ ج ٩ ، وفي الشعر والشعراء ٤٨ و ٢٨٩ و ٣٠٦ و ٣١٤ ، وابن خلكان ١٩٦ ج ٢ و ١٠٣ و ١٨٥ ج ١ ، والمسستطرف ٥٣ ج ١ و ١٤٢ ج ٢ ، والعقد الفريد ١٤٦ ج ١ ، والجمهرة ١٦٣ وخزانة الأدب ١٠٥ ج ١ والدميري ٩ ج ١ (***)

(١) نهشل ومجاشع من آباء الفرزدق ، وكليب : عشرة جرير

(*) عزفت : انصرفت نفسك ، وأعشاش : موضع

(**) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ومعجم الأدباء لياقوت ، ونالينو في تاريخ الاداب العربية والتطور والتجديد في الشعر الاموى ، ودائرة المعارف الاسلامية

٤ - الراعى توفى سنة ٩٠ هـ

هو عبيد بن حصين النميرى من قبيلة نمير التى هجأها جرير فى بيته المشهور ، وقد تقدم سبب نظمه . وسمى الراعى لكثرة وصفه الابل وجوده نعتة اياها . وهو شاعر فحل ، وكان مقدما مفضلا على سائر الشعراء حتى اعترض بين جرير والفرزدق . فاستكفه جرير ، فأبى أن يكف ، فهجاه بالقصيدة المتقدم ذكرها ففضحه . ولذلك كان الراعى يقضى للفرزدق على جرير ، وهو السبب فى هجاء جرير له . ومما سبق اليه من المعانى وقد أخذت عنه : (*)

كأنَّ العيونَ المُرْسِلاتِ عَسِيَّةٌ شَائِبٌ دمعٌ لم تجدَ متردِّداً
مَزَايدَ خَرَقَاءِ اليدينِ مسيِّفةٍ أخبٌ بهنِ المخلفانِ وأحْقفاً
ومن شعره فى النساء قوله :

تحدِّثهن المضممراتُ وفوقنا ظلالَ خدورٍ والمطىَّ جوانح
يناجيننا بالطَّرفِ دونَ حديثنا ويقضين حاجاتٍ وهنَّ موازح
وقوله :

طاف الخيال بأصحابى فقلت لهم أُمُّ شَذْرَةَ زارتنا أم الغولُ
لا مرحباً بابنة الأقيان إذ طرقتْ كأن محجرتها بالقار مكحول
سودٌ معاصمتها جَعَدٌ معاقصتها قد مَسَّها من عقيد القار تفصيل
وهو معدود من أصحاب الملحمات ، ومطلع ملحمة :

ما بال دُفْكٍ بالفراش مديلاً (**) أَقْدَى بعينك أم أردتَ رحيلاً
وتجد أخباره فى الاغانى ١٦٨ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ، وخزانة
الادب ٥٠٤ ج ١ ، والجمهرة ١٧٢ (***)

(*) الغريب فى هذه الابيات التى تليها من شعر الراعى : شَائِبٌ : جمع شؤبوب. وهو الدفعة من المطر والدمع ، مزايِدٌ : جمع مزادة ، وهى قربة الماء ، وخرقَاءِ اليدين : لانتحن ماتصنع ، مسيِّفةٌ : من أسافت اذا خرزت فانخرمت خرزتان ، والمخلف : من يحمل الماء الى القوم والبعير ، والحفد والاحفاد : ضربان من السير السريع ، المضمرات : الخفيات المحجبات المعاقص : الضفائر ، وعقد القار : ما انعقد منه

(**) دُفْكٌ : جنبك ، مديلاً : قلنا

(***) وانظر الاشتقاق ١٧٩ والمؤتلف ١٢٢ والنقائض فى مواضع متفرقة ، والحماسة لابی تمام ، وطبقات الشعراء لابن سلام والموشح للبرزبانى .

٥ - أبو النجم الراجز

توفى سنة ١٣٠ هـ

هو الفضل بن قدامة من بنى عجل من بكر وائل ، من رجاز الاسلام الفحول
المقدمين ، وفي الطبقة الاولى منهم . وكان أبلغ من العجاج في النعت ، ولم
يكن الشعراء يعتدون بالرجاز حتى نبغ العجاج ورؤية وأبو النجم هذا .
وقد عاصر العجاج وجرت بينهما مراجعة . وذلك أن العجاج خرج محتفلاً
عليه جبة خز وعمامة خز على ناقة له قد أجاد رحلها حتى وقف بالمربد
والناس مجتمعون فأنشدهم قوله : « قد جبر الدين الاله فجبر » وذكر
فيها ربعة وهجأهم ، فجاء رجل من بكر بن وائل الى أبي النجم وهو
في بيته ، فقال له : « أنت جالس وهذا العجاج يهجوننا بالمربد وقد اجتمع
عليه الناس » قال : « صف لي حاله وزيه الذي هو فيه » فوصفه له فقال :
« أبغنى جملاً طحاناً قد أكثر عليه من الهناء (*) » فجاء بالجمال اليه فأخذ
سراويل له فجعل احدى رجليه فيها واتزر بالآخرى ، وركب الجمال ودفع
خطامه الى من يقوده فانطلق حتى أتى المربد . فلما دنا من العجاج قال :
« اخلع خطامه » فخلعه فأنشد : « تذكر القلب وجهلاً ما ذكر »

فجعل الجمال يدنو من الناقة يتشممها ويتباعد عنه العجاج لئلا يفسد
ثيابه ورحله بالقطران حتى اذا بلغ الى قوله : « شيطانه أنثى وشيطاني ذكر »
تعلق الناس بهذا البيت وهرب العجاج

وكان أبو النجم يحضر مجلس عبد الملك فيأمره بالمفاخرة مع الفرزدق أو
غيره من الشعراء المعاصرين . وكذلك كان يفعل هشام بن عبد الملك ، وسأل
الشعراء مرة أن يصفوا ابلاً ترد وتصدر ، فقال أبو النجم أرجوزته التي
مطلعها : « الحمد لله الوهوب المجزل » وهي من أفخر نظمته حتى أتى الى
شطر يصف به الشمس ، فقال : « فهي في الافق كعين . . . » وأراد أن
يقول : « الاحول » فتذكر أن هشاماً أحول . فلم يتم البيت وأتم الأرجوزة ،
فغضب عليه هشام وأمر بوجأ عنقه ونفيه . فتوسط له وجوه القوم فعفا
عنه ، ولكنه عاش مردولاً يأكل فضلات الناس حتى اذا أصاب هشاماً أرق ،
طلب اعرابياً يحدثه واشترط أن يكون أهوج ويروى الشعر . فخرج
الخادم فلقى أبا النجم في المسجد بلباس رث ، فأخذه الى هشام فلما عرفه
سأله عن حاله فقال : « انى أتغذى عند هذا وأتعشى عند هذا » فقال :
« وما عندك من الولد ؟ » قال : « ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين » فسأله
عما أوصاهما عند الزفاف فقال : « قلت للاولى واسمها برة :

أوصيت من برة قلباً حُرّاً بالكلب خيراً والحماة شرّاً
لا تسأمنى ضرباً لها وجرّاً حتى ترى حُلُوَ الحياة مرّاً
وإن كستك ذهباً ودرّاً والحي عُمِّيهم بشر طراً »

(*) الهناء : قطران تطلّى به الابل

فضحك هشام وقال : « فما قلت للآخرى ؟ » قال : « قلت :

سُبِّىَّ الحِمْيَاةَ وابْتَهَتْنِي عَلَيْهَا وَإِنْ دَنْتُ فَازْدَلْفَنِي إِلَيْهَا
وأَوْجَعَنِي بِالْفَهْرِ (١) رَكْبَتَيْهَا وَمَرْفَقَيْهَا وَاضْرِبْنِي جَنْبَيْهَا
وظَاهِرَةَ النِّشْذَرِ لَهَا عَلَيْهَا لَا تَخْبِرْنِي الدَّهْرَ بِهِ ابْتِثَاهَا »
فضحك هشام وأجازه . وكان قوى البديهة ، ومن شعره أرجوزة وصف
بها فهود عبد الملك ، ومنها :

فَهِيَ ضَوَارٍ مِنْ مُضَرِّيَّاتٍ تَرِيكَ آمَاقًا مَخْطُوطَاتٍ
سَوَادًا عَلَى الْأَشْدَاقِ سَائِلَاتٍ تَلْوِي بِأَذْنَابٍ مَوْقِفَاتٍ

وترى أمثلة من الرجز في كتاب أراجيز العرب طبع في مصر سنة ١٣١٢هـ ،
وديوان العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وطبع في فينا سنة
١٨٩٦ ، وديوان رؤبة بن العجاج منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية
وسنعود إليه

وأخبار أبي النجم في الاغانى ٧٧ جزء ٩ ، والشعر والشعراء ٣٨١ ،
وخزانة الادب ٤٩ جزء ١ (*)

٦ - الاحوص

وهو من الفحول ، لكننا نظرا لغلبة التشبيب عليه سنترجمه مع المشيبين

(١) الفهر : الحجر

(*) وانظر طبقات الشعراء لأبي سلام والموشح للمرزباني ، والطرائف الادبية للراجكوتى ،
وشرح شواهد المفتى للسيوطى ص ١٨٥ ، وكتاب الحيوان للجاحظ (الفهرس) وشرح التبريزى
على الحماسة (الفهرس)

شعراء السياسة

في الدور الثاني من العصر الاموي

كان الشعراء في صدر الدولة الاموية لا يزالون على أنفة البداوة والبعد عن الزلفى كما رأيت ، فلما صارت الدولة الى آل مروان وقام بها عبد الملك (سنة ٦٥ هـ) وغلب على سائر الاحزاب وكان هو أديبا ، كثر الشعراء في أيامه وتقربوا اليه بمدحه والطنع على أعدائه من آل الزبير أو الخوارج أو العلويين أو غيرهم . وظل بعضهم على ولاء هؤلاء وكانوا من أنصارهم . . على أن أكثر شعراء السياسة من أنصار بني أمية ، وقد تقدم ذكر بعضهم مع الفحول . وأشهر من بقى منهم بضعة عشر شاعرا أكثرهم ممن انتصر للامويين على ابن الزبير لانه كان بخيلا على الشعراء وهم يطلبون الجوائز . واليك تراجهم ، وقد جمعنا أنصار كل دولة أو حزب على حدة :

١ - أنصار بني أمية

١ - أبو العباس الاعشى

اسمه السائب بن فروخ مولى بني الدئل ، فهو عربي بالولاء وليس بالنسب ، وأصله من أذربيجان فهو من جملة الشعراء الموالي الذين تكاثروا في الاسلام بمن أسلم من غير العرب . وهو من شعراء بني أمية المحدثين المقدمين في مدحهم والتشجيع لهم وانصباغ الهوى اليهم . وكان يقيم في مكة ، وله أشعار كثيرة في مدح بني أمية وهجاء ابن الزبير . ومن قوله يحرضهم على حربه :

أبني أمية لا أرى لكم شبيها إذا ما التفَّت الشَّيْعُ
سعةً وأحلاما إذا نزعَتْ أهلُ الحلوم فضريها النَّزْعُ (*)
أبني أمية غير أنكم والناس فيما أطمعوا طمعوا
أطمعتم فيكم عدوكم فسيما بهم في ذاكم الطمع

(*) النزاع : التخاصم

فلو انكم كنتم كقومكمو مثل الذي كانوا لكم رجعوا
عما كرهتم أو لردتهم حذر العسوبة ، انها تززع

وكان بنو أمية يحسنون جزاءه ، فيرسلون اليه عطاءه من الشام الى مكة وكانت قريش كلها تبره للسانه وتقربا الى بنى أمية ولما قتل مصعب بن الزبير سنة ٧١ هـ ، رثاه بأبيات لانه كان صديقه فغضب عبد الملك لذلك . فلما جاء مكة حاجا في بعض السنين ، دخل عليه الاعيان على مراتبهم وقام أشعراء والخطباء فتكلموا . ودخل أبو العباس الأعمى فسأله عبد الملك عن مدحه مصعبا فاستغفاه وقال : « انما رثيته لانه كان صديقي وقد علمت ان هواي أموى » قال : « صدقت ولكن انشدنى قولك فيه » فأشده :

رحم الله مصعباً فلقد ما ت كريماً ورام أمراً جسيماً

فقال عبد الملك : « اجل لقد مات كريماً :

ولكنه رام التى لا يرومها من الناس إلا كل حُرٍّ معتمٍ »

وكان ابن الزبير لما غلب على الحجاز جعل يتبع شيعة بنى أمية فينفهم عن المدينة ومكة ، فبلغه ان أبا العباس الأعمى يكاتب الامويين ويتجسس لهم ويمدحهم فدعا به ثم كلموه بشأنه وانه ضرير فعفا عنه ، ونفاه الى الطائف ، فهجاه وهجا سائر بنى أسد (عشيرة آل الزبير) بأبيات منها قوله :

بنى أسدٍ لا تذكروا الفخر إنكم متى تذكروه تكذبوا وتحمقوا
متى تسألوا فضلا تضنوا وتبخلوا ونيرانكم فى الشرِّ فيها تحرق
إذا استبقت يوماً قريشٌ خرجتم بنى أسد سكا وذو المجد يسبق
تجيئون خلف القوم سوداً وجوهكم إذا ما قريشٌ للأضاميم أصفقوا (*)
وما ذاك إلا أن للؤم طابعا يلوح عليكم وسمه ليس يخلق

وهاجى عمر بن أبى ربيعة ، ثم بلغه أن عمر يرامى بخارية له ببناى الغالية فقال لقائده : « أوقفنى على باب بنى مخزوم فاذا مر ابن أبى ربيعة ضع يدى عليه » ففعل ، فقبض على حجزته وقال :

ألا من يشترى جاراً ثووماً بجارٍ لا ينام ولا يثيم
ويلبس بالنهار ثياب ناسٍ وشطراً الليل شيطاناً رَجِيمٌ

وأخبره فى الاغانى ٥٩ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٣٦٦ (**)

(*) الاضاميم : الجماعات ، أصفقوا : تصرفوا فى التجارة
(**) وانظر نكت الهميان وتهذيب التهذيب والبيان والتبيين للجاحظ (الفهرس)

٣ - نابغة بنى شيبان

هو أيضا من ربيعة كالأعشى واسمه عبد الله بن المخارق ، وكان بدويا يقيم في البادية ويفد على خلفاء بنى أمية في الشام فيمدحهم ويجزلون عطاءه . وكان نصرانيا ، وفي شعره كثير من ذكر الانجيل والرهبان ونحوهما . وقد مدح عبد الملك ، ودخل عليه يوما ، وقد عزم على عزل أخيه عبد العزيز عن ولاية العهد والمبايعة بها لابنه الوليد ، وكان المجلس حافلا بالناس على اثر فشل ابن الزبير وذهاب دولته ، فدخل نابغة وأنشده قصيدة لعل عبد الملك أوعز اليه أن يفعل ليحس الرأي العام كما فعل معاوية قبله . ومنها قوله بشأن الخلع :

آليت جهدا وصادق" قسمى برب" عد" تجنثه الكرح (*)
يظل يتلو الانجيل يدرسه من خشية الله قلبه طفق
لابنك أولى بملك والده ونجم من قد عصاك مطرئ
داود عدل" فاحكم بسيرته ثم ابن حرب فإنهم نصحوا
وهم خيار" فاعمل بسنتهم واحنى بخير واكدح كما كدحوا
فتبسم عبد الملك ولم يتكلم في ذلك باقرار ولا دفع ، فعلم الناس أن رايه خلع عبد العزيز . وأدرك نابغة الوليد بن يزيد ومدحه ونال جوائزه . وله قصيدة طويلة يصف بها الخمر وتخلص منها الى الفخر ببنى شيبان . واخبره في الاغانى ١٥١ ج ٦ ، وله ديوان خطى في دارالكتب المصرية (***)

٤ - عدى بن الرقاع

هو عدى بن زيد من عاملة ، حى من قضاة ، كان شاعرا مقدما عند بنى أمية مداحا خاصا بالوليد بن عبد الملك ، وله بنت شاعرة يقال لها سلمى . وكان منزله في دمشق ، فهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه في مجلس الوليد المذكور ، ولم يجسر جرير على هجائه خوفا من الوليد لانه هددته بالاذى اذا فعل . ومن شعره في وصف ظبيته قوله : (***)

كالظبية البكر الفريدة ترعى من أرضها قفاتها وعهادها
خضبت لها عقد البراق جبينها من عركها علكجانها وعراها

(*) الكرح : بيوت الرهبان بالكوفة
(**) طبعت دار الكتب المصرية هذا الديوان
(***) الغريب في هذه الابيات : القفات : نوع من شجر البادية ، والعهاد بالكسر : الامطار المتوالية ، العقد : أصول الشجر ، البراق : الارض الغليظة الصلبة ، العلكجان : شجر ، العراد : حمض ، أراد جمع رائد بالكسر : الاتراب ، الامن : ولد الظبية ، الروق : القرن الابرة : الطرف الحاد

كالزَيْنِ فِي وَجْهِ الْعَرُوسِ تَبَدَّلَتْ بِعَدِّ الْحَيَاءِ فَلَا عَيْتَ أَرَادَهَا
نَزَجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقَهُ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا
وَفِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَذْكُرُ شَعْرَهُ وَعِلْمَهُ وَحَنَکَتَهُ :

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ إِذْ ذَا وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْخُطُوبِ شِدَادَهَا
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا
صَلَّى الْمَلِيكَ عَلَى أَمْرِيءٍ وَدَبَّعْتُهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
وَمِنْ قَوْلِهِ فِي مَدْحِ عُمَرَ بْنِ الْوَلِيدِ وَفِيهِ حُكْمٌ :

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي ضِنَانًا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ
تَسْمُو الْعَيُونَ إِلَيْهِ حِينَ يَرَوْنَهُ كَالْبَدْرِ فَرَجَّ دُثْمَةَ الظُّلُمَاءِ
وَالْأَصْلَ يَنْبِتُ فَرْعُهُ مَتَأْتِلًا وَالْكَفْشَ لَيْسَ بِنَائِثًا بِسِوَاءِ
وَأَخْبَارُهُ فِي الْإِغَانِي ١٧٩ ج ٨ ، وَالشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ ٣٩١ (*)

٥ - أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِي

وَأَسَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمٍ مِنْ هَذِيلٍ وَكَانَ مَتَعَصِبًا لَالِ مَرْوَانَ ، مَدَحَ عَبْدُ الْمَلِكِ
وَأَخَاهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَهَجَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَحَبَسَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ حَتَّى مَاتَ . وَلَهُ
نَسِيبٌ فِي أَمْرَةِ مِنْ قِضَاعَةَ أَحْبَبَهَا وَتَزَوَّجَهَا سِوَاهُ . وَتَجَدَّ أَخْبَارُهُ فِي الْإِغَانِي
٩٤ ج ٢١ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٥٥٥ ج ١

وَهُنَاكَ طَائِفَةٌ مِنْ أَنْصَارِ بَنِي أُمَيَّةٍ أَضْطَرُّوا إِلَى مَدْحِ آلِ الزُّبَيْرِ لِقِيَامِهِمْ بَيْنَ
أَظْهَرِهِمْ ، وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا يَمْدَحُونَ بَعْضَ أَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةٍ لَا خُلَفَاءَ لَهُمْ . وَلَوْ
كَانُوا مِنْ شَعْرَاءِ الْخُلَفَاءِ ، رَبَّمَا كَانُوا أَثْبَتَ مِنْهُمْ فِي مَدْحِهِمْ

٦ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْإِسْلَامِي

هُوَ غَيْرُ ابْنِ الزُّبَيْرِ الْقَائِمِ بِالدَّعْوَةِ فِي الْحِجَازِ . وَهُوَ شَاعِرٌ هَجَاءَ يَرْهَبُ شَرَّهُ ،
تَشَأُّ فِي الْكُوفَةِ وَأَقَامَ فِيهَا وَكَانَ مَتَشِيعًا لِبَنِي أُمَيَّةٍ وَمِنْ ذَوِي الْهَوَى فِيهِمْ
وَالْتَعَصَّبَ وَالنَّصَرَ عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى غَلَبَ مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ
عَلَى الْكُوفَةِ فَأَتَى بِهِ سِرًا ، فَمِنْ عَلَيْهِ وَوَصَلَهُ وَأَخْسَنَ إِلَيْهِ فَمَدَحَهُ وَأَكْثَرَ ،
وَأَنْقَطَعَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ مَصْعَبُ سَنَةَ ٧١ . ثُمَّ عَمِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الزُّبَيْرِ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَأكْثَرَ مَدَائِحَهُ فِي بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ
الْأَمْوِي ، وَمِنْ قَوْلِهِ يَمْدَحُهُ :

(*) وَانْظُرْ طَبَقَاتُ الشَّعْرَاءِ لِابْنِ سَلَامٍ وَفَهْرَسُ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ وَأُمَالِي الْمُرْتَضَى إِذَا ذَكَرَ فِي
مَوَاضِعَ مُتَفَرِّقَةٍ ، وَلَهُ ثَلَاثُ قِصَائِدَ فِي الطَّرَائِفِ الْأَدَبِيَّةِ طَبَعَ لَجْنَةُ التَّأْلِيفِ

كَأَنَّ بَنِي أُمِيَّةَ حَوْلَ بَشَرٍ نَجُومٌ وَسَطُهَا قَمَرٌ مَنِيرٌ
هُوَ الْفَرْعُ الْمَقْدَمُ مِنْ قَرِينِ إِذَا أَخَذْتَ مَا خَذَهَا الْأُمُورُ
لَقَدْ عَمَّتْ نَوَافِلُهُ فَأُضْحَى غَنِيًّا مِنْ نَوَافِلِهِ الْفَقِيرُ
جَبَرَتْ مَهِيضُنَا وَعَدَلَتْ فِينَا فَعَاشَ الْبَائِسُ الْكَلُّ (١) الْفَقِيرُ
فَأَنْتَ الْغَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ قَرِيشُ لَنَا وَالْوَاكِفُ الْجَوْنُ الْمَطِيرُ
وَمِنْ مَدِيحِهِ فِي أَسْمَاءِ بْنِ خَارِجَةَ قَوْلُهُ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهَلَّلًا كَأَنَّكَ بَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ نَائِلُهُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ
وَمِنْ هَجَائِهِ قَصِيدَةً يَهَاجِي بِهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمِّ الْحَكَمِ مَطْلَعُهَا :
أَبَى اللَّيْلُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَتَصَرَّمَا كَأَنِّي أُسُومُ الْعَيْنَ نَوْمًا مُحَرَّمًا
وَإِخْبَارُهُ فِي الْأَغَانِي ٣٢ جزء ١٣ (*)

٧ - أَبُو قُطَيْفَةَ

هُوَ عَمْرُو بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ ، مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَكَانَ يَقِيمُ فِي الْمَدِينَةِ وَهَوَاهُ
مَعَ بَنِي أُمِيَّةَ . فَلَمَّا تَمَكَّنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ الْحِجَازِ ، نَفَاهُ مَعَ مَنْ نَفَاهُ مِنْ بَنِي
أُمِيَّةَ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا طَالَ مَقَامُهُ فِيهَا قَالَ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغْيِيرُ بَعْدَنَا قَبَاءً وَهَلْ زَالَ الْعَقِيقُ وَحَاضِرُهُ
وَهَلْ بَرَحْتُ بِطُحَاءِ فَبْرِ مُحَمَّدٍ أَرَاهُ طُغْرًا مِنْ قَرِيشٍ تُبَاكِرُهُ
لَهُمْ مَمْنَعٌ حُبِّي وَصَفْوٌ مَوْدَنِي وَمَحْضُ الْهَوَى مَنِي وَلِلنَّاسِ سَائِرُ
وَأَتَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَدِينَةِ وَالْحِجَازِ فِي شَعْرِهِ وَشَوْقِهِ إِلَى الْوَطَنِ ، فَلَمْ يَعْجَبْ
ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ وَتَنَقَّصَهُ لِرَغْبَتِهِ فِي الْحِجَازِ عَنِ الشَّامِ . وَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا قُطَيْفَةَ
نِفَالٌ :

وَأُنْبِئْتُ أَنَّ ابْنَ الْعَمَلَسِ (**) عَابَنِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الْبَرِّ الْمُسْلِمِ
مَنْ أَتَمُّ مَنْ أَتَمَّ خَبَّرُونَا مِنْ أَتَمِّ فَقَدْ جَعَلَتْ أَشْيَاءُ تَبْدُو وَتُكْتَمُ
فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَقَالَ : « مَا ظَنَنْتُ أَنَا نَجْهَلُ . وَاللَّهِ لَوْلَا رِعَايَتِي
لِحَرَمَتِهِ لَأَلْحَقْتَهُ بِمَا يَعْلَمُ وَلَقَطَعْتُ جُلْدَهُ بِالسَّيَاطِ »

(*) الْكَلُّ : الْعَالَةُ
(**) وَأَنْظُرِ الْخَزَانَةَ ج ١ ص ٣٤٥ ، وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيفِ ج ١ ص ٢٠ وَدِيَوَانُ الْحَمَاسَةِ
الْأَبَى تَمَامُ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ وَأُمَالِي الْمُرْتَضَى (الْفَهَارِسُ)
(**) الْعَمَلَسُ : الدَّلِيلُ

وبلغ ابن الزبير ما يقاسيه أبو قطيفة في سبيل حبه المدينة ، فبعث إليه
أن يعود إلى بلده وهو آمن . فانكفاً إلى المدينة فلم يصل إليها حتى مات .
وتجد أخباره في الأغاني ٧ جزء ١
سائر أنصار بني أمية

وهناك طائفة من أنصار بني أمية ، وفيهم من مدح الأمراء دون الخلفاء
أو مدح الاثنين . وربما اضطرب بعضهم لمدح آل الزبير للأسباب التي تقدمت ،
ولو رأينا ذكر تراجمهم لطال بنا القول ، فنكتفي بالإشارة إلى المصادر
التي يمكن الرجوع إليها لمن أراد الاطلاع على أخبارهم ، وليس لأحد منهم
ديوان معروف وهم :

٨ - أمية بن أبي عائذ الهذلي : مدح عبد الملك وعبد العزيز ابني
مروان . ترجمته في الأغاني ١١٥ جزء ٢٠ ، وخزانة الأدب ٤٢١ جزء ١
٩ - جنباء الأشجعي : شاعر بدوي ليس ممن انتجع الخلفاء بشعره .
ومدحهم . ترجمته في الأغاني ١٤٦ جزء ١٦

١٠ - الحكم بن عبد الأسد : كان أعرج أحذب شاعرا هجاء خبيث .
اللسان مدح بعض آل مروان . ترجمته في الأغاني ١٤٩ جزء ٢ وفوات
الوقيات ١٤٥ جزء ١

١١ - شبيب بن البرصاء : من ذبيان كان بدويا لم يحضر إلا وافدا أو
منتجعا . ترجمته في الأغاني ٩٣ ج ١١
١٢ - عبد الله بن حشش : من البصاليك كان يعجب ببني أمية . الأغاني
١١٨ ج ١٧

١٣ - العجير السلولي : هو شاعر مقل عاصر الملك وسليمان وهشاما .
ترجمته في الأغاني ١٥٢ ج ١١ ، وخزانة الأدب ٣٩٩ ج ٢

١٤ - عوف الفزاري : من قيس كان يقيم في الكوفة وبيته من البيوتات
الفاخرة في العرب . ترجمته في الأغاني ١٠٥ ج ١٧ ، وخزانة الأدب ٨٧
ج ٣

١٥ - الفضل بن العباس : من قریش عاصر الوليد بن عبد الملك .
ترجمته في الأغاني ٢ ج ١٥

١٦ - موسى شهوات : مولى قریش وأصله من أذربيجان . ترجمته
في الأغاني ١١٨ ج ٣ ، والشعر والشعراء ٣٦٦

أنصار آل المهلب

آل المهلب بيت من بيوتات الإسلام من الأزد ، اشتهروا بالكرم في أيام
بني أمية مثل اشتها آل برمك في الدولة العباسية ، ونكبوا بمثل نكبتهم ،
وهم ينتسبون إلى كبيرهم المهلب بن أبي صفرة . عمل المهلب لبني أمية
وحارب عنهم الأزارقة ، وآخر ماتولى من الأعمال بلاد خراسان ، تولاها
من جهة الحجاج يوم كان له العراقان . وما زال عليها حتى توفي سنة .

٨٣٠ هـ ، وهو من كبار رجال الاسلام في تلك الدولة . وكان كريما التماسا لحسن الاحدوثة ، ومن أقواله : « الحياة خير من الموت ، والثناء الحسن خير من الحياة ، ولو أعطيت مالم يعطه أحد لأحببت أن تكون لى اذن أسمع بها ما يقال فى غدا إذا مت » فهو من طلاب الشهرة بالسخاء . وسار ابنائه على خطواته فكثرت الشعراء الذين مدحهم . وأشهر اولاده : يزيد بن المهلب ، والمغيرة بن المهلب قاتل الخوارج وكانت له معهم وقائع ماثورة . ومنهم مخلد بن يزيد بن المهلب من الاسخياء المدوحين توفى سنة ١٠٠ هـ ، وحبيب بن المهلب وغيرهم . أما الشعراء الذين مدحهم فهناك أشهرهم :

١ - زياد الاعجم

توفى سنة ١٠٠ هـ

هو من موالى عبد القيس من بنى عامر بن الحارث ، وكان ينزل اصطخر فظلت العجمة على لسانه فسموه الاعجم . وكان شاعرا جزل الشعر فصيح الالفاظ على لكنة لسانه مثل سائر الاعاجم لا يستطيع لفظ العين . وقد مدح بخاصة المغيرة بن المهلب ، وله فيه قصيدة يرثيه بها يزيد على خمسين بيتا مطلعها :

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمجيد^١ الرائح
ان المروءة والسماحة ضمتا قبرا بمرؤ على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعف^٢ به كوم الهجان وكل طرف سابع^٣ (*)

ومن لطيف أخباره مع حبيب بن المهلب ، انه جاء مرة الى المهلب فى اصبهان ومدحه فأمر له بجائزة فأقام عنده أياما . وبينما هو جالس فى عشيّة مع حبيب المذكور فى دار له وفيها حمامة تسجع ، قال زياد يخاطب الحمامة :

تغنّى^٤ أنت فى ذمى وعهدى وذمة والدى أن لم تطارى
وبيتك فاصلحيه ولا تخافى على صقر مزغبة صغار
فإنك كلما غنيت صوتا ذكرت أحبتي وذكرت دارى
فأما يقتلوك طلبت ثأرا له نبا لأنك فى جوارى

فقال حبيب : « يا غلام هات القوس » فقال له زياد : « وما تصنع بها ؟ » قال : « أرمى جارتك هذه » قال : « والله لئن رميتها لاستعدين عليك الامير » فأتى بالقوس فنزع لها سهما فقتلها ، فوثب زياد فدخل على المهلب فحدثه بالحديث وانشده الشعر فقال المهلب : « على بأبى بسطام » فأتى بحبيب فقال له : « اعط أبا أمامة دية جارتك ألف دينار » فقال : « أطال الله بقاء الامير انما كنت ألعب » قال : « اعطه كما أمرك » فأعطاه

(*) كوم الهجان : النوق السمينة ، والطرف : الفرس

وهم الفرزدق أن يهاجى عبد القيس موالى زياد ، فبعث اليه زياد :
« لا تعجل حتى أهدي اليك هدية » فانتظر الفرزدق فبعث اليه يقول :

وما ترك الهاجون لى إن هجوته مُصِحاً أراه فى أديم الفرزدق
ولا تركوا عظما يثرى تحت لحمه لكاسره أبقوه للمتعرِّق
سأكسر ما أبقوه لى من عظامه وأنتك مئخ الساق منه وانتقى
وإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يثلُق فى البحر يغرق
فلما بلغه الشعر قال : « ليس لى الى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا
العبد » ومع شاعريته كان كثير اللحن فى نظمه . ومن قوله يخاطب يزيد
ابن المهلب :

وهل لك فى حاجتى حاجة أم أنت لها تارك طارح
أمتها لك الخير أم أحياها كما يفعل الرجل الصالح
إذا قلت قد أقبلت أدبرت كمن ليس غاد ولا رائج
ومن خبيث هجائه قوله يهجو الاشاعر :

قُبَيْلَةٌ خَيْرُهَا شَرُّهَا وَأَصْدَقُهَا كَاذِبُ الْآثِمِ
وَضَعِيفُهُمْ وَسَطُ آيَاتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَائِماً صَائِماً
ومن مأثور حكمه قوله :

وكائن ثرى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فواده فلم تبق الا صورة اللحم والدم
وتجد أخباره فى الاغانى ١٠٢ ج ١٤ و ٥٨ ج ١٣ ، والشعر والشعراء
٢٥٧ ، وخزانة الادب ١٩٣ ج ٤ ، وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ (*)

٢ - ثابت قننة

هو مولى بنى أسد بن الحارث ، واسمه ثابت بن كعب شاعر فارس
شجاع . كان فى صحابة يزيد بن المهلب ، وكان يولىه أعمالاً من أعمال
الثغور فيحمد فيها مكانه لكتابته وشجاعته فضلاً عن شاعريته . ومن لطيف
خبره أن يزيد ولاء عملاً فى خراسان ، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام

(*) وانظر الاشتقاق ٢٠١ ، ومعجم الرزبانى ١٣٣ ، والجزء الثالث من أمالى القسالى ،
والحماسة ، والبيان والتبيين ، وأمالي المرتضى ، وأمالي اليزيدى ١ - ٧ ، وطبعات الشعراء
لابن سلام ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ترجمة المهلب بن أبى صفرة ، والمؤتلف للأمدى ص ١٣١ ،
وتاريخ الادب العربية لنالينو ، ودائرة المعارف الاسلامية ، وفهرس تاريخ الطبرى

الكلام فتعذر عليه وحصر فقال : « سيجعل الله بعد عسر يسرا أو بعد عي بيانا ، وأنتم الى أمير فعال منكم الى أمير قوال

وان لم أكن فيكم خطيبا فإنتى بسيفى إذا جدَّ الوغى لخطيب » .

وجالس ثابت قوما من الشراة وقوما من المرجئة ، وكانوا يجتمعون فيتجادلون فى خراسان فمال الى قول المرجئة ، ونظم هذا المذهب قصيدة وصفه فيها ، من جملتها قوله :

يا هند فاستمعى لى إن سيرتنا أن نعبد الله لم نترك به أحدا
نترجى الأمور اذا كانت مشبهة ونصدق القول فيمن جار أو عندا
المسلمون على الإسلام كلهم والمشركون استووا فى دينهم قندا
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحدا من الناس شر كما إذا ما وحدوا الصمدا
لا نسفك الدماء إلا أن يراد بنا سفك الدماء طريقا واحدا جددا
ومن نظمه قصيدة يحرض بها يزيد بن المهلب على الحرب (١) ، ولما قتل
يزيد قال ثابت يرثيه :

كل القبائل تابعوك على الذى تدعو اليه وبايعوك وساروا
حتى إذا حمى الوغى وجعلتهم نصب الأسنه أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عارا عليك وبعض قتل عارا
ومن فخرياته قوله :

تعففت عن شتم العشيرة إننى وجدت أبى قد كف عن شتمها قبلى
حليما إذا ما الحلم كان مروءة وأجهل أحيانا إن التمسوا جهلى
وأخباره فى الاغانى ٤٩ ج ١٣ ، والشعر والشعراء ٤٠٠ ، وخزانة
الادب ١٨٥ ج ٤ (*)

٣ - حمزة بن بيض

توفى سنة ١١٦ هـ

هو حنفى من بكر وائل (رببعة) من أهل الكوفة ، خليف ماجن من
فحول طبقتة . وكان منقطعا لآل المهلب وولده ثم الى أبان بن الوليد وبلال
ابن أبى بردة ، واكتسب بالسفر الى هؤلاء مالا كثيرا . ذكروا أنه اكتسب

(١) الاغانى ٥٤ ج ١٣ (*) وانظر فهرس الطبرى وتاريخ ابن الاثير (طبعة لندن) ٤ ص ١٣٠ ، ومروج
الذهب للمسعودى (طبعة باريس) ج ٥ ص ٤٥٥

نحو مليون درهم ، فهو كان ينصرهم لمجرد الاستجداء بخلاف من تقدم .
ومن قوله يخاطب مخلص بن يزيد بن المهلب وعنده الكمية :

أتيناك في حاجة فاقضها وقتل مرحباً ، يجب المرحب
ولا تتكلمنا الى معشر متى يعدوا عداً يكذبوا
فإنك في الفرع من أسرة لهم خضع الشرق والمغرب
وفي أدب منهم ما نشأت ونعم لعمرك ما أدبوا
فأمر له بمائة ألف درهم . ولما سجن يزيد بن المهلب ، دخل عليه حمزة
وأنشده أبياتا مطلعها :

أغلق دون السماح والجود والنَّ جُدة باب حديد أشب^(١)
فدفع اليه يزيد فص ياقوت باعه بثلاثين ألف درهم

ولحمزة أخبار طويلة حسنة أكثرها مع يزيد المذكور وابنه مخلص . وله في
عبد الملك وابنه سليمان أقوال وأخبار تجدها في الاغانى ١٥ ج ١٥ ،
وفوات الوفيات ١٤٧ ج ١ (*)

٤ - كعب الاشقرى

هو كعب بن معدان من الاشقر قبيلة من الازد ، شاعر فارس حطيب
معدود في الشجعان من أصحاب المهلب ، وله ذكر في حروبه للazarقة .
وكان الفرزدق شديد الإعجاب به ، يعده رابع الثلاثة الفحول (الفرزدق
وجرير والاخلط) وأوفده المهلب الى الحجاج ليخبره عن واقعة جرت له مع
الazarقة ، فأنشده قصيدة مطلعها :

ياحفص إني عداني عنكم السفر وقد سهرت فأذى عيني السهر
ثم وصف المعركة الى أن قال :

عبثوا كمينهم بالسفح إذ نزلوا بكازرون فما عزبوا ولا نصروا
باتت كتائبنا تردي مسومة حول المهلب حتى نوى القمر
هناك ولوا جراحاً بعدما هربوا وحال دونهم الأنهار والجدران
تأبى علينا حزازات النفوس كما نبقى عليهم ولا يبقون إن قدروا

(١) أشب : مشتبك

(*) وانظر المؤلف ص ١٠٠ وفهارس البيان والتبيين والكامل وآمالى المرتضى والحيوان
للجاحظ ومعجم الادباء (طبع مصر) ج ١٠ ص ٢٨٠

وهجاء زياد الاعجم وقد علمت أنه ينتمى لعبد القيس ، فقال كعب يهجو
عبد القيس :

إني وإن كنت فرّجَ الأزد قد علسوا أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالى
فيهم أبو مالكٍ بالمجد شرّفتنى ودكّس العبدُ عبدُ القيس سربالى
فرد عليه زياد يهجو الاشاعر اللجج فشكاه الى المهلب . فاستقدم
زيادا وعاتبه وصالحهما . . وأخبار كعب كثيرة تراها في الاغانى ٥٦ ج ١٣ (*)

٥ - بيهس الجرمى

هو بيهس بن صهيب ، من جرم (قضاة) شاعر فارس شجاع ، كان يبدو
بنواحي الشام مع قبائل جرم وكلب وعذرة ، ويحضر معهم في أجناد الشام .
وقد صحب المهلب بن أبي صفرة في حربه للazarقة ، وكانت له مواقف
مشهورة . أول ما هاج شاعريته أنه هوى امرأة من قومه اسمها صفراء .
وكان يتحدث اليها ويكتم وجدّه لها ولا يخطبها لابيها لأنه كان صعلوكا لا مال
له وكان ينتظر أن يثرى . وكان من أحسن الشبان وجها وبشرة وحديثا
وشعرا . . فرأته صفراء يتحدث مع بعض نساء الحى مرة فهجرتة .
وعرض له سفر فخرج اليه وقد زوجها أبوها رجلا من بني أسد فذكرها
في قصيدة ، ثم ماتت قبل أن يعرفها زوجها ، فقال يرثيها بقصيدة عبر
بها عن شعوره بما ينطبق على الواقع على طريقة الجاهليين ، من ذلك قوله :

هل بالديار التى بالقاع من أحدٍ باقٍ فيسمع صوت المدلج السّارى
تلك المنازل من صفراء ليس بها نارٌ تضىء ولا أصوات سُمّار
عَفَّتْ معارفها هوجاً مغيرةً يَسْفى عليها تراب الأبطح الهارى
حتى تنكّرتُ منها كل معرفة إلا الرماد فخيلا بين أحجار
طال الوقوف بها والعين يسبقنى فوق الرداء بَوادى دمعها الجارى
أن أصبح اليوم لا أهل ذوو لطف ألهو لديهم ولا صفراء في الدار
وله قصيدة في مدح محمد بن مروان لأنه أجاره من تهمة كانت عليه، منها:
وإن محمداً سيعود يوماً ويرجع عن مراجعة العتاب
فيجبر صبيتي ويحسوط جارى ويؤمن بعندها أبداً ضحايى
هو الفرع الذى بُنيت عليه ييوت الأطين ذوى الحجاب
وتجد أخباره في الاغانى ١٦١ ج ١٠ و ١٠٧ ج ١٩

(*) وانظر معجم المرزبانى ٣٤٦ وفهارس الطبرى وابن الاثير والبيان والتبيين

وممن صحب آل المهلب ونصرهم بشعره :

- ٦ - النضيل بن الفرخ من ربيعة : ترجمته في الاغانى ١١ ج ٢٠ وفي الشعر والشعراء ٢٤٤ وخزانة الادب ٣٦٧ ج ٢
٧ - المغيرة بن حبناء من تميم : ترجمته في الاغانى ١٦٢ ج ١١ وخزانة الادب ٦٠١ ج ٣
٨ - يزيد بن الحكم من ثقيف : ترجمته في الاغانى ١٠٠ ج ١١

انصار العلويين أو الهاشميين

كان أنصار العلويين من الشعراء كثيرين ، لكنهم لم يكونوا يجسرون على الظهور خوفا من الامويين وهم أهل السيادة ، وربما مدحهم أحدهم سرا تم يعدل الى مدح الامويين كما فعل الكميت بن زيد وغيره . وهاك أشهر أنصار العلويين :

١ - الكميت بن زيد

المتوفى سنة ١٢٦ هـ

هو الكميت بن زيد الاسدي شاعر مقدم عالم بلغات العرب خبير بأيامها من شعراء مضر والسنتها ، المتعصبين على القحطانية القارعين لشعرائهم ، العلماء بالمشاب والايام المفاخرين بها . وكان مشهورا بالتشيع لبني هاشم ، وقصائده فيهم تسمى الهاشميات . وهى من جيد شعره وكانت أول مظلوماته . وجاء الفرزدق وعرض عليه شعره فسمع له وهو يستخف به حتى بلغ الى قوله :

بنى هاشم رهط النبى فإثنى بهم ولهم أرضى مراراً وأنضب
خففت لهم منى جناحى مودة الى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلاء مجتاً على أنى أذم وأعضب
وأرمى وأرمى بالعداوة أهلها وأنى لأوذى فيهم وأؤتب
فقال له الفرزدق : « يا ابن أخى أذع ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى
وأشعر من بقى »

ويقال فى سبب توسعه بعلم لغة العرب واخبارهم انه كان له جلدتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس فى الجاهلية . فاذا شك فى شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه عنه فمن هناك كان علمه . وهو من أصحاب الملحقات ومطلع ملحمة :

ألا لا أرى الأيام يُقضى عجيها بطول ولا الأحداث تَفنى خطوبها
وله مناقضات ومهاجاة لشعراء اليمن ، وأراد خالد القسرى أن يشى به

الى بنى أمية . فروى قصائده الهاشميات لجارية حسناء وأعدّها ليهدّيها
الى هشام بن عبد الملك ، وكتب اليه بأخبار الكميت وأنفذ قصيدته التي
يقول فيها

فياربّ هل إلا بك النصر يُبْتَغَى وياربّ هل إلا عليك المعوّل

وهي طويّنة يرثى بها زيد بن علي (الهاشمي) ويمدح بنى هاشم فأكبرها
هشام ، فكتب الى خالد عامله أن يقطع لسانه ويده . . فنهبه الى ذلك بعض
!صدقائه ، ففر وقضى زمانا مختفيا ثم توسطوا له بالعفو وجاء الى هشام
ومدحه بقصيدة أنشده اياها مطلعها :

ماذا عليك من الوقوف بها وإنك غير صاغر
الى ان قال :

فالآن سـرت إلى أميَّة والأُمُور إلى مصائر
يا ابن العقائل للعقائل والجحاجة الأخـاير
من عبد شمسٍ والأكابر من أميَّة فالأكابر
إن الخسـلافة والإلا فـ برغم ذى حـسدٍ وواغـرٍ
دلّـفـا من الشرف التليـد إليك بالرفـقـد المـوافـر
وانشده غيرها وغيرها فأجاره . ومن جيد شعره قوله :

ألا لا أرى الأيام يُقضى عجيبها طول ولا الأحداثُ تفنى خطوبها
ولا عبرة الأيام بعرف بعضها بعض من الأقوام إلا لبيئها
ولم أرَ قولَ المرء الا كئبله له وبه محرومها ومصيبها
وتوفى سنة ١٢٦ وله ستون سنة، وكان يبلغ شعره لما مات ٥٢٨٩ بيتا .
والهاشميات مطبوعة بمصر وفي لندن سنة ١٩٠٤ ، ولها شرح منه نسخة
خطية في دار الكتب المصرية . وللكميت ترجمة مطولة في الاغانى ١١٣ ج ١٥ ،
والشعر والشعراء ٣٦٨ ، وخزانة الادب ٦٩ جزء ١ ، والجمهرة ١٨٧ (*)

٢ - أيمن بن خريم الاسدي

هو من بنى اسد ، كان شديد التشيع لعلى وقد مدح بنى هاشم ومن
قوله فيهم :

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ومعجم المرزبانى ٣٤٧ والمؤلف ١٧٠ ، والبيان
والنبيين في مواضع متفرقة وديوان الحماسة ، وأمالى المرتضى ، ومروج الذهب للمعتمدى ج ٦
ص ٣٦ ، وفهرس الطبرى ، والحيوان للجاحظ ج ٥ ودائرة المعارف الاسلامية مادة كميت ،
وتاريخ الاداب العربية لنالينو والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ، وحماسة البحتري رقم
٣٧٧ من طبعة بيروت

نهاركم مكابدة" وصوم" وليلكم صلاة" واقتراء
 أأجعلكم وأقواماً سواء وبينكم وبينهم الهـواء
 وهم أرض" لأرجلكم وأتم لرؤوسهم وأعينهم سماء
 على أنه اضطر الى مسامرة بنى أمية ومدح عبد الملك . وله في وصف
 النساء قصيدة بديعة تجدها مع سائر أخباره في الاغانى ٥ جزء ٢١ ؛
 والشعر والشعراء ٣٤٥ (*)

أنصار الخوارج وآل الزبير وغيرهم

ويقال نحو ذلك في أنصار سائر الاحزاب الذين كانوا على الامويين
 كالخوارج الشراة والازارقة وآل الزبير ، فان شعراءهم لم يكوّنوا يستطيعون
 الظهور ويندر ظهور أحدهم . وهاك أشهرهم :

١ - الطرماح بن حكيم

توفي سنة ١٠٠ هـ

هو من طى ، من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم ، نشأ في الشام
 وانتقل الى الكوفة بعد ذلك مع من وردّها من جيوش أهل الشام ، واعتقد
 مذهب الشراة والازارقة وكان معاصراً للكميت المتقدم ذكره وكانا صديقين .
 وسئل الكميت مرة : « لا شيء أعجب من صفاء ما بينك وبين الطرماح على
 تباعد ما يجمعكما من النسب والمذهب والبلاد فهو شامى قحطانى وأنت
 كوفى تزارى شيعى ، فكيف اتفقتما مع تباين المذهب وشدة العصبية ؟ »
 فقال : « اتفقنا على بغض العامة »

وكان للطرماح والكميت رغبة في الغريب يدخلانه في أشعارهما . ومن
 قول الطرماح يمدح نفسه :

إذا قبضت نفس الطرمّاح أخلقت عثرى المجد واسترخى عنان القصائد
 ومن قوله في الفخر :

وما أنا بالراضى بما غيرهُ الرضى ولا المظهر الشكوى ببعض الأماكن
 ولا أعرف التعمى على ولم تكن وأعرف فصل المنطق المتغابن

وله قصائد كثيرة في هجاء بنى تميم . ومن لطيف ما قاله فيهم : (**)

(*) وأنظر المسعودى في التنبيه والاشراف ص ٢٥٣ حيث عدّه عثمانياً ، وربما كان ممن
 اختلفوا الى الفريقين الشيعى والاموى ، فكان شيعياً مرة وأموياً عثمانياً مرة

(**) الغريب في هذه الابيات : القطا : طائر صحراوي من طير الجزيرة . الحرقوص دويبة
 صغيرة . المسك : الجلد . ويزقق : يسلمخ ويتخذ زقا للخمر . أكنت : استظلت

تميم" بطرق اللؤم أهدى من الفطا ولو سلكت° سبيل المكارم ضللت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة° يكرث° على صفى° تميم° لوئت
ولو أن حرقوصا بزقت مسكته إذا نهلت° منه تميم° وعلقت
ولو جمعت° يوما تميم° جموعها على ذرقة° معقولة لاستقلت
ولو أن أم° العنكبوت بنت° لها مظلتها يوم الندى لأكتت°
وهو من أصحاب الملحمات ، ومطلع ملحمة :

قل° في شط° نهروان اغتماضى ودعاني هوى العيون المراض
ومن قوله ويدل على مذهبه في الشراة :

لقد شقيت° شقاء° لا انقطاع له إن لم أفتر° فوزة° تنجى من النار
والنار° لم ينج° من روعاتها أحد° إلا المنيب° بقلب المخلص الشارى
أو الذى سبقت° من قبل مولده له السمادة من خلافتها البارى
ونان الاصمعى يستجيد قوله في صفة الثور :

يبدو وتضمرة البلاد كأنه سيف° على شرف° يسل° ويغمد°
وللطرماح ديوان طبع في انجلترا باشراف لجنة تذكاري جيب مع ديوان
الطفيل ابن عوف بعناية المستشرق كرنكو Krenkaw ، وأخبره في الاغانى ١٥٦
جزء ١٠ ، والشعر والشعراء ٣٧١ ، وخزانة الادب ١٨٤ جزء ٣ ،
والجمهرة ١٩٠ (*)

٢ - عمران بن حطان

توفي سنة ٨٩ هـ

هو من سدوس من بكر وائل ، شاعر فصيح من شعراء الشراة ودعاتهم
المقدمين في مذاهبهم . وكان من القعدة لأن عمره طال فضعف عن الحرب
وحضورها ، فاقصر على الدعوة والتحريض بلسانه . وهو مغال في التعصب
على على ، يؤيد ذلك قوله في مدح ابن ملجم قاتل على :

لله در° المرادى° الذى سفكت° كفاه مهجة° شر° الخلق إسانا
أمسى عشية° غشاه° بضربته مما جناه من الآثام عريانا

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، وحماسة أبي تمام ، وحماسة ابن الشجرى ،
والاشعراق ٢٣٤ ، والمؤلف ١٤٨ ، والعينى ج ٢ ص ٢٧٦ ، وتاريخ الادب العربية للنابغة ،
المعارف الاسلامية ، ومقدمة كرنكو لديوانه

وأخذ هذا المذهب عن امرأته لأنها خارجية تزوجها ليردها عن مذهبها فذهبت به إلى رأيهم ، وكان الحجاج يلح في طلب عمران بن حطان . وبلغه أن غزاة الحرورية دخلت على الحجاج فتحصن منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران :

أسدٌ غلّى وفي الحروب نعمة ربدأً تجفل من صغير الصافر (*) هلا برزت إلى غزاة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر صدعت غزاة قلبه بفوارسٍ تركت مدابره كأمس الدابر ثم لحق بالشام ونزل على روح بن زنباع . واشتهر شعر ابن حطان في عصره حتى كان لا يقول أحد من الشعراء شعرا إلا نسب إليه لشهرته ، ومر بالفرزدق وهو ينشد وكان يتهمة أنه يقول للاستجداء فيكذب فقال فيه :

أيها المادح العباد ليعطى إن الله ما بأيدي العباد فاسأل الله ما طلبت إليهم وارح فضل المقسم العواد لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسم البخل باسم الجواد وكان عمران يفتخر بأنه لم يكذب في شعره ، ومن ذلك قوله يخاطب امرأته جمره :

يا جمر إني على ما كان من خلقي مثنٍ بخلات صدق كلشها فيك الله يعلم أني لم أقل كذبا فيما علمت وأنى لا أزكيك وأخبره في الأغاني ١٥٢ ج ١٦ وخزائن الأدب ٤٣٦ ج ٢ (**)

٣ - عبد الله بن الحجاج النيباني

توفي سنة ٩٥ هـ

هو عبد الله بن الحجاج بن محصن من ذبيان ويكنى أبا الاقرع . شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر ذوى البأس والنجدة فيهم ، وكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . فلما تغلب عبد الملك على عمرو خرج عبد الله مع نجدة بن عامر الحنفي ثم هرب ، فلحقه بعبد الله بن الزبير فكان معه إلى أن قتل . ثم جاء إلى عبد الملك متنكرا واحتال عليه حتى أئمنه في حديث طهارة . وعاش إلى زمن الهلاليين عبد الملك ووشى به فحبسه ، فقال وهو في الحبس قصيدة من جملتها :

(*) ربدأ : غبراء ، تجفل : تخاف فتسرع في الجري
(**) رانظر الإصابة لابن حجر ، وتاريخ ابن عساکر ، وأمالى المرتضى ، وديوان المعاني ج ١ ص ٣١٥ والمؤلف رقم ٢٤٥

فإن يُعْرَضُ أبو العباس غنى ويركب بي عروضاً عن عروض (*)
ويجعل عُرْفَه يوماً لغيري ويُبْغِضُنِي فإني من بغيض
فإني ذو غنى وكريم قوم وفي الأكفاء ذو وجه عريض

وأخباره في الاغانى ٢٥ ج ١٢

٤ - اسماعيل بن يسار النسائي

توفي سنة ١١٠ هـ

هو مولى بنى تيم (من قرش) انقطع لآل الزبير . ولما استتب الامر
لعبد الملك بن مروان وقد اليه ومدح الخلفاء من ولده كما فعل غيره ،
ولكنهم كانوا يضمرون الكره لهم . ويمثل ذلك ما جرى لاسماعيل هذا وقد
وفد على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوما ، فحجبه ساعة ثم أذن له فدخل
يبكى فقال له الغمر : « مالك يا أبا فائد تبكى ؟ » فقال : « وكيف لا أبكى
وأنا على مروانيتي ومروانية أبي الحجب عنك » فجعل الغمر يعتذر اليه
وهو يبكى . فما سكنت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر ، وخرج من عنده
فلحقه رجل فقال له : « أخبرني ويلك يا اسماعيل أي مروانية كانت لك أو
لابيك » قال : « بفضنا إياهم ، امرأتهم طالق ان لم تكن أمه تلعن مروان وآله
كل يوم مكان التسبيح ، وأن لم يكن أبوه حضره الموت فليل له قل لا اله
الا الله فقال لعن الله مروان تقربا بذلك الى الله تعالى »

وعاش اسماعيل عمرا طويلا وكان شعوبيا يفخر على العرب بالعجم ،
ومن قوله :

إنما سُمِّيَ النوارس بالقر س مضاهاة رفعة الأنساب
فاتركي الفخر يا أمام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي إن جهلت عنا وعنكم كيف كنا في سالف الأحقاب
إذ قرَّبَ بناتنا وتدسَّشون سفاهاً بناتكم في التراب
ومن اقواله في الغزل من قصيدة :

حتى دخلت البيت فاستدرفت من شفق عيناك لي تسجُم
ثم انجلى الحزن وروحاته وغيب الكاشح والمبترم
فبت فيما شئت من نعمة يمنحنيها نحرها والفم
حتى إذا أصبح بدا ضوءه وغارت الجوزاء والمرزم

(*) العروض : الجهة . بغيض : قبيلة . المبرم : الثقيل . المرزم : نجم مع الشعرين

خرجت والوطء خفي^٥ كما ينساب من مكمنه الأرقم^٦
وأخباره في الاغانى ١١٩ ج ٤

سائر أنصار أعداء بنى أمية

- ومن أنصار أعداء بنى أمية غير من تقدم جماعة تكتفى بذكر مصادر
تراجهم وهم :
- ٥ - أبو وجزة السعدى من هوازن توفى سنة ١٣٠ مدح آل الزبير .
أخباره في الاغانى ٧٩ ج ١١ والشعر والشعراء ٤٤٢
- ٦ - أبو حزاينة من أنصار ابن الاشعث . أخباره في الاغانى ١٥٢ ج ١٩
- ٧ - أبو كلدة اليشكرى ، من بكر ، من أنصار ابن الاشعث سكن الكوفة
وقتله الحجاج . أخباره في الاغانى ١١٠ ج ١٠

شعراء الغزل

في العصر الاموي

قلنا في كلامنا عن التشبيب أن امام التشبيب في هذا العصر جميل بن معمر امام المحبين ، وكان يشبب بحبيبته عن شعور حقيقي بالحب . . . تقلده الشعراء في ذلك وان لم يكونوا محبين . على أن أكثرهم ابتلوا بالعشق ولا سيما آل عذرة . وبلغ عدد المشبيين بضعة وعشرين شاعرا منهم خمسة من قريش هم : عمر بن أبي ربيعة ، والعرجي ، والحارث بن خالد ، وأبو دهل ، وابن قيس الرقيات ، وعروة بن أذينة ، وامامهم عمر بن أبي ربيعة . وهو اول من تجرأ على التشبيب بالنساء وصارت له فيه طريقة تحداها الشعراء بعده من قريش وغيرهم كما سيجيء ، فنبدا بجميل ثم نذكر الشعراء القرشيين وغيرهم

١ - جميل بن معمر

توفي سنة ٨٢ هـ

هو جميل بن عبد الله بن معمر ، من عذرة ، وكان شاعرا فصيحاً مقدماً جامعاً للشعر والرواية اشتهر بحبه بثينة ابنة عمه ، ولذلك عرف بجميل بثينة . وكانا يقيمان في وادي القرى وكان اول عهده بها وهي صغيرة . ومن اوائل نظمه فيها قوله :

وأول ما قاد المودة بيننا بوادي بغيضٍ يا بُثَيْنُ سِبابٌ
وقلتُ لها قولاً فجاءتْ بمثله لكل كلامٍ يا بُثَيْنُ جواب

ولم يكن يراها حتى صارت شابة ، فأخذ ينظم القصائد فيها حتى اشتهر أمره . واتفق مرة أن توبة بن الحمير صاحب ليلي مر ابني عذرة ، فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه وجميل حاضر . . فثارت الغيرة في قلب جميل ، فقال لتوبة : « من أنت ؟ » قال : « أنا توبة بن الحمير » قال : « هل لك في الصراع ؟ » قال : « ذلك اليك » . فأعطته بثينة ملاءة حمراء فأتزر بها ثم صارعه ، فصرعه جميل . ثم قال : « هل لك في النضال ؟ » قال : « نعم » فناضله ففضله جميل . ثم قال : « هل لك في السباق ؟ » قال : « نعم » فسابقه فسبقه جميل . فقال توبة : « يا هذا انما تفعل

ذلك بريح هذه الجالسة ، ولكن اهبط بنا الوادى « فهبط فصرعه توبة
وبضله وسبقه

وكان عند بثينة مثل ماعند جميل : ولما رأت مناضلته عنها زادت شغفا
به . ولكنهما لم يكونا يجتمعان الا خلسة على موعد . ولم يكن جميل
يخلو من الرقباء ، لكنهم لم يستطيعوا رمية ، وأخبروه معها كثيرة
لايسعها هذا المقام . وما زال يجتمع بها سرا عن أهلها فألحوا بالشكوى
منه الى العامل : ففر الى اليمن حتى عزل العامل . . وانتجع أهل بثينة
الشام فرحل جميل اليهم ، فترصدوه وشكوه الى عشيرته ، فعنفه أهله
وهددوه . فانقطع عنها . وأخيرا لجأ الى مصر ، وعاملها عبد العزيز بن
مروان ، فأحسن وفادته ومرض هناك ومات . وكان طويل القامة عريض
ما بين المنكبين جميل الخلقة حسن البشرة . ومن قوله فيها :

وإني لأرضى من بثينة بالذى لو أبصره الواشى لقرئت بليله
بلا وبأن لا أسننم وبأئنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أواخره لا نلتقى وأوائله
ومن قوله أبيات ينسبونها الى مجنون ليلي :

وما زلت يا بئن حتى لو أنى من الشوق أستبكي الحمام بكى ليا
إذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها دعاء حبيب كنت أنت دعائيا
وما زادنى النأى المفرق بعدكم سئلوا ولا طول التلاقى تقاليا
ولا زادنى الواشون الا صباة ولا كثرة الناهين إلا تماديا
لقد خفت أن ألقى المنية بغتة وفى النفس حاجات إليك كما هيا
ومن بديع قوله فى النسيب :

لها فى سواد القلب بالحب مينة هى الموت أو كادت على الموت تشرف
وما ذكرتك النفس يا بئن مرة من الدهر الا كادت النفس تتلف
وما استطرفت نفسى حديثا لحلة أسر به الا حديثك أطرف
وأكثر شعره فيها وله أبيات فى الفخر بليغة منها :

يحب الغوانى البيض ظل لوائنا إذا ما أتانا الصارخ المتلهف
نسير أمام الناس والناس خلفنا فإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكننا إذا ما معشر نصيوا لينا ومرت جوارى طيرهم وتعيقوا
وضعنا لهم صاع القصاص رهينة بما سوف نوفيها إذا الناس طفقوا

ولجميل ديوان شعر كبير كان مشهورا في أيام ابن خلكان ، ولم تقف على خبره . ولكن منه أشعارا مجموعة في كتاب منه نسخة خطية في مكتبة برلين ونرى ترجمة جميل في الاغانى ٧٧ ج ٧ و ٨٠ ج ١٠ و ١٣٤ و ١٤٢ ج ٢ . وابن خلكان ١١٥ ج ١ ، وخزانة الادب ١٩١ ج ١ ، والشعر والشعراء ٢٦٠ . وفي الهلال ٢٤٢ سنة ٦ (*)

شعراء قريش الغزاليين

١ - عمر بن أبي ربيعة

توفي سنة ٩٣ هـ

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، من مخزوم بطن من قريش . وكانت العرب تقرر لقريش بالتقدم عليها في كل شيء الا الشعر ، حتى ظهر عمر بن أبي ربيعة فأقرت لها به

وقصر عمر المذكور شعره على وصف النساء ولم يصف سواهن . وكان الاسلام لا يزال في أوائله ، والمسلمون يستنكفون من التعرض للنساء والتشبيب بهن . ولم يجرؤ ابن أبي ربيعة على ذلك الا بمنزلة ابن قريش ، ومع ذلك فقد عدوا شعره ضرا على الادب ، فقد قال ابن جريج : «مادخل العواتق في حجالهن شيء أضر عليهن من شعر ابن أبي ربيعة » وقال هشام ابن ع. ه. : « لا ترووا فتيانكم شعر عمر بن أبي ربيعة لئلا يتهربوا في الدنيا تورطوا » (١) وكان أخوه الحارث يمنع من شعره ويدفع اليه المال ليكف عنه فلا يقدر

وقد اقتبس عمر من جميل وقلده . وكان جميل يشيب بحبيته ، أما عمر فكان يشيب بكل حملة وله له نكح منه وشبهها مودة . وصار له في التشبيب طريقة عرفت باسمه حاكها الشعراء . ولما سمع الفرزدق تشبيهه قال : « هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ووقع هذا عليه » . وكانوا لذلك يعدونه أنسب الناس وأوصف الشعراء لربات الجمال . وكان يقيم بمكة ، فإذا آن الحج اعتم في ذي القعدة ، ولسن الحل الفاخرة ، وركب النجائب المخضوبة بالحناء ، عليها القطوع والديباج ، وأسبل لثته ، ولقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدينيات الى مر ، ويتلقى الشاميات الى الكديد . ويتعرض للحجاج فيشيب بشهيرات النساء اللواتي يقدمن الى مكة وهن في مشاعر الحج ، أو ينظر اليهن وهن في الطواف فيرى منهن مالا يراه في الخارج فيصيفهن . . . فتعرض لاشهر نساء العرب وأجملهن ، وفيهن جماعة من كبريات القوم ، وفي جملتهن

(*) وانظر المؤلف ٧٢ ، ١٦٨ والالاء ٢٩ ، وديوان الحماسة ، والموشح للمزباني ، والبيان والتبيين ، وآمالى القالى ، وآمالى المرتضى ، وكتب الادب المختلفة ، وتاريخ الادب العربية لتالينو ، وحديث الاربعاء لطف حسين ج اول ، ودائرة المعارف الاسلاميه .
(١) الاغانى ٣٥ ج ١

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان الخليفة ، ولكن لم يكن يذكر اسمها خوفاً من أبيها ومن الحجاج . وكان أبوها قد بعث إليه يتوعده إذا ذكرها ، فلما عادت من الحج قال فيها :

كِدْتُ يومَ الرّحيلِ أَقْضِي حَيَاتِي لِيَتْنَى مَتٌ قَبْلَ يومِ الرّحيلِ
لَا أَطِيقُ الكلامَ من شِدَّةِ الخوفِ ودمعى يسيلُ كلَّ مَسِيلِ
مَرَفَتْ عَيْنُهَا وَفَاضَتْ عَيُونِي وَكَلَانَا يُلْتَفَى بَلْبٌ أَصِيلِ

وممن شبب بهن عائشة بنت طلحة الشهيرة بالجمال والتعقل ، وكان قد رآها تطوف فعلمت أنه لا يبرح أن يشبب فيها ، فبعثت إليه مع جاريتها تقول : « اتق الله ولا تقل هجراً » فأجابها : « اقرئها السلام وقولى لها ابن عمك لا يقول إلا حسناً » وقال أبياتا منها :

لعائشة ابنة التَّيْمِ عِنْدِي حِمَى فِي القلبِ ، لَا يَرْعَى حِمَاهَا
يَذْكُرْنِي ابْنَةُ التَّيْمِ ظَبْيٌ يَرُودُ بِرُوضَةٍ سَهْلٍ رَبَاهَا
فَقُلْتُ لَهُ وَكَادَ يَرَاعُ قَلْبِي فَلَمْ أَرَ قَطُّ كَالْيَوْمِ اشْتَبَاهَا
سَوَى حَمَشٍ بِسَاقِكَ مُسْتَبِينَ وَأَنْ شَوَاكَ لَمْ يَشْبِهْ شَوَاهَا (*)
وَأَنْكَ عَاطِلٌ عَارٍ وَلَيْسَتْ بِعَارِيَةٍ وَلَا عَظْلٍ يَدَاهَا
وشبب أيضاً بلبابة بنت عبد الله بن عباس بأبيات مطلعها :

وَدَّعَ لُبَابَةَ قَبْلَ أَنْ نَتَرَحَّلَا وَاسْأَلْ فَإِنْ قَلَّ لَهُ أَنْ تَسْأَلَا (**)
وشبب بسكينة بنت الحسين من قصيدة قال فيها :

أَسْكِينُ مَا مَاءُ الْفُرَاتِ وَطِيبُهُ مِنِّي عَلَى ظَمَأٍ وَحِبٌّ شَرَابُ
بِأَلَذِّ مِنْكَ وَإِنْ نَأَيْتِ وَقَلَمَا تَرَعَى النِّسَاءُ أَمَانَةُ الْغِيَّابِ

وشبب بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ، وكان قد تزوجها رجل اسمه سهيل وفي ذلك يقول عمر :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيكُ سَهَيْلاً عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسَهِيلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

وشبب أيضاً برملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات وغيرها ، وشعره كثير ومنه طائفة حسنة يغنونها . ومما يستحسن من شعره قوله في نحول البدن :

(*) الحمش : دقة الساقين ، الشوي : الاطراف
(**) القلال : القليل

رات رجلاً أما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخضر(*)
 قليلاً على ظهر المطية شخصه حلما نبى عنه الرداء المحبّر
 واخباره كثيرة ذكرها صاحب الاغانى مطولة من ٣٠ ج ١ ، والشعر
 والشعراء ٣٤٨ ، وابن خلكان ٣٧٨ ج ١ ، والدميرى ٣٢٦ ج ١ ، والعقد
 الفريد ١٢٢ ج ٣ (***)

وله ديوان مطبوع في ليبسك سنة ١٨٩٣ ، وفي مصر سنة ١٣١١ ، ومنه
 مخطان خطيتان في دار الكتب المصرية

٢ - العرجى

هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الخليفة ، كان من شعراء
 قريش وقد اشتهر بالغزل وتشبه بعمر بن أبى ربيعة . وكان مشغولاً باللهو
 الصيد قليل المحاشاة لأحد فيها ، ولم يكن له نباهة فى أهله . وكان
 أشعر أزرق العينين جميل الوجه ، وقد شبيب بجيداء أم محمد بن هشام
 المخزومي ليفضح ابنها لا المحبة بينهما . فأخذ محمد وضربه وحبسه حتى
 مات فى السجن

وكان يشبب أيضا بالنساء الشهيرات بالجمال نحو ما كان يفعل ابن أبى
 ربيعة ، لكنه كان مقلدا فلم يبلغ مبلغه . وكان يقلده فى البذخ فيستسقى على
 ابله فى شملتين ، ثم يفتسل ويلبس حلتين بخمسائة دينار . ومما قاله
 فى حبسه : (***)

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كرهية وسداد تغر
 وسبر عند معتزك المنايا وقد شرعت أسنتها بنحري
 أجرر فى الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتى وصبرى
 كانى لم أكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتي فى آل عمرو
 واخباره كثيرة منشورة فى الاغانى ١٥٣ ج ١ و ٩٠ ج ٦ و ١٤٥ ج ٧ ،
 والشعر والشعراء ٣٦٥ (****)

(*) يضحى : يسر فى الضحى ، يخضر : يبرد لسيه بالليل
 (**) وانظر دائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الادب العربية لتالينو ، وحديث الاربعاء لطله
 بن ج أول والطور والتجديد فى الشعر الاموى ، والشعر الفنائى فى الامصار الاسلاميه ،
 الجزء الخاص بمكة
 (***) العريش فى الايات : سداد الشعر : مايسد به من خيل ورجال وهدء حرب ،
 الجوامع : جامعة وهى الفل ، مظلمتى ، وصبرى : حبسى ، الوسيط فى القوم : ذو
 المجد الرابع ، وآل عمرو بن عثمان بن عفان يريد عمرو
 (****) وانظر الاالىء ٤٢٢ ، وديوان الحماسة لأبى تمام ، وتاريخ الادب العربية
 لتالينو ، وحديث الاربعاء لطله حسين ج أول

٣ - الحارث بن خالد المخزومي

هو أيضا من مخزوم مثل عمر بن أبي ربيعة ، وقد اتبع مذهبه في الغزل . لا يتجاوز إلى المديح أو الهجاء . وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب بها . وكان ذا قدر وخطر ومنظر في قريش ، وأخوه عكرمة بن خالد محدث جليل . وكان بنو مخزوم جميعا من حزب ابن الزبير إلا الحارث ، فكان منحازا لعبد الملك بن مروان فولاه مكة . وكان يراقب الحج كما يفعل ابن أبي ربيعة ، ويشبب بمن يستحسنهن من النساء وهن في الطواف ومن قوله في عائشة بنت طلحة لما تزوجها مصعب بن الزبير ورحل بها إلى العراق :

ظَنَنْتُ الْأَمِيرَ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَغَدَا بِلُبِّكَ مَطْلَعُ الشَّرْقِ
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسَبِ الرَّفِيعِ وَمِنْ أَهْلِ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالصَّدْقِ
فَظَلَلْتُ كَالْمَقْهُورِ مُتَهَجِّتِهِ هَذَا الْجَنُونَ وَلَيْسَ بِالْعَشِيقِ
أَتَرُجَّةٌ عَبَقَ الْعَبِيرِ بِهَا عَبَقَ الدَّهَانِ بِجَانِبِ الْحَقِّ
مَا صَبَّحْتُ أَحَدًا بِرُؤَيْتِهَا إِلَّا غَدَا بِكَوَاكِبِ الطَّلُقِ (*)
وله أقوال كثيرة ذكرها صاحب الاغانى ١٠٠ ج ٣ ، وخزانة الادب ٢١٧ ج ١ .

٤ - أبو دهب الجمحي

اسمه وهب بن زمعة من أشرف بني جمح من قريش ، وكان رجلا جميلا له جملة شعر يرسلها فتضرب منكبيه . وكان عفيفا قال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب ، ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وكان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن ولكنه شغل عن ذلك بالغزل لانه هوى امرأة من قومه اسمها عمرة ، وكانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة والانشاد الشعر والاخبار . فكان أبو دهب لا يفارق مجلسها وكانت هي أيضا تحبه ، فغارت امرأة منها ، فبعثت اليها عجوزا داهية وشت به حتى احتجبت عنه ، فقال :

وَبِتْ كَيْبَا مَا أَنَامَ كَأَنَّمَا خِلَالَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَهَّجُ
فَطَوْرًا أَمْنَى النَّفْسِ مِنْ عَمْرَةٍ الْمَنَى وَطَوْرًا إِذَا مَا لَجَّ بِنِ الْحَزَنِ أَنْشَجُ
لَقَدْ قَطَعَ الْوَاشُونَ مَا كَانَ بَيْنَنَا وَنَحْنُ إِلَى أَنْ يُوَصِّلَ الْجَبَلَ أَحْوَجُ

(*) كواكب الطلق : كواكب السعد والنحس

وقد شبيب في غيرها من شهرات النساء منهن عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان . . . وقد جاءت للحج فنزلت بنى طوى من مكة ، وقد اشتد الحر فأمرت جواريتها فرفعن الستر فمر أبو دهب فرآها وهي لا تعلم ، فلما رآته ينظر اليها غضبت وشتته وأمرت بارخاء الستر . فقال أبو دهب في ذلك :

اِنِّى دَعَانِى الْحَيِّثُ فَاقْتَادَنِى حَتَّى رَأَيْتُ الظَّبْيَ بِالْبَابِ
يَا حُسْنَهُ اِذْ سَبَّنى مَدْبِرًا مُسْتَرًّا عَنِى بِجُلْبَابِ
سَبَّحَانِ مِنْ وَقْفِهَا حَسْرَةً صَبَّتْ عَلَى الْقَلْبِ بِأَوْصَابِ
يَذُودُ عَنْهَا اِنْ تَطَلَبْتُهَا أَبٌ لَهَا لَيْسَ بِوَهَّابِ
أَحْلَاهَا قَصْرًا مَنِيْعَ الذُّرَى يُحْمَى بِأَبْوَابِ وَحُجَّابِ
وَأَنشَدَ أَبُو دَهْبِلَ هَذِهِ الْاَبْيَاتِ بَعْضُ اخْوَانِهِ فَشَاعَتْ وَغْنَى بِهَا الْمَغْنُونُ ،
فَبَلَغَتْ عَاتِكَةَ فَبَعَثَتْ اِلَيْهِ بِكِسْوَةٍ وَجَرَتْ الرِّسْلُ بَيْنَهُمَا . فَلَمَّا صَدَرَتْ
عَنْ مَكَّةَ خَرَجَ مَعَهَا اِلَى الشَّامِ . فَلَمَّا دَخَلَتْ دِمَشْقَ (جِيْرُونَ) انْقَطَعَتْ عَنْ
لِقَائِهِ فِى دِمَشْقَ ، فَتَنَزَّهَ فِى ذَلِكَ قَصِيْدَةً مَطْلَعُهَا :

طَالَ لَيْلِى وَبِتُّ كَالْمَحْزُونِ وَمَلَّتْ الثَّيْبُوءُ فِى جِيْرُونَ
وَبَلَغَ مَعَاوِيَةَ تَشْبِيْهِهٖ بِابْنَتِهِ ، فَأَحْبَبَ اَنْ يَمْنَعَهُ بِأَسْطَلُوبٍ مِنْ أَسَالِيْبِهِ
النَّاعِمَةِ . . . فَدَعَاهُ اِلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ اَنَّهُ اَطْلَعَ عَلَى مَا قَالَهُ . فَأَرَادَ أَبُو دَهْبِلَ
اَنْ يَتَنَصَّلَ وَيَزْعُمَ اَنَّهُ قِيلَتْ عَنْ لِسَانِهِ ، فَأَكَّدَ لَهُ مَعَاوِيَةُ اَنَّهُ لَهَا . وَلَكِنَّهُ
قَالَ : « لَا خَوْفَ عَلَيْكَ مِنْ جَهْتِى وَلَكِنِّى أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ يَزِيْدٍ ، فَإِنْ لَهُ
سُورَةُ الشَّبَابِ وَأَنْفَهُ الْمُلُوكِ » فَخَافَ أَبُو دَهْبِلَ وَخَرَجَ اِلَى مَكَّةَ هَارِبًا .
لَكِنَّهُ عَادَ اِلَى مَكَاثِبَةِ عَاتِكَةَ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ فَحَجَّ . وَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُ الْحَجِّ
دَعَا أَبَا دَهْبِلَ فِى جُمْلَةِ الشُّعْرَاءِ وَالْاَشْرَافِ وَأَجَازَهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ أَحَبِّ بَنَاتِ
عَمِّهِ اِلَيْهِ ، فَقَالَ : فَلَانَةُ ، فَقَالَ : « قَدْ زَوَّجْتُكَ اِيَّاهَا وَأَصْدَقْتُهَا أَلْفَى دِينَارٍ ،
وَأَمَرْتُ لَكَ بِأَلْفِ دِينَارٍ » فَلَمَّا قَبِضَهَا طَلَبَ الْعَفْوَ عَمَّا مَضَى وَلَمْ يَتَزَوَّجْ
الْفَتَاةَ ، فَسَرَّ مَعَاوِيَةَ مِنْ ذَلِكَ . وَأَكْثَرَ شَعْرَهُ غَيْرَ الْغَزْلِ فِى عِبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْاَزْرَقِ وَالى الْيَمَنِ
وَلَا بِي دَهْبِلَ أَخْبَارَ طَوِيْلَةٍ ذَكَرَهَا صَاحِبُ الْاَغَانِى ١٥٤ ج ٦ ، وَلَهُ اشْعَارُ
فِى الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٣٨٩ (*)

٥ - ابن قيس الرقيات

توفي سنة ٧٥ هـ

اسمه عبيد الله بن قيس ، من قريش ، وكان ممن انحاز الى ابن الزبير ،
وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ومدحه وطمع في

(*) وانظر الاشتقاق ٨١ ، والمؤتلف ١١٧ ، والحماسة لابن تمام (الفهرس)

يبنى أمية ، ثم انحاز الى عبد الملك بعد قتل مصعب وعبد الله فأمته ، فقال يمدحه من قصيدة :

ان الاغر الذي أبوه أبو ال عاصي عليه الوقار والحجائب
يَعْتَدِلُ التاج فوق مَقْرَقِهِ على جبين كَأَنَّهُ الذهبُ
فقال له عبد الملك : « يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأنى من العجم ،
وتقول في مصعب :

انما مصعب " شهاب من الكه تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت " منه ولا كبرياء

أما الامان فقد سبق ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا »
أما تغزله فقد كان في امرأة كوفية كان ينزل عندها اسمها كثيرة ، وله في
أخرى اسمها رقية غزل كثير . علي أن غزله أقل من غزل سائر من تقدم
من الشعراء القرشيين ، ولكن طائفة من شعره يغنونها ، ومن شعره في
رقية ويغنى به :

رُقَيَّ بعيشكم لا تهجريننا ومَنِينا المني ثم امطّلينا
عدينا في غدا ما شئت إنا نحب وان مَطَلْتِ الواعدينا
فأما تنجزى عِدَتِي وأما نعيش بما نؤمل منك حيناً
وله فيها أيضا :

وترى في البيت صورتها مثل ما في البيعة الشرج
خبّروني هل على رجل عاشق في قبلة حرج

وترى أخباره في الاغانى ١٥٥ ج ٤ ، وفي الشعر والشعراء ٣٤٣ ، وخزانة
الادب ٢٦٧ ج ٣ (*) وله ديوان طبع في فينا سنة ١٩٠٢ مع ترجمة
ألمانية . وقد شرحه السكري المتوفى سنة ٢٧٥ هـ ، وفي دار الكتب المصرية
نسخة خطية من الشرح المذكور

سائر الشعراء الغزليين

لا يكاد يخلو شاعر من أبيات غزلية قالها عن حب أو تشبيب ، ولكن المراد
بشعراء الغزل الذين أكثروا من قولهم فيه وقد تقدم ذكر بعضهم واليهك
الباقي :

(*) وأنظر طبقات الشعراء لابي سلام ، واللالء ٢٩٤ ، والاشتقاق ٧١ ، وشواهد المغنى
٢٠١١ ، وحديث الاربعاء لطله حسين ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو ، والشعر الفنائى في
الامصار الاسلامية ، الجزء الخاص بمكة

١ - مجنون ليلي

هو فيس بن الملوح ، ويقال ابن معاذ بن مزاحم من عامر بن صعصعة ، ويعرف بمجنون ليلي نسبة الى ليلي التي كان يتعشقها وهو مشهور . ولدن بعض اهل النقد من علماء الشعر يرون أن قصته موضوعة ، وضعها رجل من بنى أمية كان يحب ابنة عم له يكره أن يظهر ما بينه وبينها . . فوضع حديث المجنون وقال الاشعار التي يظنها الناس للمجنون . وقد زاد الناس فيه بعدئذ . ويؤيد ذلك أن كثيرا مما ينسب اليه من الاشعار روى لغيره . . فقصته اذا من قبيل الشعر التمثيلي الذي يراد به تمثيل بعض الفضائل . وهي تمثل العشق مع التعفف ، أو لعل لها أصلا قليلا وتزاد فيه الرواة كما فعلوا بقصة عنترة التي تمثل الشجاعة والعشق وعلى كل حال ، فان بين الاشعار المنسوبة الى المجنون طائفة تمثل اشعار المحبين كما هي على طبيعتها . وديوان مجنون ليلي شائع ومتداول . ومما ينسب اليه قوله :

واني لينسيني لقاءك كلما لقيتكَ يوما أن أبشَّكَ ما بيَا
وقالوا به داءٌ عِيَاءٌ أصابه وقد علمت نفسي مكانَ دوائيا
وقوله :

فوالله ثم الله اني لدائب أفكر ما ذنبي اليها وأعجب
ووالله ما أدري عـلام قتلتنى وأى أمورى فيك ياليل أركب
أأقطع حبل الوصل ، والموت دونه أم اشرب رثقا منكم ليس يشرب
أم اهرب حتى لا أرى لى مجاورا أم اصنع ماذا أم أبوح فأغلب
فأيشهما يا ليل ما ترتضينه فاني لمظلوم واني لمعتيب

وأخبار المجنون فى الاغانى ١٦٧ ج ١ ، والشعر والشعراء ٣٥٥ ، وخزانة الادب ١٧٠ ج ٢ (*) ، وله ديوان مطبوع فى القاهرة ١٣٠٠ هـ وفى بيروت سنة ١٨٨٢ م ، ثم طبع مرارا . ومنه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وفى مكاتب : تونس ، وبرلين ، وباريس ، واياصوفيا ، وغيرها

٢ - كثير عزة

توفى سنة ١٠٥ هـ

هو كثير بن عبد الرحمن ، من خزاعة ويعرف بكثير عزة نسبة الى عشيقته التي كان يشبب بها . وكان يدخل على الملك وينشده ، وكان شيعيا

(*) انظر المؤلف ١٨٨ ، ومعجم الرزبانى ٤٧٦ ، واللائى ٣٥٠ ، وحديث الاربعاء لطله حسين ودائرة المعارف الاسلامية ، وتاريخ الادب العربية لنالينو

شديد التعصب لال أبى طالب . وكان عبد الملك يعرف ذلك فيه فلا ينكره ، فاذا أراد أن يصدقه فى شىء حلفه بعلى . وكان له صديق اسمه خندف الاسدى شديد التشيع مثله ، وبلغ من جرأة خندف هذا أنه وقف مرة فى الموسم والناس مزدحمون وقال : « أيها الناس انكم على غير حق ، وقد تركتم بيت نبيكم والحق لهم وهم الائمة » فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه ، ودفن خندف بقنونا فقال اذ ذاك كثير يرثيه :

أصادرة حجاج كعب ومالك على كل عجلى ضامر البطن محنق
بمرثية فيها ثناء محسب لأزهر من أولاد مثة معرق

والقصيدة طويلة . . أما معشوقته عزة فهى بنت جميل بن وقاص من ضمرة ، وكانت من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن . ويقال انه لم ير لها وجها الا انه استهام بها قلبه لما ذكر له عنها . وعاتبه بعض أهلها فقالوا : « قد شهرت نفسك وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك » فقال : « انى لا أذكرها بما تكرهون »

واتفق خروجهم الى مصر فى عام الجلاء . . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى أن يلحقهم ، فتربص له بعضهم فى الطريق وقبضوا عليه وجعلوه فى جيفة حمار وربطوها عليه ، فمر به صديقه خندق فأطلقه وألحقه ببلاده . وكان كثير دميما قليلا أحمر أقيشر عظيم الهامة قبيحا . وأكثر أشعاره فى عزة هذه . ومن ذلك قوله لما أخرجت الى مصر :

وقال خليلي ما لها اذ لقيتها غداة السننا فيها عليك وجوم
فقلت له ان المودة بيننا على غير فحش والصفاء قديم
وانى وان أعرضت عنها تجلدا على العهد فيما بيننا لمقيم
وان زمانا فرّق الدهر بيننا وبينكم فى صرّفه لمشوم
وقوله وبه يغنى :

وكنت اذا ما جئت أجللن مجلسى وأظهرن منى هيبة لا تجهشما
يحاذرن منى غيرة قد عرفتها قديما فما يضحكن الا تبسما
ومن أحسن شعره قوله :

أغاضر لو شهدت غداة بنتم حنوء العائدات على وسادى
أويت لواحق لم تشكّميه (*) نوافذه تلذّع بالزناد
ومن قوله فى الحكم :

ومن لا يغتض عينه عن صديقه وعن بعض مافيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة يجدها فلا يسلم له الدهر صاحب
ويختار من قوله :

وأجسع هجرانا لأسماء ان دنت بها الدار لا من زهدة في وصالها
فان شحطت يوما بكيت وان دنت تذلت واستكثرتها باعتزالها
ومن منتخبات قوله في عزة قصيدة طويلة مطلعها :

خليلى هذا ربّع عزة فاعقلا قلوبكما ثم ابكيا حيث حلّت
وقوله وفيه افراط :

ومشى الى بعيد عزة نسوة جعل الاله خدودهن نعالها
ولو ان عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها
والشعر كنيمة تجدها في الاغانى ٤٦ ج ١١ و ٢٧ ج ٨ و ٧٨ ج ٧ ،
والشعر والشعراء ٣١٦ ، وابن خلكان ٤٣٣ ج ١ ، والعقد الفريد ١١٥
ج ٢٠٣ ، وخرانة الادب ٣٨١ ج ٢ (*) وله ديوان شرحه أبو عبد الله
الرشيدى منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٣ - ابن ميادة

هو الرماح بن يزيد بن ثوبان ، من ذبيان ، وكان أحمر سبطا عظيم الخلق
طويلا طويل اللحية ، وكان لباسه عطرا . وذكروا أنه أشعر غطفان فى
الجمالية والاسلام ، وكان خيرا لقومه من النابغة . . لم يمدح غير قريش
وقيس . وكان النابغة يمدح اليمن (القحطانية) ومما يؤثر من قوله فى
الشعر وقد قيل له مرة : « لو أصلحت شعرك لذكرت به لانه فيه كثير
من السقط » فقال : « انما الشعر كنبيل فى جفرك ترمى به الغرض فطالع
وواقع وعاصد وقاصد (**)»

وعاصر ابن ميادة الوليد بن يزيد ومدحه ، وأدرك أول الدولة العباسية
فمدح المنصور وجعفر بن سليمان . . فهو من أهل الدور الثالث ، وانما
ذكرناه هنا لأنه من الشعراء الفزاريين ، وأحب امرأة من بنى مرة اسمها أم
جعدر . وكان يختلف اليها فعلم أبوها وغضب وأقسم أن لا يزوجها رجلا
من قومه ، فزوجها رجلا من الشام . فقال ابن ميادة من شدة الوجد :

(*) انظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمؤلف ١٦٩ ، والاشتقاق ٢٨٠ ، ومعجم الرزبانى
الموسم ، واللائحة ٦١ ، وحديث الاربعاء لطلح حسين ، وتاريخ الادب العربية لثالبينو ، ودائرة
المعارف الاسلامية ، وقد طبع ديوانه فى الجزائر بعناية هنرى بريس ، وهو فى جزئين
(**) الجفبر : جعبة السهام ، والعاصد : الذى لا يصيب الهدف

خليلى من أبناء عذرة بلغا رسائلنا لا تزيدكما وقرا
 ألمّا على تيماء نسال يهودها فان لدى تيماء من ركبها خبرا
 وبالغمر قد جازت وجاز مطيها عليه فسل من ذلك نيكان فالغمر
 وياليت شعري هل يحلن أهلها وأهلك روضات يبطن اللوى خضرا
 ولابن ميادة مواقف مع الحكم القضى ، وأراجيز طوال ومفاخرات مع
 عقاب بن هاشم ، ذكر صاحب الاغانى بعضها وهى منتقيات . وله فى مدح
 انوليد قصيدة مطلعها :

يا أطيّب الناس ريقا بعد هجعتها وأملح الناس عينا حين تنتقب
 ولما مات الوليد رثاه . فلما قامت الدولة العباسية مدح المنصور
 وأخبار ابن ميادة كثيرة فى الاغانى ٨٨ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٤٨٤ . (*)

٤ - الاحوص

توفى سنة ١٠٥ هـ

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله من الاوس من أهل المدينة ، وكان مثل
 سائر شبان يثرب فى تلك الايام ميالا الى اللهو . وكان قليل المروءة والدين
 مع ميل الى هجاء الناس ، وقد جعله ابن سلام فى طبقة ابن قيس الرقيات
 ونصيب وجميل . ولكن أهل الحجاز يفضلونه عليهم ، وهو أسمح طبعاً
 وأسهل كلاماً وأصح معنى منهم . ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة
 وعذوبة ، وبه ألفاظ ليست لواحد منهم . وكان متهتكاً فبلغ سليمان بن
 عبد الملك عنه أقوال فنفاه . ويقال فى سبب ذلك أن سكينة بنت الحسين
 فخرت يوماً بالرسول ، ففاخرها الاحوص بقصيدته التى يقول فيها : « ليس
 جهل أتيته ببديع » فبلغ ذلك سليمان فنفاه ثم رده

واشتهر الاحوص بتشبيبه بأمرأة من الانصار ، وتوعده
 أخوها وهدده فلم يكف عن التشبيب . فاستعدى عليه والى المدينة وهو
 يومئذ عمر بن عبد العزيز ، فربط الاحوص وأخاها بحبل ودفع اليهما
 سوطين وقال : « تجالدا » فغلب أخوها ، ومن شعره فيها :

أزور البيوت اللاصقات بيبتها وقلبي الى البيت الذى لا أزور
 وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى اذا لم يزُرْ لا بد أن سـيـزور
 أزور على أن لست أنفك كلاما أتيت عدوا بالبنان يشـيـر
 ومن شعره الجيد قوله :

(*) وأنظر المؤلف ١٧٤ ، والاشتقاق ١٧٥ ، واللاليء ٣٠٦ ، والخرانة ج اول ص ٧٦

الا لا تلمسه اليوم أن يتبلدا فقد غلب المحزون أن يتجلدا
وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفنّدا
بكيت الصبا جهدا فمن شاء لامنى ومن شاء واسى فى البكاء وأسعدا
وانى وان عيرت فى طلب الصبا لأعلم أنى لست فى الحب أوحدا
وكان الخليفة يزيد بن الوليد مشغلا عن الخلافة بجاريته حباة ، فلامه
عمه مسلمة ونهاه عنها فتركها وانقطع عن زيارتها . . فأرادت أن تسترجعه
فلاقتة وهو خارج الى المسجد بعودها وغنته بيت الاحوص : « وما العيش
الا ما تلذ وتشتهي » الخ ، فضرب يزيد بخيزرانتة الارض ، وقال صدقت
وعاد الى حالته معها
ومن غزله قوله :

فما هو الا أن أراها فجاءة فابّتهت حتى ما أكاد أجيب
وقوله :

ستبقى لها فى مضمّر القلب والحشا سريرة حبّ يوم تبلى السرائر
وترى ترجمة الاحوص وأقواله فى الاغانى ٤٥ ح ٤ و ٥٣ ج ٦ و ١١٧
ج ١ ، وفى الشعر والشعراء ٣٢٩ ، والعقد الفريد ١١٥ ج ١ ، وخزانة
الادب ٢٣٢ ج ١ ، وفى سائر كتب الادب (*) وله قصيدة محفوظة فى
مكتبة برلين

٥ - قيس بن ذريح

هو قيس بن ذريح من كنانة ، وكان رضيع الحسين بن على لان أم قيس
أرضعت الحسين . كان منزل قومه فى ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من
حاضرة المدينة . واشتهر قيس بحبه لبنى بنت الحباب الكعبية ، وهى التى
جعلته ينظم الشعر فانه رآها مرة واستسقاها فسقته ، وكانت امرأة
مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام . . فلما رآها وقعت فى نفسه
ف عشقها وجعل ينطق بالشعر . وشكا اليها غرامه فشكت اليه مثله ، فطلب
الى أبيه أن يخطبها له فأبى لانه كان غنيا فأراد له احدى بنات عمه . فشكا
الى أمه فلم تسعفه ، فأتى الحسين بن على فتوسط له فزوجوه لان اشارته
لا ترد . . فأقامت زوجته عنده مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئا
ثم دخلت الحماة بين الابن وزوجته . وذلك أن قيسا كان أبو الناس بأمه ،
فألته لبنى عنها فغضبت وأخذت تتحين الفرص للانتقام . . فلما مضى على

(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمؤلف ٤٧ ، واللالى ٧٣ ، وحديث الاربعاء لطله
حسين ، وتاريخ الاداب العربية لتالينو : والشعر والشعراء فى الامصار الاسلامية ، الجزء
الخاص بالمدينة

الزواج زمن ولم تلد لبني لقيس ولدا ، خاطبت أمه أباه بذلك وقالت : « أنت ذو مال فيصير المال الى الكلالة ، فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولدا » وألحت عليه فاستمهلها ، وسأل ابنه في ذلك فأبى أن يتزوج غيرها ، فعرض عليه أن يتسرى فأبى ، فقال : « طلقها » . فلم يرض ، فألح عليه وحلف لا يكنه سقف بيت أبدا حتى يطلق لبني . فكان يخرج فيقف في حر الشمس ويجيء أبوه فيقف الى جانبه فيظله بردائه ، ويصلي هو بحر الشمس حتى يفى الفى فينصرف ، ويدخل قيس الى لبني فيعانقها وتعانقه ويبكى وتبكي معه وتقول له : « يا قيس لا تطع أباك فتهلك وتهلكنى » فيقول : « ما كنت لأطيع أحدا فيك أبدا » . فيقال أنه مكث كذلك سنة وقيل عشر سنين ثم طلقها ، ولم يلبث أن استطير عقله ولحقه مثل الجنون وصار يبكى كالطفل . . ثم أتى أبوها ليحملها الى أهله ، فلما رأى قيس هودجها وعلم أنها مسافرة بعد ليلة سقط مغشيا عليه وهو يقول :

وانى لمُفَنِّ دمعَ عينيَ بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائنٌ
وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلةٍ فراقٌ حبيب لم يَبِنْ وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى بكفيك الا أن ما حانَ حائن
ولما غاب هودجها أكب على أثر خف بغيرها يقبله ، ورجع يقبل موقع
مجلسها وأثر قدميها فلاموه على ذلك فقال :

وما أحبتُ أرضكمُ ولكن أقبل أثرَ من وطىء الترابا
لقد لاقيت من كلفى بلبني بلاءً ما أسـينغ به الشرابا
إذا نادى المنادى باسم لبني عييت فما أطيقُ له جوابا
ثم زوجها رجلا من غطفان ، وعاود قيس زيارتها ، فشكوه الى معاوية فأهدر دمه ، فقال فى ذلك :

فان يحجبوها أو يحلّ دون وصلها مقالة واشٍ أو وعيدٌ أمير
فلن يمنعوا عيني من دائم البكا ولن يذهبوا ما قد أجن ضميرى
وأخبار قيس بن ذريح كثيرة فى الاغانى ١١٢ ج ٨ ، وفى الشعر
والشعر ٣٩٩ (*) ، وله ديوان مشروح ومنه نسخة خطية فى مكتبة
الاسكوريال وغيرها فى برلين

٦ - المخبل القيسى

اسمه كعب وهو صاحب ميلاء ابنة عمه ، وقد رآها مرة فعشقتها ، ولقيها فشكا اليها حبه فوعده ، فعلم اخوتها وهم سبعة فهددوه ، وكان منزله فى

(*) وانظر المؤلف ١٢٠ ، واللالى ٣٨٩ ، ٧١٠ ، وامالى القالى فى مواضع متفرقة

الحجاز فخرج الى الشام ونظم فيها الاشعار * ومن ذلك قصيدة مطلعها :
 خليلي قد قست الأمور ورمتها بنفسي وبالفتيان كل زمان
 فلم أخف سوءا للصديق ولم أجد خليا ولا ذا البث يستويان
 الى أن قال يصف غرامه :

بئسنا بهجرانٍ ولم أرَ مثلنا من الناس انسانٍ يهتجران
 أشدَّ مصافاةً وأبعد من قِلي وأعصى لواشٍ حين يسكتيان
 فوالله ما أدري أكل ذوى الهوى على ما بنا أم نحن مبتليان
 وهى طويلة ، ومنها :

أحقا عباد الله أن لست ماشيا برحابٍ حتى يحشر الثقلان
 وتجذ اخباره فى الاغانى ٢٠٩ ج ٢١ ، وهو غير المخبل السعدى الذى
 تقدم ذكره مع الجاهليين

وهناك بضعة من الشعراء العشاق يعدون من الدور الثالث لانهم توفوا
 بعد انقضاء الدور الثانى ، وقد أتينا على تراجمهم هنا كما أتينا على اخرين
 قد يعدون من الدور الاول لاستيفاء هذا الموضوع فى مكان واحد

٧ - ذو الرمة

توفى سنة ١١٧ هـ

هو غيلان بن عقبة بن نهيس ، من مضر ، ويعبد من الشعراء المتيمين
 وصاحبته مية بنت مقاتل المنقرى . . وكانت جميلة وكان هو دميما أسود
 وسمعت تشبيه بها ولم تره ثم رآه ، فقالت : « واسوأناه » فغضب ، وقال
 يهجوها :

على وجه مئى مسحة من ملاحه وتحت الثياب العار لو كان باديا
 ألم تر أن الماء يخبث طعمه وإن كان لون الماء أبيض صافيا
 فوا ضيعة الشعر الذى لج فانقضى بمئى ولم أملك ضلال فؤاديا
 وكان يشبب بخرقاء ايضا ، وهى من عامر بن صعصعة ، ومن قوله فيها
 وهو مما يتغنى به :

لقد أرسلت خرقاء نحوى جديها لتجعلنى خرقاء فيمن أضلت
 وخرقاء لا تزداد الا ملاحه ولو عثرت تعمير نوح وجئت
 وكان ذو الرمة كثير الاخذ من غيره ، وقد ذكر ابن قتيبة فى الشعر
 والشعراء امثلة كثيرة من ذلك . وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبى

بردة بن أبي موسى الأشعري ، وكان له ثلاثة أخوة كلهم شعراء . وكان مستدير الوجه حسن الشعر جعده أقنى أنزع خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مفوها ، اذا كلمك كلمك أبلغ الناس ، يضع لسانه حيث يشاء . وهو من أصحاب الملحمات ومطلع ملحمة :

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفريئة سرب (*)

ويمتاز في شعره أنه أحسن شعراء عصره تشبيها ، كما كان امرؤ القيس أحسن شعراء الجاهلية في ذلك . ودخل بين جرير والفرزدق لما تهاجيا ، فكان مع الفرزدق على جرير . وأخباره كثيرة في الأغاني . ١١٠ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ٣٣٣ ، وابن خلكان ٤٠٤ ج ١ ، ومصارع العشاق ٧٨ ، والجمهرة ١٧٧ ، وخزانة الأدب ٥١ ج ١ (**) ، وله ديوان خطى في دار الكتب المصرية ومثله في مكاتب لندن وليدن (***)

٨ - يزيد بن الطثيرة

توفي سنة ١٢٦ هـ

أسمه يزيد بن الصمة ، من قشير ، من عامر ويكنى أبا مكشوح ، وكان حسن الوجه والشعر حلو الحديث غزلا آخذا بقلوب النساء . وكان الغزل في القشيريين نادرا ، ولهم في ذلك حادثة مع جرم ذكرها صاحب الأغاني ، لا بأس من مطالعتها (١١١ ج ٧) انتهت بتعلق يزيد بامرأة من جرم يقال لها وحشية ، واشتد وجده بها حتى أشرف على الموت ونظم فيها الشعر ، ومن قوله فيها :

بنفسى من لو مرّ برّد بَنَانِه على كبدي كانت شفاءً أناملّه
ومن هابنى فى كل أمرٍ وهبتهُ فلا هو يعطينى ولا أنا سائله
وكتب اليها هذين البيتين :

أحبك أطرافَ النهار بشاشة وبالليل يدعونى الهوى فأجيب
لئن أصبحت ريح المودة بيننا شمالا لقد ما كنت وهى جنوب
فأجابته بقولها :

أحبك حبّ اليأس ان نفع الحيّا وان لم يكن لى من هوائك طيب
وقد قاسى فى حبها كما قاسى غيره من العشاق واللتيمين ونظم فيها كثيرا ومن قوله :

(*) الكلى : الرقع فى القربة ، مفريّة : مقطعة ، سرب : سائل
(**) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والاشتقاق ١١٦ ، واللآلئ ٨١ ، والعينى ٤١٢ ، والتطور والتجديد فى الشعر الاموى ص ٢٠٩ ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو
(***) طبع هذا الديوان فى كمبريدج بعناية المستشرق كارليل هنرى هيس مكارثى

هبينى امرءا اما بريئا ظلمته واما مسيئا تاب منه وأعتبا
وكنت كذى داء تبغى لدائه طبيا فلما لم يجده تطببا
ولا بن الطثرية أخبار كثيرة فى الاغانى ١١٠ ج ٧ ، وفى ابن خلكان ٢٢٩
ج ٢ ، وفى الشعر والشعراء ٢٥٥ (*)

سائر الشعراء العشاق

- ومن الشعراء العشاق طائفة حسنة يضيق المكان عن تراجمهم ، فنكتفى
بالإشارة الى المصادر وهم :
- ٩ - الابيرد الرياحى : من تميم ، كان يهوى امرأة ولم يفد على الخلفاء .
أخباره فى الاغانى ١٠ ج ١٢
- ١٠ - ابن ربيعة : شاعر مشبب أيام عبد الملك . أخباره فى الاغانى
١١٨ ج ٤
- ١١ - توبة بن الحمير : من عامر بن صعصعة وصاحب ليلى الاخيلية .
أخباره فى الاغانى ٦٧ ج ١٠ ، وفوات الوفيات ٩٥ ج ١ ، والشعر والشعراء
٢٦٩ ، وسيأتى ذكره مع ليلى الاخيلية
- ١٢ - مرة بن عبد الله النهدي : من قضاة شاعر بدوى . أخباره فى
الاغانى ٦١ ج ٢٠
- ١٣ - مزاحم العقيلي : من هوازن شاعر بدوى صاحب قصيدة ورجز ،
عاصر الفرزدق ، أحب امرأة تزوجها غيره فتفتقت قريحته . أخباره فى
الاغانى ١٥٠ ج ١٧ وخزانة الادب ٤٥ ج ٣
- ١٤ - مسعدة بن البختري : من أقرباء المهلب بالعراق . أخباره فى
الاغانى ٧٧ ج ١٢
- ١٥ - النميرى : من ثقيف . (١) أخباره فى الاغانى ٢٤ ج ٦
- ١٦ - وضاح اليمن : شبب بامرأة الوليد فقتله . أخباره فى الاغانى
٣٢ ج ٦ ، وفوات الوفيات ٢٥٣ ج ١
- ١٧ - عبد الله بن علقمة : من زرارة أخباره فى مصارع العشاق
- ١٨ - حميد بن ثور الهلالى : أخباره فى الاغانى ٩٨ ج ٤ ، والشعر
والشعراء ٢٣٠ (**)

(*) وأنظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ومعجم الادباء لياقوت طبع مصر الجزء السابع ،
واللائى ١٠٣ ، وحيوان الجاحظ الجزء السابع (الفهرس)
(١) له ديوان منه نسخة خطية فى مكتبة اياصوفيا بالاستانة
(**) طبعت دار الكتب المصرية ديوان حميد

قد رأيت الخلاعة والسكر في بعض من تقدم ذكرهم من الشعراء ، وإنما
نعنى بهذه الطبقة الشعراء الذين غلب عليهم السكر والتهتك والمجون ،
أشهرهم :

١ - الأقيشر الاسدى

هو المغيرة بن عبد الله ، من بنى أسد ، من مضر ، وكان أحمر الوجه أقشر ،
فسمى الأقيشر ويكنى أبا معرض . كان كوفيا خليعا ماجنا مدمنا شرب
الخمير ومن شعره :

فان أبا معرض اذ حَسَا من الراح كأسا على المنبر
خطيب "ليب" أبو معرض فان ليم في الخمر لم يصبر
أحل الحرام أبو معرض فصار خليعا على المكبر
وكان شديد الهجو قبيحه ، ومن لطائفه أنه شرب مرة في الحيرة في بيت
فيه خياط مقعد ورجل أعمى وعندهم رجل مغن مطرب . . فطرب الأقيشر
فسقاهم من شرابه ، فلما انتشوا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم وقفز
الخياط المقعد يرقص على ظله ويجهد في ذلك كل جهده . فقال
الأقيشر :

ومبتعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقينا ثلاثا فأبصرا
شرابا كريحا العنبر الورد ريح ومسحوق هندی من المسك أذفرا
وترى أخباره في الاغانى ٨٤ ج ١٠ ، وفي الشعر والشعراء ٣٥٢ (*)

٢ - الحزين الكنانى

هو عمرو بن عبيد بن وهيب من كنانة ، وقيل أنه مولى . وهو حجازى
مطبوع ليس من فحول طبقتة . وكان هجاء خبيث اللسان ساقطا ،
يرضيه اليسير ويتكسب بالشعر وهجاء الناس ، ذرب اللسان لم يخدم
الخلفاء ولا انتجع بمدح . وكان أشعر ذا بطين عظيم الانف ، على أنه مدح
بعض آل مروان غير الخلفاء . ومن ذلك قصيدة رنانة قالها في عبد العزيز
ابن مروان ، منها :

قالوا دمشق ينبئك الخير بها ثم أتت مصر فثم النائل العمم
لما وقفت عليها في الجموع ضحى وقد تعرضت الحجاب والخدم

(*) وأنظر الاصابة ج ٦ ، والمؤتلف ٥٦ ، والمرزبانى ٣٦٩ ، والخزانة ج ٢ ص ٢٧٩

حييته بسلام وهو مرتفق" وضجة القوم عند الباب تزدهم
في كفه خيزران" ريحها عبق" من كف أروع في عرينه شمم
يغضى حياءً ويغضى من مهابته فما يكلم الا حين يتسسم
وترى أخباره في الاغانى ٧٦ ج ١٤ و ٥٢ ج ١١

ومن الشعراء الخلاء جماعة نكتفى بذكر مصادر تراجعهم :

٣ - بكر بن خارجة : مولى بنى أسد سكير ماجن سكن الحيرة . أخباره
في الاغانى ٨٧ ج ٢٠

٤ - الشمر دل بن شريك : من يربوع كان مغرماً بالشراب واللهو كثير الهجو .
أخباره في الاغانى ١١٧ ج ١٢ ، والشعر والشعراء ٤٤٣

٥ - الوليد بن يزيد الخليفة : أول من وصف الخمر . أخباره في الاغانى
١٠١ ج ٦ و ٩٨ ج ٣ ، والعقد الفريد ٢٦٨ ج ٣ ، وخزانة الادب ٣٢٨ ج ١

الشعراء المغنون

لم يكن بين شعراء الجاهلية من المغنين الا الأعشى وعلس ، ولكن اقتراب
الامويين من الحضارة ونمو العلاقات بين الحجاز والشام والعراق ولدت
الموسيقى ، ونبغ كثيرون من المغنين أكثرهم في المدينة ، أشهرهم :

١ - حنين الحيرى : شاعر نصراني ، كان يغنى أيام هشام . أخباره في
الاغانى ١٢٠ ج ٢

٢ - سعيد الدرامي : (تميم) شاعر ظريف من أهل مكة أيام عمر بن
عبد العزيز . أخباره في الاغانى ١٧٨ ج ٢

٣ - عبادل : مولى قريش في الحجاز لم يفارقها ، كان نبيلاً وكان يغنى .
أخباره في الاغانى ١٧٥ ج ٥

٤ - محمد بن الأشعث : من قريش كان كاتباً من فتيان أهل الكوفة
ظريفاً ينظم ويغنى ، أحب سلامة الزرقاء ونظم فيها وأخباره في الاغانى ١٢٧
ج ١٣

٥ - نصيب : مولى عبد العزيز بن مروان شاعر اشتهر بالغناء . أخباره
في الاغانى ١٢٩ ج ١ ، والشعر والشعراء ٢٤٢

٦ - ابن عائشة : من موالى آل المطلب السهمى ، كان يغنى للوليد بن
يزيد . أخباره في الاغانى ٦٢ ج ٢

الشعراء الادباء

نريد بهذه الطبقة من الشعراء من لم تستطع ادخالهم في احدى الطبقات
المتقدم ذكرها . . فهم ليسوا من شعراء السياسة ، ولا العشق ، ولا
السكر ، ولا الغناء . وهم بضعة وعشرون شاعراً ، يطول بنا ذكر تراجعهم

وخصوصا بعد أن طال بنا الكلام في شعراء هذا العصر . . فنكتفى بترجمة اثنين منهم مع الإشارة الى المصادر التي يرجع اليها من أراد التوسيع في الباقيين

١ - القطامي

هو عمير بن شبيب من بني تغلب ، وكان نصرانيا ، عاصر الاخطل ، وله شعر من الطبقة الاولى في التشبيب والحماسة والفخر . أما في التشبيب فقوله (*) :

وفي الخدور غماماتٍ بَرَقْنَ لَنَا حتى تصيّدُنا من كل مُصْطادٍ
يقتلُنَا بحديثٍ ليس يعلمُ به من يَتَّقِين ولا مكنونه بَادِي
فهنَّ يَنْبِذْنَ من قول يَصْبِنُ به مواقعَ الماء من ذوى الغلة الصادى
وكان يمدح زفر بن الحارث الكلابي وأسماء بن خارجة الفزارى . وكان
زفر قد أسره ثم أطلقه ووهب له مائة ناقّة ، فقال ، وفيه من كبير النفس
ما فيه :

من مبلغ زفرَ القيسى مِدْحَتُهُ عن القطامى قولاً غير افنادٍ
انى وان كان قومى ليس بينهم وبين قومك الا ضربة الهادى
مثنٍ عليك بما أوليت من حسنٍ وقد تعرّض منى مَقْتَلٍ بَادٍ
فان قدرت على يومٍ جزيت به والله يجعل أقواما بمرصادٍ
وله هجاء شديد نحا فيه نحوا خاصا يدل على تفننه ، كقوله يريد هجاء
قيس بالبخل من قصيدة استهلها بأنه كان مسافرا ونزل ضيفا على امرأة
من قيس وانها ارتاعت لما علمت أنه ضيف سينزل عليها . . ووصف ما جرى
بينهما في أسلوب جميل . وهو القائل :

والناس مَنْ يَلْتَقِ خيرا قائلون له ما يشتهى ولأُمّ المخطيء الهَبْلُ
قد يَدْرِكُ المتأنى بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَلْلُ
ومن قوله في الفخر يصف حربا مع قبيلة كلب :

وكلب تركنا جمعهم بين هاربٍ حذار المنايا أو قتيل مجدّلٍ
وأفلتْنَا لما التقينا بعاقِدٍ على سابحٍ عند الجراء ابنٌ بجَدَلٍ
وأقسم لو لا قيته لعلوته بأبيض قطّاع الضريبة مفصل

(*) الغريب في هذه الابيات وما يليها من نفس القصيدة : غمامات : سحابات ، أراد بها نساء جميلات ، برقن لنا : أطمعنا ، مصطاد : مصيد ، يتقن : يخفنه ، باد : ظاهر ، يبلن : يرمين ، الغلة : حرارة العطش ، الصادى : العطشان ، افناد : كذب ، الهادى : النصل ، المرصاد : الطريق ومكان الرصد

وهو من أصحاب المشوبات ، ومطلع مشوبته :

انا محيوك فاسلم^١ أيها الطلل وان بكيت وان طالت بك الطيل^(١)
ونجد أخبار القطامي في الاغانى ١١٨ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ٤٥٣ ،
والجمهرة ١٥١ (*) . وله ديوان طبع في لندن سنة ١٩٠٢ ومنه نسخة
خطية في دار الكتب المصرية وفي مكتبة برلين

٢ - ليلي الاخيلية وتوبة بن الحمير

توفيت ليلي سنة ٨٠ هـ

هي ليلي بنت عبد الله بن الرحال من بنى الاخيسل من عامر . وهي
من النساء المتقدمات في الشعر ، وكان توبة بن الحمير يهواها وهو من بنى
عقيل من عامر أيضا ، فعشقا وقال فيها الشعر . . فخطبها الى أبيها
فأبى أن يزوجه أياها وزوجها في بنى الادلع . فجاء يوما كما كان يجيء
لزيارتها فإذا هي سافرة ولم ير منها الا بشاشة ، فعلم أن ذلك لامر
ما كان . فرجع الى راحلته فركبها ومضى . وبلغ بنى الادلع انه اتاها
فتعوه فقاتهم . فقال توبة في ذلك :

نأتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر^(٢) مريرها^(٢)
وهي طويلة يقول فيها :

وكنت اذا ماجئت ليلي تبرعت فقد رابني منها الغداة سفورها
ويحكى ان توبة رحل الى الشام فمر ببنى عذرة . فراته بشينة ، فجعلت
تنظر اليه ، فشق ذلك على جميل فطلبه للمصارعة كما يفعل الغربيون اليوم
في طلب المبارزة في مثل هذه الحال ، فتصارعا وبشينة خاضرة فغلبه جميل ،
فقال توبة : « انما صرعتنى بريح هذه . انزل بنا الوادى » فنزلا فغلبه
توبة . ومن لطيف شعره فى ليلي قوله :

ولو أن ليلي الاخيلية سلمت^٣ على ودونى ثرابة^٤ وصفائح^٥
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا^(***) اليها صدئ من جانب القبر صائح
ولو أن ليلي فى السماء لأصعدت^٦ بطرفى الى ليلي العيون اللوامح^٧
وكان توبة كثير الغارات فقتل فى احدى غاراته ، كما ورد فى حديث طويل
ذكره صاحب الاغانى . وكانت ليلي تفد على الحجاج فتمدحه وتنال جوائزه .
وأراد الحجاج أن يداعبها فقال لها : « ان شبابتك قد ذهب واضمحل أمرك

(١) الطيل : الدهور
(*) وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، والمرزبانى ٢٤٤ ، والاشتقاق ٢٠٤ ، والمؤلف
١٦٦ ، والخزانة ج ١ ص ٣٩١ ، ج ٧ ص ١٨٨ ، وتاريخ الاداب العربية لنالينو
(**) زقا : صاح

وأمر توبة ، فأقسم عليك إلا صدقتني : هل كانت بينكما ريبة قط أو خاطبك في ذلك ؟ » فقالت : « لا والله أيها الأمير إلا أنه قال لي ليلة وقد خلونا كلمة ظننت أنه قد خضع فيها لبعض الأمر فقلت له :

وذى حاجة قلنا له لا تبح بها فليس إليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخيل
فلا والله ما سمعت منه ريبة بعدها حتى فرق بيننا . قال لها الحجاج :
« فما كان منه بعد ذلك ؟ » قالت : « وجه صاحبها له الى حاضرنا » ،
فقال : « إذا أتيت الحاضر من بنى عبادة بن عقيل فاعل شرفا » ، ثم اهتف
بهذا البيت :

عفا الله عنها هل أبيتن ليلة من الدهر لا يسرى الى خيالها
فلما فعل الرجل ذلك عرفت المعنى فقالت له :

وعنه عفا ربي وأحسن حفظه عزيز علينا حاجة لا ينالها
ومن شعرها قولها في مدح الحجاج :

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما ال منايا بكف الله حيث تراها
إذا هبط الحجاج أرضا مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها

وأخبار ليلى وتوبة في الاغانى ٦٧ ج ١١٠ و ١٣٢ ج ٤ ، و ١٦١ ج ٧ ، والشعر
والشعراء ٢٧١ ، وفوات الوفيات ١٤١ ج ٢ ، والمستطرف ٣٤ ج ١ (*)

٣ - سائر شعراء الدور الثاني

وهالك أسماء من بقى من شعراء الدور الثاني :

٣ - ارطاة بن سهية : من ذبيان شاعر فصيح شريف صادق جواد .
أخباره في الاغانى ١٣٩ ج ١١ ، والشعر والشعراء ٣٣٢

٤ - أعشى تغلب : نصراني يسكن الشام إذا حضر وينزل بلاد قومه بنواحي
الموصل إذا بدا . أخباره في الاغانى ٩٨ ج ١٠

٥ - الجحاف السلمى : من سليم ولد بالبصرة وحضر معركة فيها ابن
الاخلط ، فهرب الجحاف الى بلاد الروم ثم عاد وعفا عنه عبد الملك . أخباره
في الاغانى ٥٧ ج ١١

(*) وأنظر في أخبارهما أيضا الاشتقاق ١٨٢ ، والمؤلف ٦٨ ، ٩٣ واللائى ١١٩ ، والخزانة
ج ٣ ص ٣١ ، والعينى ج ١ ص ٥٦٩ و ج ٢ ص ٤٧ ، ج ٤ ص ٤٥٣ ، وآمالى القالى ج ١
ص ٨٦ ، وتاريخ الاداب العربية لتالينو

- ٦ - جعفر بن الزبير : شاعر مقل . أخباره في الاغانى ١٠٤ ج ١٣
- ٧ - حجية بن المضرب : (كندة) شاعر أموى . أخباره في الاغانى ٢١ ج ٩
- ٨ - سراقه بن مرداس البارقى : أخباره في الاغانى ٤٤ و ٦٧ ج ٧ و ٣١ ج ٨ (١)
- ٩ - سويد بن كراع : من عكل شاعر فارس . أخباره في الاغانى ١٢٧ ج ١١
- ١٠ - عبد الله بن أبى معقل : من الخزرج حجازى أخباره في الاغانى ١١٦ ج ٢٠
- ١١ - عبد الله بن الحشر الجعدى : سيد من سادات قيس ولى الولايات ومدحه زياد الاعجم . ترجمته في الاغانى ١٥١ ج ١٠
- ١٢ - العجاج الراجز : أخباره في الشعر والشعراء ٣٧٤ ، والاغانى ١٢٤ ج ١٨ (٢)
- ١٣ - عروة بن أذينة : من كنانة . أخباره في الاغانى ١٠٥ ج ٢١ ، وابن خلكان ٢١٢ ج ١ ، والشعر والشعراء ٣٦٧
- ١٤ - عقيل بن علفة : من ذبيان شاعر مقل جاف شديد الهوج والعجرفة والبلذخ من بيت شرف في قومه . أخباره في الاغانى ٨٥ ج ١١ و ٩٩ ج ٢
- ١٥ - ليلى بنت طريف الشيبانى : رأس الخوارج . أخبارها في الاغانى ٩ ج ١١
- ١٦ - مالك بن أسماء بن خارجة : من فزارة تولى اصبهان تحت امرة الحجاج . أخباره في الاغانى ٤١ ج ١٦ والشعر والشعراء ٤٩٢
- ١٧ - مالك بن الريب : من مازن نشأ في بادية البصرة ، وهو من أصحاب المرائى . أخباره في الاغانى ١٦٣ ج ١٩ ، والشعر والشعراء ٢٠٥
- ١٨ - محمد بن بشير الخارجى : من قيس شاعر حجازى من أهل المدينة ، كان منقطعا الى أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة القرشى . قدم البصرة وخطب امرأة اشترطت عليه الاقامة بها . أخباره في الاغانى ١٤٨ ج ١٤
- ١٩ - مرة بن محكان السعدى : من تميم عاصر الفرزدق وجريرا واخملا ذكره ، كان شريفا جوادا . أخباره في الاغانى ٩ ج ٢٠ ، والشعر والشعراء ٤٣١
- ٢٠ - المقنم الكندى : شاعر جميل الخلقة شريف . أخباره في الاغانى ١٥٧ جزء ١٥

(١) له ديوان منه نسخة في دار الكتب المصرية « طبع هذا الديوان »
 (٢) له ديوان مشروح في دار الكتب المصرية وفيها كتاب خطى اسمه رجز العجاج - (وقد طبع هذا الديوان في مجموعة اشعار العرب بعناية المستشرق Ahlwardt)

- ٢١ - المهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي : أخباره في الاغانى ١١ ج ١٥
 ٢٢ - يعلى الاحول : من القحطانية ، لص كان يقطع السابلة . أخباره في
 الاغانى ١١١ ج ١١٩

٤ - الدور الثالث من الشعر

في العصر الاموى

١٠١ - ١٣٢ هـ

ويدخل فيه الشعراء الذين قضوا معظم حياتهم في أواخر الدولة الاموية، وهو دور انحطاطها وفسادها بعد أن تولاهما يزيد بن الوليد وابنه الوليد بن يزيد ، والناس على دين ملوكهم . فأكثر شعراء هذا الدور أميل الى التملق والخلاعة والتهتك والقصف . أشهرهم يزيد بن الطثرية ، وابن ميادة ، وقد ذكرناهما بين الشعراء العشاق

وهناك سائر شعراء الدور الثالث من العصر الاموى :

- ١ - أبو حية النميرى : من عامر مدح الخلفاء في الدولتين ، وكان ساكنا في البصرة . أخباره في الاغانى ٦٤ ج ١٥ ، والشعر والشعراء ٤٨٦
- ٢ - أبو عطاء السندى : عاصر الدولتين . أخباره في الاغانى ٨١ ج ١٦ ، والشعر والشعراء ٤٨٢
- ٣ - أبو نخيلة الراحز الحماني : (تميم) تفاه أبوه فخرج الى الشام ثم اتصل بالعباسيين . أخباره في الاغانى ١٣٩ ج ١٨ ، والشعر والشعراء ٣٨١
- ٤ - جعفر بن علبة الحارثي : (كهلان) شاعر غزل وفارس . أخباره في الاغانى ١٤٦ ج ١١ ، وخزانة الادب ٣٢٢ ج ٤
- ٥ - حريث بن عناب : من ظيء ، بدوى مقل لم يتصد بالشعر للناس في مدح ولا هجاء . أخباره في الاغانى ١٠٢ ج ١٣
- ٦ - الحسين بن مطير : مولى بنى أسد شاعر فصيح مدح الدولتين . أخباره في الاغانى ١١٤ ج ١٤ ، وخزانة الادب ٤٨٥ ج ٢
- ٧ - رؤبة بن العجاج الراجز : أخباره في الاغانى ٥٠ ج ٢١ ، والشعر والشعراء ٣٧٦ (١)
- ٨ - سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : مدح الوليد بن يزيد . أخباره في الاغانى ١٦٤ ج ٧
- ٩ - يزيد بن ضة : مولى ثقيف كان يقيم في الطائف ، مدح الوليد بن يزيد . أخباره في الاغانى ١٤٦ ج ٦

الختامة

أما وقد فرغنا من الكلام في الشعر والشعراء في العصر الأموي ، فقد رأينا أن نختم الكتاب ببضعة فصول تتعلق بالشعر والشعراء اتماما للفائدة

١ - كيف كان الشعراء يستحثون قرائهم ؟

مهما بلغ المرء من سمو المدارك وصفاء الذهن وسرعة البديهة فإنه لا يستغنى أحيانا عن شحذ قريحته وذهنه أو استحثاث خاطره وخصوصا في الشعر ، اذ كثيرا ما تمر على الشعراء فترات لا يجدون فيها قدرة على النظم . قال الفرزدق : « قد تمر على الساعة وقلع خرس من أضراسي أهون على من نظم بيت من الشعر » . ويرى آخرون أن الشعر مثل عين الماء أن تركتها اندفنت وأن استهنتها هتنت ، يريدون أنه لا بد للشاعر من استحثاث قريحته من وقت الى آخر

وللشعراء طرق شتى في استحثاث قرائهم تختلف باختلاف أمزجتهم وعاداتهم وطبائعهم (١) . سئل ذو الرمة : « كيف تفعل اذا انقفل دونك الشعر ؟ » فقال : « كيف ينقفل دوني وعندى مفاتيحه ! » قيل له : « وعنهما سألتك ما هي ؟ » قال : « الخلوة بذكر الاحباب » فهذا لانه عاشق . وسئل كثير عزة : « كيف تصنع اذا عسر عليك الشعر ؟ » قال : « أطوف في الرباع المحيلة والرياض المعشبة فيسهل على أرصننه ويسرع الى أحسنه »

وكان الاخطل يستحث قريحته بشرب الخمر . وكذلك كان يفعل كثيرون ممن كانوا يشربونها . وكانت طائفة من الشعراء تستحث شياطينها . كما فعل الفرزدق ، وقد أفهم عند سماع قصيدة حسان التي يقول فيها :

لنا الجففات الغرث يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقد أمهله قائلها ثلاثة أيام حتى يجيب عليها ، وكانت ساعة جمود على قريحته . فاضطر الى استحثاثها ، قال : « أتيت منزلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر فكأنني مفحم أو لم أقل شعرا قط ، حتى نادى المنادى بالفجر : فرحلت ناقتي ثم أخذت بزمامها فقدتها حتى أتيت ريانا - وهو جبل بالمدينة - ثم ناديت بأعلى صوتي : أخاكم أخاكم أبا لبني يعني شيطانه ، فجاش صدري كما يجيش الرجل . ثم عقلت ناقتي

(*) لخص المؤلف هذا الفصل من مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة ، فلتراجع

ونوسدت ذراعها ، فما قمت حتى قلت مائة وثلاثة عشر بيتا « على انه كان اذا خائنه قريحته وصعب عليه الشعر ركب ناقته وطاف خاليها منفردا وحده فى شعاب الجبال وبطون الاودية والاماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده ..

وكان الايرد الرياحى اذا خائنه القريحة أخذ عصاه وانحدر فى الوادى ، وجعل يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر فتأتيه المعانى . وكان جرير يستحث قريحته بشرب النبيذ ويتمرغ بالرمل أو على الفراش ويهمهم ويحبو على الفراش عريانا حتى يخاله الناظر اليه أصيب بجثة . وسئل نصيب مرة : « أتطلب القريض أحيانا فيعسر عليك ؟ » فقال : « أى والله ربما فعلت فأمر براحتي فيشد بها رحلي ، ثم اسير فى الشعاب الخالية واقف فى الرباع المقوية فيطربنى ذلك ويفتح لى الشعر »

ويقال نحو ذلك فى أحوال الشعر فى سائر العصور . وكان أبو تمام اذا أعيته القريحة غطس فى صهريج ماء عنده يمكث فيه ساعة

على أن لاستحثاث القريحة قواعد عامة يجرى عليها الكثيرون منها الجلوس بجانب الماء الجارى أو الاشراف من الاماكن العالية والنزوح الى الاماكن الخالية أو التجول فى الرياض . وبعضهم يستنهض قواه العاقلة أو قريحته بالاستلقاء على الظهر ، وهم مجمعون فى الاكثر على مباركة العمل بالاسحار عند الهبوب من النوم

٢ - شياطين الشعراء

كان العرب يعتقدون أن لكل شاعر شيطانا يوحى اليه المعانى ، حتى لقد يتوهم الشاعر منهم أنه رأى شيطانه وخاطبه وأوحى اليه . وألهم فى ذلك أخبار طويلة ذكر بعضها فى جمهرة أشعار العرب (صفحة ١٨) وذلك مبنى على اعتقادهم بوجود الجن على طوائف ، وينسبون اليها أشعارا وأقوالا لا فائدة من ذكرها

ومن غريب اعتقادهم فى شياطين الشعراء أن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه . ومن انفرد به الهوجل فسد شعره ، (١) وزاد ادعائهم ذلك حتى سموا شيطان كل شاعر باسم خاص به فكان شيطان الاعشى يسمى « مسحل » (٢)

وفى كتب الادب أخبار كثيرة تدل على ما يعتقدونه من الجن وشياطين الشعر ، من ذلك أن رسولا من عند بشر بن مروان جاء جريرا فدفع اليه كتابا وقال له : « انه قد أمرنى أن أوصله اليك ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر فى يومك ان لقيتك نهارا أو ليلتك ان لقيتك ليلا » . وأخرج اليه كتاب بشر وقد نسخ له القصيدة وأمره أن يجيب عنها . فأخذها ومكث

(٢) رسائل أبى العلاء ١٠٧

(١) جمهرة أشعار العرب ٢٤

ليلته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه (قالوا) فهتف به صاحبه من الجن من زاوية البيت ، فقال له : « أزعمتك أنك تقول الشعر ما هو إلا أن غبت عنك ليلة حتى لم تحسن أن تقول شيئاً فهلا قلت :

يا بشرٌ حقٌّ لوجهك التبشيرُ هلا قضيتَ لنا وأنت أمبرٌ »

فقال له جرير : « حسبك ، كفيتك » وما زال حتى أتم القصيدة وذكروا عن كثير عزة أنه قال : « ما قلت الشعر حتى قولته » . قيل له . « وكيف ذلك ؟ » قال : « بينما أنا يوما نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان إذا راكب قد دنا مني حتى صار إلى جنبي فتأملتة فإذا هو من صفر وهو يجر نفسه في الأرض جرا ، فقال لي : « قل الشعر » وألقاه على ، قلت : « من أنت » قال : « أنا قرينك من الجن » فقلت الشعر ..

٣ - الشعراء والقراء

وكانت القراءة في صدر الاسلام خاصة بطبقة من الناس أهمهم حفظه القرآن ومن توخى المدنية فسكن المدن وغلبت عليه الحضارة . أما أهل البادية فيظهر أنهم ظلوا يعولون على الذاكرة وخصوصا الشعراء ، فقد كانت طائفة من فحولهم لا يقرأون وخصوصا في الجاهلية فأكثرهم كانوا أميين . أما في الاسلام بعد انتشار القراءة والكتابة فظل كثيرون من الشعراء لا يقرأون وخصوصا أهل البادية ، فلعلمهم كانوا يعولون على الرواية أو على الحفظ . ومن شعراء العصر الأموي الذين كانوا لا يقرأون الفرزدق ، وقد وقفنا حيناً عندما تبين لنا أنه لا يقرأ لعلمنا بمنزلته من الشاعرية وتقدمه بين رجال الدولة . وقد تبين لنا ذلك عرضا في سياق واقعة جرت له مع مروان بن الحكم . . وذلك أنه قال شعرا أساء مروان بن الحكم وهو وإلى المدينة ، فدعاه إليه وتوعده وأجله ثلاثا وقال : « أخرج عني » فأشدد الفرزدق :

دعانا ثم أجَلَّنَا ثلاثا كما وعدت لمهلكها ثمود

قال مروان قولوا له عني اني أجبتك ، فقلت :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس ودع المدينة انها محظورة والتحقيق بمكة أو بيت المقدس

فعزم على الشخصوس إلى مكة فكتب له مروان إلى بعض عماله مابين مكة والمدينة بمائتي دينار ، فارتاب (الفرزدق) في كتاب مروان فجاء به إليه وقال :

مروان ان مطيتي معقولة ترجو الحباء وربها لم يئأس

آتيتني بصحيفة مختومة يخشى على بها حياء النقرس
 الق الصحيفة يا فرزدق لا تكن نكدا كمثل صحيفة المتلمس
 ورمى بها الى مروان فضحك ، وقال : « ويحك انى امى لا تقرا فاذهب
 بها الى من يقرأها ، ثم ردها حتى أختمها » فذهب بها فلما قرئت اذا بها
 جائزة فردها الى مروان فختمها . وأمر له الحسين بن على بمائتي دينار (١)
 فتبين لنا من ذلك أنه لا يقرأ ، فاذا صح ذلك عن الفرزدق فكيف بسواه .
 ويقال ان ذا الرمة أيضا كان لا يقرأ

٤ - الخطابة والخطباء في العصر الاموى (*)

ظلت الخطابة محتفظة بمكانتها في العصر الاموى لحاجة القوم الى
 استنهاض الهمم في جمع الاحزاب أو تفريقها والتحريض على النهوض
 للحرب ونحوها ، فكان أكثر القواد خطباء وفيهم جماعة من أبلغ رجال
 الخطابة . . فالحجاج بن يوسف كان خطيبا بليغا زادته الخطابة عظمة
 وسطوة . وكان العراق متمردا على عبد الملك ، فلما أعجزه أمره ولى
 الحجاج عليه فدخل الحجاج الكوفة وصعد المنبر مثلثا متنكبا قوسا واضعا
 ابهامه على فمه ، واحتقره الناس وكادوا يرمونه بالحصى فوقف وأزاح لثامه
 عن وجهه وألقى خطبته التي قال في مطلعها : (**)

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
 الى أن قال :

«أما والله أنى لاحتل الشر بثقله واحذوه بنعله وأجزيه بمثله . أما والله
 أنى لأرى رعوسا قد أينعت وحان قطافها ، وكأنى أرى الدماء بين العمام
 واللى :

هذا أوان الشدة فاشتدى زيم قد لفتها الليل بسواق حطم
 « ألا وان أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نشر كنياته فعجم عيـدانها ،
 فوجدنى أصـلبها عودا فوجهنى اليكم . فانكم أهل بغى وشقاق ، وخلاف
 ونفاق ، طالما سعيتم فى الضلالة وسننتم سنن البغى . أما والله لالحنكم لحو

(١) الاغانى ٤٣ ج ١٩ .
 (*) انظر فى الخطابة الاموية تاريخ الاداب العربية لنالينو ، وتطور الاساليب الشعرية
 لأنيس المقدسى ، وكتابتنا : الفن ومذاهبه فى الشعر العربى
 (**) الغريب فى هذه الخطبة : أنا ابن جلا : مثال يضرب للظاهر المتكشف أى ان كل
 الناس يعرفونه . وطلاع الثنايا : ثنايا الجبال ، كناية عن الجلد والقوة . الشد : العدو ،
 وزيم اسم فارس ، والسواق الحطم : الظالم لابلـه فى سيرها ، فكأنه يحطمها بالسير تحطيمـا .
 الحو : من اللحو أى القشر للعود وتهذيبه ، السلـمة : شجر كثير الشوك ، كانوا يجمعونها
 عيدانـا ويضربون بها الشجر لسقوط الأوراق وتحطيم العيدان . المروة : حجارة بيض
 تورى النار ، أخلق : أقدر ، فريت : قطعت

العصا ولأعصبتكم عصب السلمة ولاقرعنكم قرع المروة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل . والله ما أخلق الا فريت ولا أهد الا وفيت . . الخ »

فما فرغ من خطبته حتى هابوه واذعنوا له ، وكان شديدا عليهم وأمره مشهور . ومع ذلك فقد كان اذا رقى المنبر وذكر احسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم واساءتهم اليه ، يخيل للسامع أنه صادق وأن أهل العراق ظلموه (١) . ولذلك كان الأمراء والخلفاء يحافون الخطباء كما يخافون الشعراء لما في أقوالهم من التأثير في تلك النفوس الحساسة

وكان أكثر الخلفاء يخطبون لكنهم يتفاوتون في البلاغة وقوة العارضة ، على أن تلك القسوة أخذت تضعف فيهم بعد الفراغ من الفتوح والانغماس في أسباب الترف والسكون الى الرخاء والبذخ . وتحولت من الحماسة الى المواقظ ثم الى الشكاية . وتداعى فن الخطابة بتداعى دولة العرب في الشرق . فما قامت دولتهم في الاندلس بعثوه وقربوا الخطباء كما قربوا الشعراء ، لكنهم قلما كانوا يستخدمونهم لانهاض الهمم أو اخماد الفتن ، لذهاب الحاجة الى ذلك بذهاب البداوة والفراغ من الفتح . على أنهم كانوا اذا احتفلوا بتنصيب خليفة أو بالنصر على عدو أو باستقبال قادم كبير ، تقدمت الخطباء للترحيب به وأعظام شأنه ووصف ما تهيأ له من توطيد الخلافة (٢)

وأما الأمراء والقواد فكانوا يخطبون في الجند قبل الاغارة على العدو ، فيحرضونهم على الثبات . وكثيرا ما كانت الخطبة سببا للنصر كخطبة خالد ابن الوليد في موقعة البرموك ، وخطبة المفيرة في موقعة القادسية ، وخطبة طارق بن زياد في فتح الاندلس ، ونحو ذلك مما لا تسعه المجلدات

ناهيك بشيوع الخطابة في القبائل على اختلاف أصقاعها كما كانت في الجاهلية . وكانت ترد الوفود الى المدينة أو دمشق أو بغداد أو غيرها من عواصم المسلمين لتهنئة الخليفة أو استنفاذه أو استنجاذه أو استجدائه . وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم لشيوع حب الخطابة فيهم (٣) ولاقتباس أساليب البلاغة منهم

٥ - الانشاء في العصر الأموي (*)

كان الانشاء في عصر الراشدين جامعا مانعا ، وفيه بلاغة وإيجاز كما تقدم . وقد علمت أن الدولة الاموية عززت اللغة العربية وآدابها فكانت بلاغة القول في جملة ذلك . وكان الخلفاء والأمراء ينشطون أهل الأدب ، وأكثر انشائهم في المراسلات بين الخليفة وعماله يقلدون بها مكاتبات عصر الراشدين . وقد ذكرنا أمثلة من ذلك في مكانها

على أن اقتراب الدولة الاموية من الحضارة اثر في الانشاء ونوعه وأطالة ،

(١) البيان ٢٠ ج ١ (٢) نفح الطيب ١٧٥ (٣) العقد الفريد ٢٦٧ ج ٢ (*) انظر في هذا الموضوع تطور الأساليب النثرية لانيس المقدسي ، ومن حديث الشعر والنثر لطلح حسين ، والفن ومذاهبه في النثر العربي

ونشأت طائفة من الكتاب (أى كتاب الرسائل) فى الدولة فأصبحت الكتابة مهنة . وبعد أن كان الكاتب فى زمن الراشدين يتولى ضبط حساب الديوان وكتابة المراسلات ، أصبحت الكتابة فى الدولة الأموية خمسة أصناف لكل منها كاتب خاص . . . ومنهم كاتب الرسائل المقصود من كلامنا هنا ، وقد يسمى كاتب السر وهو يد الخليفة وكاتبه ومبيتودع أسرارهم . فكان الخلفاء بتخيرات لهذا المنصب أبلغ المنشئين . وكان للبلاغة تأثير فى سياستهم كما كان للشعر ، لأن القوم يومئذ لا يزالون فى عهد الفروسية والأريحية ، تقيمهم البلاغة وتقعدهم

ومن أشهر كتابهم سالم كاتب هشام بن عبد الملك ، وقد نقل شبيثا من رسائل أرسطو الى الاسكندر . وله رسائل فى مائة ورقة (فهرست ١١٧) ، وكان للأمرء كتاب ينشئون لهم الرسائل لم يصلنا من أخبارهم الا القليل . وكان الانشاء فى اثناء ذلك يتنوع ويرتقى حسب الاحوال وعملا بناموس الارتقاء ، فلم تنقض الدولة الأموية حتى صار للانشاء فيها صفة معينة وطريقة مخصوصة وضعها أو أتمها عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد ، وصار له أسلوب خاص نسب اليه وقلده الكتاب فيه

عبد الحميد الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى . . مولى من أهل الشام ، أى أهل البلاد الأصليين الذين دخلوا فى الاسلام ، فهو ليس عربيا . وكان المثل يضرب ببلاغة انشائه فى الرسائل ، فيقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد . وكان فى أول أمره معلم صبية يتنقل فى البلدان ، ثم ارتقى حتى صار كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ومات معه سنة ١٣٢ هـ . ويمتاز عبد الحميد بأنه أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات فى فصول الكتب ، فأستعمل الناس ذلك بعده وقلدوه فيه ، وله رسائل بليغة ذكر ابن النديم انها تجتمع فى ألف ورقة لم يصل إلينا منها الا القليل (*) وفى دار الكتب رسالة خطية تنسب لعبد الحميد المذكور

٦ - الخلاصة

والخلاصة أن الأمويين نشطوا الآداب الجاهلية ولا سيما الشعر والخطابة ، فارتقت فى أيامهم وراجت سوق الادب بالبصرة والكوفة ، وكثر الشعراء ونظموا فى كل باب ولم يصلنا كل ما نظموه وفى هذا العصر بدأ تكون الفقه والتفسير والنحو وضبط الخط وبدأوا بالاعجام والحركات . وفيه رسخت اللغة العربية فى المملكة الاسلامية بنقل الدواوين اليها ، وفيه بدأوا بنقل العلوم الطبيعية

(*) أنظر فى عبد الحميد رسائل البلغاء لمحمد كرد على ، وأمرء البيان له أيضا ، وتطور الاساليب النثرية ، ومن حديث الشعر والنثر ، والفن ومذاهبه فى النثر العربى

وأهم ما بين أيدينا من المؤلفات الشرعية أو اللسانية أو الأدبية أو في التاريخ والجغرافيا أو في أى علم من العلوم إنما هو من ثمار العصر العباسي الآتي ذكره . أما التفسير الذي ينسبونه إلى عبد الله ابن عباس ، فقد تقدمت الإشارة إليه ..

حتى الشعر الأموي فإنه لم يصلنا إلا على أيدي الرواة من أهل العصر العباسي ..

فہرست

صفحة	صفحة
٤١ فروع اللغة العربية	٥ تقديم الكتاب
	٧ مقدمة المؤلف
مميزات اللغة العربية	١٣ ماهو المراد بآداب اللغة ؟
٤٢ الاعراب	١٤ أنسبق الامم الى العلم
٤٤ دقة التعبير	١٨ مصادر آداب اللغة
٤٤ الاعجاز والايجاز	٢٠ آداب اللغة اليونانية
٤٥ المترادفات والاضداد	٢٢ آداب اللغة العربية وأقسامها
٤٦ السجع	آداب اللغة قبل الاسلام
٤٦ حكاية الاصوات	٢٤ الجاهلية الاولى
٤٧ الامثال	٢٧ الجاهلية الثانية
٤٨ كتب الامثال	٢٩ درجة ارتقاء عقول العرب
الشعر في العصر الجاهلى	٣٢ المرأة فى الجاهلية
٥٠ ما هو الشعر ؟	٣٤ اقسام آداب العرب قبل الاسلام
٥١ أنواع الشعر	اللغة العربية
٥٣ هل عند العرب شعر تمثيلي ؟	٣٥ تاريخ اللغة العربية
٥٤ كيف بدأ العرب ينظمون الشعر ؟	٣٧ ما دخلها من الإلفاظ الاعجمية ؟
٥٥ أصل وزن الشعر	٣٧ كيف كانت اللغة لما جاء الاسلام ؟
٥٨ شاعرية العرب	٣٩ الشعوب التى كانت تتكلم العربية

صفحة

٩٨	زهير بن أبى سلمى
١٠٠	الناطقة الذبياني
١٠٣	أعشى قيس
١٠٥	لبيد بن ربيعة
١٠٧	عمرو بن كلثوم
١٠٨	الحارث بن حلزة
١٠٩	طرفة بن العبد
١١١	عنتره العيسى
١١٤	عبيد بن الأبرص الأسدي

الشعراء الامراء

١١٧	الافوه الاودي
١١٨	المهل بن ربيعة
١١٩	عبد يغوث
١٢٠	زهير بن جناب
١٢١	عامر بن الطفيل
١٢١	أبو قيس بن الاسلت
١٢٢	الحسين بن الحمام
١٢٢	قيس بن عاصم

الشعراء الفرسان

١٢٤	أبو محجن الثقفي
١٢٥	الأغلب العجلي
١٢٥	حاتم الطائي
١٢٦	زيد الخيل
١٢٧	سلامة بن جندل
١٢٨	علقمة الفحل

صفحة

نهضة الشعر في الجاهلية

٥٩	أسباب النهضة
٥٩	استقلال عرب الحجاز
٦١	حروبهم فيما بينهم
٦١	نهضة قريش
٦٢	أقدم الشعراء
٦٢	تنقل الشعر في الاقاليم
٦٣	تنقل الشعر في القبائل
٦٤	عدد الشعراء بالنظر الى القبائل
٦٥	كثرة الشعر وتعدد الشعراء
٦٧	طبقات الشعراء في الجاهلية
٦٩	تقسيمهم من حيث طبقاتهم

خصائص الشعر الجاهلي

٧٣	تمثيل الطبيعة
٧٧	البلاغة في التركيب
٧٨	مذاهبهم واساليبهم
٨٠	أبواب الشعر عندهم
٨٣	منزلة الشاعر في الجاهلية
٨٤	تأثير الشعر في نفوس العرب
٨٦	أشهر شعراء الجاهلية
٨٧	رواة الشعر
٨٧	الشعراء من حيث أغراضهم

أشهر شعراء الجاهلية

٩١	أصحاب المعلقات
٩٣	امرؤ القيس بن حجر

صفحة		صفحة	
١٤٧	ليلى العفيفة	١٢٩	عمرو بن معدى كرب
١٤٧	جليلة بنت مرة	١٣٠	قيس بن الخطيم
		١٣٠	سائر الشعراء الفرسان
	الشعراء الهجاءون		الشعراء الحكماء
١٤٨	الخطيئة		
١٥٠	حسان بن ثابت	١٣٢	أمية بن أبى الصلت
١٥٢	عبد الرحمن بن الحكم	١٣٣	ورقة بن نوفل
		١٣٤	زيد بن عمرو
	الشعراء الوصافون للخيال	١٣٥	قس بن ساعدة
١٥٤	أبو دؤاد الأيادى		الشعراء العشاق
١٥٤	طفيل الغنوى		
١٥٥	النابعة الجعدى	١٣٦	المرقش الأكبر
١٥٦	الشمخ بن ضرار	١٣٨	عبد الله بن العجلان
١٥٦	عبد بنى الحسحاس	١٣٨	عروة بن حزام
		١٣٩	مالك بن الصمصامة
	سائر الشعراء الجاهليين	١٣٩	مسافر بن أبى عمرو
١٥٨	ابن الدمينه		الشعراء الصعاليك
١٥٩	أوس بن حجر		
١٦٠	المتمس	١٤١	الشنفرى
١٦١	المثقب العبدى	١٤٢	تأبط شراً
١٦٢	المنخل اليشكرى	١٤٢	السليك بن السلكه
١٦٢	كعب بن زهير	١٤٣	عروة بن الورد
١٦٣	معن بن أوس		
١٦٤	الباقى من هذه الطبقة		النساء الشواغر
١٦٧	الخطابة فى الجاهلية	١٤٦	الخنساء
١٧٠	الانساب فى الجاهلية	١٤٧	خرنق بنت بدر بن هفان

صفحة	صفحة
العصر الاموى	الاخبار أو التاريخ ١٧١
٢٠٣ مميزات العصر الاموى	أسواق العرب ١٧١
٢٠٥ حال الشرق عند الفتح الاسلامى	مجالس الادب ١٧٣
أقسام آداب اللغة فى عصر بنى أمية ٢٠٨	العلوم الطبيعية
العلوم الشرعية	الطب ١٧٤
٢١٠ البصرة والكوفة	الاطباء ١٧٥
٢١٣ قراءة القرآن الكريم	البيطرة والخيول ١٧٧
٢١٥ التفسير	الانواء ومهاب الرياح ١٧٧
٢١٦ الحديث	العلوم الرياضية
٢١٨ الفقه	الفلك والنجوم ١٨٠
العلوم اللسانية فى العصر الاموى	الميثولوجيا ١٨٢
٢٢٠ النحو	التوقيت ١٨٣
٢٢٢ الحركات	ما وراء الطبيعة
٢٢٥ الاعجام	الكهانة والعرافة ١٨٥
٢٢٥ التاريخ والجغرافية	القيافة وغيرها ١٨٧
٢٢٧ العلوم الدخيلة	عصر صدر الاسلام
الاداب الجاهلية فى العصر الاموى	التغير الذى أحدثه الاسلام ١٨٩
٢٢٩ اللغة	تأثير ذلك فى آداب اللغة ١٩٠
٢٣٠ الشعر فى العصر الاموى	الخطابة فى عصر صدر الاسلام ١٩١
٢٣٣ مميزات الشعر الاموى	الشعر فى عصر صدر الاسلام ١٩٣
٢٣٥ شعراء قريش والتشبيب	اللغة والانشاء ١٩٦
٢٣٦ الخلفاء والتشبيب	جمع القرآن وتدوينه ١٩٨
٢٣٦ الهجاء السياسى	الخط العربى وتاريخه ٢٠٠
٢٣٨ الهجاء الادبى	

صفحة		صفحة	
٢٦٩	زياد الاعجم	٢٤٠	شعراء العصر الاموي
٢٧٠	ثابت قطنة	٢٤١	الشعراء بالنظر الى قبائلهم
٢٧١	حمزة بن بيض	٢٤٣	الشعراء بالنظر الى أغراضهم
٢٧٢	كعب الاشقرى	٢٤٣	النعمان بن بشير الانصارى
٣٧٣	بيهس الجرمى	٢٤٣	ابن مفرغ الحميرى
٢٧٤	الكميت بن زيد	٢٤٤	أبو الاسود الدؤلى
٢٧٥	أيمن بن خريم الاسدى	٢٤٥	مسكين الدارمى
٢٧٦	الطرماح بن حكيم		
٢٧٧	عمران بن حطان		
٢٧٨	عبد الله بن الحجاج الذيبانى		
٢٧٩	اسماعيل بن يسار النسائى		
	شعراء الغزل	٢٤٨	الاخطال
		٢٥١	جرير
		٢٥٥	الفرزدق
٢٨١	جميل بن معمر	٢٥٩	الراعى
٢٨٣	عمر بن أبى ربيعة	٢٦٠	أبو النجم الراجز
٢٨٥	العرجى	٢٦١	الاحوص
٢٨٦	الحارث بن خالد المخزومى		
٢٨٦	أبو دهبيل الجمحى		
٢٨٧	ابن قيس الرقيات		
٢٨٩	مجنون ليلى	٢٦٢	شعراء السياسة
٢٨٩	كثير عزة	٢٦٢	أبو العباس الاعمى
٢٩١	ابن ميادة	٢٦٤	أعشى ربيعة
٢٩٢	الاحوص	٢٦٥	نابغة بنى شيبان
٢٩٣	قيس بن ذريح	٢٦٥	عدي بن الرقاع
٢٩٤	المخبل القيسى	٢٢٦	أبو صخر الهذلى
٢٩٥	ذو الرمة	٢٦٦	عبد الله بن الزبير الاسدى
٢٩٦	يزيد بن الطثرية	٢٦٧	أبو قطيفة
		٢٦٨	سائر أنصار بنى أمية

الدور الثالث من الشعر	٣٠٤	الشعراء الخلفاء	
الخاتمة		الاقيشر الاسدى	٢٩٨
		الحزين الكنانى	٢٩٨
كيف كان الشعراء يستحثون قرائهم ؟	٣٠٥	الشعراء المغنون	٢٩٩
شياطين الشعراء	٣٠٦	الشعراء الادباء	
الشعراء والقراءة	٣٠٧	القطامى	٣٠٠
الخطابة والخطباء فى العصر الاموى	٣٠٨	لىلى الاخيلية وتوبة بن الحمير	٣٠١
الانشاء فى العصر الاموى	٣٠٩	سائر شعراء الدور الثانى	٣٠٢

طبع بـطابع
مؤسسة دار الهلال

مؤسسة
دارالمسائل